وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة يحيى فارس–المدية–

كليّةُ الآدابِ واللّغات

قسم اللّغةِ والأدب العربيّ

الظّـواهِرُ الصّـرفيّةُ فِي أبنِيـة الأَفعَـال وأثَرُهَا في المعْنَى مِنْ خِـلالِ تفسِيـرِ التَّـحرِيـر والتَّنـوِيـر لابنِ عاشُور

أطروحة دكتوراه (ل م د) في اللّغة العربيّة وآدابها شعبة الدّراسات اللّغويّة

تخصّص: لسانيّات عربيّة

إعداد الطّالبة:

صليحة فيلالي.

إشراف الدّكتور:

عبد الرّحمان زاوي.

السّنة الجامعيّة: 1443–1444هـ/2022–2023م.

وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة يحيى فارس–المدية–

كليّةُ الآدابِ واللّغات

قسم اللّغةِ والأدب العربي

الظّـواهِرُ الصّـرفيّـةُ فِي أبنِيـة الأَفعَـال وأثَـرُهَا في الـمعْنَى

مِنْ خِـلالِ تـفسِيـرِ التَّـحرِيـر والتَّـنوِيـر لابنِ عاشُور

أطروحة دكتوراه (ل م د) في اللّغة العربيّة وآدابها شعبة الدّراسات اللّغويّة

تخصّص: لسانيّات عربيّة

إعداد الطّالبة:

صليحة فيلالي.

إشراف الدّكتور:

عبد الرّحمان زاوي.

الاسم واللّقب	الرّتبة	الصّفة	الجامعة
مبـارك تـريـكي	أستاذ التّعليم العالي	رئـيـسـا	جامعة المديّة
عبد الرّحمان زاوي	أستاذ محاضر قسم"أ"	مشرفـا ومقـرّرا	جامعة المديّة
سعيـد بـوخاوش	أستاذ التّعليم العالي	عضوا منـاقشـا	جامعة البليدة 2
أم هانئ رحماني	أستاذ محاضر قسم"أ"	عضوا منـاقشا	جامعة المديّة
العربي ركّـي	أستاذ محاضر قسم"أ"	عضوا منـاقشا	جامعة المديّة
عبد الرّحمان بلحنيش	أستاذ محاضر قسم"أ"	عضوا مناقشا	المركز الجامعي تيبازة

السّنة الجامعيّة: 1443–1444هـ/2022–2023م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن الجوزي رحمه الله:

"لمَّا كان القرآنُ العزيزُ أشرفَ العلُوم، كان الفَهْم لمعَانِيه أوفَى الفُهُوم،؛ لأنّ شرَف العِلم بشَرف المعْلُوم"

زاد المسير، 3/1.

شكر و عرفان

الحمد لله أوّلا وأخيرا على أن هداني ووفّقني لهذا البحث في مجال علم الصّرف وحقل تفسير القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴿١٥﴾ ﴾ الأحقاف: ١٥.

وأخصّ بالشّكر والاحترام أستاذنا المشرف عبد الرّحمان زاوي الّذي تجشّم عناء متابعة هذا البحث من بدايته إلى نهايته، وكان ينير دربنا بنصائحه وتوجيهاته القيّمة، بالإضافة إلى لجنتنا المؤطّرة في الدّكتوراه وفي مقدّمتهم الدّكتور محمّد بن حجر، وبن يوسف حميدي.

ولا يسعني كذلك إلّا أن أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى من كان لهم الأثر الكبير في مشوارنا الدّراسي والعلمي وعلى رأسهم أستاذنا الفاضل محمّد العيد رتيمة، والأستاذة أنيسة بن تريدي، ورجاء مستور، وإيمان سيدي موسى، ونبيلة زاوي، والأستاذ الفاضل سعيد بوخاوش، وخليفة قرطي، وعلي كشرود. حفظكم الله جميعا وزادكم بسطة في العلم والخلق.

إهداء

لمن كانا لي نبعا ثرّا، ومعينا لا ينضب، أنهل من مائه العذب

والديّ الغاليين قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣

إخوتي وأخواتي وأبنائهم خاصّة حبابة قلبي نور الهدى فاللّهم افتح لهم أبواب رحمتك وارزقهم من حيث لن يحتسبوا.

أخواتي في اللّه اللّواتي مَنَّ اللّه عليّ بالتّعرف على أمثالهنّ في مشواري الدّراسي: عائشة، وفريدة، وفيروز، وزهيّة، وأحلام حفظكنّ الرّحمان وجمعني بكنّ في يوم لا ينفع فيه إلّا ظلّه.

إلى كلّ محبّ للغة الضّاد

الباحثة

صليحة فيلالي

ملخّص الرّسالة

تناقش هذه الدّراسة الموسومة بـ "**الظّواهر الصّرفية في أبنية الأفعال وأثرها في المعنى من خلال تفسير التّحرير والتّنوير لابن عاشور**" مجموعة من أبنية الأفعال ودلالاتها، وإظهار أثرها في المعنى والسّياق القرآني؛ حيث يقوم هذا البحث على ثلاثة محاور: علم الصّرف، التّفسير، المعنى والسّياق، فلا يخفى على المشتغلين بعلوم العربيّة تشعّب علم الصّرف وتداخل فروعه، وصعوبة تحديد معاني هذه الأبنية، فجاء الاختيار على علم الصّرف من أجل إبراز وظيفة كلّ بنية في تعيين المعنى، وأثر السّياق في استدعاء بنية صرفيّة معيّنة، وقد تناولنا هذا البحث في أربعة عناصر: الفعل من حيث الزّمن، والتّجرّد، والزّيادة، والبناء لما لم يسمّ فاعله، وقمنا بذكر الشّواهد في كلّ عنصر وفصّلنا في دلالاته من خلال ذكر أوجه التّشابه والاختلاف بين المفسّرين في دلالة الصّيغة بحسب السّياق، وتدوين الملاحظات حول كلّ عنصر مستصحبين في ذلك بما قاله ابن عاشور في هذه المواضع، كما أنّنا لم نقف على حدود التّعليل الصّرفي بل تجاوزناه إلى الجانب المعنوي والبلاغي.

وقد جاء البحث في مقدّمة وفصل تمهيديّ، وأربعة فصول ثمّ خاتمة حوّت النّتائج المتوصّل إليها من البحث تناولنا في الفصل التّمهيديّ ترجمة ابن عاشور، ومنهجه في التّفسير، ومصطلحات عامّة حول عنوان الرّسالة. وتناولنا في الفصل الأوّل أبنية الأفعال من حيث الزّمن ودرسنا فيه ثلاثة مباحث، تناولنا دلالات الفعل الماضي والمضارع والأمر وفصّلنا فيها. أمّا الفصل الثّاني فتناولنا فيه أبنية الأفعال من حيث التّجرد. والفصل الثّالث فيشمل أبنية الأفعال من حيث الزّيادة. أمّا الفصل الأخير فتناولنا فيه أبنية الأفعال من حيث البناء لما لم يسمّ فاعله.

وتهدف الدّراسة إلى سبر أغوار تفسير القرآن الكريم بالدّراسة الصّرفيّة تفسيرا وتحليلا للوقوف على مواطن إعجاز ألفاظه، والكشف عن العلاقات بين الأبنية الفعليّة، وتبيين مدى تأثير السّياق في تحديد معاني أبنية الأفعال ودلالاتها، وذلك بالتّمثيل لها من تفسير التّحرير والتّنوير.

وقد اعتمدنا في هذه الدّراسة على المنهج الإحصائي في ترتيب المادة وتبويبها حسب فصول البحث، والمنهج الوصفي المقارن القائم على وصف دلالات الأبنية من منظور ابن عاشور وتحليلها ضمن سياقها القرآني، مع مقارنتها بما قاله أهل العلم في المواضع المدروسة.

وقد أظهرت الدّراسة مدى اهتمام ابن عاشور بذكر معاني الأبنية الصّرفيّة للأفعال، وبيان أثرها الدّلالي كلون من ألوان الإعجاز البياني في القرآن الكريم، فقد شكّل تفسير التّحرير والتّنوير حقلا خصبا لمعاني الصّيغ

الصّرفيّة وتوظيفها الدّلالي في السّياق.

Abstract:

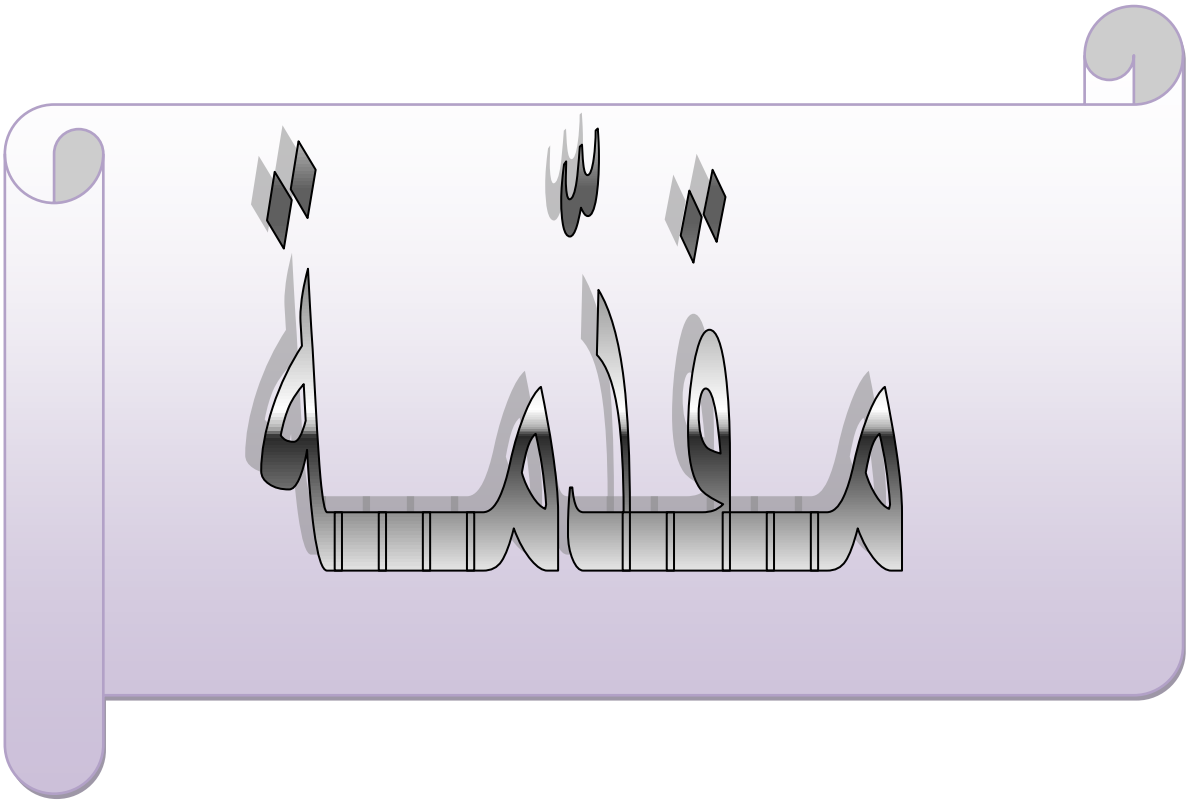
The objective of this study, "Morphological Phenomena in Verb Structures and their Impact on Meaning through the Interpretation and Enlightenment of Ibn 'Achour", is to explore a group of verb structures and their meanings, specifically examining their effect on the interpretation of the Quran. This research analyzes morphology, interpretation, and meaning/context, which are critical fields of Linguistics. The professionals of Linguistics recognize the complexity and interrelatedness of the various branches of morphology, making it challenging to determine the meaning of these structures. Therefore, this study highlights the significance of morphology in determining the function of each structure in conveying meaning, and the role of context in eliciting a specific morphological structure. We have covered this study in four elements: the verb in terms of tense, abstraction, increase, and construction when the doer is not named. We mentioned the evidence for each element and dissected its meanings by listing the similarities and differences between interpreters in regard to the context's significance. We documented notes on each element by taking into account what Ibn Ashur said about them. Moreover, we didn't limit ourselves to grammatical justification but went further to uncover the moral and rhetorical.

This study consists of an introduction, a preliminary chapter, four main chapters, and a conclusion that summarizes the findings of the research. In the preliminary chapter, we discuss topics such as the translation of Ibn Achour, his methodology in interpretation, and general terminology related to the thesis. The first chapter examines the structure of verbs in terms of tense, analyzing the meanings of past, present, and imperative verbs. In the second chapter, we explore verb structure in terms of abstraction, while the third chapter focuses on augmentation. Finally, in the fourth chapter, we discuss how verbs are structured when the actor is not specified.

The primary objective of this study is to explore the intricacies of interpreting the Holy Quran through morphological analysis and interpretation, with the aim of discovering the linguistic excellence of its words. It also endeavors to discover the relationships between the actual structures, and to determine the impact of context on defining the meanings of verb structures and their connotations, while they are presented in interpretation, explanation, and enlightenment.

This study employs statistical methods in the arrangement and categorization of the material into research chapters, along with a comparative descriptive methodology that describes the meanings of verb structures from Ibn Achour's perspective, analyzes them within their Quranic context, and compares them with the views of scholars on the studied subjects.

The study revealed Ibn Achour's focus on highlighting morphological structures of verbs and explaining their semantic effects as a type of rhetorical technique found in the Quran. His interpretation in Al-Tahrir and Al-Tanwir offered a fertile field for exploring the meanings of morphological forms and their semantic use in context.


مقدمة

الحمد للّه الّذي أودع كتابه أسرار الفصاحة والبيان، وجعله رسالة خالدة على مرّ العصور والزّمان، حوى من الإبداع أعلاه، ومن البيان أحلاه، ومن القوّة والانسجام والتّرابط في الألفاظ والمعاني من بدايته إلى منتهاه، والصّلاة والسّلام على من بلّغ الرّسالة، وحمل الأمانة، صلاة تملأ الأركان نورا مسفرا، وسلاما يعطّر الأجواء مسكا وعنبرا. وبعد:

إنّ كتاب الله تعالى كان ولا يزال موضع اهتمام علماء العربيّة قديما وحديثا، رغبة في بيان أحكامه، وكشف دلالاته، وإظهار إعجازه، فقد تعاقبت عليه أفهام أهل العلم والتّفسير على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم؛ فاحتجّ به النّحويّ، ونهل منه البلاغيّ، ونظر فيه المفسّر واستنبط منه الفقيه، فصار فيضا دافقا ينتفع به كلّ ظمآن.

وموضوع البحث يصبّ في ميدان علم الصّرف، فهو مِنْ أشرفِ علومِ اللُّغة العربيّة، وينصبّ اهتمامه على شكل المادة وبنيتها وهيئتها؛ فهو يدرس تغيّر الكلمات وأحوالها وعلاقاتها ببعضها البعض، حيث تَبرُزُ من خلاله تنوعات الصّيغ ودورها في إيضاح المقاصد والمعاني. والظّواهر الّتي يُعنَى بها هذا العلم تتعلّق بالأسماء المتمكّنة، والأفعال المتصرّفة، فقد اعتنى علماء الصّرف القدامى بهذه الأبنية أيّما عناية، وقد خصّصوا مؤلفات كثيرة للحديث عنها نحو: كتاب الأفعال: لابن القطّاع والسّرقسطي، وكتاب فعلت وأفعلت: للزّجاج، وكتاب فعل وأفعَل: لقطرب والفرّاء وغيرها... والمحدثون أيضا كانت لهم بحوث تناولت أبنية الأفعال نحو: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه لخديجة الحديثي، وأبنية الفعل في شافيّة ابن الحاجب لعصام نور الدّين، وأبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها لأبي أوس إبراهيم الشّمسان، وغيرها من الدّراسات. أمّا عند الغربيين وبعض المحدثين فعلم الصّرف يعرف عندهم بـ "المورفولوجيا"، وهو يُعنى بدراسة المورفيمات كعلامة التّثنية، وتاء التّأنيث وغيرها، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدل على عدم مطابقة إطلاق المصطلح الغربي على علم الصّرف العربي.

وقد ارتأينا أن نصرف الجهد للبحث في الظّواهر الصّرفيّة المتعلّقة بالأفعال لخوض غمارِها، فآثرنا أن تكون هذه الدّراسة في حقل ومجال القرآن الكريم وتفاسيره، وذلك لأنّ علم الصّرف من العلوم الّتي يحتاج إليها علماء التّفسير ولا يستغنون عنها، فهم يتفاوتون في ذلك بين مكثر ومقلّ. فولّيت وجهي شطر التّفسير؛ لأنّه من أجلّ العلوم وأعلاها شأنا، وذلك لما له من الأهميّة العظمى في تحديد معاني المفردات القرآنيّة تحديدا دقيقا. وتفسير التّحرير والتّنوير من التّفاسير الّتي أوْلت لعلم الصّرف ومسائله عناية كبيرة، فقد وجدنا مادة صرفيّة كثيرة مبثوثة في هذا التّفسير، لذلك اخترنا أن يكون عنوان البحث موسوما بـ: **"الظَّوَاهِر الصَّرفِيَّة فِي أَبنِيَةِ الأَفعَال وَأَثَرهَا فِي المَعنَى مِنْ خِلالِ تَفسِير التَّحرِيرِ والتَّنْوِير"**.

ولقد كان الدّافع العام لهذا البحث هو قلّة الدّراسات في علم الصّرف المرتبطة بالتّفسير مقارنة بعلم النّحو، والحاجة الماسّة إلى علم الصّرف، الّذي لا يستغني عنه دارس العربيّة، فلا فصاحة للكلام إلّا بسلامة الكلمات الّتي يحاك بها المنظوم والمنثور. أمّا سبب اختيارنا للقرآن الكريم كحقل لهذه الدّراسة؛ لأنّه أعلى الشّواهد في استنباط قواعد اللّغة لعلوّ فصاحته وبلاغته. واختيارنا لتفسير التّحرير والتّنوير دون غيره من التّفاسير لما يتميّز به عن غيره في ذكر دلالة الصّيغ ومعناها في السّياق، فهو من أكثر التّفاسير الّتي عُنِيت بذكر معاني الصّيغ الصّرفيّة وتبيين معانيها في الآيات القرآنيّة على حدّ علمنا.

أمّا الدّافع الخاصّ فهو أنّه منذ بداية مسيرتنا الجامعيّة كنّا ميّالين إلى تناول الدّراسات النّحويّة والصّرفيّة وربطها بالقرآن الكريم وكتب التّفسير، وكان لشغفنا بهذه الموضوعات دون سواها أثر في الإقدام على هذا الموضوع، لا سيما بعد أن تطرقنا في مرحلة الماستر إلى دراسة جزء يسير من الأفعال عند هذا المفسّر من خلال بعض النّماذج القرآنيّة الّتي ذكرها في تفسيره؛ لهذا اخترنا هذا الموضوع من جهة لنتوسّع في مجال الدّراسة ليشمل التّفسير كلّه وذلك لتحديد مدى عناية ابن عاشور بالصّرف، ونبيّن كيفيّة توظيفه لمعاني هذه الأبنية في تحليله للمفردات القرآنيّة. ومن جهة أخرى فإنّ هذا النّوع من الدّراسات يتسنّى فيه الجمع بين النّحو والصّرف والبلاغة؛ لأنّ كلّ واحد منهما يكمّل الآخر، وبهذا تكون هناك إضافة نوعيّة للدّراسات اللّغويّة عند هذا المفسّر، لا سيما إذا علم أنّها قليلة حول هذا التّفسير الكبير،

أمّا إشكاليّة البحث الرّئيسة فتمثّلت في:

ما الظّواهر الصّرفيّة الّتي ذكرها ابن عاشور لأبنية الأفعال في تفسيره؟ وما مدى توفيقه في ربط البنية الصّرفيّة بالمعنى والسّياق؟ وهذِهِ الإشكاليّةُ تفرّعَتْ بِدورِهَا إلَى مجمُوعَةٍ مِنَ الإشكالاتِ وهي:

- كيف وجّه ابن عاشور معاني هذه الأبنية في آي القرآن الكريم؟

- كيف تعامل ابن عاشور في تخريجاته لظاهرة الزّمن ودلالاتها في تفسيره؟ وما الدّور الّذي لعبته ظاهرة التّجرّد والزّيادة في الكشف عن المعنى القرآني وإظهاره محاسنه وإعجازه؟ وهل اكتفى ابن عاشور في توجيهه للفعل المبني لما لم يسمّ فاعله على دلالات البلاغيين أم أنّه أشار إلى دلالات أخرى؟

- هل اكتفى ابن عاشور بذكر الدّلالات والمعاني الّتي ذكرها علماء الصّرف وغيرهم لهذه الأبنية، أم أنّه أضاف دلالات جديدة بحسب ما يقتضيه السّياق القرآني؟

- هل كانت آراء ابن عاشور في ضبط المعاني القرآنيّة مخالفة لغيره من المفسرين أو موافقة لهم؟

ويهدف هذا البحث إلى سبر أغوار تفسير القرآن الكريم بالدّراسة الصّرفيّة تفسيرا وتحليلا للوقوف على مواطن إعجاز ألفاظه، والكشف عن العلاقات بين الأبنية الفعليّة، حتّى يتجلّى لنا أثر معاني هذه الأبنية في توجيه دلالة الآيات القرآنيّة، ويتبيَّن لنا مدى تأثير السّياق في تحديد معاني أبنية الأفعال ودلالاتها، وذلك بالتّمثيل لها من تفسير التّحرير والتّنوير، ليس لقصد استقصاء الأبنية وحصرها؛ لأنّها محدّدة من قبل العلماء، إنّما جوهر البحث يتعلّق بطريقة تعامل ابن عاشور معها، وعرضه لمعانيها، وكيفيّة تحديدها من خلال سياقها القرآني. بالإضافة إلى الإلمام بالظّواهر الصّرفيّة للأفعال عند هذا المفسّر والوقوف على المعاني الّتي تحدثها في القرآن الكريم، واقتصرنا على المعاني الّتي لها أثر في المعنى دون اللّفظ؛ لأن الموضوع يركّز على جانب المعنى كالتّجرّد والزّيادة وغيرها، دون اللّفظ كالإعلال والإبدال والقلب والإدغام، لأنّها لا تؤثّر في المعنى.

وهذه الدّراسة ذات أهميّة كبيرة تظهر في إبراز الإعجاز الصّرفي للقرآن الكريم، وعلاقته بعلم التّفسير، وبيان المكانة العلميّة للتّفاسير وما قدّمته للدّرس الصّرفي، وبصفة خاصّة تفسير ابن عاشور، فهو من التّفاسير المهمّة في العصر الحديث الّتي لم تعنَ بالدّراسة —في حدود علمي– الّتي عُنِي بها غيره من التّفاسير الّتي سبقته، كما أنّها سبيل لربط الدّرس الصّرفي بأبلغ الكلام وأفصحه، وإظهار الرّابطة القويّة بين الصّرف العربي والمفردة القرآنيّة من خلال ربط بنية الفعل بالدّلالة والمعنى؛ لأنّ المقصود ليس البنية لذاتها، وإنّما بيان أثرها في المعنى، فالصّيغ الصّرفيّة من أهمّ وسائل الثّراء اللّغوي، فبها تتحدّد المعاني الوظيفيّة للألفاظ، ولذلك اهتمّ المفسّرون بتبيين معانيها اللّطيفة، وإظهار دورها في الكشف عن أسرار القرآن الكريم، وما ينبثق عنه من أحكام شرعيّة وفقهيّة وعقائديّة وغيرها.

إنّ القارئ لتفسير التّحرير والتّنوير، يجد أنّ صاحبه ذو حسّ يقظ، وذوق سام، يملك دربة بأساليب اللّسان، ورهافة متميّزة بمعرفة أسراره، فهو لا يعرض المسائل الصّرفيّة للأفعال عرضا عقليّا في تفسيره كما هو الحال عند مَنْ صنّف في علم الصّرف على حدة، وإنّما يعرضها عرضا تذوّقيّا مبيّنا إعجاز المفردة القرآنيّة، وما تضفيه من معنى في السّياق القرآني.

ومن الدّراسات الّتي عثرنا عليها حول تفسير التّحرير والتّنوير ما يلي:

1- **خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغيّة في تفسير التّحرير والتّنوير**: إبراهيم علي الجعيد، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 2002م.

2- **المنحى الوظيفي في تفسير التّحرير والتّنوير**: الطّاهر شارف.

3- **المقاييس البلاغيّة في تفسير التّحرير والتّنوير**: حوّاس برّي.

4- **الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات**: محمّد بن سعد بن عبد الله القرني.

5- **أثر الدّلالات اللّغوية في التّفسير عند الطّاهر بن عاشور**: مشرف بن أحمد جمعان.

6- **التّنظير المقاصيدي عند الإمام محمّد الطّاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشّريعة الإسلاميّة**: محمّد حسين.

7- **تفسير ابن عاشور "دراسة منهجيّة نقديّة"**: جمال محمّد أحمد أبو حسّان.

8- **قواعد التّرجيح المتعلّقة بالنّص عند ابن عاشور**: عبير بنت عبد الله النّعيم.

9- **معاني صيغ القرآن الصرفية وتوظيفها في تفسير ابن عاشور إلى نهاية سورة (آل عمران)**: ريم بنت خالد العتيبي، رسالة ماجستير في النحو والصرف، جامعة الإمام محمّد بن سعود، 1431هـ.

10- **الدّخيل والمعرب في كلام ابن عاشور التّونسي (ت:1393هـ) في تفسيره التّحرير والتّنوير (دراسة معجميّة دلاليّة)**: أزهار شعبان عبد النّبي أبو زيد، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندريّة، 2020م.

11- **الطّاهر بن عاشور وجهوده البلاغيّة في ضوء تفسير التّحرير والتّنوير (المعاني والبديع)**: رانية جهاد إسماعيل الشّبوكي، رسالة ماجستر، الجامعة الإسلاميّة –غزّة–، 2009م.

ومن خلال هذا العرض يتبيّن لنا أنّ تفسير ابن عاشور لم يحظ بدراسات صرفيّة كثيرة فجلّ الدّراسات كانت متعلّقة إمّا بمنهجه في التّفسير، أو بالجانب البلاغي، أو بجانب فقه اللّغة، أمّا الصّرفيّ فلم يحظ بدراسة شاملة، فهي لم تعْدُ بعض النّماذج القرآنيّة، أو جزءا يسيرا من تفسيره.

إنّ أوّل عمل قمنا به هو تتبّع أمثلة الأبنية الصّرفيّة للأفعال في تفسير التّحرير والتّنوير وقسّمناها على فصول البحث الأربعة: أبنية الأفعال من حيث الزّمن، ومن حيث التّجرد، ومن حيث الزّيادة، ومن حيث البناء لما لم يسمّ فاعله، وهذا يناسبه المنهج الإحصائي. ثمّ شرعنا بعد ذلك في دراسة هذه النّماذج وتحليلها ومقارنتها بما قاله أهل العلم في ذلك سواء من كتب التّفسير، أو الصّرف، أو النّحو، أو البلاغة، وهذا ما يناسبه المنهج الوصفي المقارن.

لقد واجهتنا بعض الصّعوبات في هذه الدّراسة وهي كثرة مواضع الأبنية الصّرفيّة لا سيما فيما يتعلّق بظاهرة الزّيادة، ودلالة الفعل الماضي والمضارع على المستقبل، ممّا اقتضى منّا وقتا طويلا وجهدا كبيرا في تبويبها وتصنيفها، لذلك اكتفينا في المواضع الّتي حوت مادّة هائلة بذكر بعض النّماذج فقط للتّعليق عليها، وفي المواضع الّتي حوت مادة قليلة قمنا بحصرها، كما أنّ بعض النّماذج كانت عصيّة؛ حيث لم يُتَح لنا التّعرّف على دقائق دلالاتها فاكتفينا بذكر دلالاتها فقط دون التّعرّض لأثرها في المعنى. بالإضافة إلى قلّة تعليل المفسّرين القدامى لدلالة البنية الصّرفيّة في الفعل وتحديد أثرها في السّياق القرآني عند المقارنة بين آرائهم وآراء ابن عاشور، فالكثير منهم كانوا يذكرون دلالة الصّيغة فقط دون ربطها بالمعنى في الآيات القرآنيّة، وهذا ما اقتضى جهدا آخر في إمعان النّظر في كتب التّفسير للوصول إلى الأثر المعنوي المستفاد من الآيات المدروسة.

وقد قسّمنا بحثنا هذا إلى مقدّمة، وفصل تمهيديّ، وأربعة فصول، وخاتمة كانت بها حوصلة لأهمّ النّتائج المستخلصة من البحث. تناولنا في الفصل التّمهيديّ ترجمة لابن عاشور، ومنهجه في التّفسير، ومصطلحات عامّة حول عنوان الرّسالة.

وتناولنا في الفصل الأوّل أبنية الأفعال من حيث الزّمن ودرسنا فيه ثلاثة مباحث، أمّا المبحث الأوّل تناولنا فيه الفعل الماضي وذكرنا الدّلالات الّتي تخلّصه للمضيّ والحال والاستقبال، وكنّا نورد في كلّ عنصر المواضع الّتي تندرج ضمنه ونمثّل له بالشّواهد القرآنيّة، ونذكر بعدها ما قاله ابن عاشور في كلّ شاهد، ونتبعه بمناقشة له وذكر آراء بعض العلماء إن وجدت، وأمّا المبحث الثّاني فتناولنا فيه الفعل المضارع وذكرنا فيه ما عرضناه في مبحث الفعل الماضي. أمّا المبحث الثّالث فتناولنا فيه فعل الأمر وذكرنا مفهومه، وصياغته، ومعانيه ورتّبنا هذه المعاني ومثّلنا لها بآيات قرآنيّة متّبعين في ذلك تعليقات ابن عاشور وما ذكره في هذا الباب من أغراض دلالات.

أمّا الفصل الثّاني فتناولنا فيه أبنية الأفعال من حيث التّجرد وفيه مبحثان؛ الأوّل: الثّلاثي المجرّد وتناولنا فيه صيغه ومعانيه، والثّاني: الرّباعي المجرّد وتناولنا فيه ما تناولناه في الأوّل؛ حيث كنّا نعرض الشّواهد القرآنيّة في كلّ صيغة، ونذكر بعدها ما قاله ابن عاشور في كلّ صيغة وما تخيّره لها من معنى، ونتبعها بعد ذلك بآراء المفسّرين وعلماء الصّرف، ونحاول أن نوازن بين رأي ابن عاشور وغيره من المفسّرين كلّما تسنّت لنا الفرصة لذلك.

أمّا الفصل الثّالث فيشمل أبنية الأفعال من حيث الزّيادة وفيه مبحثان؛ الأوّل: الثّلاثي المزيد، والثّاني: الرّباعي المزيد، واتّبعنا فيه ما ذكرناه في الفصل الّذي قبله.

أمّا الفصل الرّابع فتناولنا فيه أبنية الأفعال من حيث البناء لما لم يسمّ فاعله وذكرنا مفهومه وصياغته وأغراضه، وتوسّعنا في أغراضه عند ابن عاشور، وذكرنا ما علّق عليه من معان موافقة لما ذكره علماء النّحو والبلاغة من جهة، ومن جهة أخرى ما علّق عليه من معان أخرى لم تذكر عندهم بل وجّهها بحسب ما يقتضيه المعنى العام الآية، وكنّا نحاول أن نخرّج غرض الصّيغة وما أضافته من معنى وفق السّياق القرآني للآيات متى أمكن إلى ذلك سبيلا.

وهذه الدّراسة ثمرة أفضى إليها حبّنا لكتاب الله عزّ وجلّ، وربطه بالدّراسات الصّرفيّة لإبراز بعض جوانب إعجازه، فإن ألهمنا التّوفيق فيما وصلنا إليه —وهذا ما نرجوه ونأمله– فهذا فضل من الله سبحانه علينا قال تعالى: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ هود: ٨٨، وإنْ كان العكس فما هو إلّا جهد المقلّ، وحسبنا أنّنا قد بذلنا غاية الجهد، وليس الكمال إلّا لله وحده.

ولا يسعني في الأخير إلّا أن أتقدّم بالشّكر الجزيل والثّناء الوفير لأستاذنا المشرف الدّكتور عبد الرّحمان زاوي على ما بذله من جهد وعناء في متابعة هذا العمل، وكذلك إلى لجنتنا المؤطّرة في الدّكتوراه شعبة الدّراسات اللّغويّة وفي مقدّمتهم أستاذنا الفاضل الدّكتور محمّد بن حجر الّذي يعدّ بحرا من العلم ينهل منه كلّ الطّلبة، والدّكتور بن يوسف حميدي فهولاء كان لهم الفضل الكبير في النّصح والتّوجيه في الكثير من المسائل الّتي كانت مبهمة لدينا، فاللّهم وفّقهم لما تحبّ وترضى.

المبحث الأوّل: ترجمة محمّد الطّاهر ابن عاشور

المطلب الأوّل: اسمه، ومولده، ونشأته، ووظائفه.

المطلب الثّاني: شيوخه وتلامذته ومذهبه الفقهيّ والعقديّ

المطلب الثّالث: مكانته العلميّة، آثاره، ووفاته.

المبحث الثّاني: التّعريف بتفسير التّحرير والتّنوير.

المطلب الأوّل: مقدّمة تفسير ابن عاشور.

المطلب الثّاني: بداية تأليف الكتاب، ونهايته، وطبعاته.

المطلب الثّالث: مصادره في التّفسير.

المطلب الرّابع: منهج الإمام ابن عاشور في تفسير التّحرير والتّنوير.

المبحث الثّالث: مصطلحات عامّة حول البحث.

المبحث الأوّل: ترجمة محمّد الطّاهر ابن عاشور.

المطلب الأوّل: اسمهُ، مولدُه، ونشأتُه، ووظائفه.

أوَّلا: اسمه ونسبته، ومولده.

هُوَ محمّدُ الطّاهِر بنُ مُحَمَّد بنُ محمّد الطّاهرُ بنُ محمّد بن محمّد الشّاذلي بن عبدِ القادرِ بن محمّد بن عاشور[1]، إمامُ ضليع في العلومِ الشّرعيّةِ واللُّغويّةِ والأدبيّةِ والتّاريخيّةِ، ومُفسِّرٌ، ولغويٌّ، ونحويٌّ، وأديبٌ مِنْ دُعاةِ الإصلاحِ الاجتماعي والدِّينيّ[2]. أمُّهُ فاطمةُ بنتُ الشّيخ الوزير محمّد العزيز بنُ محمّد الحبيب بنُ محمّد الطَّيّب بن محمّد بن محمّد بوعتور، ووالدُهُ الشَّيخ محمّد بن عاشور رئيسُ جمعيّة الْأوقاف في تونس[3].

ينحدرُ الإمامُ مِنْ أَرْقَى الْأسرِ منزلةً، وأعلاها شأنًا وهي الأسرةُ العاشوريّة الّتي امتدّتْ فروعُها في عهدِ ازْدِهَارِ الْحضَارةِ الْأندلُسيّة، الّتي انتقلتْ إلى سلاَ ببلادِ الْمغربِ 1030هـ/1620م، ثمّ إلى تونسَ1060هـ/1648م[4].

وُلِدَ ابن عاشور بِقصرِ جدّهِ للأمِّ بالمرسَى* في جُمَادى الْأولَى سنة (1296هـ) ستٍّ وتسعينَ ومائتينِ وألف للهجرة سبتمبر1879م[5].

---

[1]: ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر بن عاشور: محمّد الحبيب بن خوجة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ/2004م، 153/1.

[2]: ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1404هـ/1984م، 304/3. وينظر: معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر: عادل نُوَيْهض، مؤسسة نويْهض الثّقافية، ط:3، 1409هـ/1977م، ص541.

[3]: ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر بن عاشور: ابن خوجة، 153/1.

[4]: المرجع نفسه، 27/1-153-154.

*: المرسَى: ضاحيّة من الضّواحي الشّماليّة للعاصمة التّونسيّة، تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسّط وتبعد عشرين كيلو مترا عن مدينة تونس. ينظر: من أعلام الزّيتونة (شيخ الجامع الأعظم محمّد الطّاهر بن عاشور حياته وآثاره): بلقاسم غالي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط:1، 1417هـ/1996م، ص37، وينظر: الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التّحرير والتّنوير: محمّد بن سعد بن عبد الله القرني، رسالة ماجستير، كليّة الدّعوة وأصول الدّين قسم الكتاب والسّنّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1427هـ، ص10.

[5]: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر بن عاشور: ابن خوجة، 153/1-154. وتراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، 304/3. وينظر: معجم المفسّرين: عادل نُوَيْهض، ص541. والموسوعة الميسّرة في تراجم أئمّة التفسير والإقراء والنحو واللّغة: إياد عبد اللّطيف القيسي وبشير بن جواد القيسي ومصطفى بن قحطان الحبيب وعماد بن محمّد البغدادي، ط1، 1424هـ/2003م، ص2565.

ثانيا: نشأته وطلبه للعلم، ووظائفه.

لقد شبَّ الْإمامُ ابنُ عاشور مُنْذُ صِغَرِهِ عَلَى طَلَبِ الْعلمِ، حيثُ تلَقَّى معارفَهُ الابتدائيّةَ في مسجِدِ سيدي أبِي حَدِيد الْمُجَاورِ لِبَيتِهِم في السَّنَةِ السَّادِسةِ من عُمرِهِ بمنهجِ الْباشا في تونس، وحفظَ الْقرآنَ الْكريمَ ورتَّلَهُ على يدِ الشَّيخِ الْمُقرئ **محمّد الخياري**، وحفظَ مجموعةً مِنَ الْمتونِ الْعِلميّة **كابن عاشر** و**الرّسالة** و**القطر**، ونحوها ممَّا كانَ يُعْنَى الْمؤَدِّبُون بتلقينِهِ لتلامذَتِهم الصِّغار، ودَرَسَ في الْمسجدِ نَفْسِهِ شرحَ **الشّيخِ خالد الأزهري على الأجروميّة**[1] ثمّ تعلّمَ ما تيسّرَ منَ الْفرنسيَّةِ، والْتَحَقَ بجامعِ الزَّيتونَة في سنة 1310هـ/1892م، وتَحَصّلَ على شهادةِ التّطويعِ سنةَ 1317هـ/1896م، وبعد نحو أربعِ سنوات شاركَ في مناظرةِ التّدريسِ مِنَ الرُّتبةِ الأولى فنجحَ فيها سنة 1324هـ/1903م[2]. وبالإضافة إلى ذلكَ فقدْ دَرَسَ علومَ الْوسائِلِ: كالنّحوِ، والصّرفِ، والْبلاغةِ، والْمنطقِ من جهةٍ وعلومَ المقاصدِ: كتفسيرِ الْقرآنِ، والقراءاتِ، والْحديثِ، ومصطلحِ الِحديثِ، والكلامِ، وأصولِ الْفقهِ، والفقهِ، والفرائضِ من جهةٍ ثانيةٍ[3].

وقد تقلّدَ الإمامُ الطّاهرُ ابن عاشُور جملةً مِنَ الوظائِف نُوجِزُها فيما يلي:

ترأّس الجمعيةَ الخلدونيّة (1323هـ)، وأُضِيفَ إلى التّدريسِ بِالْمدْرَسَةِ الصّادقيّة، وفي سنة (1325هـ/1904م) سمّي نائبًا عَنِ الدّولةِ لدى نظارةِ جامعِ الزّيتونةِ، وتولَّى عُضويَّةَ لجنةِ فهرست الكتب بالجامعِ الأعظمِ وعُهِدتْ إلَيهِ رئاستُها (1327هـ/مارس1910م)، كما عُيِّنَ بمجلسِ الأوقافِ الأعلَى سنة (1328هـ/1911م)، وفي سنة (1329هـ/1913م) سمّي عضوًا في لجنةِ تنقِيحِ برامجِ التّعلِيمِ، وفي سنة(1331هـ/1913م) سُمّي قاضيًا مالكيًّا لِلجماعةِ فأُسنِد إليه منصبُ الْقضاءِ وهُوَ في الخامسةِ والثّلاثينَ مِنْ عُمْرِهِ واستقرَّ فيه عشرَ سنواتٍ.

وفي سنة (1341هـ/1923م) عادَ إلى التّدريسِ بجامع الزّيتونةِ والمدرسةِ الصّادقيّةِ، وسمّي نائبًا عن الشّيخِ باش مفتي سنة (1342هـ/1924م)، كما عُيّن عضوًا لمجلس الإصلاح الثّالث سنة(1343هـ/1924م)، ثمَّ عضوًا لمجلسِ الإصلاح الرابع (1348هـ/1930م). وفي جُمَادى الأولى سنة (1351هـ/1932م) سمّي شيخَ الإسلامِ المالكي، ثمّ اقتصرَ على وظيفةِ شيخِ الإسلام، كما تولّى مشْيَخَةَ الجامعِ الْأعظم الّذِي عاشَ له دهرًا طويلًا من حياتِه، وكانَ مراسِلًا للمَجْمَع اللُّغويّ بالقاهرةِ والمَجْمَع

[1]: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر بن عاشور: ابن خوجة، 1/27-153-154.

[2]: أليس الصّبح بقريب: محمّد الطّاهر ابن عاشور، دار سحنون/تونس، دار السّلام/القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م، ص 230. وينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، 3/304.

[3]: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر بن عاشور: ابن خوجة، 1/154.

العلميّ بدمشقَ وقد درَّسَ بالجامعِ الأعظم نحو سِتّين عامًا، ولـمّا جاءَ الاستقلالُ سُمِّي عميداً لجامعةِ الزّيتونةِ في1375هـ/آبريل1956م، وهو أوّلُ مَنْ أحرزَ على الجائزةِ التّقديريّة للرّئيس **الحبيب بورقيبة** سنة1388هـ/1968م[1].

المطلب الثّاني: شيوخه وتلامذته، ومذهبه الفقهيّ والعقديّ.

أوّلا: شُيوخُه وتلامِذَته.

أ–شيوخه: لقد تلقّى ابن عاشور مَعارِفَهُ الابتِدائيةَ علَى يدِ أكابرِ علماءِ الزّيتونَةِ وجَهَابِذَتِهم فسمِعَ منْهم وأخذَ عنْهم، ومن أشهر هؤلاء العلماء:

1–الشَّيخُ **سَالِم بُوحَاجب** وهو شيخُ شُيُوخِه.

2–الشَّيخُ **عبدُ الْقَادِر التَّمِيمِي**: الّذي تخرّجَ ابنُ عاشُور على يدَيْهِ في تَجْويدِ القُرْآنِ والقِرَاءَات وبِخَاصَةٍ فِي رِوَايَة قَالُون.

3–الشّيخ **محمّد النّخلي**: ودَرَسَ عليهِ كُتبَ علومِ الْوسَائِل: كالقطر، والمَكُودِي على الخُلَاصَة، ومُقَدِّمَةُ الإِعْرَابِ فِي النَّحْوِ، وَمُخْتَصَرُ السَّعْد فِي الْبَلَاغَة، وَالتَّهذِيبُ فِي الْمَنْطِق، وفِي أصُولِ الْفِقْهِ: دِرَاسَةُ الْخَطَّاب عَلَى الْوَرَقَات، والتَّنْقِيحُ لِلْقَرَافِي، وميارة عَلَى الْمُرْشِد، وكِفَايَةُ الطَّالِب عَلَى الرِّسَالَة.

4–الشَّيخُ **مُحَمَّد صَالِح الشَّرِيف**: قرأَ عَلَى يَدَيْهِ كِتَابَ الشَّيخِ خَالِد الأَزْهَرِي، والقَطْر لابنِ هِشَام، والمَكُودِي عَلَى الخُلَاصَةِ، والسُّلَّم في الْمَنْطِقِ، وفِي عُلُومِ الْمَقَاصِد: مُخْتَصَر السَّعد عَلَى العَقَائِد النَّسْفِية، والتّاودي على التُّحْفَة في الْفِقْهِ.

5–الشَّيخُ **عُمَرُ بنُ عَاشُور**: دَرَسَ عليه لَامِيَةَ الْأَفْعَالِ وَشُرُوحهَا فِي الصَّرْفِ، وَتَعْلِيق الدَّمَامِينِي عَلَى الْمُغْنِي لابنِ هِشَام، ومُخْتَصَر السّعْد فِي الْبَلَاغَةِ، والدَّرْدِيرُ فِي الْفِقْهِ، والدُّرَّةُ فِي الْفَرَائِض[2].

6–الشّيخُ **مُحَمَّدُ النَّجَار**: ودَرَسَ عَلَيه كِتَابَ الْمَكُودِي عَلَى الْخُلَاصَةِ، ومُخْتَصَرُ السَّعْد فِي الْبَلَاغَةِ، والْمَوَاقِفُ فِي عِلْمِ الْكَلَام، والْبَيْقُونِيّة.

---

[1]: تراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، 3/304–306. وينظر: أليس الصبح بقريب: ابن عاشور، ص230. وشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر بن عاشور: ابن خوجة، 1/ 27–168.

[2]: المرجع نفسه، 1/27–155.

7-الشّيخُ **مُحَمَّد طَاهِر جَعْفَر**: الّذي قرأَ عَلَى يَدَيْهِ شَرْحَ الْمُحَلَّى عَلَى جَمْعِ الْجَوَامِع، والشِّهَاب الْخَفَاجِي عَلَى الشِّفَاء.

8-الشَّيخُ **أَحْمَد جَمَال الدِّين**: قَرَأَ عَلَى يَديْهِ الْقَطْر وَالدَّردير.

9-الشَّيخُ **مُحمَّد صَالِح الشَّاهِد**: الّذِي قَرَأَ عَلَى يَديْهِ الدَّرْدير.

10-الشَّيخُ **مُحَمَّد الْعَرْبِي الدُّرْعي**: ودَرَسَ عَلَى يَدَيْه كِفَايَةَ الْطَالِب عَلَى الرِّسَالَة[1].

ب-تَلامِذَتُه: كان ابن عاشور موسوعة علميّة في زمانه، وعالم فذّ بين أقرانه، ومن أشهر تلامِذته الّذِين تلَقّفُوا الْعلمَ عَلَى يديه نذكر -لا على سبيل الحصر-:

1-ابنهُ محمّد الْفَاضِل بن عاشور.

2-ابنه الثاني عبد الملك بن عاشور.

3-محمّد الحبيب بن خوجة[2].

4-زين العابدين بن حسين.

5-محمّد الصّادق بن محمّد الشّطي.

6-أبو الحسن بن شعبان.

7-محمّد بن خليفة بن الْحَسَن الْمَدَني.

8-محمّد البشير بن الشّيخ أحمد النّيفر[3].

9-عبد الحميد بن باديس[4].

ثانيا: مذهبُه الفقهيّ والعقدي:

[1]: المرجع السّابق، 155/1-156.

[2]: من أعلام الزّيتونة: بلقاسم غالي، ص 66-67.

[3]: تراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، 136/2، و196/3-198، و291/4، و67/5.

[4]: آثار ابن باديس: عمّار طالبي، الشّركة الجزائريّة، الجزائر، ط1، 1417هـ/1997م، 75/1-76.

أ–مذهبه الفقهيّ:

لقد كانَ الشّيخُ ابن عاشور مالكيَّ المَذْهبِ، فقد كانتْ فتاويه مُعَزَّزةً بأدلّةِ المذهب المالكي، وكان يتوخَّى فيها إبرازَ الدّليلِ مِنَ المنقُولِ والمعقولِ، حيثُ يَعتَمِدُ عَلى النَّصِ الشّرعي، ثمّ يذكرُ رأيَ إمامِ مذهبِه وتلامذتِهِ وكبارِ فقهاءِ المذهبِ المتقدّمينَ مِنْهم والمتأخِّرين[1]؛ بنحو ما قاله في باب الكلام عن البسملة وفي كونها آية من أوائل السّور أم لا؛ حيث ذكر حجة مذهب الإمام مالك ومن وافقه بأنّها ليست آية من أوائل السّور، وذكر مسالكهم الثلاثة في ذلك وأدلّتهم على كلّ مسلك، وانتصر لهذا المذهب وذلك في المسلك الثالث وهو: الاستدلال عن طريق الذّوق العربي، فخالف رأي من قال إنّ البسملة آية من كلّ سورة، وذكر بأنّه ينشأ عن هذا القول أنّ فواتح سور القرآن كلّها متماثلة وذلك مما لا يحمد في كلام البلغاء إذ الشأن أن يقع التّفنّن في الفواتح[2]. وبعد عرضه للرأي الآخر وبعض أدلته والرّد على هذه الأدّلة قال: "والحقّ البيّن في أمر البسملة في أوائل السّور، أنّها كتبت للفصل بين السّور ليكون الفصل مناسبا لابتداء المصحف"[3].

وقد كان يُبِيحُ لنفسِه في بعضِ الأحيان أَنْ يخرجَ عنه وذلك وفقَ ما تقتَضِيه المصالحُ المرسلَة[4]، وذلك بنحو ما ذكره في تفسير الآية 173 من سورة البقرة؛ حيث ذكر اختلاف الفقهاء في الانتفاع بجلد الميتة إذا دُبِغ، ورجّح قول أبي حنيفة في المسألة[5].

ب–مذهبُه العقديّ:

يظهرُ مذهبُ ابن عاشور العقدِي في الأسماءِ والصِّفاتِ فهو أشعريّ جلد[6]، حيثُ نجدُهُ يسيرُ وِفقَ طريقةِ الأشاعرة وإنْ كان يخالفُهم في بعضِ الأحيان، أمّا بقيّة أبواب العقيدة كإثباتِ الوحدانيّة أو الإيمانِ بِالملائِكَةِ والكتبِ والرّسلِ واليومِ الآخِرِ والقدرِ فهُوَ يسيرُ وِفْقَ منْهج السّلف[7]، وممّا يدلُّ على أشعريّتِه

---

[1]: فتاوى الشّيخ الإمام محمّد الطاهر بن عاشور: ابن عاشور، تح: محمّد إبراهيم بوزغيبة، مركز جمعية الماجد، دبي، ط1، 1425هـ/2004م، ص: 20-21.

[2]: التحرير والتّنوير: محمّد الطّاهر ابن عاشور، دار سحنون للنّشر والتّوزيع، تونس، 138/1-142.

[3]: المصدر نفسه، 143/1.

[4]: فتاوى الشّيخ الإمام محمّد الطاهر بن عاشور: ابن عاشور، ص 20-21.

[5]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 116/2.

[6]: المفسّرون بين التّأويل والإثبات في آيات الصّفات: محمّد بن عبد الرّحمان المغْرَاوي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ص:1403.

[7]: التّقريب لتفسير التّحرير والتّنوير: محمّد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، 40/1.

تفسيرُه لِقولِهِ تعالَى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ ...﴿٦٤﴾ ﴾ المائدة:64، حيث يقولُ في معنَى «يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ» هي "الوصفُ بالبخلِ فِي العطاءِ لأنَّ العربَ يجعلُونَ العطاءَ معبَّراً عنْه باليدِ، ويجعلونَ بسطَ اليدِ استِعارةً للبذلِ والكرَم، ويجعلُونَ ضدَّ البسطِ استِعارة للبخلِ فيقولُونَ: أمسَك يده وقبضَ يده، ولم نسمع منهم غلّ يده، إلّا في القرآن كما هنا... وهي استعارة قويّة لأنّ مغلول اليد لا يستطيع بسطها في أقلّ الأزمان، فلا جرم أن تكون استعارة لأشدّ البخل والشّح"[1].

وممّا يدّل على مذهبه أيضا تفسيره للآية 38 من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ ... فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾، حيث قال: "... فلذلك كانت الآية أسعد بمذهبنا أيّها الأشاعرة..."[2]، وتفسيره للآية 24 من سورة سبأ في قوله تعالى:﴿ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ بقوله: "ووصف الضّلال بالمبين دون الهدى بالمبين لأنّ حقيقة الهدى مقول عليها بالتّواطئ وهو معنى قول أصحابنا الأشاعرة: الإيمان لا يزيد ولا ينقص في ذاته وإنّما زيادته بكثرة الطّاعات، وأمّا الكفر فيكون بإنكار بعض المعتقدات وبإنكار جميعها وكلّ ذلك يصدق عليه الكفر"[3]، والصّحيح أنّ الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطّاعة وينقص بالمعصية.

إلّا أنّه خالف الأشاعرة في بعض المواضع بنحو ما قاله في تفسيره للآية 164 من سورة النّساء في قوله تعالى:﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾، حيث ذكر منهجهم بقوله: "فالأشاعرة قالوا: تكليم الله عبده هو أن يخلق للعبد

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 249/6. والمذهب الرّاجح في هذا القول؛ أنّ اللهَ سبحانه وتعالى لَهُ يَدَان اثنتَان مبسوطتَانِ بالبذلِ والعطاءِ، فما نسبهُ اللهُ تعالَى ووصَفَ به نفْسَهُ يثبّتُ لهُ علَى الوجهِ الّذِي يليقُ بِهِ كمَا هُوَ مذْهَبُ السّلفِ الصّالِحِ مِنْ غيرِ تحريفٍ ولا تعطِيلٍ ومِنْ غَيرِ تكْيِيفٍ ولا تَمثِيلٍ تعَالَى عَنْ ذلِكَ علواً كَبِيراً، بل نُؤمِنُ بأنَّ اللهَ ليسَ كمثلِه شيءٌ وهو السّميعُ الْبَصِير. ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي وآخرون، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ/2001م، 553/8. وينظر: تفسير القرآن الكريم (سورة المائدة): محمّد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط2، 1435هـ، 110/2. وينظر: مجموعة الرّسائل الكبرى لابن تيمية: تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن تيميّة الحراني الدّمشقي، دار إحياء التّراث، بيروت، لبنان، 394/1.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 443/1.

[3] : المصدر نفسه، 193/22.

إدراكا من جهة السّمع يتحصّل به العلم بكلام الله دون حروف ولا أصوات"[1]، ثم ضعّفَ هذا الرأي في قوله: " فمعنى قوله: ﴿تَكْلِيما﴾ هنا: أنّ موسى سمع كلاما من عند الله، بحيث لا يحتمل أنّ الله أرسل إليه جبريل بكلام، أو أوحى إليه في نفسه. وأمّا كيفيّة صدور هذا الكلام عن جانب الله فغرض آخر هو مجال للنّظر بين الفرق، ولذلك فاحتجاج كثير من الأشاعرة بهذه الآية على كون الكلام الّذي سمعه موسى الصّفة الذّاتيّة القائمة بالله تعالى احتجاج ضعيف"[2].

المطلب الثّالث: مكانتُه العلميّة، وآثاره، ووفاته.

أوّلا: مكانتُه العلميّة.

لابن عاشور مكانة علميّة كبيرة بين أقرانه في زمانه، فقد "كانتْ حياةُ الشّيخِ محمّد الطّاهر بنُ عاشور حافلةً بالنّشاطِ الْعلميّ والْفكريّ، فقد قضَى حياتَهُ في جهادٍ وعطاءٍ، يَبْذلُ ما شاءَ اللهُ له أنْ يُبْذَلَ من جهودٍ في مجالِ التّعليمِ والتّدريسِ، فهو نمطٌ فريدٌ من الشّيوخِ لم نعرفْ مثلَهُ بينَ معاصِرِيه أو طُلّابِه أو مَنْ كانَ في درجتِهِم من أهلِ العلمِ...وهبَهُ اللهُ تعالى متانةَ علمٍ، وسعَةَ ثقافةٍ، وعُمْقَ نظرٍ، وقدرة لا تَفتُرُ عنِ التّدوينِ والنّشر"[3]، "وكان جمَّ النّشاطِ غَزيرَ الْإنتاجِ تُزيِّنُهُ أخلاقٌ رَضِيَّة وتواضعٌ، فلم يكنْ على سعةِ اطِّلاعِه وغزارةِ معارفِه مغرورًا كشأنِ بعضِ الْأدعياءِ ممَّن لَمْ يبلغْ شأوه"[4].

وقد أثنى عليه الكثير من أهلِ العلم حيث قالَ فيهِ صديقُهُ محمّد الخضر حسين: «شبّ الأستاذ ابن عاشور على ذكاء فائق، وألمعيّة، وقادة، فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم...وللأستاذ فصاحةُ نُطقٍ، وبراعةُ بيان، ويُضيفُ إلى غَزارةِ الْعلمِ، وقُوّةِ النّظَر صَفاءَ الذّوقِ، وسعةَ الاطِّلاعِ في آداب اللّغة»[5]، ويقول فيه ابن باديس رحمه الله: «وإن أنس فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور وكانت أوّل ما قرأت عليه فقد حبّبتني في الأدب والتّفقه في كلام العرب وبثّت فيّ روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور، وأحيت مني الشّعور بعزّ العروبة والاعتزاز بها كما أعتزّ بالإسلام»[6]، كما قال فيه الْبشيرُ

---

[1]: المصدر السّابق، 37/6.

[2] : المصدر نفسه، 38/6.

[3]: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر بن عاشور: ابن خوجة، 27/1-315.

[4]: التّقريب لتفسير التّحرير والتّنوير لابن عاشور: محمّد بن إبراهيم الحمد، 22/1. وينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، 306/3.

[5]: مقاصد الشّريعة الإسلامية: محمّد الطّاهر بن عاشور، تح: محمّد الطّاهر الميساوي، دار النّفائس، الأردن، ط2، 1421هـ/2001م، ص:14-15. وينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، 306/3.

[6]: آثار ابن باديس: عمّار طالبي، 78/1-79.

الإبراهيمي: «الأستاذ الأكبر الشيخ محمّد الطّاهر بن عاشور علمٌ من الأعلامِ الّذِينَ يعدّهُمُ التّاريخُ الْحاضرُ من ذخائرِه، فهو إمامٌ متبحِّر في الْعلومِ الْإسلامية"[1]، وقال فيه الزِّركلي في كتابِهِ الأعلام: «رئيسُ الْمُفتِين الْمالكيين بتونسَ، وشيخُ جامعِ الزّيتونةِ وفروعِه بتونسَ»"[2].

ثانيا: آثاره العلميّة.

ولابن عاشور مُؤَلّفات متنوّعة منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو محقّق، ومنها ما هو مخطوط، نذكر منها:

– آثاره المطبوعة:

– التّحرير والتّنوير مِنَ التّفسير (تَحريرُ الْمعنَى السَّدِيد وتَنويرُ الْعقْلِ الْجَدِيد مِنْ تَفسِيرِ الْكِتابِ الْمَجِيد)، وهو التّفسير الكبير الّذي تقوم عليه دراستنا.

– أليس الصبح بقريب.

– أصول الخطابة والإنشاء.

– حاشية على التّنقيح للقرافي في أصول الفقه سمّي «التّوضيح والتّصحيح».

– شرح قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلّق.

– قصّة المولد النّبوي الشّريف.

– كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطّأ.

– مقاصد الشّريعة الإسلامية.

– موجز البلاغة.

– النّظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح.

---

[1]: آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، 549/3. وينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطّاهر بن عاشور: ابن خوجة، 169/1. وينظر مقاصد الشريعة الإسلاميّة: ابن عاشور، ص15.

[2]: الأعلام: خير الدّين الزّركلي، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م، 174/6.

- أصول النِّظام الاجتماعي في الإسلام.
- الوقف وأثره في الإسلام[1].

- تحقيقاته:

- ديوان بشار بن برد.
- الواضح في مشكلات المتنبي.
- سرقات المتنبي.
- ديوان النّابغة الذّبياني[2].

- مؤلّفاته المخطوطة:

- أصول التّقدم في الإسلام.
- أمالي على دلائل الإعجاز.
- أمالي على مختصر خليل.
- آراء اجتهاديّة.
- تراجم بعض الأعلام.
- تحقيق وتصحيح وتعليق على كتاب الاقتضاب لابن السّيّد البطليوسي.
- تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر المعروف بالمقدّمة في النّحو.
- تعليقات وتحقيق على حديث أمِّ زرع[3].
- تعاليق على المطوّل وحاشية السيالكوتي.
- شرح ديوان الحماسة.

---

[1]: أليس الصبح بقريب: ابن عاشور، ص230. وينظر: النّظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح: ابن عاشور، دار سحنون/تونس، ودار السّلام/القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م، ص366. وتراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، 3/307-308. وينظر: من أعلام الزّيتونة: بلقاسم غالي، ص35-68-69.

[2]: أليس الصبح بقريب: ابن عاشور، ص230. وينظر: النّظر الفسيح: ابن عاشور، ص366. وتراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، 3/307-308. وينظر: من أعلام الزّيتونة: بلقاسم غالي، ص35-68-69.

[3]: تراجم المؤلفين التّونسيين: محمّد محفوظ، 3/308.

- شرح معلّقة امرئ القيس.
- كتاب تاريخ الأدب.
- تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لابن زُهر.
- جمع وشرح ديوان سحيم.
- الفتاوى.
- قضايا وأحكام شرعية.
- غرائب الاستعمال.
- مراجعات تتعلّق بكتابَي معجز أحمد واللامع العزيزي.
- مسائل فقهية وعلمية تكثُر الحاجة إليها ويُعَوَّل في الأحكام عليها.
- قلائد العقبان للفتح بن خاقان.
- تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي[1].

ثالثا: وَفَاتُه.

تُوفّي ابنُ عاشور بالْمَرْسَى يومَ الأحد 13 رجب 1393هـ/12أوت 1973م عَنْ سِنِّ أربعٍ وتسعين (94) سنة، ودُفِنَ بمقبرة الزّلاج[2].

[1]: المرجع السّابق، 3/308-309.

[2]: المرجع نفسه، 3/307، وينظر: أليس الصبح بقريب: ابن عاشور، ص230. والنّظر الفسيح: ابن عاشور، ص365.

المبحث الثّاني: التّعريف بتفسير التَّحرير والتّنوير.

يعدُّ تفسيرُ الطَّاهِر ابن عاشور وَاحِداً مِنْ أَهمّ تَفَاسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيم فِي الْعصرِ الْحَدِيث، فقَدْ لَقِي رواجًا كبيراً وصدًى واسعًا فِي الْعَالَم الْعَرَبِي والإِسْلَامِي، وذلك لما أضفاه عليه من منابعه العلميّة الفيّاضة، وهو كتاب جمع فيه صاحبه بين التّفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، واقفا موقف الحكم بين آراء المفسرين تارة لها وتارة عليها، كما نجد مصنّفه يعتمد على علوم متنوّعة كعلوم العربيّة من لغة ونحو وصرف وبلاغة وغيرها، والقراءات القرآنيّة، وأسباب النّزول وغيرها من العلوم، كما عني بالآيات الكونية والشّرعية، والاستشهاد بأشعار العرب، وأقوال الفقهاء مع ذكر أدلّتهم مرجّحا القول الأقوى في نظره، كما كان كتابه حافلا بالأخبار الإسرائيليّة الّتي ينسبها إلى أصولها.

المطلب الأوّل: مقدّمة تفسير ابن عاشور.

افتتح ابن عاشور تفسيره بتمهيد تناول فيه بعض القضايا، والسَّبَبُ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَى تَأْلِيفِ هَذَا الكِتَاب، ما ساقه في التّمهيد حيثُ يقول: "فقد كانَ أكبرُ أُمْنِيَتِي مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيد، تَفْسِيرَ الْكِتَابِ الْمَجِيد، الجَامِعُ لِمَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالدِّين، وموثِقٌ شَدِيدُ العُرَى مِنَ الحَقِّ المَبِين، والحَاوِي لِكلِّيَّاتِ العُلُومِ ومَعَاقِدَ اِسْتِنْبَاطِهَا، والآخِذُ قَوْسَ البَلَاغَةِ فِي مَحَلِ نيَاطِهَا، طمعاً في بيانِ نكتٍ منَ العِلمِ وكلّياتٍ منَ التّشرِيع، وتفاصيل مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاق..."[1].

وعن تسميته لهذا الكِتَاب يقول: "وسمّيته تَحْرِير المَعْنَى السَّدِيد وتَنْوِير العَقْلِ الجَدِيد مِنْ تَفْسِير الكِتَابِ المَجِيد واِخْتَصَرت هذا الاسم باسم «التَّحْرِير وَالتَّنْوِير مِنَ التَّفْسِير»"[2].

والنّاظِرُ في كِتابِ ابن عاشور يجدُ أنَّهُ قدْ صدّرَهُ بمقدّماتٍ في علومِ القُرآنِ وجَعَلَهَا قِسْمًا مِنَ الجزءِ الأوّلِ وهِيَ عَشرُ مقدّماتٍ: المقدّمةُ **الأولى**: في التّفسيرِ والتّأويلِ. و**الثّانيةُ**: في اِستمدَادِ علمِ التّفسيرِ. و**الثّالثةُ**: في صِحَّةِ التّفسِيرِ بِغَيرِ الْمَأثُورِ ومَعنَى التَّفسِيرِ بالرّأي ونحوه. و**الرّابعةُ**: فيما يحقُّ أَنْ يَكونَ غرضُ الْمفسِّرِ. و**الْخامسَةُ**: في أسبابِ النُّزُولِ. و**السّادسَةُ**: في الْقِرَاءَاتِ. و**السّابعةُ**: في قَصَصِ الْقُرآنِ. و**الثّامِنةُ**: في اِسم القرآنِ وآياتِه وسُورِه وترتِيبِها وأسمائِها. و**التّاسعةُ**: في أنَّ المعانِيَ الّتِي تتحمَّلُها جُمَلُ القرآنِ تعتبر مُرَادَة بِها. و**العاشرةُ**: في إعجازِ القرْآنِ[3].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 5/1.

[2]: المصدر نفسه، 9/1.

[3]: المصدر نفسه، 10/1-130.

المطلب الثّاني: بداية تأليف الكتاب، ونهايته، وطبعاته.

وَقَد "اِبْتَدأَ الطَّاهِرُ بنُ عاشور كِتابةَ تَفسِيرِهِ فِي سنةِ 1341هـ، وهُوَ فِي الخَامِسةِ والأربَعِينَ مِنْ عُمْرِه، واِسْتَمَرَّ يُفسِّرُ الْقرآنَ حَوَالِي أربعينَ سنَة"[1].

ولقدْ كانَ "تمامُ هذَا التّفسيرِ عَصرَ يومِ الجمعَةِ، بمنزله ببلد المرسى شرقي تونس في الثّانِي عشرَ مِنْ شهرِ رجبَ عامَ ثمانِين وثلاثمائة وألف (1380هـ). فكانتْ مدّةُ تأليفِهِ تسعاً وثلاثينَ سنةً وسِتَّةُ أشهرٍ، وكانَ التّفسيرِ قبلَ مَوتِه بثلاثَ عشرةَ سنةً"[2].

ولقَدْ طُبِعَ الكِتَابُ عَلَى عِدَّةِ مَرَاحِلَ، **فالمرحلة الأولى** تمّ فيها طَبعُ الجُزْءِ الْأَوَّل وكانَ ذَلكَ سنةَ 1384هـ/1964م، والْجُزء الثَّانِي كانَ سنة 1384هـ/1965م وينتهِي هذَا الجُزْء بِتَفْسِير الآية 252 مِنْ سُورةِ الْبَقَرة، وتولَّى الطَّبعَ والنَّشرَ في هذِهِ المرحلَةِ السَّيِّد عيسى البَابي الحَلَبي في القَاهِرة، أمَّا **الْمَرحلة الثَّانِية** فقد تحدَّثَ عنْها الزِّركلي في كتابِه الْأَعْلَام[3]حِينَ تعرَّضَ لِترجمةِ ابنِ عاشور بقولِهِ: "صَدَرَ مِنْهُ عَشْرَة أجزاءٍ"[4]، أمَّا **المرحلة الثَّالثة** فتولَّتْ طَبْعَهُ الدَّارُ التُّونسيّة لِلنَّشْرِ بِالاشْتِرَاك مَعَ الدَّارِ الجَمَاهيريّة للنَّشرِ والتَّوزيعِ والْإعلانِ، وتمَّ فِي هَذِه المرحلة طَبْعُ الكِتَابِ كلِّه فِي ثَلَاثِينَ جزءً وخمسةَ عشرَ مجلّدًا[5]، وكان عدَدُ صَفَحاتِ التّفسير(11197صفحة) سبعاً وتِسْعينَ ومائةَ وأَحَدَ عشرَ أَلْفَ صفحةٍ عدا صفحاتِ فهارسِ كلِّ جزء[6].

المطلب الثّالث: مصادِرُهُ فِي التّفْسِير.

لقد تنوعتْ مصادرُ ابن عَاشُور فِي تَفسِيره تَنوّعاً ملحوظاً في مختلف العلوم، وهذا التّنوع يدل على سعة اطّلاعه وثقافته الواسعة، ونَذكرُ مِنَها على سَبيلِ التّمثيلِ لا الحصرِ ما يلي:

أوّلا: كتب التّفسير وعلوم القرآن:

[1]: تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين: صلاح عبد الفتّاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط3، 1429هـ/2008م، ص588.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 636/30-637. وينظر: تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين: الخالدي، ص588.

[3]: منهج الإمام الطّاهر بن عاشور في التّفسير: نبيل أحمد صقر، الدّار المصرية للنّشر والتّوزيع، ط1، 1422هـ/2001م، ص11-12.

[4]: الأعلام: الزّركلي، 174/6.

[5]: منهج الإمام الطّاهر بن عاشور في التّفسير: نبيل أحمد صقر، ص12.

[6]: التّقريب لتفسير التّحرير والتّنوير: محمّد بن إبراهيم الحمد، 36/1.

لقد اِعتمدَ ابن عاشور على جملةٍ مِنْ أمّهاتِ الكُتبِ في التّفسِيرِ كالكشّاف للزَّمخشري، والْمحرّر الوجيز لابن عطيّة، ومَفاتيح الغيبِ لفخر الدّين الرّازي (ودرّة التّنزيلِ المنسوب لفخر الدِّين الرّازي وربَّما يُنْسَبُ للرَّاغبِ الْأصفهَانِي)، وتفسِيرُ رُوح المعانِي للآلوسي، وإرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السُّعُود، والجامع لأحكام القرآن للقُرطُبي، وتفسير الْبحرِ الْمحِيطِ لأبِي حيّان، وجامع البيان في تَأويل آي الْقرآن للطّبري، وتفسير القرآن الْعظيم لابن كثير، وأحكام القرآن لابن العربي، وأحكام الْقرآن للجصّاص، ومَجمَع الْبيانِ في تفسيرِ الْقرآن للطّبرسي، ومعالمُ التّنزيل للْبَغوي، والْكشف والْبيان في تفسير الْقرآن للنَّيسابوري، والتّفسير الوجيز للواحدي، واللّباب في علوم الكتاب لابن عادل، ومَعَانِي الْقُرآن للْفرّاء، وأحكام القرآن للجصّاص وابن العربي... ومن هذه التّفاسير ما هو عبارة عن ملخّصات كتفسير البيضاوي (أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل) الملخص من الكشّاف ومن مفاتيح الغيب، ومنها ما كان عبارة عن حواش نحو ما كتبه الطّيبي والقزويني والتّفتازاني على الكشّاف، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وحواش عبد الحكيم السيالوكوتي، ومنها ما كان عبارة عن تعليقات كتفسير الشّيخ محمّد بن عرفة التّونسي من تقييد تلميذه الأبّي الّذي هو بمثابة تعليق على تفسير ابن عطيّة، والانتصاف لابن المنير، ومطلع المعاني ومنبع المباني لحسام الدّين السّمرقندي. واعتمد كذلك على كتب علوم القرآن ككتاب أسباب النّزول للواحدي، والبرهان في علومِ القرآن للزّركشي، والإتقان في علوم القرآن للسّيوطي، وشرح الأسماء الحسنى لابن برّجان الإشبيلي[1].

ثانيا: كتب الحديث والسّيرة: منها:

صحيحا البخاري ومسلم، وسُنَن (أبي داود، والتّرميذي، والنّسائي، وابن ماجة)، والمعلم على صحيح مسلم للمازري، والموطّأ للإمام مالك، والمسند لابن حنبل، وشعب الإيمان للبيهقي، وكتب الإلزامات للدّار قطني، السّيرة النّبويّة لإسحاق ابن يسار، الرّوض الأنف للسّهيلي، والسّيرة الحلبيّة لعزّ الدّين بن عبد السّلام[2].

---

[1]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 7/1، و264/9، و231/12، و263/15 و185/16-253، و110/18-232، و172/21، و60/23، و364/28. وينظر: منهج الإمام الطّاهر بن عاشور في التّفسير: نبيل أحمد صقر، ص19-21، وتعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين: الخالدي، ص590، وأثر الدّلالات اللّغويّة في التّفسير عند ابن عاشور في كتابه التّحرير والتّنوير: مشرف بن أحمد جمعان الزّهراوي، رسالة دكتوراه، إشراف: أمين محمّد عطيّة باشه، قسم الكتاب والسّنّة، جامعة أمّ القرى، 1426هـ/1427هـ، ص106.

[2]: منهج الإمام الطّاهر بن عاشور في التّفسير: نبيل أحمد صقر، ص(20-21-33). وينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 209/10، و85/11، و260/14، و265/15.

ثالثا: كتب الفقه.

ككتاب بصائر ذوي التّمييز للفيروز آبادي، والذّخيرة للقرافي، والمحلّى لابن حزم الظّاهري، ومجموع الرّسائل لابن تيمية، ورسائل في علم أصول الفقه للشّافعي، والموافقات في أصول الفقه للشّاطبي، وآداب النّكاح للقاسم بن يأمون التليدي الأخماسي، والبيان والتّحصيل لابن رشد[1].

رابعا: كتب اللّغة (النّحو والصّرف والشّعر): ومن مصادره في اللّغة ما يلي:

الكتاب لسيبويه، وإيضاح المفصّل لابن الحاجب، وشرح المفصّل لابن يعيش، وشرح الكافية والشّافية للرّضي الاستراباذي، والمفصّل للزّمخشري وشرحه لابن يعيش، وشرح التّسهيل للمرادي، والكافية لابن مالك وشرحها، ومغني اللّبيب لابن هشام، وشرح التّسهيل لابن مالك، والتّذكرة لأبي علي الفارسي، والمثل السّائر لابن الأثير، التِّبيان في إعراب القرآن للعكبري، والمزج على المغني لبدر الدّين الدماميني، التّصريح على التّوضيح لخالد الأزهري، وشرح لامية الأفعال، وشرح الحماسة للمرزوقي، وشرح الكعبيّة لابن هشام[2] وغيرها.

خامسا: كتب البلاغة:

البيان والتّبيين للجاحظ، وإعجاز القرآن للباقلاني، والمفتاح للسّكاكي، وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني، والإيضاح للقزويني، وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والكلم النّوابغ للزّمخشري، والمنتخب في كنايات الأدباء وإشارات البلغاء لأبي العبّاس أحمد الجرجاني، وسرُّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي، وشرح المفتاح للتّفتازاني وللشيرازي[3].

سادسا: كتب المعاجم:

مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، والمقامات للحريري، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، وتهذيب اللّغة للأزهري، والصِّحاح للجوهري، ومقاييس اللّغة لابن فارس، وتبصرة المتذكِّر للكواشي، ومجالس ثعلب لأبي العبّاس أحمد بن

---

[1]: منهج الإمام الطّاهر ابن عاشور: نبيل أحمد صقر، ص21-22. وينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 172/21.

[2]: أثر الدّلالات اللّغوية في التّفسير عند ابن عاشور: الزّهراوي، ص (124-130). وينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 192/8، و202/10، و289/11، و121/12-231-259، و273/25، و138/26.

[3]: منهج الإمام الطّاهر ابن عاشور في التّفسير: نبيل أحمد صقر، ص(30-31). وينظر: تفسير التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 29/17-62، و212/19، و25/20، و120/24.

يحيى، والأمالي للقالي، وتاج العروس للزُّبيدي، والتّعريفات للشّريف الجرجاني، وجمهرة اللّغة لابن دريد، والمخصّص لابن سيّدة، وأساس البلاغة للزّمخشري، والمصباح المنير للفيومي، والأوسط للطبراني[1].

سابعا: كتب التراجم:

جمهرة أنساب العرب لابن حزم الظّاهري، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، والإصابة في معرفة الصّحابة لابن حجر العسقلاني، وكتاب الشّفاء للقاضي عياض، وشرح الشّفاء للقاضي عيّاض لابن التّلمساني، وتذكرة الحفّاظ لشمس الدّين الذّهبي، ونفح الطّيب للمقري، والطّبقات للسّبكي، ونيل الابتهاج بتطريز الدّيباج لأحمد بابا التّكروري التّنبكتي[2].

كتب أخرى: وتتمثّل فيما يلي:

كتاب شرح العقيدة العضديّة للجلال الدّواني، والفرق للقرافي، والمدارك والإكمال للقاضي عيّاض، والمستصفى وإحياء علوم الدّين ومشكاة الأنوار للغزالي، كتب الأديان (التّوراة والإنجيل)، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لأبي اليمن القاضي مجير الدّين الحنبلي، المواقف في علم الكلام لعضد الدّين الإيجي، وكتاب الفصل في الملل والأهواء والنّحل لابن حزم الأندلسي، والملل والنّحل لعبد الكريم الشّهرستاني، والمنتقى للباجي، وريحان الكتاب للوزير ابن الخطيب الأندلسي، والمقدّمات وفصل المقال فيما بين الشّريعة والحكمة من الاتّصال لابن رشد، والإشارات لأبي علي بن سينا، هياكل النّور وحكمة الإشراق لشهاب الدّين الحكيم السّهروردي، العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي، وشرح الكلّيات في القانون للشيرازي[3].

[1]: منهج الإمام الطّاهر ابن عاشور: نبيل أحمد صقر، ص 29-30. وينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 356/7، و284/12، و260/14، و308/16، و50/20-51، و228/24، و139/26. وينظر: أثر الدّلالات اللّغوية: الزّهراوي، ص (116 -120) و(134-136).

[2]: منهج الإمام الطّاهر ابن عاشور: نبيل أحمد صقر، ص24. وينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 197/12، و153/19، و210/25، و378/28.

[3]: منهج الإمام الطّاهر ابن عاشور: نبيل أحمد صقر، ص32-35. ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 103/1، و85/11، و210/12، و10/13، و21/14، و17/15، و83/17-328، و250/19. و175/23-304، و229/25، و282/26.

المطلب الرّابع: منهجُ الإمَامِ الطَّاهر بنُ عاشُور فِي تفسِيرِ التّحرير والتّنوير.

لقد كانَ لابن عاشور طريقة خاصة به في تفسيره للقرآنِ الكريم كغيره من المفسِّرين، ويتمثّل ذلك فيما يلي:

أوّلا: المنهج العام:

كان يتكلّم عن اسم السّورة ويعرض أسماءها إن وجدت من كتب السّنّة والتّفسير وأقوال السّلف وما هو موجود في المصاحف، ثم وجه تسميتها، ثمّ عن نزولها، وزمنه، والاختلافات الواردة بين العلماء في المسألة، ثمّ بيّن المكي من المدني، وكان يورد أقوال العلماء في ذلك ويناقشها ويرجّح ما ظهر له قوّته، ويذكر أسباب النّزول، ثمّ يذكر عدد السّورة حسبَ ترتيبِ نزولها، ثمّ يذكرُ عدَدَ آياتِ السّورة والخلاف فيه بين أهل الأمصار، ثمّ أغراض السّورة، ومن ذلك قوله في تفسيره لسورة النّساء: "سمّيت هذه السّورة في كلام السّلف: سورة النّساء... ولا يعرف لها اسم آخر... ووجه تسميتها بإضافة إلى النّساء أنها افتتحت بأحكام صلة الرّحم، ثمّ بأحكام تخصّ النساء... وكان ابتداء نزولها بالمدينة... واتّفق العلماء على أنّ سورة النّساء نزلت بعد البقرة... والجمهور قالوا: نزلت بعد آل عمران... وعن ابن عباس: أنّ أوّل ما نزل بالمدينة سورة البقرة، ثمّ الأنفال، ثمّ آل عمران، ثمّ سورة الأحزاب، ثمّ الممتحنة، ثمّ النّساء... ولا شكّ في أنّها نزلت بعد آل عمران... فالّذي يظهر أنّ نزول سورة النّساء كان في حدود سنة سبع وطالت مدّة نزولها... وقد عدّت الثالثة والتّسعين من السّور... وعدد آيها مائة وخمس وسبعون في عدد أهل المدينة ومكة والبصرة، ومائة وست وسبعون في عدد أهل الكوفة، ومائة وسبع وسبعون في عدد أهل الشّام. وقد اشتملت على أغراض وأحكام كثيرة أكثرها في تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم..."[1].

ويقول في تفسيره لسورة النّحل: "سمّيت هذه السّورة عند السّلف سورة النّحل، وهو اسمها المشهور في المصاحف وكتب التّفسير وكتب السّنّة. ووجه تسميتها بذلك أنّ لفظ النّحل لم يذكر في سورة أخرى.

وعن قتادة أنّها تسمّى سورة النّعم... وهي مكيّة في قول الجمهور وهو عن ابن عبّاس وابن الزّبير. وقيل؛ إلّا ثلاث آيات نزلت بالمدينة منصرف النّبيﷺ في غزوة أحد، وهي قوله تعالى:﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾ إلى آخر السّورة. وقيل: نزلت في نسخ النّبيﷺ ... وعن قتادة وجابر بن زيد أنّ أوّلها مكي إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ فهو مدني إلى آخر

[1]: المصدر السّابق، 4/211-213.

السّورة. وسيأتي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ ما يرجّح أنّ بعض السّورة مكي وبعظها مدني... وهذه السّورة نزلت بعد سورة الأنبياء وقبل سورة ألم السّجدة. وقد عدّت الثّانية والسّبعين في ترتيب نزول السّور. وآيها مائة وثمان وعشرون بلا خلاف... أغراض هذه السّورة معظم ما اشتملت عليه السّورة إكثار متنوّع الأدلّة على تفرّد الله تعالى بالإلهيّة..."[1].

ويقول في تفسيره لسورة الجنّ: "سمّيت في كتب التّفسير وفي المصاحف التّي رأيناها ومنها الكوفي المكتوب بالقيروان في القرن الخامس سورة الجنّ. وكذلك ترجمها التّرمذي في كتاب التّفسير من جامعه، وترجمها البخاري في كتاب التّفسير سورة قل أوحي إليّ...

وهي مكيّة بالاتّفاق، ويظهر أنّها نزلت في حدود سنة عشر من البعثة... وذكر ابن إسحاق أنّ نزول هذه السّورة بعد سفر رسول الله ﷺ إلى الطّائف ليطلب النّصرة من ثقيف... وقد عدّت السّورة الأربعين في نزول السّور بعد الأعراف وقبل يس. واتّفق أهل العدد على عدّ آيها ثمانا وعشرين... أغراضها: إثبات كرامة للنّبيﷺ بأنّ دعوته بلغت إلى جنس الجنّ..."[2].

ثانيا: المنهج التّفصيلي:

-كان ابن عاشور بعد فراغه من عرض المنهج العام للسورة، يقوم بذكرِ المعلوماتِ التّفصيليّةِ للآياتِ، وأثناء تفسيره يحرص على تفسير سور القرآن آية آية كما في تفسيرة لسورة فصّلت الآيات من 33 إلى 37...، وأحيانا جملة جملة كما في تفسيره لسورة غافر الآية 64 والآية 65، وأحيانا كلّ مجموعة آيات يفسّرها معا كما فعل في تفسيره لسورة الصّافات من الآية 123 إلى الآية 132[3].

- في الكثير من الآيات القرآنيّة كان ابن عاشور يقوم بتفسير جملها من حيث عطف بعضها على بعض، ثمّ يذكر المعنى العام للآية، ثمّ يبدأ بتحليل كلمات الآية كلمة كلمة من حيث اللّغة والنّحو والصّرف والبلاغة بنحو تفسيره للآية 152 من سورة الأنعام، وفي مواضع أخرى يذكر إعراب الجمل، ثمّ المعنى العام للآية وما فيها من أوامر ونواهٍ وغير ذلك، ثمّ يذكر التّحليل البلاغي، ويذكر ما في الآية من قراءات

[1]: المصدر السّابق، 14/93-94.

[2] : المصدر نفسه، 29/216-217.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، 23/165-189-194-287-298، و24/193-194-287-298. وقواعد التّرجيح المتعلّقة بالنّص عند ابن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير (دراسة تأصيلية تطبيقية): عبير بنت عبد الله النّعيم، رسالة دكتوراه، إشراف: ناصر بن محمّد المنيع، قسم الثّقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، 1429هـ/1430هـ، ص42.

قرآنيّة إن وجدت، ثمّ يذكر مفردات الآية ويحلّلها لغويّا ونحويّا وصرفيّا كما في الآية 161 من سورة الأنعام[1].

– لقد ذكر في بعض المواضع سبب نزول الآية، ثمّ ما تحمله هذه الآية من معان وأخبار شرعيّة، ثمّ يبدأ بتفسير جمل الآية من حيث الجانب البلاغي، واللّغوي، والنّحوي، والصّرفي كما في الآية 77 من سورة التّوبة، والآية 1 من سورة الحجرات، وفي مواضع أخرى يذكر مناسبة الآية وما فيها من معان وأحكام، ويذكر اختلافها مع الآية الّتي سبقتها، مع عدم شرح جملها وألفاظها[2]، بالإضافة إلى أنّه كان يحدّد في بعض الآيات زمن نزول الآية كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾ الأنفال: ٥٦، حيث ذكر أنّ اللآية نزلت عقب وقعة بدر، وقبل وقعة الخندق[3].

–كان ابن عاشور يقوم بشرحِ مَعَانِي مُفْرَدَات آي القُرآنِ الْكرِيمِ في اللُّغة، فقد كانَ لا يتركُ آيةً إلّا واسْتَوفَى الْجانب اللّغويّ حقَّهُ؛ حيثُ يتناولُ اللّفظةَ الواحدةَ ويبيّنُ معناهَا ومبنَاهَا وأصلَهَا واشتقاقَها ووزْنَها ودَلالَتَهَا في السِّياقِ القُرْآنِي، والْمَعنَى الشَّرعي لها، مستعيناً في ذلك بالقرآنِ والحديثِ والشِّعرِ للكشفِ عن معانِي المُفْرداتِ القُرآنِيَّة، ثمَّ يذكرُ إعرابَ هذهِ المُفرداتِ وما فِيهَا مِنْ أوَجهِ خِلَاف في إعرابِها وترجيح ما يراه صوابا في ذلك[4].

– في كثير من المواضع عندما يتعرّض ابن عاشور لتفسير الآيات يبدأ بذكر علاقة الآية بالآية الّتي قبلها سواء كانت تعليلا لها أو عطفا، ثمّ يشرع بتفسير مفردات الآية وذكر معانيها وأغراضها، ونظائرها من آيات أخرى من سور القرآن الكريم كما فعل مع الآية 36 و37 من سورة الأنعام[5].

---

[1]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 197/8–200.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 272/10–286–287، و216/26–217

[3]: المصدر نفسه، 48/10.

[4]: منهج الإمام الطّاهر بن عاشور في التّفسير: نبيل أحمد صقر، ص 161–170. وينظر: التّقريب لتفسير التّحرير والتّنوير: محمّد بن إبراهيم الحمد، 44/1–45. وقواعد التّرجيح المتعلّقة بالنّص عند ابن عاشور: بنت عبد الله النّعيم، ص41–42. وتفسير ابن عاشور التّحرير والتّنوير (دراسة منهجية نقدية): جمال محمود أحمد أبو حسّان، رسالة ماجستر، إشراف: فضل حسن عباس، الجامعة الأردنيّة، 1411هـ/1991م، ص60–81. وينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 158/1–163، و17/2–40.

[5]: المصدر نفسه، 207/7–210.

–هناك آيات اكتفى فيها ابن عاشور بذكر المعنى العام للآية فقط، وما تحويه من بلاغة وإعجاز كما فعل مع الآيات 25–26، و103–104 من سورة الشّعراء[1]. وهناك ما ذكر فيها المعنى العام فقط كما في تفسيره للآية 159 من سورة الصّافات[2].

–وهناك آيات لم يعلق عليها ابن عاشور ولم يشرح مفرداتها ولا جملها، بل ذكر فقط أنّه تقدّم نظيرها في موضع سابق،كما فعل في الآية 41 من سورة الأنبياء بقوله أنّه تقدّم نظيرها في أوائل سورة الأنعام[3].

ـ اهتمّ ابن عاشور في تفسيره ببيانِ وجُوهِ الإعجَازِ ونكتِ البلاغَةِ العَرِبيّة وأساليب الاستعمال، وببيان تناسب اتّصال الآي بعضها ببعض[4]؛ فقد كان لا يمرُّ على آيةٍ إلّا ويذكرُ مَعنَاهَا البَلَاغِي ومَا فِيهَا مِنْ حُسْنِ نظمٍ وبيَان.

– كان ابن عاشور يشرح بعض الأفعال من الجانب اللّغوي، ويذكر من أي باب هي، وما هو الأفصح منها كما فعل مع الفعل «نَقم» في الآية 126 من سورة الأعراف حيث يقول: "... وفعله من باب ضرب وتعب، والأوّل أفصح..."[5].

– كان يتطرّق في تفسيره إلى الكثير من المسائل النّحويّة، ويفصّل فيها، ويذكر آراء العلماء حولها نحو ما ذكره في «اللّام» في الفعل «لنسلم» في سورة الأنعام الآية 71 بقوله: "واللّام في «لنُسلم» أصلها للتّعليل وتنوسي منها معنى التّعليل فصارت لمجرّد التّأكيد. وهي اللّام الّتي يكثر ورودها بعد مادّة الأمر ومادّة الإرادة. وسمّاها بعضهم لام أنْ... قال الزّجاج: العرب تقول: أمرتك بأنْ تفعل وأمرتك أن تفعل وأمرتك لتفعل. فالباء للإلصاق، وإذا حذفوها فهي مقدّرة مع (أنْ). وأمّا أمرتك لتفعل فاللّام للتّعليل... وقيل اللّام بمعنى الباء، وقيل: زائدة، وعلى كلّ تقدير فـ (أنْ) مضمرة بعدها، أي لأجل أنْ نُسلِم"[6].

– هذا ولم يسلم تفسير التحرير والتنوير من الإسرائيليات شأنه شأن التفاسير الأخر، حيث أولى عناية بالقَصَصِ القرآني وما فيه مِنْ أخبار عَنْ حوادث سابِقة، كان يَنقلُها مِنَ الكتبِ السّماويّة كالإصحاح وسفر

[1]: المصدر السّابق، 19/118–119–156.
[2]: المصدر نفسه، 23/188.
[3]: المصدر نفسه، 17/73.
[4]: المصدر نفسه، 1/8.
[5]: المصدر نفسه، 9/56.
[6]: المصدر نفسه، 7/304.

التّثنية، ويبيّن ما فيها مِنَ التّحريف والباطل والصّواب[1]، كما فعل في تفسيره للآية 79 و243 من سورة البقرة، حيث يقول: "فأمّا الّذين قالوا إنّهم قوم من بني إسرائيل أحياهم الله بدعوة حزقيال، والّذين قالوا إنّما هذا مثل لا قصّة واقعة، فالظّاهر أنّهم أرادوا الرّؤيا الّتي ذكرت في كتاب حزقيال في الإصحاح 37..." [2]، وفي الآية 34 و37 من سورة آل عمران عند تعرضه لأسماء الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، والآية 163 من سورة النّساء، والآية 134 و175 من سورة الأعراف[3] وغيرها من المواضع كثير.

ملاحظات عامة حول المنهج والتّفسير:

– جميع السور ذكر أغراضها عند الانتهاء من التّعريف بالسورة؛ إلّا في سورة البقرة فقد ذكر محتويات السّورة وأدرج فيها لقب السّورة، وأغراضها، وأسلوبها... وسورة المائدة أيضا لم يذكر أغراضها ولعلّ ذلك لاشتمالها على أغراض تشبه ما اشتملت عليه سورة النّساء الّتي قبلها؛ حيث ذكر أنّها أنزلت لاستكمال شرائع الإسلام[4].

–كان ابن عاشور عندما ينتهي من ذكر المنهج العام في تفسيره للسورة، ينتقل إلى تفسير آياتها وجملها تفسيرا تفصيليّا وبعد انتهائه من تفسير جميع آيات السّورة، ينتقل إلى سورة أخرى مباشرة، إلّا في سورة غافر فبعد انتهائه من تفسير آياتها لم ينتقل مباشرة إلى سورة فصلت بل ختمها بذكر أسلوب السّورة[5].

– كان عندما ينتهي من ذكر عدد آيات السّورة ينتقل مباشرة لذكر أغراض السورة، إلّا في تفسيره لسورة الكهف فبعد انتهائه من ذكر عدد آياتها ذكر سبب نزولها، ثمّ ذكر كرامة قرآنيّة للسّورة، وبعدها ذكر أغراضها[6].

–كان عندما يذكر أسباب النّزول إمّا يذكرها في موضع متقدّم كما فعل في تفسيره لسورة المطفّفين، وسورة الضّحى، وسورة النّصر حيث ذكر سبب نزولها قبل ذكره لتعداد السورة في النّزول وعدد آياتها[7]

---

[1]: منه تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ...﴾البقرة: 178، ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 143/2، و261/15-265. وينظر: منهج الإمام الطّاهر بن عاشور في التّفسير: نبيل أحمد صقر، ص107. والتّقريب لتفسير التّحرير والتّنوير: محمّد بن إبراهيم الحمد، 45/1.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 479/2.

[3]: المصدر نفسه، 577/1-587-632، و479/2، و230/3-236-288، و32/6-33، و72/9-175.

[4]: ينظر: المصدر نفسه، 203/1، و72/7.

[5]: المصدر نفسه، 224/24-225.

[6]: المصدر نفسه، 242/15-245.

[7]: المصدر نفسه، 188/30-393-588.

وغيرها من المواضع، وفي مواطن أخرى يذكر سبب النّزول في موضع متأخر كما في سورة الكهف وسورة عبس؛ حيث ذكر سبب النّزول بعد عدد آيات السّورة[1].

– كان يستعمل ابن عاشور في بعض المواضع المنهج المقارن بين العربية وأخواتها السّاميات في تحليل بعض الصّيغ الصّرفيّة للوصول لمعنى الكلمة كما فعل في تفسيره لكلمة (الرّحمان) حيث اعترض على حكم المبرّد عليها بأنّها اسم عبراني نقل إلى العربيّة حيث ذكر أنّ أصله بالخاء المعجمة ثمّ أبدلت خاؤه حاء مهملة عند أكثر العرب[2] بقوله: "ولم يأت المبرّد بحجّة على ما زعمه، ولم لا يكون الرّحمان عربيّا كما كان عبرانيّا فإنّ العربيّة والعبريّة أختان وربّما كانت العربيّة الأصليّة أقدم من العبرانيّة"[3].

–كان يقدم في بعض الأحيان ذكره لعدد آيات السّورة قبل عرضه للمكي والمدني فيها كما فعل في تفسيره لسورة الطّارق، وفي بعض السّور الأخرى ذكر تاريخ نزولها بعدما انتهى من عدّ آيات السّورة كما في تفسيره لسورة المسد[4].

–كان يذكر لغات العرب في كثير من المواضع كما فعل في فعل «ولْيُملِلِ» عند تفسيره للآية 282 من سورة البقرة حيث ذكر أنّ أَمَلّ وأمْلَى لغتان: فالأولى لغة أهل الحجاز وبني أسد، والثّانية لغة تميم، وفي كلمة «اليتيم» في الآية 136 من سورة الأعراف، وفي قراءة «فَيُسْحِتَكُم» في الآية 61 من سورة طه، وفعل «يَلِتْكم» في الآية 14 من سورة الحجرات[5].

–كان يذكر المعرب في الكثير من المواضع وهو باب من أبواب فقه اللّغة كما فعل في تفسيره لكلمة «تابوت» في الآية 248 من سورة البقرة حيث يقول: "والتّابوت اسم أعجميّ معرّب فوزنه «فاعول» وهذا الوزن قليل في الأسماء العربيّة"[6]، وفي كلمة «استبرق» في الآية 31 من سورة الكهف[7].

---

[1]: المصدر السّابق، 243/15، و101/30.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 169/1. ومعاني صيغ القرآن الصّرفيّة وتوظيفها في تفسير ابن عاشور إلى نهاية سورة (آل عمران): ريم بنت خالد العتيبي، رسالة ماجستر، كليّة اللّغة العربيّة، قسم النّحو والصّرف، جامعة الإمام محمّد بن سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1430هـ/1431هـ، ص 192-193.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 169/1.

[4]: ينظر: المصدر نفسه، 258/30-599.

[5]: ينظر: المصدر نفسه، 103/3، و75/9، و250/16، و266/26.

[6]: المصدر نفسه، 493/2.

[7]: المصدر نفسه، 313/15.

– هناك أخطاء مطبعية في النسخة الورقية للتّفسير كما في كلمة «الفتية» وغيرها، وأخطاء في فهرس البحث في الجزء الثامن عشر؛ حيث لم تُذكر سورة المؤمنون ووضع مكانها سورة النّور[1]، وكذلك في رقم الآيات القرآنيّة كما في الآية 79 من سورة التّوبة[2].

– ذُكِر في أغلب المواضع الآية ورقمها قبل الشّروع في تفسيرها وتحليلها إلّا في بعض المواضع لم تذكر الآية ورقمها وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ٧٩، وفي سورة الجاثية الآية 29، لكنّ ابن عاشور فسّر جملها ومفرداتها[3].

[1]: المصدر السّابق، 15/185-266، و18/337.

[2]: المصدر نفسه، 10/275.

[3]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 8/229، و25/366-368

المبحث الثّالث: مصطلحات عامّة حول البحث:

تدرس هذه الرّسالة الظّواهر الصّرفية في أبنية الأفعال وأثرها في تحديد المعنى من خلال السّياق القرآني؛ لإنّ السّياق القرآني ألفاظه ملتحمة التحاما كاملا. واللّفظة في المعجم تكون ذات معان متعدّدة، ومعناها يتحدّد عندما تدخل في السّياق، بيد أنّ معنى اللّفظ يبلغ الكمال عندما يرد في القرآن الكريم[1]. حيث يتمّ من خلاله التّمييز بين الأفعال، ووضع الحدود الفاصلة بين المعاني؛ وذلك كاشتراك الصّيغة الواحدة في عدّة معان وظيفيّة، ممّا يجعل لها دلالات كثيرة مختلفة فيما بينها –ما يعرف بتعدّد المعنى الوظيفي للصّيغة الواحدة–[2]، والسّياق هو الّذي يحدّد الدّلالة المناسبة لهذه الصّيغة.

اعتنى علماؤنا القدامى بالمعنى والدّلالة منذ بداية الدّرس اللّغوي، لا سيما فيما يتعلّق بالتّفسير، حيث أدركوا أنّ علم الصّرف له علاقة وثيقة بعلم التّفسير؛ لأنّه من العلوم الّتي لا بدّ للمفسّر من الإلمام بها، لذلك أولى المفسّرون وغيرهم اهتماما كبيرا بهذه الدّلالات الصّرفيّة في القرآن الكريم؛ لأنّ الدّلالة الصّرفية لها أثر كبير في فهم النّص القرآني، كما أدركوا الصّلة الوثيقة الّتي تربط بين المعنى وعلم الصّرف، ومن المعاني الّتي اهتمّوا بها: المعاني الصّرفيّة للأفعال، حيث لاحظوا اختلاف معانيها من خلال السّياقات الّتي تستخدم فيها هذه الأبنية داخل التّركيب، فتصبح لها دلالات محدّدة حسب ما يدخل على الصّيغة الفعليّة من عوامل كحروف الزّيادة والمضارعة، والسّين وسوف اللّتان تدخلان على الفعل المضارع فتخلّصانه للاستقبال، و«لم» الّتي تقلب زمن المضارع إلى المضيّ وغيرها، فهذه القرائن لها دور فعّال في تحديد زمن الفعل ودلالته من خلال السّياق الّذي يناسبه.

وقد آثرنا استخدام مصطلح (**الظّواهر الصّرفية**) دون غيره من المصطلحات لما يشتمل عليه هذا المصطلح من الظّواهر الّتي تعتري الأفعال، كالتّجرّد، والزّيادة، والحذف، والقلب، والنّقل، والإبدال، والإدغام، والزّمن... ونعني بالظّواهر الصّرفيّة في أبنية الأفعال؛ الظّواهر المعنويّة؛ أي الّتي لها أثر في سياق الكلام بمجيئها على صيغة دون أخرى، أو بتحوّلها من صيغة إلى صيغة أخرى، وليست الظّواهر اللّفظيّة: كالإعلال، والإبدال، والإدغام، والقلب المكاني؛ فهي لا تؤثّر في المعنى، لأنّ التّصريف ينقسم إلى قسمين: "أحدهما: جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، نحو: ضَرَبَ، وضَرَّب، وتَضَرَّب، وتَضَارَب،

---

[1]: سرّ الإعجاز في تنوّع الصّيغ المشتقّة من أصل لغوي واحد في القرآن: عودة الله منيع القيسي، دار البشير/الأردن، مؤسّسة الرّسالة/بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، ص36.

[2]: الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقيّة في التّوظيف البلاغي لصيغة الكلمة): هنداوي عبد الحميد أحمد يوسف، المكتبة العصريّة، بيروت/لبنان، 1429هـ/2008م، ص8.

واضطرب؛ فكلمة «ضرب» بُنِيت منها هذه الأبنية المختلفة، لمعان مختلفة. والآخر: تغيير الكلمة عن أصلها، من غير أن يكون ذلك التّغيير دالّا على معنى طارئ على الكلمة، نحو تغيير «قَوَل» إلى «قَال»"[1] فهذا الغرض لم يأت لغرض معنويّ أو دلالي[2].

والأفعال لها تقسيمات كثيرة: كالأفعال من حيث الزّمن، ومن حيث التّجرد والزّيادة، والصّحة والاعتلال، واللّزوم والتّعدي، ومن حيث البناء للفاعل والبناء لما لم يسمّ فاعله... وبناء على هذا تمّ تقسيم البحث إلى أربعة عناصر وهي: الزّمن، والتّجرد، والزّيادة، والفعل المبني لما لم يسمّ فاعله، واقتصرنا على هذه العناصر للأسباب التّاليّة:

أوّلا: لأنّ التّجرّد والزّيادة يختصّ بهما علم الصّرف دون غيره من علوم العربيّة، ثانيا: لأنّ الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله والفعل من حيث الزّمن يشترك فيهما علم الصّرف والنّحو، فـ"الزّمن ذو وظيفة صرفيّة"[3]، وهو نوعان: الزّمن الصّرفي وهو بنية الفعل خارج السّياق، والزّمن النّحوي وهو معنى الفعل داخل السّياق، وهما مكمّلان لبعضهما، وثالثا: وهو الأهمّ لتأثير هذه الأقسام في المعنى، فأحوال الأبنية قد تكون للحاجة كالماضي والمضارع والأمر؛ أي يُحتَاج لهذه الأشياء لتغيير المعنى[4]. أمّا التّقسيمات الأخرى للفعل فمنها ماله أثر لفظيّ فقط كالفعل من حيث الصّحة والاعتلال، ومنها ما يختصّ به علم النّحو كالفعل من حيث اللّزوم والتّعدّي، ومنها ما لا يدرسه علم الصّرف وهو الفعل من حيث الجمود؛ لأنّ علم الصّرف يختصّ بالأفعال المتصرّفة والأسماء المتمكّنة. وهناك ظواهر صرفيّة أخرى لها علاقة باللّفظ لا المعنى كالإبدال، والنّقل، والقلب المكاني، والإدغام.

وكما هو معتاد في البحوث العلميّة كان لزاما علينا أن نقف على معاني مفردات البحث، ليتوضّح في ذهن القارئ الغاية المطلوبة من البحث، ولذلك نجد من الضّروري تحديد المفاهيم والمصطلحات الّتي وردت في عنوان الرّسالة (الظّواهر الصّرفية في أبنية الأفعال وأثرها في المعنى من خلال تفسير التّحرير والتّنوير).

---

[1]: الممتع الكبير في التّصريف: ابن عصفور علي بن مؤمن الإشبيلي، تح: فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت/لبنان، ط1، 1996م، ص33.

[2]: الصّرف التّعليمي والتّطبيق في القرآن الكريم: محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الإسلاميّة، الكويت، ط1، 1420هـ/1999م، ص14.

[3]: علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، 1998م، ص152.

[4]: شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدّين محمّد بن الحسن الاستراباذي، تح: محمّد نور الحسن ومحمّد الزّفراف ومحمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، 1/56-66.

وعنوان البحث جملة إسميّة يتكوّن من مبتدإ وخبر؛ فالظّواهر: مبتدأ مرفوع، والصّرفيّة صفة لها، والخبر محذوف والتّقدير: الظّواهرُ الصّرفيّةُ الموجودةُ في أبنية الأفعال وأثرها في المعنى.

أوّلا– الظّواهر الصّرفيّة:

ويتكوّن من مفردتين: الظّاهرة والصّرف، والمراد بالظّواهر الصّرفيّة، هو علم الصّرف؛ لأنّه هو الّذي يقف على هذه الظّواهر ويفسّر حدوثها.

– **الظّواهر**: جمع ظاهرة، والشّيء الظّاهر هو البيّن الواضح، قال الكفوي: "الظّاهر هو ما انكشف معناه للسّامع"[1].

–الصّرف والتّصريف:

لغة:

الصّرف والتّصريف مصدران لصرَف وصرَّف يدور معناهما حول التّحويل والتّغيير والتّقليب، يقال: صرَفتُه عن وجهه صرفًا إذا رددته وحوّلته، وصرّفتُه في الأمر تصريفًا إذا قلّبته، ومن هذا تصريف الرّياح؛ أي تحويلها من جهة إلى جهة قال تعالى: ﴿ **وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ** ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة: ١٦٤[2]، يقول ابن منظور: "الصّرف ردُّ الشَّيء عن وَجْهه، صرَفَه يَصْرِفُه صرْفًا فانْصَرَف... وصَرَّف الشَّيء أعمَلَه في غَير وجْهٍ كأنَّه يَصرِفُه عنْ وجْهٍ إلى وجْه... وتَصَارِيف الأُمُور: تخاليفُها، ومنه تصارِيف الرِّياح والسَّحاب"[3].

اصطلاحا:

علم التّصريف عند القدامى كان يدرس ضمن أبواب علم النّحو، والتّصريف عندهم "أن تبنيَ من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن ما بنته، ثمّ تعمل في البناء الّذي بنيته ما يقتضيه قياس كلامهم كما يتبيّن

[1]: الكليّات (معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية): الكفوي أبو البقاء أيّوب بن موسى الحُسَيْني، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ص594.

[2]: شذا العرف في فنّ الصّرف: الحملاوي أحمد بن محمّد بن أحمد، تقديم: محمّد بن عبد المعطي، دار الكيان، الرّياض، ص40.

[3]: لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مادة (ص ر ف).

من مسائل التّمرين"[1]، يقول ابن جنّي: "التّصريف يحتاج إليه جميع أهل العربيّة أتم حاجة، وبهم إليه أشدّ فاقة؛ لأنّه ميزان العربيّة، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزّوائد الدّاخلة عليها، ولا يُوصَل معرفة الاشتقاق إلّا به"[2]. ويقول ابن عصفور: "التّصريف أشرف شطريّ العربيّة وأغمضهما: فالّذي يبيّن شرفه احتياج جميع المشتغلين باللّغة العربيّة، من نحويّ ولغويّ، إليه أيّما حاجة، لأنّه ميزان العربيّة؛ ألا ترى أنّه قد يُؤخَذ جزء كبير من اللّغة بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلّا من طريق التّصريف"[3]، فهو الشّطر الثّاني من شطرَي علم النّحو وهو أعظمهما وأشرفهما عند أهل هذا الشّأن، لما فيه من الفائدة العائدة عليهم في تصرّفات كلام العرب، ولذلك خصّه الكثير من النّحويين بالتّأليف على الاستقلال، كالمازني الّذي وضع كتابا خاصّا بالتّصريف، وشرحه ابن جنّي شرحا دقيقا في كتابه المنصف في شرح كتاب التّصريف للمازني، وغيرهم[4].

وعرّفه ابن الدّهان بقوله: "هو معرفة الموزون والميزان والوزن. فالموزون: هو الذّات القابلة الوزن. والميزان: هو الفاء والعين واللّام. والوزن: مقابلة الأصل بالأصل، والزّائد بالزّائد"[5]، وعرّفه ابن السّراج: "إنّما سمّي تصريفا لتصريف الكلمة الواحدة بأبنية مختلفة، وخصّوا به ما عرض في أصول الكلام، وذواتها من التّغيير"[6]، وعرّفه أبو حيّان بقوله: "معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب"[7]. وعرّفه ابن الحاجب بقوله: "التّصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم الّتي ليست بإعراب"[8]، فالتّصريف عندهم علم بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة، وحذف، وصحّة، وإعلال، وإدغام وإمالة، وبما يعرض

[1]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 1/6-7.

[2]: المنصف في شرح كتاب التّصريف للمازني: ابن جنّي أبو الفتح عثمان، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التّراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م، 1/2.

[3]: الممتع: ابن عصفور، ص31.

[4]: المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية: الشّاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، تح: محمّد إبراهيم البنا، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلميّة وإحياء التّراث الإسلامي، مكّة المكرّمة، ط1، 1428هـ/2007م، 8/218.

[5]: كتاب الفصول في العربيّة: ابن الدّهان أبو محمّد سعيد بن المبارك النّحوي، تح: فائز فارس، دار الأمل/الأردن، مؤسّسة الرّسالة/بيروت، ط1، 1409هـ/1988م، ص115.

[6]: الأصول في النّحو: ابن السّراج أبو بكر محمّد بن سهل النّحوي البغدادي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط3، 1417هـ/1996م، 3/231.

[7]: المبدع في التّصريف: أبو حيّان الأندلسي، تح: عبد الحميد السّيّد طلب، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 1402هـ/1982م، ص49.

[8]: الكافية والشّافية: ابن الحاجب جمال الدّين عثمان بن عمر بن أبي بكر، تح: صالح عبد العظيم الشّاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ص59.

لتواليها من التّغيّرات ممّا يفيد معان مختلفة؛ أي بما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك[1].

فالظّواهر الصّرفيّة هي دراسة تغيّر هذه الكلمات وتبيين معانيها وأحكامها واستخراج علاقاتها ببعضها البعض.

ويطلق على علم الصّرف بالإنجليزية مصطلح **Morphology**؛ أي ما يعرف **بالمورفولوجيا** – علم البنية– في الدّرس اللّساني الحديث، وهو يبحث في القواعد المتّصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغيّر أبنيتها بتغيّر المعنى وما يتّصل بذلك، ويتعامل مع بنية الكلمة عن طريق تحليلها إلى أصغر عناصرها الصّرفيّة[2] وهي **Morpheme** الّذي يعدّ أصغر وحدة صرفيّة في بنية الكلمة تحمل معنى أو لها وظيفة نحويّة في بنية الكلمة، كعلامة التّثنية والجمع، وغيرها[3].

ومن هنا يتّضح أنّ علم الصّرف العربي يختلف عن المصطلح الغربي المسمّى بالمورفولوجيا؛ لأنّ علم الصّرف ميدانه الكلمة، ويختص بتحليل النّظام اللّغويّ العربيّ، أمّا المورفولوجيا فميدانها الكلمة أو جزء منها كعلامة التّثنية وتاء التّأنيث وغيرها، ويحلّل نظام أي لغة.

ثانيا– أبنية الأفعال:

تركيب إضافي يتكوّن من مضاف وهو: أبنية، ومضاف إليه وهو: الأفعال، وسنعرض لكلّ واحد منها على حدة.

---

[1]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 1/6-7. وينظر: إيجاز التّعريف بعلم التّصريف: ابن مالك، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكيّة، مكّة المكرّمة/السّعوديّة، مؤسّسة الرّيان، بيروت/لبنان، ط1، 1425هـ/2004م، ص3. وعلم الصّرف الصّوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص37.

[2]: الصّرف التّعليمي: ياقوت محمود سليمان، ص20-21. وينظر: علم اللّغة: وافي علي عبد الواحد، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط9، 2004م، ص 8. والبنية الصّرفيّة ودلالاتها في القرآن الكريم سورة إبراهيم أنموذجا-دراسة لسانيّة وظيفيّة-: صالحي زينة، رسالة ماجستر، كليّة اللّغة والأدب العربي والفنون، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة باتنة1، 1438/1437هـ، 2018/2016م، ص9-18.

[3]: ينظر: علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص153. ومدخل إلى علم اللّغة: حجازي محمود فهمي، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ص90.

-الأبنية:

لغة: يقول ابن فارس: "الباء والنّون والياء أصل واحد، وهو بناء الشّيء بضمّ بعضه إلى بعض"[1].

اصطلاحا:

الأبنية: جمع بناء وهو جمع قلّة، والبناء، البنية، والمبنى، والصّيغة، والوزن: ألفاظ مترادفة، وهي تدلّ على هيئة الكلمة الملحوظة من حركة وسكون، وعدد حروف، وترتيب[2]، يقول الرّضي الاستراباذي: "المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هيئَتُها الّتي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتّبة وحركاتها المعيّنة وسكونها مع اعتبار الحروف الزّائدة والأصليّة كلّ في موضعه"[3].

وهناك من فرّق بين البناء الصّيغة والوزن؛ فالصّيغة هي البنية وهما أعمّ من الوزن؛ لأنّ الصّيغة هي مبنى صرفي تمثل القوالب الّتي تصبّ فيها المادّة اللّغويّة، أمّا الوزن أو الميزان الصّرفي فهو مبنى صوتي يبيّن الصّورة الصّوتيّة النّهائيّة للمادة اللّغوية[4]، والوزن يتأثر بالإعلال والقلب المكاني نحو: وَقَف وقَال ووَقَى فالأمر منهم هو (قِف، وقُل، وقِ) على وزن (عِل، وفُل، وعِ) حذف من الأوّل فاؤه ومن الثّاني عينه ومن الثّالث فاؤه ولامه، وكلّ هذه الكلمات الأمر فيها على صيغة وبناء «افْعَل»، وفي كلمة «أيِس» حدث فيها قلب مكاني حيث تأخّرت الفاء وتقدّمت العين في كلمة «يَئِس» وهي على وزن «عَفِل».

ويمكن أن نشير هنا أنّ كتب النّحو العامّة لم تفرد بابا منفصلا في دراسة علاقات الأبنية، بل تعرّضوا لها في ثنايا كلامهم عن معاني تلك الأبنية، على أنّ بعض الأبنية وجدت اهتماما انعكس على تأليف كتب حول علاقة بناء بآخر، ومثال ذلك الكتب الّتي تناولت علاقة (فَعَل) بـ (أَفْعَل) ككتاب فعَلت وأفعلت للسّجستاني، وكتاب ما جاء على فَعَلت وأفعَلت بمعنى واحد للجواليقي، وهناك علماء جعلوا الكلام عن فعلت وأفعلت ضمن الكلام عن الأبنية الأخرى مثل: سيبويه في الكتاب، وأبي عبيد في الغريب المصنّف، وابن السّكيت في إصلاح المنطق، وابن قتيبة في أدب الكاتب وابن السّراج في الأصول في النّحو وغيرهم، فهناك علاقات بين الأبنية وهي تدور حول أمور أهمّها: مجيء بنائين بمعنى واحد، مجيئهما بمعنيين مختلفين، مجيئهما متضادّيين، مجيء إحداهما مطاوعة للأخرى، إغناء إحداهما عن الأخرى، نحو علاقة

---

[1]: مقاييس اللّغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، 302/1.

[2]: عون المعين بشرح اللّاميّة مع زيادات بحرق وابن زين: أحمد بن محمّد الأمين بن أحمد المختار الجنكي، دار الفكر العربي، بيروت/لبنان، ط1، 2001م، ص17. وشذا العرف: الحملاوي، ص50.

[3]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 2/1.

[4]: ينظر: الإعجاز الصّرفي: عبد الحميد هنداوي، ص25-26.

فعُل وفعِل حيث يشتركان في الدّلالة على الألوان والأدواء نحو: أدُم وأَدِم، وسقُم وسَقِم[1]، وعلاقة فَعَل وفعِل حيث يطاوع فعِل فعَل كثيرا نحو: جدَعه فجَدِع، وعلاقة فَعِل وأفعَل أي أنّها بمعنى واحد نحو: نكِر وأنكَر، وفعِل وتَفعَّل بمعنى نحو: عجِب وتَعجّب، وعلاقة فعُل وافتَعَل كالإغناء عن المجرّد نحو: فقُر وافتَقر...[2].

إنّ الاتّساع في الأبنية، وكثرة الصّيغ الّتي تستوعب المعاني من خصائص اللّغة العربيّة وسماتها، حيث تجعل لكلّ بناء معاني خاصّة به؛ كصيغ التّجرد، والزّيادة فإنّ لكلّ واحدة منها أبنية ومعاني خاصّة بها.

– الأفعال:

لغة: يقول ابن فارس: "الفاء والعين واللّام أصل صحيح يدلّ على إحداث شيء من عمل وغيره"[3].

اصطلاحا:

الأفعال: جمع فعل والفعل كما عرّفه سيبويه هو: "أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقطع، وما هو كائن لم ينقطع"[4]، وهو ما دلّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثّلاثة؛ فإن كان ماضيا فماض، وإن كان آتيا أو حالا فمضارع، وإن كان مستقبلا فأمر[5].

ثالثا– الدّلالة الصّرفيّة:

تتكونّ من كلمتين: الدّلالة والصّرف؛ وقد تناولنا فيما سبق مفهوم الصّرف، أمّا الدّلالة في اللّغة: فهي مصدر الفعل دلّ، يقول ابن فارس: "الدّال واللّام أصلان: أحدهما إبانة الشّيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطراب في الشّيء. فالأوّل قولهم: دَلَلْتُ فلانًا على الطَّريق. والدَّليل: الأمارة في الشّيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة"[6].

---

[1]: أبنية الفعل دلالاتها وعلاقتها: الشّمسان أبو أوس إبراهيم، دار المدني، ط1، 1407هـ/1987م، ص57-60. وينظر: الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي/القاهرة، دار الرّفاعي/الرّياض، ط2، 1402هـ/1982م، 4/18-25.

[2]: أبنية الفعل دلالاتها وعلاقاتها: الشّمسان، ص63-64.

[3]: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 4/511.

[4]: الكتاب: سيبويه، 1/12.

[5]: شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام جمال الدّين أبو محمّد عبد الله بن يوسف، تصحيح: محمّد أبو فضل عاشور، دار إحياء التّراث العربي، بيروت/لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، ص12، وشرح التّصريف العزّيّ: السّيّد الشّريف الجرجاني، تح: محمّد الرّفراف، تقديم: عادل عبد المنعم أبو العبّاس، دار الطّلائع، القاهرة، ص54.

[6]: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 2/259.

اصطلاحا:

الدّلالة الصّرفيّة هي ما يخلّفه البناء الصّرفي من أثر في المعنى، ما يسمّى بالمعنى الصّرفيّ. وقد أدرك علماء العربيّة القدامى علاقة الصّرف بالمعنى، حيث تحدّثوا في أبواب كثيرة عمّا أسموه (قوّة اللّفظ لقوّة المعنى)، ويقصدون بذلك أنّ اللّفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثمّ نقل إلى وزن آخر أكثر منه؛ فلا بدّ من أن يتضمّن من المعنى أكثر ممّا تضمّنه أوّلا؛ لأنّ الألفاظ أدلّة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها؛ فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني[1].

والدّلالة الصّرفيّة مستمدّة من الصّيغ وبنيتها، وأيّ تحوّل في الصّيغة، يؤدّي حتما إلى تغيّر في الدّلالة[2]، والدّلالة التّصريفيّة: هي الأثر المعنوي المستفاد من تقاطع الدّلالة المعجميّة مع دلالة البنية وتحويلها إلى أبنية مختلفة[3]. والأثر في المعنى هو الجانب البلاغي المستفاد من الصّيغة في سياقها.

وقد ذكر ابن جنّي أنّ الدّلالة من حيث القوّة والضّعف على ثلاثة مراتب: الدّلالة اللّفظيّة: وهي أقواها، فالفعل يدلّ على الحدث بالدّلالة اللّفظيّة، والدّلالة الصّناعيّة*: أقوى من الدّلالة المعنويّة من قِبَل أنّها وإنْ لم تكن لفظا فإنّها صورة يحملها اللّفظ، فالفعل يدلّ على الزّمان بالدّلالة الصّناعيّة؛ فهي تتعلّق بالبناء والصّيغة، والدّلالة المعنويّة: فالفعل يدلّ على الفاعل بالدّلالة المعنويّة؛ فدلالته لاحقة بمعلوم الاستدلال. وجميع الأفعال تحمل الأدلّة الثّلاثة، ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله[4]، فالمعنى الوظيفي هو المعنى الصّناعي عند ابن جنّي؛ أي أنّ الصّيغة لها دلالة وظيفيّة تدلّ عليها هيئة الكلمة وصورتها، كما تدلّ بنيتها على معناها المعجمي أو دلالتها اللّفظيّة؛ فهيئة الكلمة وصورتها هي الصّيغة، وإطلاق الدّلالة الصّناعية عليها لإنّه ينسج على منوالها قوالب كثيرة؛ فما تمتاز به الصّيغة يظهر في عمليّة التّشكيل والصّياغة والاشتقاق[5].

---

[1]: الصّرف التّعليمي: ياقوت سليمان، ص36.

[2]: علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص152.

[3]: الخلاف التّصريفي وأثره الدّلالي في القرآن الكريم: فريد بن عبد العزيز الزّايل السّليم، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السّعودية، ط1، 1427هـ، ص61-62.

*: ويسمّيها الغربيون Morpheme وهذا المصطلح لا يصحّ إطلاقه على الصيغة والبناء في العربيّة؛ لأنّه يشمل الصّيغة وغيرها، ينظر: علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص153. ومدخل إلى علم اللّغة: حجازي محمود فهمي، ص90.

[4]: الخصائص: ابن جنّي أبو الفتح عثمان ، تح: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، ط2، 1371هـ/1952م، 98/3.

[5]: ينظر: الإعجاز الصّرفي: هنداوي عبد الحميد، ص18-19.

حيث يذكر الجرجاني أنّ الألفاظ المفردة؛ أي الدّلالة الإفراديّة، لم توضع لتُعرَف معانيها في أنفسها، بل بضمّ بعضها إلى بعض ليعرف ما بينها من فوائد، ويوضّح ذلك أكثر في قوله: "... ولو لم يكونوا وضعوا أمثلة الأفعال لما كان لنا علم بمعانيها، حتّى لو لم يكونوا قالوا: «فَعَل» و«يَفْعَل»، لما كنّا نعرف الخبر من نفسه ومن أصله، ولو لم يكونوا قد قالوا: «افْعَل»، لما كنّا نعرف الأمر من أصله ولا نجده في نفوسنا"[1].

فالجرجاني يشير إلى أنّ اللّفظ المفرد هو بمثابة اللّبنة الأولى للدّلالة التّركيبيّة؛ أي في السّياق عندما توضع اللّفظة في جملة مفيدة، فإنّ معناها يتحدّد بدقة حسب حالة المتكلّم، فاللّفظة المفردة لها دلالات مختلفة نحو صيغة «أفْعَل» فتأتي للتّعدية، والسّلب، والتّعريض، والصّيرورة وغيرها من المعاني، والسّياق هو الّذي يحدّد إحدى هذه الدّلالات الّتي تحتملها اللّفظة. وقد تمّ التّفريق بين دلالة الصّيغة –الدّلالة الإفراديّة*– ودلالة السّياق –الدّلالة التّركيبيّة– وقسّمت إلى نوعين:

الأوّل: الدّلالة الإفراديّة: وتسمّى الزّمن الصّيغي أو الزّمن التّحليلي؛ وهي المعنى الّذي يُعطى للصّيغة منفردة بعيدة عن السّياق، حيث نفهم (فعَل) في مقابل (يفعَل) و(افْعَل) ... والثّاني: الدّلالة التّركيبيّة: وتسمّى دلالة السّياق أو الزّمن السّياقي: وهي تلك الّتي تستفاد من السّياق والنّظم بما يشتمل عليه من قرائن الحال والمقام الّتي تدلّ على مقصد المتكلّم من كلامه، وذلك لأنّ الكلمة في حال إفرادها تحمل دلالات شتّى، والتّركيب والعلاقات السّياقيّة هي الّتي تكشف عن قصد المتكلّم إلى إحدى هذه الدّلالات. وهذا ما يسمّى معنى الفعل داخل السّياق نحو قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ النحل:١، حيث وظّفت صيغة الفعل «أتَى» في معنى الاستقبال متضمّنة معنى المضيّ وموظّفة له في الوقت نفسه، فكأنّ مقصود الآية أن تقول: سيأتي أمر الله لا محالة مجيئا مقطوعا به بل في حكم ما وقع وأتى بالفعل[2].

لم يكن الاهتمام منصبا على الصّيغ أو القوالب الصّرفية في ذاتها وحسب، بل كان الاهتمام بمزايا الصّيغ والفروق القائمة بينها في البنية الصّرفيّة واستثمار تلك الفروق وتوظيفها في الأسلوب الفنّي، وذلك للوقوف على الدّلالات الدّقيقة للصّيغ وتحديد الفروق بين المعاني، وما يفيده ذلك في التّوظيف البلاغي

[1]: دلائل الإعجاز: الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمّد، تح: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1424هـ/2004م، ص540. وينظر: الإعجاز الصّرفي: الهنداوي، ص49.

*: ويسميها الكفوي في الكلّيات"المعنى الصّيغي" ينظر: الكلّيات: الكفوي، ص715-716.

[2]: الإعجاز الصّرفي: الهنداوي، ص50-53.

لتلك الصّيغ في سياقاتها الّتي تطابق مقتضى الحال، أيا كان ذلك الحال؛ حال المتكلّم أو حال المخاطب[1].

لقد كان العلماء من لغويّين ومفسّرين وغيرهم يدركون أهميّة السّياق لعلاقته بالمعنى؛ فقد كان اهتمامهم بالسّياق نتيجة عنايتهم بالمعنى وتحديد المراد منه، ولكنّهم لم ينصّوا له على تعريف اصطلاحي؛ لأنّه من الأمور الواضحة عندهم، وكانوا يعبّرون عنه بمصطلحات كثيرة أهمّها: الموقف، والحال، والمقام، والغرض، والقرينة، والدّليل وغيرها، إلّا أنّ هناك من ذكر هذا المصطلح في كتاباته كالشّافعي الّذي أشار في رسالته إلى السّياق في باب سمّاه (الصّنف الّذي يبيّن سياقه معناه)[2]، وقد قسّمت دلالة السّياق في القرآن الكريم إلى قسمين: سياق المقال وهو السّياق اللّغوي؛ ويعبّرون عنه بالسّباق واللّحاق، وسياق الحال وهو المقام؛ ويعنون به ما يصاحب النّص من أحوال وعوامل خارجيّة لها أثر في فهمه[3]، حيث تعرّضوا للعلاقة بين المتكلّم والمخاطب، والأحوال المتعلقة بالخطاب؛ لأنّ للسّياق دورا هامّا في التّفريق بين المعاني، ولذلك لجأ علماؤنا من مفسّرين ولغويين إلى السّياق للكشف عن مادّة الكلمة، فقد كان لهم اهتمام خاص بالصّيغ المستعملة في القرآن الكريم محاولين الكشف عن سبب اختيارها في موضعها الّذي استعملت له[4].

وكان ابن عاشور ممّن اهتم بأدوات وعناصر السّياق في التّحليل فقد تردّد في تفسيره الكثير من مصطلحات السّياق منها: مساق، وقرينة لفظيّة، وقرينة الحال، ومقام، ودلّ عليه السّياق، وسيقت القصّة لأجله، ودليل[5] وغيرها، يقول ابن عاشور: "والرّغد وصف لموصوف دلّ عليه السّياق أي أكلا رغدا"[6]، ويقول أيضا: "...يريد أنّ المتكلّم في مثل هذا المقام في حيرة من بين أن يأتي بالأنهار معرّفة بالإضافة

---

[1]: ينظر: المرجع السّابق، ص10-11.

[2]: الرّسالة: الشّافعي محمّد بن إدريس، تح: أحمد محمّد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1357هـ/1938م، ص62. وينظر: السّياق القرآني وأثره في التّفسير(دراسة نظريّة تطبيقيّة من خلال تفسير ابن كثير): المطيري عبد الرّحمان عبد الله سرور جرمان، رسالة ماجستر، جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1429هـ/2008م، ص64.

[3]: المرجع نفسه، ص64-66. وينظر: دلالة السّياق بين التّراث وعلم اللّغة الحديث (دراسة تحليليّة للوظائف الصّوتيّة والبنيويّة والتّركيبيّة في ضوء نظريّة السّياق): عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي، ص25-28. ومعاني صيغ القرآن الصّرفيّة: ريم العتيبي، ص180.

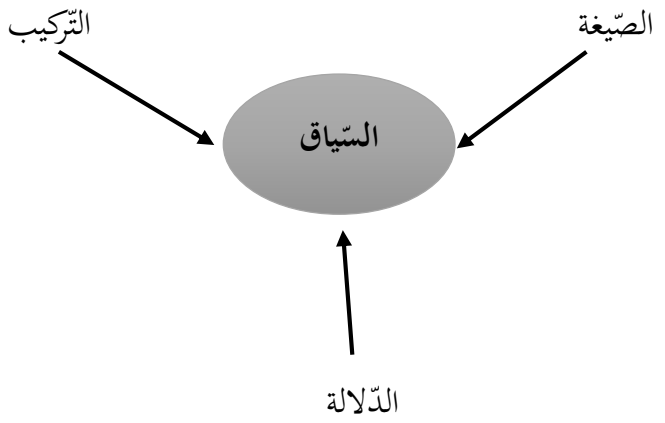
[4]: أثر السّياق في دلالة الصّيغة الصّرفيّة في القرآن الكريم: مروة عبّاس حسن علي، رسالة ماجستر، كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة ديالي، 1434هـ/2013م، ص33.

[5]: معاني صيغ القرآن الصّرفيّة: ريم العنيبي، ص180-181. وينظر: التّحرير والتّنوير: 166/1. و 258/1-259-274. و353/1-355-385-399. و414/1-432. و115/2-306-371.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 432/1.

للجنّات وبين أن يعرّفها بأل العهديّة"[1]، ويقول في موضع آخر: "فالواو لعطف طائفة من الجمل على طائفة مسوق كلّ منهما لغرض جمعتهما في الذّكر المناسبة بين الغرضين..."[2]

إنّ "السّياق الصّرفي هو الّذي يتعرّض لدراسة الوحدات اللّغويّة، لا بوصفها صيغا، وإنّما بحسب ما تحمله من قيم تساعد على إثراء محتوى الدّلالة داخل التّراكيب اللّغويّة"[3]. فالعناصر الثّلاثة: الصيغة والتّركيب والدّلالة تتظافر معا فتؤدّي إلى معرفة محتوى السّياق؛ لأنّ دلالة الكلمة متربطة بسياقها الّذي يحدّد معناها ويوضّحه، وهذا ما يمثّله المخطّط التّالي:



فالسّياق الّذي تعرض فيه الآيات القرآنية له دور كبير في تحديد الدّلالة الصّرفيّة وتوجيهها بحسب ما يناسب المعنى الّذي نزلت فيه الآية أو السّورة؛ فهو الثّمرة الأساس الّتي نفهم من خلالها المقصود من كلام الله سبحانه.

[1]: المصدر السّابق، 355/1.

[2]: المصدر نفسه، 259/1.

[3]: علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص156.

الفصل الأوّل: أبنية الأفعال من حيث الزّمن.

المبحث الأوّل: الفعل الماضي.

المطلب الأوّل: دلالة الفعل الماضي على المضي.

المطلب الثّاني: دلالة الفعل الماضي على الحال.

المطلب الثّالث: دلالة الفعل الماضي على الاستقبال.

المبحث الثّاني: الفعل المضارع.

المطلب الأوّل: دلالة الفعل المضارع على المضي.

المطلب الثّاني: دلالة الفعل المضارع على الحال.

المطلب الثّالث: دلالة الفعل المضارع على الاستقبال.

المبحث الثّالث: فعل الأمر.

المطلب الأوّل: مفهوم فعل الأمر وصياغته.

المطلب الثّاني: أغراضه.

يختصّ هذا الفصل بالحديث عن أبنية الفعل من حيث الزّمن، وذلك لرصد اختلاف دلالات الفعل وما تضفيه من معنى في السّياق، وهو على ثلاثة أقسام: ماض، ومضارع، وأمر[1]، يقول الحريري:

وإنْ أرَدْتَ قِسْمَةَ الأَفْعَالِ لِيَنْـجَلِي عَنْكَ صَدَا الإِشْكَالِ.

فَهِيَ ثَلَاثٌ مَالَهُـنَّ رَابِـعُ مَاضٍ، وفِعْلُ الأمْرِ، والمُضَارِعُ.[2]

وهناك من ذكروا أنّ الفعل: ماض، وحاضر(حال)، ومستقبل كما أشار إليه ابن يعيش (ت643هـ) في شرح المفصل، والسّيوطي في الأشباه والنّظائر في النّحو[3]، حيث ذُكِر أنّ أحرف المضارعة يشترك فيها الحاضر والمستقبل[4]، ومعلوم أنّ فعل الأمر لا تلحقه أحرف المضارعة، وعدم ذكر الأمر قد يكون من قبِيل الفعل المستقبل؛ أي المضارع، وهذا مذهب الكوفيين؛ لأنّه يصاغ من المضارع بحذف حرف المضارعة.

أمّا ابن معط (ت628هـ) فقد ذكر أنّ أقسام الفعل عقلا ثلاثة: ماض، ومستقبل، وحال. ووضعا إلى: ماض بوضعه كفَعَل، ومستقبل بوضعه كافْعَل، ومبهم بين الحال والاستقبال، وهو ما في أوّله إحدى الزّوائد الأربعة يجمعها: أنَيْت[5]؛ فالهمزة للمتكلّم، والنون لجماعة المتكلّمين، والياء للغائب، والتّاء للمخاطب، ويُفْهَم من كلام ابن معط عندما أشار إلى أقسام الفعل من حيث الوضع أنّ الأفعال ثلاثة: الماضي، والمستقبل، وقسم بين الحال والاستقبال؛ فالمستقبل عنده هو فعل الأمر؛ لأنّه لا يأتي إلّا للاستقبال، وأمّا المبهم الّذي بين الحال والاستقبال فهو المضارع بدليل دخول أحرف المضارعة.

---

[1]: ينظر: شرح قطر النّدى وبل الصّدى: ابن هشام أبو محمّد عبد الله جمال الدّين الأنصاري، تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الطّلائع، القاهرة، 2009م، ص44.

[2]: شرح ملحة الإعراب: الحريري أبو محمّد القاسم بن علي البصري، تح: فائز فارس، دار الأمل للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط1، 1412هـ/1991م، ص15.

[3]: ينظر: شرح المفصّل للزّمخشري: ابن يعيش موفّق الدّين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، 207/4. والأشباه والنّظائر في النّحو: جلال الدّين السّيوطي، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، 14/2.

[4]: المصدر نفسه، 210/4.

[5]: الفصول الخمسون: ابن معطي زين الدّين أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي الزّواوي المغربي، تح: محمود محمّد الطّناحي، القاهرة، 1396هـ/1976م، ص170.

والفعل من حيث المبنى الصّرفي ينقسم إلى ماض ومضارع وأمر، وهذه الثّلاثة تختلف شكلا ومعنى، فعلى مستوى الشّكل تحتلّ الصّيغة مكانا بارزا في التّفريق بين الأفعال... أمّا من حيث المعنى فالأفعال تختلف في دلالتها بصيغتها على الزّمن..."[1].

وهذه القسمة كما قال أبو حيّان في شرحه لأقسام الفعل "بالنّظر إلى الصّيغ لا بالنّظر إلى الزّمان، وهي قسمته الأولى، لأنّ بها تُمَيِّز المبنيّ من المعرب، والمبهم والخاصّ، وهذه القسمة تقتضي أنّ كلّ واحد قسم من الفعل، ونسبة كلّ واحد منها إلى الفعل نسبة واحدة"[2]، يقول ابن حنّي: "وذلك أنّه قد دلّت الدّلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع؛ إذ الغرض من صيغ هذه المثل إنّما هو لإفادة الأزمنة، فيجعل لكلّ زمان مثالا مخالفا لصاحبه، وكلّما ازداد الخلاف كانت في ذلك قوّة الدّلالة على الزّمان. فمن ذلك أن جعلوا بإزاء حركة فاء الماضي سكون فاء المضارع وخالفوا بين عينيهما فقالوا: ضَرَب يَضْرِب، وقَتَل يقْتُل، وعَلِم يَعْلَم"[3].

وقد اختلف أبو إسحاق الزّجاج وأبو بكر بن السّرّاج في رتبة الحاضر والمستقبل، فيرى الزّجّاج أنّ المستقبل أوّل الأفعال، واحتجّ لذلك بأنّ الأفعال المستقبلة تقع بها العدات ثمّ توجد فتكون حالا ثمّ يمضي عليها الزّمان فتكون في الماضي وهذا ما ذهب إليه الزّجاجي في الإيضاح، أمّا ابن السّرّاج فيرى أنّ الحاضر هو أوّل الأفعال ويكون الأقرب إليه في التّرتيب المستقبل وتاليه الماضي، ويرى بعض النّحاة أنّ الأصل في الأفعال هو الماضي؛ لأنّ زمان الماضي قبل زمان المستقبل والحال[4].

إنّ "لفظ الفعل الماضي والمستقبل يأتي على ثلاثة أضرب: ماض في اللّفظ والمعنى: وهو الّذي لم تصرفه قرينة عن موضوعه نحو: ضَرَب، وماض في المعنى دون اللّفظ: وهو المقترن بـ «لم» و «لمّا» نحو:

---

[1]: الصّيغ الصّرفيّة في العربيّة في ضوء علم اللّغة المعاصرة: رمضان عبد الله رمضان، بستان المعرفة، ط1، 2006م، ص17-18.

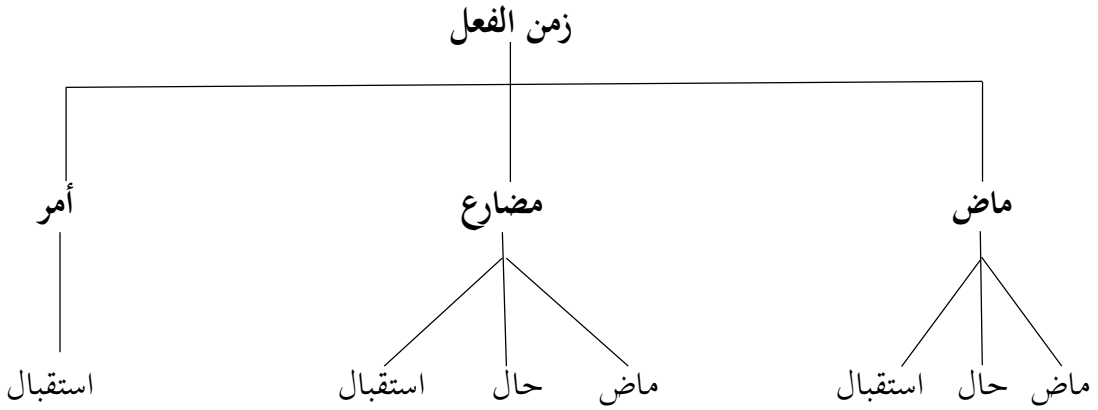
[2]: التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: أبو حيّان الأندلسي، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 67/1.

[3]: الخصائص: ابن جنّي، 375/1.

[4]: المصدر نفسه، 31/2. وينظر: الإيضاح في علل النّحو: أبو القاسم الزّجاجي، تح: مازن المبارك، دار النّفائس، بيروت، ط3، 1399هـ/1979م، ص85. وشرح مختصر التّصريف العزّي في فنّ الصّرف: التّفتازاني مسعود بن عمر سعد الدّين، تح: عبد العال سالم مكرَم، المكتبة الأزهريّة للتّراث، ط8، 1417هـ/1997م، ص47.

لمْ يَقُم أمْس، وماض في اللّفظ دون المعنى: وهو المقترن بحرف الشّرط نحو: إنْ قام... وكذلك المستقبل في انقسامه"[1]، وأمّا الأمر فلا يستعمل إلّا للاستقبال[2].

ويمكن أن نوضّح ونبسّط هذا الكلام الّذي ذكر فيه تفصيلٌ لتقسيمات الفعل من حيث الزّمن في المخطّط التّالي:



وهذا الّذي أشار إليه أهل العلم يدّل على أنّ علماءنا كان لهم علم بالزّمن النّحوي والصّرفي ودلالتهما من خلال السّياق والقرائن الّتي تقترن بالفعل، وليس كما ادّعى البعض أنّهم تجاهلوا دلالة السّياق فهذا لا أساس له من الصّحة؛ لأنّ جهود علمائنا القدامى لم تكن منصبّة على البنية منفردة فقط، بل اهتموا بتوضيح القرائن الّتي تضاف إلى الفعل وتحوّله من معنى إلى معنى آخر حسب حالة المتكلّم، وهذا ما أشار إليه سيبويه في باب نفي الفعل بقوله: "إذا قال: (فَعَل)؛ فإنّ نفيه (لَمْ يَفْعَل). وإذا قال: (قَدْ فَعَل)؛ فإنّ نفيَه (لَمَّا يفْعل). وإذا قال: (لقَد فَعَل)؛ فإنّ نفيه (ما فَعَل)... وإذا قال هو يفْعَل، أي هو في حال فِعْل، فإنّ نفيه ما يفعَل... وإذا قال سوف يفْعَل فإنّ نفيه لنْ يفْعَل"[3]. ففي كلام سيبويه إشارات واضحة إلى تفريقه بين الأزمنة من خلال ما يدخل عليها من القرائن الّتي تنقل معنى الفعل إلى معنى آخر، فقد خصّص لكلّ صيغة ما يناسبها من النّفي فذكر أنّ فَعَل إذا نفي نقول: لم يَفْعَل، ففعَل ماض، ولم بدخولها على المضارع تقلبه للمضيّ وصيغة النّفي هذه نفت أن يكون فَعَل فيما مضى؛ فلم للنّفي المطلق؛ أي يجوز فيه الاستمرار،

[1]: الصّفوة الصّفيّة بشرح الدّرّة الألفيّة: تقي الدّين إبراهيم بن الحسن النّيلي، تح: محسن بن سالم العميري، مركز إحياء التّراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، ط1، 1420هـ، 165/1.

[2]: التّذييل والتّكميل: أبو حيّان، 79/1.

[3]: الكتاب: سيبويه، 117/3.

ويجوز عدمه، ولذا يصحّ أن تقول: لم أفْعَل ثمّ فعَلتُ. وفي قوله: قد فعَل؛ فإنّ نفيه لـمَّا يفْعَل؛ لأنّ «قد» إذا دخلت على الفعل الماضي تقرّب زمنه من الحال، ولـمّا تختصّ بنفي الماضي المتّصل بزمان الحال؛ فهي للنّفي المستغرق جميع أجزاء الزّمان الماضي حتّى يصل إلى الحال؛ أي ما فَعَل حتّى الآن، والفعل المنفيّ بـ «لـمّا» متوقّع الوقوع[1]، ويَفعَل الدّال على الحال لخلوّه من القرائن ذكر أنّ نفيه ما يفعَل؛ لأنّ «ما» ينفي بها الحال[2]، وسوف يفعَل مضارع صرف للاستقبال، فنفيه يكون: لنْ يفعَل؛ لأنّ دخول «لن» النّاصبة على الفعل تصرفه للاستقبال، وهكذا كان يحلّل سيبويه كلّ صيغة بناءً على معرفته العميقة بالاختلافات الزّمنيّة بين الأفعال وما يدخل عليها من القرائن الّتي تتغيّر معها معاني الأفعال.

[1]: ينظر: جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، مراجعة: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصريّة، صيدا/بيروت، ط28، 1414هـ/1993م، 127/2، وعلم الصّيغة: الكاكارودي عنايت أحمد، تر: ولي خان المظفّر، مكتبة البشرى، باكستان، ط2، 1432هـ/2011م، ص43.

[2]: ينظر: ارتشاف الضّرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي، تح: رجب عثمان محمّد، مراجعة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418هـ/1998م ، ص1859.

المبحث الأوّل: الفعل الماضي.

وهو الفعل الدّال على اقتران حدث بزمان قبل زمان أنت فيه، فما دلّ على زمان: شامل لجميع الأفعال، وخرج بقوله: قبل زمانك، المستقبل والحال، وخرج بقوله الفعل: نحو: أمس، فإنّه وإن دلّ على زمان قبل زمانك ، فإنّه ليس بفعل[1]، وهو القسم الّذي ضارع الأسماء مضارعة ناقصة[2]؛ لأنّه يأتي في موضع الأسماء؛ أي شابه الاسم نحو قولنا: يعجبني أنْ قمت، والتّقدير: يعجبني قيامُك، إلّا أنّه ليس معربا كالأسماء وهذا وجه النّقص فيه.

ويأتي الفعل الماضي للدّلالة على المضيّ، أو على الحال، أو على الاستقبال، ويحتمل أيضا المضيّ والاستقبال بعد همزة التّسوية نحو قوله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾ البقرة: ٦، وحروف التّحضيض: لولا ولوما وهلا وغيرها نحو: لولا ضربت زيدا، فإن قصدت بها التّوبيخ كان الفعل ماضيا، وإن قصدت بها الحثّ على الفعل، كان مستقبلا بمنزلة فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ١٢٢ ﴾ التوبة: ١٢٢[3]؛ لينفر من كلّ فرقة طائفة، وبعد «كلّما» يحتمل أن يراد به المضي نحو قوله تعالى: ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ٤٤ ﴾ المؤمنون: ٤٤، ويحتمل أن يراد به الاستقبال نحو: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ٥٦ ﴾ النساء: ٥٦، وبعد «حيث» يحتمل أن يراد به المضي كقوله: ﴿ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ٢٢٢ ﴾ البقرة:٢٢٢، ويحتمل أن يراد به الاستقبال نحو: ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ١٤٩ ﴾ البقرة: ١٤٩، وكذا الواقع صلة يحتمل أن يراد به المضيّ نحو: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا ١٧٣ ﴾ آل عمران: ١٧٣،

---

[1]: ينظر: الكّناش في فنّي النّحو والصّرف: عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن الأفضل علي الأيّوبي الشّهير بصاحب حماة، تح: رياض بن حسن الخوّام، المكتبة العصريّة/بيروت، 1425هـ/2004م، 6/2. وشرح المفصل: ابن يعيش، 207/4.

[2]: المصدر نفسه، 208/4.

[3]: شرح ابن عقيل على الألفية: ابن عقيل، 27/4. وينظر: التّذييل والتّكميل: أبو حيّان، 112/1. وشرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 13/4.

ويحتمل أن يراد به الاستقبال نحو: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ المائدة: ٣٤، أو صفة لنكرة عامة[1].

المطلب الأوّل: دلالة الفعل الماضي على المضي.

وهي ما دلّت على زمن مضى وانقضى سواء كان الماضي قريبا أو بعيدا، حيث يوافق لفظه لفظ الماضي ومعناه معناه، وممّا جاءت له صيغة الماضي لهذه الدّلالة ما يلي:

1- أن تكون سردا لأحداث ماضية في أسلوب القصص: كالأفعال الّتي جاءت في سياق قصص لأحداث مضت ومضيُّها يقين لا يحتمل الشّك[2]؛ أي حكاية الحال الماضية، وممّا جاء بهذا الصّدد ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ البقرة:٥٤. وهذه الآية خطاب من الله تعالى وذكر لصفة توبته على بني إسرائيل من عبادة العجل؛ لأنّهم أُمِروا بالتّوبة إلى خالقهم من عظم ذنبهم وجرمهم، ففعلوا ما أُمِروا به فغفر الله لهم[3].

الشّاهد: قوله: «تَاب» يقول ابن عاشور: "فالماضي مستعمل في بابه من الإخبار وقد جاء عن طريق الالتفات لأنّ المقام للتّكلّم فعدَل عنه إلى الغيبة ورجّحه هنا سبق معاد ضمير الغيبة في حكاية كلام موسى"[4]. فقد جاءت اللآية حكاية لما حصل في عهد موسى عليه السّلام عندما عبَد أغلب قومه العجل الّذي صنعه السّامريّ في الفترة الّتي لم يكن فيها معهم، حيث ذُكِرت فيها توبة الله تعالى على بني إسرائيل

---

[1]: شرح التّسهيل: ابن مالك جمال الدّين محمّد بن عبد الله بن عبد الله الطّائي الجيّاني الأندلسي، تح: عبد الرّحمان السّيد ومحمّد بدوي المختون، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، 1410هـ/1990م، 31/1-32. والتّذييل والتّكميل: أبو حيّان، 112/1. وينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 13/4.

[2]: دلالة الفعل في القرآن الكريم (سورتا البقرة والأعراف أنموذجا): الأمين بوخاري، رسالة ماجستر، جامعة فرحات عبّاس، سطيف، كلّيّة الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2012/2011م، ص19-20. وينظر: الأبنية الصّرفيّة ودلالاتها في سورة الكهف: شيخاوي حميد، رسالة ماجستر، كلّية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة أبو بكر بلقائد، تلمسان، 2013/2012م، ص26-27.

[3]: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن كثير الدّمشقي، تح: طه عبد الرّؤوف سعد، دار الاعتصام، القاهرة، 2008م، 146/1.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 505/1.

من هذا الفعل، وعفوه عن ذنوبهم في قوله: (فَتَابَ عَلَيكُم) وهذا يناسب رحمته المنجية من عقوبته في قوله: (إنَّه هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم)؛ لأنّ "زلّة اتّخاذ العجل ليعبوده من دون الله زلّة عظيمة لا يغفرها إلّا هو سبحانه"[1]، وهذا دليل على سعة حلم الله عزّ وجل ورحمته بعباده وإن عظمت الذّنوب والخطايا.

-قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣، وهذه الآية حكاية لنقض اليهود للميثاق الّذي بينهم وبين محمّد ﷺ وأنّ هذا من عادات سلفهم على عهد موسى عليه السّلام، وبسبب هذا لعنهم الله وأبعدهم من رحمته، وصارت قلوبهم غليظة قاسية لا تجدي فيها المواعظ، وابتلوا بتحريف وتبديل كلام الله، وتأويل معانيه بما يوافق أهواءهم، وتركوا نصيبا ممّا ذكر في التّوراه وأنكروا ما جاء فيها[2].

والفعل «نَسُوا» جاء بصيغة الماضي يقول ابن عاشور: "والنّسيان مراد به الإهمال المفضي إلى النّسيان غالبا. وعُبِّر عنه بالفعل الماضي لأنّ النّسيان لا يتجدّد، فإذا حصل مضى، حتّى يُذَكّره مذكّر، وهو وإن كان مرادا الإهمال فإنّ في صوغه بصيغة الماضي ترشيحا للاستعارة أو الكناية لتهاونهم بالذّكرى"[3]، وهذا يدلّ على أنّ النّسيان ناشئ عن عدم التّعهّد بالدّين وقلّة الاهتمام به[4]، فالفعل «نَسُوا» جاء للدّلالة على المضي؛ لأنّ التّوراة كانت قبل القرآن الكريم، وما جاء فيها تصديقٌ لنبوّة محمّد ﷺ، إلّا أنّ اليهود تركوا ما ذُكِّروا به من الإيمان بالرّسول ﷺ واتّباعه.

وقد أشارت الآية إلى لطيفة بليغة فيها تسلية للنّبي ﷺ؛ لأنّ اليهود لم يكذّبوه وينقضوا العهود والمواثيق معه وحده، بل كان هذا دأبهم مع الرّسل من قبله.

---

[1]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 687/1. والتّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 505/1.

[2]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 248/8-249. وتيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنان: عبد الرّحمان بن ناصر السّعدي، تح: عبد الرّحمان بن معلاّ اللّويحق، تقديم: عبد الله بن عزيز بن عقيل ومحمد بن صالح العثيمين، مؤسّسة الرّسالة، بيروت/لبنان، ط1، 1423هـ/2002م، ص225. وتفسير القرآن العطيم: ابن كثير، 43/2.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 144/6.

[4]: المصدر نفسه.

-قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ الشعراء: ٢٠٠؛ أي كذلك أدخلنا التّكذيب والكفر والجحود والعناد في قلوب المجرمين[1]؛ فرغم أنّهم في أعماقهم يعرفون دلائل صدقه من أخبار علماء بني إسرائيل، ومع ذلك لم يؤمنوا به[2].

حيث ذكر ابن عاشور أنّ الفعل «سَلَكْنَاه» جاء بصيغة الماضي لتقدّم ذكر كفّار قريش فناسبه حكاية وقوع هذا الإبلاغ منذ زمن مضى[3]، فالفعل سلكناه في الآية دلّ على المضيّ؛ لأنّ الآية جاءت لحكاية حال الكفّار قبل قريش فهي على طريق التّمثيل؛ لأنّ عادة المجرمين في كلّ أمّة أنّهم لا يؤمنون بما جاءت به الرّسل عليهم السّلام ويكذّبونهم ويجحدون الحقّ، وكذلك حال كفّار قريش فهم مثلهم في عدم الإيمان بما جاء به محمّد ﷺ[4].

وقد أشار ابن عاشور لهذه الدّلالة في بعض المواضع نحو: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ ﴿٥٣﴾ ﴾ النور: ٥٣، حيث ذكر أنّ الفعل «أَقسَمُوا» جاء بصيغة المضي؛ لأنّ ذلك شيء وقع وانقضى، وهذا حكاية لقسم أقسموه بالله أنّهم لا يضمرون عصيان الرّسول ﷺ فيما يقضي به[5]، وقد تقدّم نظير هذه الآية في قوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٩، إلّا أنّ ابن عاشور لم يعلّق في هذا الموضع على زمن الفعل «أقسَمُوا». وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ الشورى: ١٠، حيث ذكر أنّ الفعل الماضي «تَوكّلت» "للإشارة أنّ توكّله على الله كان سابقا من قبل أن يظهر له تنكر قومه له، فقد صادف تنكّرهم منه عبدا متوكّلا على ربّه"[6]. وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يونس: ١٢، بقوله: "وإذ عبّر عن عملهم بفعل «كانوا» الدّال على عملهم في ماضي أزمانهم، لذلك جيء في شرطها وجوابها وما عطف عليها بأفعال المضي؛ لأنّ كون حالهم هكذا فيما مضى أدخل في تسجيله عليهم ممّا

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 438/3.

[2]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 194/19.

[3]: المصدر نفسه، 194/19.

[4]: ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة الأندلسي، تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، 244/4.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 276/18-277.

[6]: المصدر نفسه، 43/25.

لو فرض ذلك من حالهم في المستقبل إذ لعلّ فيهم من يتّعظ بهذه الآية فيقطع عن عمله هذا أو يساق إلى النّظر في الحقيقة"[1].

2- أن تكون واقعة فعلا للشّرط: فهنا يقع الفعل الماضي بعد حروف الشّرط، وقد علّق ابن عاشور على هذا النّوع في موضع واحد وهو:

-قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأعراف: ٨٧، ففي الآية ذكر لاختلاف الطائفة الّتي آمنت بشعيب عليه السّلام، والطّائفة الّتي لم تؤمن به، وأخبرهم أن ينتظروا أن يفصل الله بينه وبينهم، فهو خير من يفصل وأعدل من يقضي، وسيجعل العاقبة للمتّقين والدّمار على الكافرين[2].

فالفعل «كَان» جاء بصيغة الماضي؛ لأنّه سُبق بحرف الشّرط «إنْ» يقول ابن عاشور: "والشّرط في قوله: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ ﴾ أفاد تعليق حصول مضمون الجزاء في المستقبل، أعني ما تضمّنه الوعيد للكافرين به والوعد للمؤمنين، على تحقّق حصول مضمون فعل الشّرط، لا على ترقّب حصول مضمونه، لأنّه معلوم الحصول، فالماضي الواقع هنا فعلا للشّرط هنا ماض حقيقي، وليس مؤوّلا بالمستقبل، كما هو الغالب في وقوع الماضي في سياق الشّرط بقرينة كونه معلوم الحصول، وبقرينة النّفي «بلم» المعطوف على الشّرط فإنّ «لم» صريحة في المضي، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ ﴿١١٦﴾ ﴾ المائدة: ١١٦ بقرينة «قد» إذ الماضي المدخول لـ «قد» لا يقلب إلى معنى المستقبل. فالمعنى: إن تبيّن أنّ طائفة آمنوا وطائفة كفروا فيحكم الله بيننا فاصبروا حتّى يحكم"[3].

فصيغة الفعل «كَان» دلّت على المضيّ؛ لأنّها ناسبت ما ذكر في الآية من حال شعيب عليه السّلام مع قومه الّذين لم يؤمنوا به، وذلك على لسان القرآن الكريم الذّي نزل على محمّدﷺ.

---

[1]: المصدر السّابق، 111/11.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 293/2.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 249/8-250.

3- أن تكون بعد «إذا»:

وتخرج «إذا» عن المستقبل فتجِيء للماضي كما تجيء «إذ» للمستقبل في قول البعض[1]. ولقد ذكر ابن عاشور في الكثير من المواضع أنّ الفعل بعد إذا يخلّصه للاستقبال كما سيأتي لاحقا إن شاء الله، إلّا أنّه في بعض المواضع ذكر أنّها مستعملة للماضي كما أشار إليه ابن هشام في المغني[2]، وذلك في بعض النماذج نحو:

-قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ المائدة: ٩٣، يخبر الله تعالى في هذه الآية أنّه ليس هناك أيّ حرج وإثم على الّذين شربوا الخمر وماتوا على الإسلام قبل تحريمها[3].

يقول ابن عاشور: "لقد نزلت هذه الآية في تبيين حال الّذين توفّوا قبل تحريم الخمر، إذ قد عُبّر بصيغة المضيّ في قوله: «طَعِمُوا» وهو صلة لـ «ما» فتعيّن أن يكون «إذا» ظرفا للماضي، وذلك على أصحّ القولين للنّحاة، وإن كان المشهور أنّ «إذا» ظرف للمستقبل، والحق أنّ «إذا» يقع ظرفا للماضي، وهو الّذي اختاره ابن مالك ودرج عليه ابن هشام في مغني اللّبيب... وادّعى بعضهم أنّ هذه الآية نزلت في القوم الّذين حرّموا على أنفسهم اللّحوم وسلكوا طريق التّرهيب... ولم يصحّ أنّ هذا سبب نزولها. وعلى هذا التّفسير يكون «طَعِمُوا» مستعملا في المعنى المشهور وهو الأكل، وتكون كلمة «إذا» مستعملة في المستقبل، وفعل «طَعِمُوا» من التّعبير عن المستقبل بلفظ الماضي بقرينة كلمة «إذا»" [4].

ففعل «طَعِموا» جاء قبل «إذا» وليس بعدها، ولكن ابن عاشور في تعليقه على الفعل جعله متأثّرا بقرينة «إذا» وفسّر زمن الفعل «طعموا» بحسب المعنى الذّي جاءت له «إذا» في الآية ورجّح أن تكون لدلالة المضيّ، وهذا يدلّ على مراعاة ابن عاشور لسبب نزول الآية في تفسيره لصيغة الفعل «طَعِموا»؛

---

[1]: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام أبو محمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1436هـ/2015م ، 111/1.

[2]: نفسه .

[3]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص243.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 33/7-34.

لأنّها في مقام ذكر أمر المؤمنين الّذين ماتوا على الإسلام، وحدث فِعْل شربهم للخمر هنا قد مضى؛ لأنّه كان قبل نزول آية تحريمه.

– قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ المطففين: ٣٠ – ٣٢، يخبر الله سبحانه في هذه الآيات عن صفات الكفّار، حيث كانوا يسخرون من المؤمنين ويستهزؤون بهم، ويتغامزون عليهم عند مرورهم بهم احتقارا لهم وازدراء، وقد حكموا عليهم بالضّلالة وهذا افتراء على الله وتجرّؤ عليه بالقول بلا علم[1].

وقد ذكر ابن عاشور أنّ الأفعال: «مرُّوا» و«انقلبوا» و«رَأوهم» معطوفة على قوله: ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾، و«إذا» في المواضع الثّلاثة مستعملة للزّمان الماضي[2]، وهذا يعني أنّ الأفعال الثّلاثة وهي: «مرُّوا، وانقَلبُوا، ورَأَوهم» الّتي جاءت بعد «إذا» قد دلّت على المضيّ؛ لأنّها حكاية لكلام يصدر ويُقال يوم القيامة للفجّار والكفّار[3]؛ أي: أنّ الله سبحانه يخاطبهم يوم القيامة ويذكر أفعالهم الّتي كانوا يقومون بها في الدّنيا من سخرية ولمز واستهزاء بالمؤمنين.

وقد أشار ابن عاشور لهذه الدّلالة في ثلاثة مواضع آخرى عند تفسيره للآيات السّابقة وهي: قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴿٩٢﴾ ﴾ التوبة: ٩٢، وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴿١١﴾ ﴾ الجمعة: ١١، وقوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣ [4].

4– أن تكون واقعة بعد «قد»:

–قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٠، وفي هذه الآية إخبار بخسران

[1]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص916.

[2]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 210/30.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، 209/30.

[4]: المصدر نفسه، 33/7. وينظر: المصدر نفسه، 210/30.

الّذين قتلوا أولادهم –وأدوا بناتهم– في الدّنيا والآخرة، فأمّا في الدّنيا فقد خسروا أولادهم لسفههم وقلّة عقولهم، وضيّقوا عليهم في أموالهم فحرّموا ما رزقهم الله من تلقاء أنفسهم، وأمّا في الآخرة فيصيرون إلى شرّ المنازل بكذبهم على الله وافترائهم عليه[1].

يقول ابن عاشور: "تحقيق الفعل بـ «قد» للتّنبيه على أنّ خسرانهم أمر ثابت، فيفيد التّحقيق التّعجّب منهم كيف عموا عمًا هم فيه من خسرانهم"[2]؛ أي أنّها إخبار عن خسرانهم وهو من التّعجّب[3] من حالهم الّتي آلوا إليها، والتّقدير: ما أشدّ عَمَاهم لقد خسر الّذين قتلوا أولادهم...

-قوله تعالى: ﴿ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الأعراف: ٨٩، وفي هذه الآية إشارة إلى الإياس من عودة الّذين آمنوا بشعيب عليه السّلام إلى ملّة الكفّار؛ لأنّ ذلك سيكون أعظم فريّة على الله إن جعلوا له أندادا وشركاء في العبادة بعد إسلامهم[4].

ويذكر الزّمخشري أنّ جملة «قَدْ افْتَرَيْنَا» فيها وجهان: "أحدهما: أن يكون الكلام مستأنفا فيه معنى التّعجّب، كأنّهم قالوا: ما أكذبنا على الله... والثّاني: أن يكون قسما على تقدير حذف اللام، بمعنى: والله لقد افترينا على الله كذبا"[5].

يقول ابن عاشور: "واستأنف مرتقيا في الجواب، فبيّن استحالة عودهم إلى ملّة الكفر بأنّ العود إليها يستلزم كذبه فيما بلغه عن الله تعالى... والرّبط بين الشّرط وجوابه ربط التّبيين والانكشاف، لأنّه لا يصح تعليق حصول الافتراء بالعود في ملّة قومه، فإنّ الافتراء المفروض بهذا المعنى سابق متحقّق وإنّما يكشفه رجوعهم إلى ملّة قومهم، أي إن يقع عودنا في ملّتكم فقد تبيّن أنّنا افترينا على الله كذبا، فالماضي في قوله:

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 227/2. وينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص276.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 113/8.

[3]: ينظر: المحرّر الوجير: ابن عطيّة، 353/2.

[4]: ينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضّمنه من السّنة وآي الفرقان: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي وآخرون، مؤسّسة الرّسالة، بيروت/لبنان، ط1، 1427هـ/2006م، 285/9. وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 294/2.

[5]: الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط1، 1418هـ/1998م، 476/2.

«افتَرَينا» ماض حقيقي كما يقتضيه دخول «قد» عليه، وتقديمه على الشّرط لأنّه في الحالتين لا تقبله «إن» للاستقبال..."[1]، إلّا أنّ البيضاوي في تفسيره ذكر خلاف ذلك حيث يقول: "﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ شرط جوابه محذوف دليله: «قَدْ افْتَرَينَا» وهو بمعنى المستقبل لأنّه لم يقع لكنّه جعل كالواقع للمبالغة، وأدخل عليه «قد» لتقريبه من الحال؛ أي قد افترينا الآن إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها..."[2]. فالبيضاوي ذكر أنّ الفعل للدّلالة على الحال أمّا ابن عاشور فجعله للمضيّ. ورأي البيضاوي كان حسب توجيه إعراب الجملة على القسم؛ لأنّ الفعل الماضي المقرون بـ «قد» الدّالة على تقريب الماضي من الحال إذا وقع بعد القسم وصار جوابا له دلّ على الحال[3]. ورأي ابن عاشور يتطابق مع الإعراب الأوّل وهو أن تكون الجملة مستأنفة، وكلاهما يصلحان لدلالة الفعل «قد افترينا».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴿٤٠﴾﴾ التوبة: ٤٠، وهذه الآية خطاب للمؤمنين لنصرة النّبيﷺ واستجابة لدعوته للجهاد في سبيل الله، وإن لم يفعلوا ذلك فإنّ الله ناصره ومؤيّده وحافظه ومتكفّل به، فكما نصره من قبل في موضع القلّة والانفراد وكثرة العدو، فنصره إيّاه اليوم أحرى منه حينئذ[4].

يقول ابن عاشور: "فإنّ مضمون «فَقَدْ نَصَرَه الله» قد حصل في الماضي فلا يكون جوابا للشّرط الموضوع في المستقبل، فالتّقدير: إلّا تنصروه فهو غنيّ عن نصرتكم بنصر الله إيّاه إذ قد نصره في حين لم يكن معه إلّا واحد لا يكون به نصر، فكما نصره يومئذ ينصره حين لا تنصرونه..."[5]، ويقول أبو حيان: "... وجواب الشّرط محذوف تقديره: فسينصره، ويدلّ عليه «فقد نَصَرَه الله» أي: ينصره في المستقبل كما

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 8/9.

[2]: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: البيضاوي القاضي ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشّيرازي، تح: محمّد صبحي بن حسن حلّاق ومحمود محمّد الأطرش، دار الرّشيد، دمشق، بيروت، مؤسّسة الإيمان، بيروت/لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، 558/1.

[3]: ينظر: مغني اللّبيب: ابن هشام، 195/1.

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 451/2. وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص337. المحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 35/3.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 201/10.

نصره في الماضي"[1]؛ لأنّ جملة «فَقَدْ نَصَرَه الله» تعليليّة لجملة الجواب المحذوفة، وتقدير الكلام: إنْ لم تنصروه فسينصره الله لأنّه قد نَصَره في وقت ضرورة أشدّ من هذه المرّة[2].

وهذا يدلّ على أنّ الفعل «قدْ نصرَه» للدّلالة على المضي؛ لأنّ نصرة الله للرّسول ﷺ وأبي بكر الصّديق رضي الله عنه عندما كانا في الغار أثناء ملاحقة كفار قريش لهم كانت في الماضي وهي سابقة لنصرته في موضع الحث على استجابة دعوة الجهاد في سبيل الله المذكورة في الآية.

5- أن تكون صفة لما قبلها: وقد أشار ابن عاشور إلى وقوع الفعل صفة لما قبله في موضعين:

- الأوّل: قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩، فهذه الآية خطاب للرّسول ﷺ ممتنا عليه وعلى المؤمنين فيما آلان به قلبه على أمّته المتّبعين لأمره[3].

يقول ابن عاشور: "ودلّ فعل المضيّ في قوله: «لِنْت» على أنّه وصف تقرّر وعرف مِن خُلقه، وأنّ فطرته على ذلك بِرحمة من الله إذ خلقه كذلك"[4]، فالفعل «لنْت» في الآية صفة لخُلق النّبيّ ﷺ مع المؤمنين في تعامله معهم بعدما حدث في غزوة أحد، حيث حكت الآية لين الرّسول ﷺ معهم فلم يثربهم على ما صنعوه سابقا من مخالفتهم لأمره بمغادرتهم لأماكنهم الّتي أمروا أن يبقوا فيها[5].

-الآخر: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ السجدة: ٧، حيث يخبر الله سبحانه أنّه الّذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها[6].

---

[1]: البحر المحيط: أبو حيّان، 45/5.

[2]: ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: محمود صافي، دار الرّشيد، دمشق/القاهرة، مؤسّسة الإيمان، بيروت/لبنان، ط:2، 1416هـ/1995م، 343/5. وإرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السّعود محمّد بن محمّد العمادي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت/لبنان، 66/4.

[3]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 550/1.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 145/4.

[5]: ينظر: المصدر نفسه، 139/4-144.

[6]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير،570/3.

وقد أشار ابن عاشور إلى أنّ صيغة الماضي في الفعل «خلَقه» جاءت بلفظ المضي؛ لأنّها صفة لما قبلها، حيث يذكر أنّ قراءة "نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، بصيغة فعل المضي على أنّ الجملة صفة لـ «شيء» أي كلّ شيء من الموجودات الّتي خلقها وهم يعرفون كثيرا منها"[1]، فقد حكت الآية إتقان كلّ ما خلقه الله سبحانه من قبل، ولهذا ناسبها مجيء الفعل «خَلَقَه» للدّلالة على المضيّ.

6- أن تكون واقعة بعد الصّلة: وقد أشار ابن عاشور في دلالة الفعل على المضيّ إذا كان واقعا بعد الصّلة في ثلاثة مواضع:

-الأوّل: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ فصلت: ٣٥، ومعنى الآية: وما يوفّق لهذه الخصلة الحميدة وهي الدّفع بالّتي هي أحسن إلّا من صبر على الأذى الّذي يلاقيه من النّاس، ولا يوفّق لها إلّا من كان له نصيب عظيم من حسن الخلق، لكونها من أكبر خصال مكارم الأخلاق الّتي ينال بها العبد الرّفعة في الدّنيا والآخرة[2].

يقول ابن عاشور: "وجيء في الصّلة وهي ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ بالماضي للدّلالة على أنّ الصّبر خلق سابق فيهم هو العون على معاملة المسيء بالحسنى"[3]، فلا يُتَحصل على هذه الخصلة الحميدة وهي الدّفع بالّتي هي أحسن إلّا من تحلّى بخلق الصبر فيما مضى وكان سجيّة متأصّلة فيه[4].

-والثّاني: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ القصص: ٣٧، حيث عبّر عن الفعل «جاء» بفعل المضي، لأنّ المجيء بالهدى المحقّق والمزعوم أمر قد تحقّق ومضى، سواء كان الجائي به موسى عليه السّلام أم

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 215/21.

[2]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص749-750.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 295/24.

[4]: ينظر: المصدر نفسه.

آباؤهم الأوّلون وعلماؤهم[1]، فـ «مَن» اسم موصول وجملة «جاء بالهدى» صلة الموصول[2]، وعليه فإنّ الفعل «جاء» دلّ على المضيّ لوقوعه بعد الاسم الموصول.

-والآخر: في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الشورى: ٢٨، حيث يقول أنّ التّعبير بالماضي في الفعل «قَنَطُوا» للإشارة إلى حصول القنوط وتقرّره بمضي زمان عليه[3]، ومجيء الفعل «قَنَطُوا» للدّلالة على المضيّ؛ لأنّه صلة الموصول الحرفي «ما»[4].

7- إذا جاء الفعل بعد «لمّا»: ومن "أوجه لمّا أنّها تختصّ بالماضي؛ فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما، نحو: «لمّا جاءني أكرمته» ويقال فيها حرف وجود لوجود، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب... ويكون جوابها فعلا ماضيا اتّفاقا..."[5]، و«لمّا» التّي هي حرف وجوب لوجوب لا يليها إلّا ماضي اللّفظ والمعنى، أو مضارع منفيّ بـ «لم»[6]، وأشار ابن عاشور إلى هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ غافر: ٦٦، بقوله: "و(لمّا) حرف أو ظرف على خلاف بينهم، وأيّا ما كان فهي كلمة تفيد اقتران مضمون جملتين تليانها تشبهان جملتي الشّرط والجزاء، ولذلك يدعونها (لمّا) التّوقيتيّة، وحصول ذلك في الزّمن الماضي، فقوله: ﴿ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى ﴾ توقيت لنهيه عن عبادة غير الله بوقت مجيء البيّنات، أي بيّنات الوحي فيما مضى وهو يقتضي أنّ النّهي لم يكن قبل مجيء البيّنات"[7]. وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

---

[1]: المصدر السّابق، 120/20.

[2]: ينظر: بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيرًا بإيجازا: الشّيخلي بهجت عبد الواحد، مكتبة دنديس، المملكة الأردنيّة الهاشميّة/عمان، ط1، 1422هـ/2001م، 449/7.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 95/25.

[4]: ينظر: الجدول: محمود صافي، 42/13.

[5]: ينظر: مغني اللّبيب: ابن هشام، 309/1.

[6]: الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي الحسين بن قاسم، تح: فخر الدّين قباوة ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1413هـ/1992م، ص597.

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 196/24.

الزخرف: ٥٥، بقوله: "«فَلَمَّا آسَفُونَا» إيجاز لأنّ كونهم مؤسفين يتقدّم له ذكر حتّى يبنى أنّه كان سببا للانتقام منهم فدلّ إناطة أداة التّوقيت به على أنّه قد حصل"[1]؛ أي وجد الانتقام عند وجود الأسف. كما أشار بطريقة غير مباشرة لهذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ ﴿٢٣﴾ ﴾ القصص: ٢٣، بقوله: "و«لمّا» حرف توقيت وجود شيء بوجود غيره، أي عندما حلّ بأرض مدين وجد أمّة"[2].

المطلب الثّاني: دلالة الماضي على الحال.

الحال ما دلّ على زمان هو زمان إخبارك[3]، وينصرف الفعل الماضي إلى الدّلالة على الحال بالإنشاء[4] وغيره، ومن أمثلة ما علّق عليه ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلي:

1-إذا كان خاليا من القرائن: ومن النّماذج الّتي خلا فيها الفعل الماضي الدّال على الحال من القرائن ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ النحل: ١١٢، وهذا مَثَل أُرِيد به أهل مكّة فإنّها كانت آمنة مطمئنّة يجيئها رزقها هنيئا سهلا من كلّ مكان، فجحدت بنعم الله عليها وكذّبت الرّسول الّذي أرسل لها، فأذاقهم الله ضدّ ما كانوا فيه فألبسهم لباس الجوع بعد الرّغد، والخوف بعد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم[5].

حيث يقول: "والتّعبير عن ضرب المثل الواقع في حال نزول الآية بصيغة المضي للتّشويق إلى الإصغاء إليه، وهو من استعمال الماضي في الحال لتحقيق وقوعه، مثل: (أَتَى أَمْرُ الله)، أو لتقريب زمن الماضي

---

[1]: المصدر السّابق، 234/25.

[2]: المصدر نفسه، 98/20. وهذا ما أشار إليه في الآية 24 من سورة السّجدة حيث ذكر أنّ لمّا التّوقيتية هي حرف وجود لوجود، وينظر: المصدر نفسه، 238/21.

[3]: الكنّاش في فنّي النّحو والصّرف: الأيوبي، 6/2.

[4]: التّذييل والتّكميل: أبو حيّان، 110/1.

[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 736/2. وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص451.

من الحال، مثل: «قَدْ قَامَت الصَّلَاة»"[1]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ﴿٧٣﴾ ﴾ الحج: ٧٣، بقوله: "وصيغة الماضي في قوله: «ضُرب» مستعملة في تقريب زمن الماضي من الحال"[2]. وقوله أيضا: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ ﴿٢٩﴾ ﴾ الزمر: ٢٩، يقول ابن عاشور: "ومجيء فعل «ضَرَب» بصيغة الماضي مع أنّ ضرب هذا المثل ما حصل إلّا في زمن نزول هذه الآية لتقريب زمن الحال من زمن الماضي، لقصد التّشويق إلى علم هذا المثل فيجعل كالإخبار عن أمر حصل؛ لأنّ النّفوس أرغب في عمله... وفيه تنبيه على أمر محقّق الوقوع"[3].

فالفعل «ضرب» في الآيات الثلاث دلّ على الحال، حيث أخرجه السّياق الّذي نزلت فيه الآيات من الماضي إلى الحال؛ لأنّه بصدد حكاية حال أهل مكة حين جاء دين الإسلام ودُعُوا للدّخول فيه وذلك في الآية الأولى، وجيء فيها بالماضي الدّال على الحال لتشويق المخاطب الّذي يسمع الآيات وكأنّها حاصلة الآن، وذلك لأخذ العبرة بما يحدث للجاحدين والمكذّبين بالحقّ، والتّقدير: ويضْرِبُ الله مَثَلا... وفي الثّانية: خطاب للنّاس الّذين يعبدون غير الله عزّ وجلّ، والتّقدير: يا أيُّهَا النَّاس يُضْرَب مثَلٌ فاسْتَمِعوا له... وفي الثّالثة: الضّرب حدث في زمن نزول الآية والتّقدير: يَضْرِب الله مثلا. لأنّ فيه ضرب المثل للمشرك والموحّد، فضرب الأمثال في القرآن الكريم له أهميّة عظيمة في توضيح المعاني وتقريبها للأذهان حسب الغرض المراد من الآيات.

-قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ﴾ النور: ١، أي هذه سورة عظيمة القدر؛ وهذا فيه تنبيه على الاعتناء بها والعمل بأحكامها، حيث أنزلنا فيها أحكاما جليلة، وأوامر وزواجر لنبيّن لكم، ونعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون[4].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 304/14.

[2]: المصدر نفسه، 339/17.

[3]: المصدر نفسه، 399/23.

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 329/3. وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص561.

يقول ابن عاشور: "وعبّر عن إنزالها بصيغة المضي، وإنّما هو واقع في الحال باعتبار إرادة إنزالها، فكأنّه قيل: أردنا إنزالها وإبلاغها، فجعل ذلك الاعتناء كالماضي حرصا عليه. وهذا من استعمال الفعل في معنى إرادة وقوعه"[1]. وعبّر عن الفعل بصيغة الماضي، ولكن أريد به الحال؛ لأنّ الإنزال حاصل وقت نزول الآية، وتقدير الكلام: سورة نُنْزِلها...

2-إذا قصد بالفعل الإنشاء:

إنّ الإنشاء يخلّص الماضي إلى الحال، وذكر ابن عاشور ذلك في موضعين هما:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ غافر: ١١.

حيث أشار إلى أنّ الفعل الماضي «اعْتَرفنا» بمعنى الحال بقوله أنّه جاء للإنشاء، ويتّضح ذلك عندما يقول أنّ "جملة «اعتَرَفْنَا بذُنُوبنا» إنشاء إقرار بالذّنوب، ولذلك جيء فيه بالفعل الماضي كما هو غالب صيغ الخبر المستعمل في الإنشاء مثل صيغ العقود نحو: بعت. والمعنى: نَعْتَرف بذُنُوبنا"[2].

وظّفت هذه الدّلالة في سياق حكاية لقول الكفّار يوم القيامة، حيث جيء بالاعتراف على صيغة المضي وكأنّ حدوثه تحقّق في الماضي؛ إلّا أنّ حدوث الفعل حاصل حين رؤية الكفّار والمشركين العذاب الّذي وعدهم الله إيّاه في الدّنيا.

والثّاني: في الفعل «آذنّاك» في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ فصلت: ٤٧، بقوله: "وصيغة الماضي في «آذنّاك» إنشاء فهو بمعنى الحال مثل: بعت وطلّقت، أي نأذنك ونقرّك بأنّه ما منّا من شهيد"[3].

3-بعد «لمّا»: وقد ذكرنا فيما سبق أنّ من أوجه «لمّا» اختصاصها بالماضي، وهناك موضعان أشار فيهما ابن عاشور إلى دلالة الماضي على الحال بعد «لمّا» وهما:

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 142/18.
[2]: المصدر نفسه، 98/24.
[3]: ينظر: المصدر نفسه، 8/25.

الأوّل: قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ هود: ٥٨، حيث يقول: "واستعمال الماضي في قوله: «جَاءَ» بمعنى اقتراب المجيء؛ لأنّ الالتجاء كان قبل حلول العذاب"[1]؛ أي اقتراب زمن المضيّ من الحال، حيث وجدت التّنجية، بمجيء الأمر من الله سبحانه.

والثّاني: في قوله: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ مريم: ٤٩، حيث ذكر أنّ الفعل «اعتَزَل» دال على الحال[2]، حيث وجدت الهبة من الله بوجود اعتزال ما يعبد القوم من دون الله.

4-بعد «الآن»: وأشار ابن عاشور إلى دلالة الماضي على الحال في موضعين:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأنفال: ٦٦، حيث ذكر ابن عاشور أنّ «الآن» اسم ظرف للزّمان الحاضر، وأنّ الوقت المستحضر بقوله: «الآن» هو زمن نزولها. ومعنى قوله: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ ﴾أنّ التّخفيف المناسب ليسر هذا الدّين روعي في هذا الوقت ولم يراع قبله لمانع منع من مراعاته فرجّح إصلاح مجموعهم[3]. وهذا يدلّ على أنّ الفعل «خفّف» للدّلالة على الحال.

والآخر: قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ يوسف: ٥١. يقول ابن عاشور: "والآن ظرف للزّمان الحاضر. وقد تقدّم عند قوله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ ﴾... وحصحص: ثبت واستقرّ... والتّعبير بالماضي مع أنّه لم يثبت

[1]: المصدر السّابق، 103/12.
[2]: ينظر: المصدر نفسه، 122/16.
[3]: ينظر: المصدر نفسه، 70/10.

إلّا من إقرارها الّذي لم يسبق لأنّه قريب الوقوع فهو لتقريب زمن الحال من المضي. ويجوز أن يكون المراد ثبوت الحقّ بقول النّسوة ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ فيكون الماضي على حقيقته"[1].

والرّاجح عندنا هو دلالته على الحال؛ لأنّ الآن ظرف للزّمان الحاضر، وفيه إقرار من امرأة العزيز بما فعلته مع يوسف عليه السّلام حال مثولها عند الملك، و«الآن حَصْحَص» جملة مقول القول للفعل «قالت» الدّال على أنّ القول صادر منها لا من النّسوة، وتقدير الكلام: الآن يحصحص الحقّ.

5-بعد «إذا»:

والفعل الماضي مع «إذا» ينقلب للاستقبال غالبا، إلّا أنّ ابن عاشور أشار إلى دلالته على الحال بنحو ما ذكره ابن هشام في قوله أنّ «إذَا» قد تخرج عن الاستقبال فتجيء للحال، وذلك بعد القسم، نحو ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ ﴾الليل: ١ ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾النجم:١[2]، وما علّق عليه ابن عاشور في دلالة الفعل بعد «إذا» على الحال لم يقع بعد القسم وهو قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ النمل: ٨٢، حيث يقول: "والتّعبير عن وقوعه بصيغة الماضي لتقريب زمن الحال من المضي، أي أشرف وقوعه، على أنّ فعل المضي مع «إذا» ينقلب للاستقبال"[3] وهذا ما ذكره في قوله تعالى: (إِذَا قُمْتُم إلى الصَّلَاة) في دلالة الفعل «قُمْتُم» على الحال[4].

ملاحظة:

وكان ابن عاشور يذكر أكثر من غرض لمجيء الفعل بصيغة الماضي، حيث أشار إلى دلالة الفعل على الماضي وعلى الحال كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ التوبة: ٦٨، بقوله: "وفعل المضي هنا إمّا للإخبار عن وعيد تقدّم وَعَدَه الله المنافقين والمنافقات تذكيرا به لزيادة تحقيقه، وإمّا لصوغ

[1]: المصدر السّابق، 291/12.
[2]: مغني اللّبيب: ابن هشام، 111/1.
[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 38/20.
[4]: ينظر: المصدر نفسه، 133/12.

الوعيد في الصّيغة الّتي تنشأ بها العقود مثل: بعت، وهبتُ إشعارا بأنّه وعيد لا يتخلّف مثل العقد والالتزام"[1]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ التوبة: ٧٢، حيث يقول: "وفعل المضي في قوله: «وَعَدَ الله» إمّا لأنّه إخبار عن وعد تقدّم في آي القرآن قصد من الإخبار به التّذكير به لتحقيقه، وإمّا أن يكون قد صيغ هذا الوعد بلفظ المضي على طريقة صيغ العقود، مثل: بعت، وتصدّقت لكون تلك الصّيغة معهودة في الالتزام الّذي لا يتخلّف"[2].

وفي قوله: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ الليل: ١٤، حيث ذكر ابن عاشور دلالتين الأولى: دلالة الفعل على المضيّ، إذا كانت الفاء للتّفريع الذّكري حيث يكون الفعل «أنْذَرتُكم» مستعملا في ماضيه حقيقة، والثّانية: دلالة الفعل على الحال؛ إذا كانت الفاء للتّفريع المعنوي، حيث يكون فعل «أنْذَرتُكم» مرادا به الحال، وإنّما صيغ في صيغة الماضي لتقريب زمان الماضي من الحال[3].

المطلب الثّالث: دلالة الماضي على الاستقبال.

والماضي ينصرف إلى الاستقبال: بالطّلب نحو: غفر الله لك، وبالوعد نحو: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ الكوثر: ١، وبالعطف على ما عُلم استقباله نحو: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ ﴿٩٨﴾ ﴾ هود: ٩٨، وبالإخبار عن الأمور المستقبلة مع قصد القطع بوقوعها كقوله تعالى:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأعراف: ٤٤، وقوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ ﴿٧٣﴾ ﴾ الزمر: ٧٣ ، فالموضعان يدلّان على إرادة المتكلّم لوقوع الفعل قطعا، كأنّه وقع ومضى، ثمّ هو يخبر عنه. وينصرف إليه أيضا إذا كان منفيّا بـ «لا»، أو «إنْ» بعد حرف القسم نحو قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴿٤١﴾ ﴾ فاطر: ٤١؛ أي والله لئن زالتا ما

[1]: المصدر السّابق، 255/10.

[2]: المصدر نفسه، 264/10.

[3]: المصدر نفسه، 389/30.

يمسكهما، وينقلب إليه أيضا بدخول «إنْ» الشّرطيّة وما يتضمّن معناها، وبدخول «ما» النّائبة عن الظّرف المضاف، نحو: ما ذرَّ شارق؛ لتضمّنها معنى «إن»[1].

1-وقوع الفعل الماضي بعد الشّرط: ومن الشّواهد الّتي ذكرها ابن عاشور في دلالة الماضي على الاستقبال إذا جاء بعد الشّرط ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ البقرة: ١٨٠، اشتملت هذه الآية على الأمر بالوصيّة للوالدين والأقربين، لتبيين حكم المال بعد موت صاحبه، وذلك من أجل تغيير ما كانوا عليه في أوّل الإسلام من بقايا عوائد الجاهليّة[2].

يقول ابن عاشور: "وعبّر بفعل «تَرَك» وهو ماض عن معنى المستقبل أي إن يترك للتّنبيه على اقتراب المستقبل من المضي إذا أوشك أن يصير ماضيا، والمعنى: إن أوشك أن يترك خيرا، أو شارف أن يترك خيرا..."[3]، حيث تحوّلت دلالة الفعل من المضي إلى الاستقبال بقرينة الشّرط ليناسب السّياق الّذي جاءت به الآية؛ حيث إنّ الإنسان إذا شارف على الموت وأحسّ بظهور أسبابه وعلاماته، عليه أن يترك وصيّة للورثة من بعده.

-قوله تعالى: ﴿ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ ﴿٨٩﴾ ﴾ الأعراف: ٨٩، يقول ابن عاشور: "أمّا الماضي الواقع شرطا لـ «إن» في قوله:(إنْ عُدْنَا) فهو بمعنى المستقبل؛ لأنّ «إن» تقلب الماضي للمستقبل عكس «لم»"[4]،

---

[1]: شرح الرّضي على الكافيّة: رضي الدّين الاستراباذي، تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1996م، 12/4-13. وينظر: التّذييل والتّكميل: أبو حيّان، 110/1. وشرح التّسهيل: ابن مالك، 30/1. وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر السّيوطي، تح: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1418هـ/1998م ، 37/1.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 291/1. وينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 145/2.

[3]: التّحرير والتّنوير، 147/2.

[4]: المصدر نفسه، 8/9.

وتقدير الكلام: إنْ نَعود في ملّتكم، فـ «إنْ عُدْنَا» "إخبار مقيّد من حيث المعنى بالشّرط. وجواب الشّرط محذوف من حيث الصّناعة وتقديره: إنْ عُدْنَا في ملّتِكم فقد افتَرَينا"[1].

-قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الروم: ٥١، يخبر الله تعالى عن حال الخلق، حيث يقول أنّه لو أرسلنا على هذا النّبات النّاشئ عن المطر ريحا مضرّة متلفة فرأوا زروعهم قد تداعت إلى التّلف؛ لنَسُوا النّعم الماضية عليهم بإحياء الأرض بعد موتها وبادروا إلى الكفر[2].

فالأفعال الثّلاثة «أرْسَلْنَا، رَأَوه، ظَلُّوا» جاءت بصيغة الماضي، يقول ابن عاشور: "واعلم أنّ الإتيان بالأفعال الثّلاثة ماضية؛ لأنّ وقوعها في سياق الشّرط يمحّضها للاستقبال، فأوثرت صيغة المضي لأنّها أخفّ والمتكلّم مخيّر في اجتلاب أي الصّيغتين مع الشّرط"[3].

فالأفعال «تَرَك، وعُدْنَا، وأرْسَلْنَا، ورَأَوه، وظَلُّوا» في الآيات السّابقة جاءت بصيغة الماضي، إلّا أنّ السّياق القرآني أخرجها من دلالتها على المضي إلى الاستقبال بقرينة الشّرط، فالملاحظ في الآية الأولى أنّه ذُكر فيها الحديث عمّن يترك مالا بعد وفاته، حيث أمِر بكتابة الوصيّة عندما يشعر بأمارات الموت تقترب منه، وهذه الوصيّة يطبّق ما جاء فيها في المستقبل بعد موت صاحب المال، والآية الثّانية ذُكر فيها أنّه لا يصحّ لهم أنْ يرجعوا إلى ملّة الكفر في المستقبل بعد أن نجّاهم الله منها ومنّ عليهم بالإسلام وسلامة المعتقد، والآية الثالثة فيها مناسبة للآيات السّابقة الّتي تُذَكِّر بنعم الله سبحانه وقد جاءت أفعالها بصيغة المضارع في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ الروم: ٤٨ – ٥٠، أي لو أرسلنا في المستقبل الرّياح على النّعم الّتي أنعمنا بها عليهم سابقا لعادوا للكفر، وهذا فيه تنبيه "على أنّ الكفر مطبوع

[1]: البحر المحيط: أبو حيّان، 345/4.

[2]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص244.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 125/21.

في نفوسهم بحيث يعاودهم بأدنى سبب فهم إذا أصابتهم النّعمة استبشروا ولم يشكروا، وإذا أصابتهم البأساء أسرعوا إلى الكفر"[1].

وقد علّق ابن عاشور على دلالة الماضي على الاستقبال بقرينة الشّرط في مواضع أخرى منها قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ البقرة: ٢١٥، حيث ذكر أنّ فعل «أنفقتم» مراد به الاستقبال كما هو مقتضى الشّرط، وعبّر بالماضي لإظهار الرّغبة في حصول الشّرط، فينزل كالحاصل المتقرّر[2]. وفي قوله تعالى:﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنفال: ١٩، والتّعبير بالفعل الماضي في جواب الشّرط للتّنبيه على تحقيق وقوعه[3].

2-الإخبار عن الأمور المستقبلة قصد القطع بوقوعها[4]:

ذكر ابن الأثير أنّ الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الّذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأَوْكد في تحقيق الفعل وإيجاده، لأنّ الفعل الماضي يُعطَى من المعنى أنّه قد كان ووجِد، وإنّما يفعل ذلك إذا كان الفعل للمستقبل من الأشياء العظيمة الّتي يستعظم وجودها، والغرض من الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل تبيين هيئة الفعل، واستحضار صورته، ليكون السّامع كأنّه يشاهدها[5]. ومن النّماذج الّتي علّق عليها ابن عاشور في هذا المعنى ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ البقرة: ٢١٠، وفي هذه الآية وعيد شديد وتهديد من الله تعالى للكافرين في يوم القيامة[6].

---

[1]: المصدر السّابق، 124/21.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 218/2.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، 300/9.

[4]: ينظر: دلالة الزّمن في القرآن الكريم: الأمين بوخاري، ص22.

[5]: ينظر: المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر: ابن الأثير ضياء الدّين، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، القاهرة، ط2، 185/2.

[6]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 339/1. وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص94.

فالفعل «قُضِي» في الآية جاء بصيغة الماضي، يقول ابن عاشور: "وقوله: (وقُضِي الأَمْرُ) إمّا عطف على جملة (هل ينظرون) إنْ كانت خبرا على المخبر عنهم والفعل الماضي هنا مراد منه المستقبل، ولكنّه أتى فيه بالماضي تنبيها على تحقيق وقوعه أو قرب وقوعه، والمعنى: ما ينتظرون إلّا أن يأتيهم الله وسوف يُقضَى... وإمّا عطف على جملة (هل ينظرون) وعيدا ووعدا والفعل كذلك للاستقبال... وإمّا جملة حاليّة والماضي على أصله وحذفت قد، سواء كانت جملة (هل ينظرون) خبرا أو وعدا ووعيدا..."[1].

والرّاجح عندنا هو دلالة الفعل على الاستقبال؛ لأنّه يناسب تفسير الآية ومعناها العام، فالفعل «قُضي» جاء بصيغة الماضي، لكنّ السّياق حمله على الاستقبال؛ لأنّ في الآية إخبارا عن أمور مستقبلة لم تقع بعد؛ لأنّ انقضاء أمر الخلق والقضاء بينهم بيد الله سبحانه ولا يكون ذلك إلّا عند قيام السّاعة بدليل ما بعده في قوله: (وإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُور).

-قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ النمل: ٨٧، يخبر الله تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصّور[2].

يقول ابن عاشور: "فجيء بصيغة الماضي في قوله: (فَفَزِع) مع أنّ النّفخ مستقبل، لإشعار بتحقّق الفزع، وأنّه واقع لا محالة... لأنّ المضي يستلزم التّحقّق، فصيغة المضي كناية عن التّحقّق، وقرينة الاستقبال ظاهرة من المضارع في قوله: (يُنْفَخ)"[3].

وهذا المعنى في الفعل ذكره أبو حيّان بقوله: "وعُبّر هنا بالماضي في قوله(فَفَزِع) وإن كان لم يقع إشعارا بصحّة وقوعه وأنّه كائن لا محالة، وهذه فائدة وضع الماضي موضع المستقبل"[4]. فالفعل «فزع» جاء بلفظ الماضي بعد قوله: ينفخ -وهو مستقبل- للإشعار بتحقيق الفزع، وأنّه كائن لا محالة، لإنّ الفعل الماضي يدلّ على وجود الفعل، وكونه مقطوعا به[5]. فمجيء الفعل بصيغة المضي المراد بها الاستقبال

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 287/2.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 473/3.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 46/20.

[4]: البحر المحيط: محمّد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد عوض، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، 93/7.

[5]: ينظر: المثل السّائر: ابن الأثير، 185/2.

لتبيين هيئة نفخة الفزع الّتي وكّل بها الملك إسرافيل عليه السّلام في الصّور واستحضار تلك الصّورة العظيمة الدّالة على قيام السّاعة وكأنّها مشاهدة للسّامع.

ملاحظات:

وقد ذُكرت الكثير من النّماذج في هذه الدّلالة منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٨، حيث يقول ابن عاشور: "ومجيء القول بصيغة الماضي: للتّنبيه على تحقيق وقوعه وهو مستقبل بقرينة قوله:﴿ نَحشرهم ﴾كما تقدّم. وإسناده إلى الغائب نظر لما وقع في كلام الأولياء: ﴿ ربّنا استمتع ﴾"[1]، وهذا فيه تبيين لقول الله سبحانه للجنّ والإنس يوم القيامة، ووعيده لهم بعذاب النّار جزاء أعمالهم، حيث استُحضِرت تلك الصورة وكأنّها مشاهدة للسّامع للاعتبار والاتّعاظ. وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ يونس: ٥٤، وعبّر بالإسرار المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه حتّى كأنّه قد مضى والمعنى: ويسرّون النّدامة قطعا، وكذلك قوله: (وقُضي بَيْنَهم)[2]، فالإسرار والقضاء يحدث يوم القيامة عند رؤية العذاب الّذي وعد الله به المشركين. وفي قوله: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴿٤٣﴾ ﴾ الأعراف: ٤٣، والتّعبير عن المستقبل في الفعل «نَزَعْنَا» بلفظ الماضي للتّنبيه على تحقيق وقوعه، أي: وينزِع ما في صدُورِهم من غلّ، وهو تعبير معروف في القرآن كقوله: (أتَى أمْرُ الله)[3]، والتّعبير بالماضي أيضا في «قَالُوا» مراد به المستقبل أيضا كما في قوله: (ونَزَعْنَا) وهذا القول يحتمل أن يكونوا يقولونه في خاصّتهم ونفوسهم، على معنى التّقرّب إلى الله بحمده، ويحتمل أن يكونوا يقولونه بينهم في مجامعهم[4]، فالأفعال جاءت للدّلالة على الإخبار عن أمور مستقبلة حدثت للمؤمنين عند رؤيتهم للجنّة، ومجيئها بصيغة الماضي أبلغ وأوكد في تحقيقها، وذلك لتبيين هيئة النّزع والقول واستحضار صورتهما في الذّهن؛ فنزع الغلّ والبغضاء

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 70/8.

[2]: المصدر نفسه، 197/11-198.

[3]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 131/8.

[4]: المصدر نفسه، 132/8.

من قلوبهم من تمام نعيمهم في الجنّة، ثمّ أتبع ذلك قولهم معترفين بنعم الله عليهم وحمدهم على أن وفّقهم إلى العمل الصّالح لينالوا به هذه الدّرجة في الجنّة.

وفي قوله أيضا: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يونس: ٥٢، وصيغة المضي في الفعل «قِيل» مستعملة في معنى المستقبل تنبيها على تحقيق وقوعه مثل قوله: (أتَى أَمْرُ الله)[1]، أي: أنّ حدث القول واقع في المستقبل؛ لأنّ أهل المعاصي يذوقون العذاب الدّائم في الآخرة، ومجيء الفعل بصيغة الماضي دلّ على تحقيق وقوعه، بالإضافة إلى ما فيها من موعظة وحكمة بالغة وهي زجر النّفس عن المعاصي الّتي تؤدي إلى التّخليد في عذاب جهنّم. وفي قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٤، يقول ابن عاشور: "وعلى الوجهين فصيغة المضي في فعل «لعَن» مستعملة في تحقيق الوقوع، شبّه المحقّق حصوله بالفعل الّذي حصل فاستعير له صيغة الماضي مثل (أَتَى أَمْرُ الله) لأنّ اللّعن إنّما يقع في الآخرة وهو مستقبل"[2]. وفي الآية 58 من سورة هود عليه السّلام وهي قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ بقوله: "والتّقدير وأيضا نجّيناهم من عذاب شديد وهو الإنجاء من عذاب الآخرة وهو العذاب الغليظ... واستعمال الماضي في «نجّيناهم» في معنى المستقبل لتحقيق الوعد بوقوعه"[3].

وفي مواضع أخرى لم يذكر دلالة الماضي على الاستقبال واكتفى بالإشارة إليه بقوله: للتّنبية على تحقيق وقوع الفعل وحدها، أو باقترانها بمجيء صيغة الماضي بدل المضارع كما في قوله: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ هود: ٩٨، حيث ذكر أنّ صيغة الماضي في الفعل «فَأَورَدَهُم» "للتّنبيه على تحقيق وقوع ذلك الإيراد، وإلّا فقرينته قوله: (يَومَ القِيَامَة) تدلّ على أنّه لم يقع في الماضي"[4]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴿٢١﴾ ﴾ إبراهيم: ٢١، في قوله: «بَرَزَوا» حيث

[1]: المصدر السّابق، 195/11.

[2]: المصدر نفسه، 115/22.

[3]: المصدر نفسه، 104/12.

[4]: المصدر نفسه، 156/12.

ذكر أنّه عُدل عن المضارع إلى الماضي للتّنبيه على تحقيق وقوعه حتّى كأنّه قد وقع[1]. وفي قوله: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ ﴾ النبأ: ١٩، بقوله: "والتّعبير بالفعل الماضي على هذا الوجه لتحقيق وقوع هذا التّفتيح حتّى كأنّه قد مضى وقوعه"[2].

3-الفعل مع «قد»: وتختصّ بالفعل، حيث تدخل على الماضي بشرط أن يكون متصرّفا، وهي حرف تحقيق إذا دخلت على الماضي، وقيل أنّها حرف تقريب مع الماضي؛ أي تقريب الماضي من الحال، والحاصل أنّها تفيد مع الماضي ثلاثة معان: التّحقيق، والتّقريب، والتّوقّع[3].

وأشار ابن عاشور إلى بعض المواضع الّتي تتصّل فيها «قدْ» بالفعل الماضي وتخلّصه للاستقبال، حيث ذُكِر أنّ من معانيها التّوقّع مع الماضي، ومعلوم أنّ التّوقّع كما قيل يكون في المضارع أيضا كما سنتطرّق إليه لاحقا إن شاء الله في مبحث الفعل المضارع، ومعنى التّوقّع في «قدْ» يصرف الفعل للاستقبال. "قال الخليل: يُقال قدْ فعَل القوم ينتظرون الخبر، ومنه قول المؤذّن: قد قامت الصّلاة، لأنّ الجماعة منتظرون لذلك... وفي التّنزيل: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا ﴿١﴾ ﴾ المجادلة: ١، لأنّها كانت تتوقّع إجابة الله سبحانه وتعالى لدعائها"[4]، ومن النّماذج الّتي علّق عليها ابن عاشور ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۖ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥، فالتّعبير "بالماضي في قوله: (قد جَاءَتْكُم) مراد به المستقبل القريب، تنبيها على تحقيق وقوعه..."[5].

-وقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ يونس: ٨٩، و"افتتاح الجملة بـ «قد» والفعل الماضي يفيد تحقيق الحصول في

---

[1]: المصدر السّابق، 215/13.

[2]: المصدر نفسه، 32/30.

[3]: ينظر: الجنى الداني: المرادي، ص254-255-259.

[4]: ينظر: مغني اللّبيب: ابن هشام، 193/1. وهمع الهوامع: السّيوطي، 494/2.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 241/8.

المستقبل، فشبّه بالمضي... ومعنى إجابة الدّعوة إعطاء ما سأله موسى ربّه أن سلب من فرعون وملئه النّعم، ويوالي عليهم المصائب حتّى يسأموا مقاومة دعوة موسى عليه السّلام..."[1].

4-الفعل مع «لو» الشّرطيّة:

إنّ الغالب في استعمال «لو» لما هو ماض في المعنى، وإن وقع بعدها الماضي أوّل بالمستقبل يقول ابن مالك:

لَوْ حَرْفُ شَرْطٍ فِي مُضِيٍّ ويَقِلْ إِيلَاؤُهَا مُسْتَقْبَلًا لكِنْ قُبِلْ[2].

إلّا أنّ ابن عاشور ذكر في موضع واحد أنّ الفعل بعد «لو» يقع لما هو مستقبل في المعنى، وهذا قليل في استعمالها وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾المؤمنون: ٧٥، حيث يقول: "و«لو» هنا داخلة على الفعل الماضي المراد منه الاستقبال بقرينة المقام إذ المقام للإنذار والتّأييس من الإغاثة عند نزول العذاب الموعود به، وليس مقام اعتذار من الله عن عدم استجابته لهم... وأمّا مجيء الفعل بصيغة المضي فذلك مراعاة لما شاع في الكلام من مقارنة «لو» لصيغة الحاضر، لأنّ أصلها تدلّ على الامتناع في الماضي، ولذلك كان الأصل عدم جزم الفعل بعدها"[3]؛ وعلى هذا تكون «لو»: حرف شرط غير جازم، ورحمناهم: هو فعل الشّرط.

5-الفعل الماضي بعد «إذا»:

[1]: المصدر السّابق، 272/11.

[2]: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: بهاء الدّين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الطّلائع، القاهرة، 2009م، 4/22-23. وينظر: دليل السّالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم، 1416هـ، 3/72-73.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 99/18.

والغالب في «إذَا» أن تكون ظرفا للمستقبل مضمّنة معنى الشّرط، وتختصّ بالدّخول على الجملة الفعليّة، وغالبا ما يكون الفعل بعدها ماضيا[1]؛ فقد كثُر مجيء الماضي بعدها مرادا به الاستقبال[2]. وعلّق ابن عاشور على دلالة الفعل الماضي على الاستقبال إذا جاء مع «إذَا» فيما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ النساء: ٦٢، في هذه الآية تبيين لحال المنافقين إذا حدثت لهم المصائب بسبب ما ارتكبوه من معاص كالاحتكام للطّاغوت بدل الاحتكام لشرع الله[3].

يقول ابن عاشور: "وهذا وعيد لأنّ «إذا» للمستقبل، والفعلان بعدها: وهما: «أصابتهم» و«جاءوك» مستقبلان"[4].

- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ الأعراف: ١٣١، فالفعل «جَاءَتهُم» جاء بصيغة الماضي للدّلالة على الاستقبال يقول ابن عاشور: "وجيء في جانب الحسنة بإذا الشّرطيّة لأنّ الغالب في «إذا» الدّلالة على اليقين بوقوع الشّرط أو ما يقرب من اليقين... ولذلك غلب أن يكون فعل الشّرط مع «إذا» فعلا ماضيا لكون الماضي أقرب إلى اليقين في حصول المستقبل"[5].

- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ النازعات: ٣٤، يقول ابن عاشور: "وإذا ظرف للمستقبل فلذلك إذا وقع بعد الفعل الماضي صرف إلى الاستقبال، وإنّما يُؤتى بعد «إذا» بفعل المضي لزيادة تحقيق ما يفيده «إذا» من تحقّق الوقوع"[6].

ملاحظة:

---

[1]: مغني اللّبيب: ابن هشام، 108/1. وينظر: كتاب الأزهية في علم الحروف: الهروي علي بن محمّد النّحوي، تح: عبد المعين الملّوحي، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ط2، 1413هـ/1993م، ص202-204.

[2]: مغني اللّبيب: ابن هشام، 108/1. وينظر: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1408. والجنى الدّاني: المرادي، ص367.

[3]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص184.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 107/5.

[5]: المصدر نفسه، 64/9.

[6]: المصدر نفسه، 89/30.

وقد كان ابن عاشور يجعل الفعل متأثرا بـ «إذا» في دلالته الزّمنية وإن لم يكن بعدها مباشرة كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ الإسراء: ٥، حيث ذكر أنّ صيغة المضي في الفعل «جَاسُوا» تدلّ على المستقبل؛ لأنّ «إذا» ظرف لما يستقبل، وجيء به بصيغة المضي لتحقيق وقوع ذلك، والمعنى: نبعثُ عليكُم عبادا لنا فيجوسون[1].

6-بعد «لمّا»:

ولقد ذكرنا سابقا أنّ من أوجه لمّا اختصاصها بالماضي، فتقتضي جملتين وجدت ثانيتها عند وجود أولاها[2]، وتسمّى لمّا التّعليقيّة، وهي عند سيبويه حرف تدلّ على ربط جملة بأخرى ربط السّببيّة، وهي حرف وجوب لوجوب، ويقول بعضهم: أنّها حرف وجود لوجود، أمّا ابن السّراج وابن حنّي، والفارسي، يرون أنّها ظرف زمان بمعنى حين، والصّحيح ما ذهب إليه سيبويه[3]، ولمّا الّتي بمعنى إلّا لا يليها إلّا ماضي اللّفظ مستقبل المعنى[4].

وعلّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ الشورى: ٤٤، حيث يقول: "ومجيء فعل «رَأَوا» بصيغة الماضي للتّنبيه على تحقيق وقوعه، فالمضي مستعار للاستقبال، تشبيها للمستقبل بالماضي في التّحقّق والقرينة فعل «تَرَى» الّذي هو مستقبل، إذ ليست الرّؤية المذكورة بحاصلة في الحال فكأنّه قيل: لمّا يرون العذاب"[5].

7-الفعل بعد «كلّما»: وقد ذُكِر أنّ «كلّما» لا يليها إلّا فعل ماضي اللّفظ[6]. حيث علّق ابن عاشور على دلالة الفعل بعد «كلّما» في موضع واحد وهو:

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 15/31-32.

[2]: مغني اللبيب: ابن هشام، 1/309.

[3]: ينظر: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1896-1897. وينظر: الجنى الدّاني: المرادي، ص594.

[4]: ينظر: الجنى الدّاني، ص597.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 25/125.

[6]: ينظر: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1890.

قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ الملك: ٨، يقول ابن عاشور: "وجيء بفعلي «أُلْقي» و «سَأَلَهم» ماضيين لأنّ أكثر ما يقع بعد كُلَّمَا أن يكون بصيغة المضي، بأنّها لمّا شابهت الشّرط، استوى الماضي والمضارع معها لظهور أنّه للزّمن المستقبل فأوثر فعل المضي لأنّه أخفّ"[1]، ومجيء الفعل بعد «كلّما» للدّلالة على الاستقبال؛ لأنّ فيها توبيخ خزنة جهنّم لأهل النّار الّذين استحقّوا الدّخول لها رغم تحذير الرّسل لهم منها[2]، وهذا يكون في المستقبل عند يوم الحساب.

8- الفعل بعد «إذ»: وأشار ابن عاشور لهذه الدّلالة في الفعل «تبرَّأ» الواقع بعد «إذ» في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ البقرة: ١٦٦، حيث يقول: "وجيء بالفعل بعد «إذ» هنا ماضيا مع أنّه مستقبل في المعنى لأنّه إنّما يحصل في الآخرة تنبيها على تحقّق وقوعه، فإن درجت على أنّ «إذ» لا تخرج عن كونها ظرفا للماضي على رأي جمهور النّحاة فهي واقعة موقع التّحقيق مثل الفعل الماضي... وإن درجت على أنّها ترد ظرفا للمستقبل وهو الأصح ونسبه في التّسهيل إلى بعض النّحاة، وله شواهد كثيرة في القرآن..."[3]، حيث ذكر ابن عاشور أنّ «إذ» تكون ظرفا للماضي والمستقبل، ورجّح في هذه الآية أن تكون للمستقبل؛ لأنّها تناسب السّياق الّذي وردت فيه.

9- الفعل بعد «إنْ» الشّرطيّة: وذكر ابن عاشور ذلك في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ ﴿١٨٠﴾ ﴾ البقرة: ١٨٠، بقوله: "وعبّر بفعل «تَرك» وهو ماض عن معنى المستقبل أي: إنْ يترك، للتّنبيه على اقتراب المستقبل من المضي"[4].

ملاحظة:

ذكر ابن عاشور الكثير من المواضع الّتي أتى فيها الفعل بصيغة الماضي للدّلالة على الاستقبال كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 25/29.

[2]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص876.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 96/2.

[4]: المصدر نفسه، 147/2.

بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأعراف: ٨٦، والتّعبير بقوله: (من آمن به) عوضا عن المضارع، حيث المراد بمن آمن قاصد الإيمان، فالتّعبير عنه بالماضي لتحقيق عزم القاصد على الإيمان، فهو لولا يصدّونه لكان قد آمن[1]. وقوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ﴿٢٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠، حيث يقول: "وجيء بصيغة الماضي في قوله: «أَأَسْلَمْتُم» دون أن يقول: «أتُسْلِمُون» على خلاف مقتضى الظّاهر، للتّنبيه على أنّه يرجو تحقّق إسلامهم حتّى يكون كالحاصل في الماضي"[2].

وقد كان ابن عاشور يذكر في بعض المواضع معنيين لصيغة الفعل الماضي كما في الفعل «أَصَاب»، حيث ذكر له دلالتين، الأولى: الدّلالة على الحال، والثّانية: الدّلالة على الاستقبال وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾ هود: ٨١، بقوله: واستعمال فعل المضي في معنى الحال، ومقتضى الظّاهر أن يقال: ما يُصِيبُهُم، فاستعمال فعل المضي لتقريب زمن الماضي من الحال نحو قوله تعالى: (إِذَا قُمْتُم إلى الصَّلاة)، أو على معنى الاستقبال تنبيها على تحقّق وقوعه نحو قوله تعالى: (أتَى أَمْرُ الله)[3]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ البقرة: ٦٢، حيث ذكر أنّ الفعل «آمَن» يأتي للدّلالة على الاستقبال، أو المضيّ بقوله: :ويكون معنى الكلام على الاستقبال لوقوع الفعل الماضي في حيز الشّرط؛ أي من يُؤمن بالله ويعمل صالحا فله أجره، ويكون المقصود منه فتح باب الإنابة لهم بعد أن قُرّعوا بالقوارع السّالفة... ويجوز أن تكون من موصولة... والفعل الماضي حينئذ باق على المضيّ لأنّه ليس ثمّة ما

[1]: ينظر: المصدر السّابق، القسم الثّاني، 247/8.

[2]: المصدر نفسه، 202/3.

[3]: المصدر نفسه، 133/12.

يخلّصه للاستقبال..."[1]. وقد ذكر ابن عاشور هنا معنيين لدلالة الفعل الماضي «جِئتُمُونا» وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الأنعام: ٩٤، حيث يقول:" ... وعلى احتمال أن يكون «غمرات الموت» حقيقة؛ أي حين النّزع يكون فعل «جِئتُمُونا» من التّعبير بالماضي عن المستقبل القريب، مثل: قد قامت الصّلاة، فإنّهم حينئذ قاربوا أن يرجِعوا إلى محض تصرُّف الله فيهم. وإن كان القول المقدّر قول الملائكة وجملة «ولقد جِئتمونا» عطف على جملة «ولو ترى إذ الظالمون» فانتقل الكلام من خطاب المعتبرين مجال الظّالمين إلى خطاب الظّالمين أنفسهم بوعيدهم بما سيقول لهم يومئذ. فعلى الوجه الأوّل يكون «جئتمونا» حقيقة في الماضي لأنّهم حينها يقال لهم هذا القول قد حصل منهم المجيء بين يدي الله، وقد للتّحقيق. وعلى الوجه الثّاني يكون الماضي معبّرا به عن المستقبل تنبيها على تحقيق وقوعه، وتكون قد ترشيحا للاستعارة. وإخبارهم بأنّهم جاءوا ليس المراد به ظاهر الإخبار؛ لأنّ مجيئهم معلوم لهم ولمنّه مستعمل في تخطئتهم وتوقيفهم على صدق ما كانوا يُنذَرُون به على لسان الرّسول ﷺ فينكرونه وهو الرّجوع إلى الحياة بعد الموت"[2].

وذكر في موضع آخر أنّه يصح أن يكون الفعل الماضي دالّا على المضي والاستقبال معا كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ﴾ عبس: ٢١، حيث يقول: "فصيغة الماضي في «أماته» مستعملة في حقيقته وهو موت من مات، ومجازه وهو موت من سيموتون لأنّ موتهم في المستقبل محقّق"[3].

تنبيه:

وقد ذكر ابن عاشور في موضع واحد أنّ الفعل الماضي يدلّ على الأمر وذلك في قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الصافات: ١٢، حيث يقول: "وفعل المضي مستعمل في معنى الأمر، وهو من استعمال الخبر في معنى الطّلب والمبالغة، كما يستعمل الخبر في إنشاء صيغ العقود نحو: بعت. والمعنى: اعْجَب لهم"[4]. وهذا ما لم أجده عند غيره من المفسّرين وعلماء الصّرف.

---

[1]: المصدر السّابق، 538/1.

[2]: المصدر نفسه، 381/7-382.

[3]: المصدر نفسه، 124/30.

[4]: المصدر نفسه، 96/23.

المبحث الثّاني: الفعل المضارع.

الفعل المضارع ما دلّ على زمان بعد زمانك[1]، وهو القسم الّذي يضارع الأسماء* مضارعة تامّة[2]. ويشتقّ من الفعل الماضي بزيادة حرف من أحرف المضارعة الأربعة في أوّله والمجموعة في كلمة: (أَنَيْت)[3]، وتدخل عليه بعض العوامل فتحوّل زمنه إلى زمن آخر؛ وهذه العوامل منها ما يخلّصه للمضيّ، ومنها ما يخلّصه للحال، ومنها ما يخلّصه للاستقبال، وقد ذكر أبو حيّان في شرح التّسهيل أنّ المضارع إذا نُفِي بـ «لا» صلح مع وجودها للحال والاستقبال، خلافا لمن خصّها بالمستقبل؛ والّذي اختاره المصنّف هو مذهب الأخفش والمبرّد، أمّا من خصّها بالاستقبال فهو الزّمخشري وغيره من المتأخّرين[4].

المطلب الأوّل: المضارع الدّال على الماضي:

وينصرف المضارع إلى معنى المضي إذا اقترن بـ «بلم، ولمّا» الجازمتين النّافيتين؛ لأنّهما تختصّان بالفعل المضارع وتقلبان معناه إلى المضي، ولو الشّرطيّة غالبا، وبإذْ، وربَّما؛ فإنّهما موضوعان للماضي، وقدْ في بعض المواضع"[5]، وأن يكون خبرا لكان[6]. وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلي:

1-إذا كان الفعل مقترنا بـ «لم» و«لمّا»: وممّا ذكره ابن عاشور في هذا الموضع ما يلي:

-قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾ الأعراف: ١٦٩، في هذه الآية إنكار الله سبحانه صنيع أهل التّوراة؛ لأنّهم حرّفوا كتاب الله، وحكموا بغير ما أنزل الله[7].

---

[1]: ينظر: الكنّاش في فنّي النّحو والصّرف: الأيوبي، 6/2.

*: ونقصد به اسم الفاعل وليس الأسماء عامّة؛ لأنّ الفعل المضارع أعرب لمشابهته اسم الفاعل.

[2]: ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، 208/4.

[3]: ينظر: شرح ألفية ابن مالك: ابن عقيل، 143/4.

[4]: التّذييل والتّكميل: أبو حيّان، 86/1.

[5]: المصدر نفسه، 102/1. وينظر: شرح ابن عقيل على الألفية: ابن عقيل، 14/4. شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 29/4. همع الهوامع: السّيوطي، 35/1 و126/2. مغني اللّبيب: ابن هشام، 305/1-307.

[6]: ينظر: الصّفوة الصّفيّة: النّيلي، 167/1.

[7]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 328/2.

فقد ذكر ابن عاشور أنّ فعل «دَرَسُوا» عطف على «يُؤخَذ»، لأنّ «يُؤخَذ» في معنى المضي، لأجل دخول «لم» عليه، والتّقدير: ألم يُؤخَذ ويَدرُسُوا؛ لأنّ المقصود تقريرهم بأنّهم درسوا الكتاب لا الإخبار عنهم، والمعنى أنّهم قد أُخِذ عليهم الميثاق بأن لا يقولوا على الله إلّا الحقّ، وهم عالمون بذلك الميثاق؛ لأنّهم درسوا ما في الكتاب فبمجموع الأمرين قامت عليهم الحجّة[1]. وهنا ذكر ابن عاشور دلالة الفعل «يُؤخَذ» عندما أشار إلى دلالة الفعل «دَرَسُوا»، حيث ذكر أنّ الفعل المضارع «يُؤخَذ» جاء للدّلالة بقرينة دخول «لم» عليه.

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ النحل: ١٢٠، يمدح الله سبحانه وتعالى رسوله وخليله إبراهيم عليه السّلام ويبرّئه من المشركين[2].

يقول ابن عاشور: "ونفي كونه من المشركين بحرف «لم» لأنّ «لم» تقلب زمن الفعل المضارع إلى المضي، فتفيد انتفاء مادة الفعل في الزّمن الماضي، وتفيد تجدّد ذلك المنفي الّذي هو من خصائص الفعل المضارع فيحصل معنيان: انتفاء مدلول الفعل بمادّته، وتجدّد الانتفاء بصيغته..."[3].

وهذا يدلّ على أنّ صيغة المضارع مع قرينة «لم» أفادت: أنّ إبراهيم عليه السّلام لم يكن في الماضي من المشركين، ولن يكون منهم أبدا؛ لأنّه مديم على طاعة ربّه، منحرف ومائل عن الأديان كلّها إلى الإسلام والتّوحيد.

-قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ غافر: ٢١، في هذه الآية خطاب للمشركين المكذّبين برسالة محمّد ﷺ وعدم اعتبارهم بنهاية الأمم المكذّبة بالمرسلين من قبلهم، وما حلّ بهم من العذاب والعقاب[4].

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 163/9.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 738/2.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 316/14-317 .

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 98/4.

حيث يقول: "والمضارع الواقع بعد «لم» والمضارع الواقع في جوابه منقلبان إلى المضي بواسطة «لم»... والاستفهام الدّاخل على نفي الماضي بحرف «لم» استفهام تقريري، والتّقرير موجّه للّذين ساروا من قريش ونظروا آثار الأمم الّذين أبادهم الله جزاء تكذيبهم رسلهم"[1].

-قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾ عبس: ٢٣، يقول ابن عاشور: "و«لمّا» حرف نفي يدلّ على نفي الفعل في الماضي مثل «لم» ويزيد بالدّلالة على استمرار النّفي إلى وقت التّكلّم كقوله تعالى: (ولَمَّا يَدْخُل الإيمَانُ فِي قُلُوبِكم). والمقصود أنّه مستمرّ على عدم قضاء ما أمره الله ممّا دعاه إليه"[2].

وقد ذكر ابن عاشور دلالة الفعل المضارع على المضيّ إذا اقترن بـ «لم» في مواضع أخرى منها: قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ غافر: ٥٠، حيث يقول: "وزيادة فعل الكون في ﴿ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ ﴾ للدّلالة على أنّ مجيء الرّسل إلى الأمم أمر مقرّر محقّق، لما يدّ عليه فعل الكون من الوجود بمعنى التّحقّق، وأمّا الدّلالة على أنّ فعل الإتيان كان في الزّمن الماضي فهو مستفاد من «لم» النّافية في الماضي"[3]. وفي قوله: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ ﴾ النبأ: ٦، بقوله: "فخلقناكم عطف على «ألم نجْعَل» وإن كان فعلا مضارعا فدخول «لم» عليه صيّره في معنى الماضي ما هو مقرّر من أنّ «لم» تقلب معنى المضارع إلى الماضي فلذلك حسن عطف «خَلَقْنَاكُم» على «ألم نَجْعَل» والكلّ تقرير على شيء مضى"[4]. وفي قوله: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ ﴾ الشرح: ١، حيث ذكر أنّ الفعل المضارع دالّ على الماضي لدخول «لم» عليه حيث قلبت زمن الحال إلى المضي[5]. قوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الروم: ١٣، حيث يقول: "ونفي فعل

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 119/24.
[2]: المصدر نفسه، 128/30.
[3]: المصدر نفسه، 166/24.
[4]: المصدر نفسه، 16/30.
[5]: ينظر: المصدر نفسه، 411/30.

«يَكُن» بـ «لم» الّتي تخلّص المضارع للمضي للإشارة إلى تحقيق حصول هذا النّفي مثل قوله ﴿أَتَى أَمْرُ الله﴾"[1].

2-الفعل المضارع بعد «إذْ»:

يذكر سيبويه في باب عدّة ما يكون عليه الكلم أنّ «إذْ» ظرف: "وهي لما مضى من الدّهر، وهي ظرف بمنزلة مع"[2]، و«إذْ» تكون للوقت الماضي، وممّا يجب فيها أن تكون مضافة إلى جملة فعليّة فعلها ماض معنى لا لفظا[3].

وهناك من ذكر أنّها تكون مضافة إلى جملة فعليّة فعلها ماض لفظا ومعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة: ٣٠، وقوله: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴿١٢٤﴾﴾ البقرة: ١٢٤[4].

وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذا الموضع ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ص: ٦٩، حيث يقول: "والتّعبير بالمضارع في موضع المضي لقصد استحضار الحالة، أو حين يختصم الطّاغون وأتباعهم في النّار بين يدي الملأ الأعلى، أي ملائكة النّار أوملائكة المحشر، والمضارع على أصله من الاستقبال"[5]، حيث أشار ابن عاشور إلى أنّ صيغة المضارع تصلح لدلالتين:

الأولى: على الماضي؛ إذا كانت حكاية لاختلاف الملأ الأعلى بشأن آدم عليه السّلام وامتناع إبليس من السّجود له[6]، والثّانية: على الاستقبال؛ إذا كانت ممّا يحصل يوم القيامة من اختصام أهل النّار بين يدي

---

[1]: المصدر السّابق، 63/21.

[2]: الكتاب: سيبويه، 229/4.

[3]: مغني اللّبيب: ابن هشام، 99/1.

[4]: أسلوب إذ في ضوء الدّراسات القرآنيّة والنّحويّة: عبد العال سالم مكرم، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، ص26.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 298/23.

[6]: ينظر: المصدر نفسه، 299/23.

الملائكة، والرّاجح عندنا أنّها للدّلالة على المضي؛ لأنّ فيها حكاية عن صدق محمّد ﷺ فيما أنزله الله عليه من الوحي أمام المكذّبين له، وأنّه نذير لقومه من العذاب[1].

- قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ الفتح: ١٨، يقول: "فالمضارع في قوله «يُبَايعونَك» مستعمل في الزّمان الماضي لاستحضار حالة المبايعة الجليلة وكون الرّضى حصل عند تجديد المبايعة ولم ينتظر بعد تمامها، فقد علمت أنّ السّورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية...والتّقدير: فلمّا بايعوك علم ما قلوبهم من الكآبة... والمعنى: لقد رضي الله عن المؤمنين من أجل مبايعتهم على نصرك فلمّا بايعوا وتحفّزوا لقتال المشركين ووقع الصّلح حصلت لهم الكآبة في نفوسهم فأعلمهم الله أنّه اطّلع على ما في قلوبهم من تلك الكآبة"[2]. حيث نُزّل الفعل «يُبَايعونَك» منزلة الماضي؛ لأنّ الآية نزلت بعد صلح الحديبية الّتي حصل فيها مبايعة المؤمنين للرّسول ﷺ بيعة الرّضوان تحت الشّجرة.

وذكر ابن عاشور دلالة المضارع على الماضي بعد «إذ» في مواضع أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴿١٥٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٢، حيث يقول: "و«إذْ» فيه للمضيّ، وأتي بعدها بالمضارع لافادة التّجدّد؛ أي لحكاية تجدّد الحسّ في الماضي"[3] وقوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠، حيث يذكر أنّ الإتيان بالمضارع في موضع الماضي الّذي هو الغالب مع «إذ» استحضار للحالة الّتي دبّروا فيها المكر[4]. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 299/23.
[2]: المصدر نفسه، 174/26-175.
[3]: المصدر نفسه، 127/4.
[4]: المصدر نفسه، 327/9.

﴿ تُحِبُّونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٢، يذكر ابن عاشور أنّ «إذ» فيه للمضي وأتى بعدها بالمضارع لإفادة التّجدّد؛ أي لحكاية تجدّد الحسّ في الماضي[1].

3-بعد «لو» الشّرطيّة:

ومن أحكام «لو» الشّرطيّة (الامتناعيّة) أنّه لا يليها إلّا الفعل الماضي لفظا ومعنى أو معنى فقط، فإذا تلاها فعل مضارع يصرف إلى المضي يقول ابن مالك:

وَإِنْ مُضَارِعٌ تَلَاهَا صُرِفَا إِلَى المُضِيِّ نَحْوُ لَوْ يَفِي كَفَى[2].

وعلّق ابن عاشور على ذلك في ثلاثة مواضع:

-قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الحجرات: ٧، حيث يذكر أن "صيغة المضارع في قوله «لَوْ يُطيعُكُم» مستعملة في الماضي لأنّ حرف «لو» تعليق الشّرط في الماضي، وإنّما عُدل إلى صيغة المضارع؛ لأنّ المضارع صالح للدّلالة على الاستمرار..."[3].

-قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٠ ، في هذه الآية تنبيه من الله تعالى للأمم الباقية بعد هلاك الأمم الماضية بسبب ذنوبهم[4].

يقول ابن عاشور: "لو حرف شرط يفيد تعليق امتناع حصول جوابه لأجل امتناع حصول شرطه في الماضي، أو في المستقبل، وإذ قد كان فعل الشّرط هنا مضارعا كان في معنى الماضي، إذ لا يجوز اختلاف زمني فعل الشّرط والجواب، وإنّما يخالف بينهما في الصّورة لمجرّد التّفنّن كراهية تكرير الصّورة الواحدة، فتقدير قوله: (لَو نَشَاءُ أصَبْنَاهُم) انتفى أخذنا إيّاهم في الماضي بذنوب تكذيبهم، لأجل انتفاء مشيئتنا

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 127/4.

[2]: شرح ابن عقيل على الألفيّة: ابن عقيل، 22/4-24. وينظر: الجنى الدّاني: المرادي، ص283.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 235/26.

[4]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص298.

ذلك لحكمة إمهالهم لا لكونهم أعزّ من الأمم البائدة أو أفضل حالا منهم... وفي هذا تهديد بأنّ الله قد يصيبهم بذنوبهم في المستقبل، إذ لا يصدّه عن ذلك غالب..."[1]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأنفال: ٣١، حيث يقول: "والمخالفة بين شرط «لو» وجوابها إذ جعل شرطها مضارعا والجزاء ماضيا جرى على الاستعمال في «لو» غالبا؛ لأنّها موضوعة للماضي، فلزم أن يكون أحد جزأي جملتها ماضيا، أو كلاهما، فإذا أريد التّفنّن خُولِف بينهما والتّقدير: لو شئنا لقلنا..."[2]. حيث نزّلت الأفعال المضارعة «يطيعُكم، ونشَاء» منزلة الماضي الّذي قد تحقّق وقوعه لوجود قرينة «لو» الّتي غالبا ما تصرف الفعل بعدها للمضي.

4-إذا كان حكاية للحال الماضية:

يقول ابن هشام في القاعدة السّادسة: "أنّهم يعبّرون عن الماضي والآتي كما يعبّرون عن الشّيء الحاضر قصدا لإحضاره في الذّهن حتّى كأنّه مشاهد حالة الإخبار"[3]، فالفعل "المستقبل إذا أُتِي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأنّ الفعل المستقبل يوضّح الحال الّتي يقع فيها، ويستحضر تلك الصّورة، حتّى كأنّ السّامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي"[4].

وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذا الموضع ما يلي:

- قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الحج: ٦٣، في هذه الآية دليل على قدرة الله سبحانه وعظيم سلطانه[5].

يقول ابن عاشور: "وإنّما عُبّر عن مصير الأرض خضراء بصيغة «تُصْبح مخْضرّة» مع أنّ ذلك مفرع عن فعل (أنْزَل منَ السَّمَاء ماء) الّذي هو بصيغة الماضي؛ لأنّه قُصد من المضارع استحضار تلك الصّورة

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 28/9.
[2]: المصدر نفسه، 331/9.
[3]: مغني اللّبيب: ابن هشام، 797/2.
[4]: المثل السّائر: ابن الأثير، 181/2.
[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 295/3.

العجيبة الحسنة، ولإفادة بقاء أثر إنزال المطر زمانا بعد زمان"[1]. قال ابن الأثير: "فإنزال الماء مضى وجوده، واخضرار الأرض باق لم يمض"[2]، فناسب الإتيان بلفظ المضارع في اخضرار الأرض على الرّغم من مضيّه لاستحضار هذه الصّورة في الذّهن وكأنّها مشاهدة للسّامع.

-قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر: ٥١، في هذه الآية استخلاص للعبرة من القصص الماضية مسوق لتسلية الرّسول ﷺ ووعده بحسن العاقبة، وتسلية للمؤمنين ووعدهم بالنّصر وحسن العاقبة في الدّنيا والآخرة[3].

حيث يقول: "والتّعبير بالمضارع في قوله «لَنَنْصُر» لما فيه من استحضار حالات النّصر العجيبة الّتي وصف بعضها في السّورة... وإلّا فإنّ نصر الرّسل الّذين سبقوا محمّدا ﷺ قد مضى ونصر محمّد ﷺ مترقّب غير حاصل حين نزول الآية"[4].

-قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الروم: ٤٨، "والتّعبير بصيغة المضارع في «يُرْسل» و «تُثير» و «يَبْسُطُه» و «يَجْعَلُه» لاستحضار الصّور العجيبة من تلك التّصرّفات حتّى كأنّ السّامع يشاهد تكوينها مع الدّلالة على تجدّد ذلك"[5]، ونظيره قوله تعالى سورة فاطر ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴿٩﴾ ﴾ ، حيث ذُكِر أنّ الفعل المضارع «تُثِير» عطف على الماضي من باب الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي لحكاية الحال العجيبة، وذلك لإحضار تلك الصّورة البديعة الدّالة على القدرة الباهرة من إثارة الرّياح السّحاب، حيث تبدو أوّلا قطعا ثمّ تضامّ متقلّبة بين أطوال حتّى تصير ركاما، وهي طريقة للبلغاء في الفعل الّذي في خصوصيّته حال تهمّ السّامع[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 318/17.

[2]: المثل السّائر: ابن الأثير، 185/2.

[3]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 167/24.

[4]: المصدر نفسه، 167/24.

[5]: المصدر نفسه، 121/21.

[6]:ينظر: المصدر نفسه، 267/22. ومغني اللّبيب: ابن هشام، 797/2. والمثل السّائر: ابن الأثير، 181/2.

وقد أشار ابن عاشور لهذه الدّلالة في الكثير من المواضع منها: قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٧، حيث يقول: "وهذا القطع والكبت قد مضيا يوم بدر قبل نزول هذه الآية بنحو سنتين، فالتّعبير عنهما بالمضارع لقصد استحضار الحالة العجيبة في ذلك النّصر المبين العزيز النّظير"[1]. وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾النساء: ٢٦، يقول ابن عاشور: "والإرادة القصد والعزم على العمل... والامتنان بما شرّعه الله للمسلمين من توضيح الأحكام قد حصلت إرادته فيما مضى، وإنّما عُبِّر بصيغة المضارع هنا للدّلالة على تجدّد البيان واستمراره، فإنّ هذه التّشريعات دائمة مستمرّة تكون بيانا للمخاطبين ولمن جاء بعدهم، وللدّلالة على أنّ الله يُبْقي بعدها بيانا متعاقبا[2]. وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأعراف: ٢٧، والتّعبير عمّا مضى بالفعل المضارع لاستحضار الصّورة العجيبة من تمكّنه من أن يتْرُكهُما عريانين[3]. وفي قوله أيضا: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ مريم: ١٥، وجيء بالفعل المضارع في «يَمُوت» لاستحضار الحالة الّتي مات فيها"[4]. وقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾ ﴾ الحج: ٢، بقوله: "وعُدل عن فعل المضي إلى المضارع في قوله: «تَرَى» لاستحضار الحالة والتّعجّب منها..."[5]. وفي قوله: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف: ٤٩، حيث ذكر أنّ التّعبير بالمضارع في «يقُولُون» "لاستحضار الحالة الفظيعة، أو لإفادة تكرّر قولهم ذلك

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 79/4.
[2]: المصدر نفسه، 19/5.
[3]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 78/8.
[4]: المصدر نفسه، 78/16.
[5]: المصدر نفسه، 191/17.

وإعادته شأن الفزعين الخائفين"[1]. وقوله أيضا: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ البقرة: ٨٧، يقول ابن عاشور: "وجاء في تَقْتلون بالمضارع عوضا عن الماضي لاستحضار الحالة الفظيعة وهي حالة قتلهم رُسلهم... مع ما في صيغة تقتلون من مراعاة الفواصل فاكتمل بذلك بلاغة المعنى وحسن النّظم"[2].

5-إذا كان بعد الموصول: لقد أشار ابن عاشور لدلالة المضارع على الماضي إذا جاء صلة موصول في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ آل عمران: ٢١، حيث يقول: "وجيء في هاته الصّلات بالأفعال المضارعة لتدلّ على استحضار الحالة الفظيعة وليس المراد إفادة التّجدّد؛ لأنّ ذلك وإن تأتّى في قوله: «يكفرون» لا يتأتّى في قوله: «يقتلون» لأنّهم قتلوا الأنبياء والّذين يأمرون بالقسط في زمن مضى"[3].

6-الفعل المقترن بـ «إذا» الظرفية: وقد ذكر ابن عاشور ذلك في موضع واحد وهو:

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ يونس: ١٥، حيث يقول: "فكانت إضافة الظّرف المتعلّق به إلى جملة فعلها مضارع وهو «يُتْلَى» دالّة على أنّ ذلك المضارع لم يُرَد به الحال أو الاستقبال، إذ لا يُتَصوَّر أن يكون الماضي واقعا في الحال أو الاستقبال، فتعيّن أنّ اجتلاب المضارع لمجرّد الدّلالة على التّكرّر والتّجدّد"[4].

---

[1]: المصدر السّابق، 338/15.

[2]: المصدر نفسه، 599/1.

[3]: المصدر نفسه، 206/3.

[4]: المصدر نفسه، 117/11.

7-إذا وقع الفعل المضارع خبرا لـ «كان»: وقد أشار ابن عاشور لدلالة المضارع على الماضي إذا جاء خبرا لكان في موضعين:

-الأوّل: قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ المطففين: ١٤، بقوله: "ومجيء «يَكْسبُون» بصيغة المضارع دون الماضي لإفادة تكرّر ذلك الكسب وتعدّده في الماضي"[1].

- والآخر: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الأعراف: ٩، يقول ابن عاشور: "... فصيغة المضارع في قوله: «يَظْلمُون» لحكاية حالهم في تجدّد الظّلم فيما مضى كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴿٩﴾ ﴾ فاطر: ٩"[2].

فالفعلان «يكسبون» و«يظلمون» جاءا للدّلالة على المضي لأنّهما خبر لكان.

8-بعد «قد»:

وتدخل «قد» على الفعل المضارع بشرط تجرّده من ناصب وجازم وحرف تنفيس، وهي حرف تقليل، وقيل أنّها إذا دخلت على المضارع لفظا ومعنى فهي للتّوقع، والحاصل أنّها تفيد مع المضارع أربعة معان: التّوقّع، والتّقليل، والتّحقيق، والتّكثير. وقد الدّالة على التّقليل والتّكثير تصرف المضارع للماضي، أمّا الّتي للتّحقيق فإنّها قد تصرفه إلى المضيّ ولا يلزم فيها ذلك[3]، وقيل إنّ «قَد» إذا كانت مع المضارع الّذي لا يمكن فيه التّوقّع كان بمعنى الماضي كقوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴿٦٤﴾ ﴾ النور: ٦٤؛ أي قد علم[4].

حيث علّق ابن عاشور على دلالة المضارع على الماضي بعد «قد» في موضع واحد وهو: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا

---

[1]: المصدر السّابق، 200/30.

[2]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 32/8.

[3]: الجنى الدّاني: المرادي، ص254-255-259-260. وينظر: شرح التّسهيل: ابن مالك، 29/1. وهمع الهوامع: السّيوطي، 495/2. ودلالة الفعل في القرآن الكريم: الأمين بوخاري، ص29.

[4]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص2364.

﴿ زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ ﴾ الصف: ٥، للدّلالة على علمهم بذلك تجدّد بتجدّد الآيات والوحي، وذلك أجدى بدوام امتثاله؛ لأنّه لو جيء بفعل المضي لما دلّ على أكثر من حصول ذلك العلم فيما مضى"[1].

ملاحظة:

الفعل «تَسْتَفْتِحُوا» في قوله تعالى:﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩ ﴾ الأنفال: ١٩، جاء بعد الشّرط، وابن عاشور ذكر أنّه لاستحضار الحالة الماضية يقول ابن عاشور: "وصيغ «تَسْتَفْتِحُوا» بصيغة المضارع مع أنّ الفعل مضى لقصد استحضار الحالة من تكريرهم الدّعاء بالنّصر على المسلمين"[2]، ومن الواضح أنّ الفعل جمع بين موضعين لدلالة المضارع على المضي: الأوّل: وقوعه بعد الشّرط، والثّاني: استحضار الحالة الماضيّة كما أشار إليه ابن عاشور.

أمّا في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ ﴾ العنكبوت: ٤٧ ، فقد جمع بين المستقبل والدّلالة على التّجدّد والتّكرّر، حيث ذكر أنّه جيء بصيغة المضارع في «يُؤمنُون» للدّلالة على أنّه سيقع في المستقبل، أو للدّلالة على تجدّد إيمان هذا الفريق[3].

وقد جاء الفعل «وإنْ يُشْرَكْ» بعد الشّرط في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢ ﴾ غافر: ١٢، حيث يقول: "ومجيء ﴿ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ ﴾ بصيغة المضارع في الفعلين مؤوّل بالماضي بقرينة ما قبله، وإيثار صيغة المضارع في الفعلين لدلالتهما على تكرّر ذلك منهم في الحياة الدّنيا فإنّ لتكرّره أثرا في مضاعفة العذاب

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 179/28.
[2]: المصدر نفسه، 299/9.
[3]: المصدر نفسه، 9/21.

لهم"[1]، حيث جعل ابن عاشور دلالة الفعلين على المضي مرتبطة بقرينة «إذا» التّي جاءت قبلهما في الفعل «دُعِي».

المطلب الثّاني: المضارع الدّال على الحال:

فالحال ما قارن وجود لفظه وجود جزء من معناه، كقولنا: هذا زيدٌ يكتُبُ، فيكتب هنا مضارع بمعنى الحال، ووجود لفظه مقارن لوجود بعض الكتابة لا جميعها، وعبّر بالحال عن اللّفظ الدّال على الجميع لاتّصال أجزاء الكتابة بعضها ببعض، ودلالة المضارع على الحال راجحة عند تجرّده من القرائن ليكون ذلك جابرا لما فاته من الاختصاص بصيغة على مذهب الفارسي الّذي ذكر أنّ حمل المضارع على الحال عند انعدام القرائن أولى من حمله على الاستقبال[2]، وما يخلّص الفعل المضارع للحال أيضا هو: الآن، أو السّاعة، أو هذا الوقت أو آنفا وما في معناهما من الظّروف الدّالة على الحال، ولام الابتداء عند الكوفيين، ونفيه بـ «ليس» و «ما» و«إنْ»[3]، إذا وقع الفعل مع مرفوعه في موضع نصب على الحال فيكون زمنه للحال غالبا نحو: أقبل الأخ يضحك، وإذا دخلت عليه «ما» المصدريّة الظّرفيّة كان زمن المصدر المؤوّل للحال غالبا حين لا توجد قرينة تعارضه[4].

1-إذا خلا من القرائن: أي إذا لم يقترن بالفعل المضارع ما يخلّصه للمضيّ أو الاستقبال. وممّا علّق عليه ابن عاشور بهذا الصّدد ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ البقرة: ١٥٩، في الآية وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرّسل من الدّلالات البيّنة على المقاصد الصّحيحة والهدى النّافع للقلوب من بعد ما بيّنه الله تعالى لعباده[5].

---

[1]: المصدر السّابق، 100/24.

[2]: التّذييل والتّكميل: أبو حيّان، 85/1-90-91.

[3]: شرح التّسهيل: ابن مالك، 18/1-21. وينظر: التّذييل والتّكميل: أبو حيّان، 91/1. الصّفوة الصّفيّة: النّيلي، 167/2. وشرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 28/4.

[4]: تأثير السّياق على الأزمنة الفعليّة (دراسة تحليليّة في سورة القيامة): محمّد إقبال خير الدّين الخلود، درجة سرجانا، كليّة العلوم الإنسانيّة والثّقافة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، الجامعة الإسلاميّة الحكوميّة، مالانج، 2008/2007م، ص60.

[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 278/1.

يقول ابن عاشور: "وعبّر بـ «يكْتُمُون» بالفعل المضارع للدّلالة على أنّهم في الحال كاتمون للبيّنات والهدى، ولو وقع بلفظ الماضي لتوهم السّامع أنّ المعنى به قوم مضوا مع أنّ المقصود إقامة الحجّة على الحاضرين"[1]، فمجيء الفعل «يكْتُمُون» للدّلالة على الحال؛ لأنّ الآية نزلت في علماء اليهود حين كتموا دلائل صدق نبوة محمّدﷺ وصفاته وصفات دينه الموجودة في التّوراة[2].

-قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجر: ١٢، حيث يقول: "والتّعبير بصيغة المضارع في «نَسْلُكُه» للدّلالة على أنّ المقصود إسلاك في زمن الحال، أي زمن نزول القرآن، ليعلم أنّ المقصود بيان تلقي المشركين للقرآن، فلا يتوهّم أنّ المراد بالمجرمين شيع الأوّلين، مع ما يفيده المضارع من الدّلالة على التّجدّد المناسب لقوله (وقَدْ خَلَت سُنَّة الأَوّلِين)، أي تجدّد لهؤلاء إبلاغ القرآن على سنّة إبلاغ الرّسالات لمن قبلهم"[3]؛ أي كما أدخلنا التّكذيب في قلوب الأمم السّابقة، كذلك ندخله الآن في قلوب مشركي قريش.

-وقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ النحل: ٨، يقول: "ويخلق: مضارع مراد به زمن الحال لا الاستقبال، أي هو الآن يخلق ما لا تعلمون أيّها النّاس ممّا هو مخلوق لنفعهم وهم لا يشعرون به، فكما خلق لهم الأنعام والكراع خلق لهم ويخلق لهم خلائق أخرى لا يعلمونها الآن..."[4].

وممّا ذكره ابن عاشور أيضا في دلالة المضارع على الحال إذا خلا من القرائن قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥، حيث يقول: "أي هذا الوعد جرى في حال عبادتهم إيّاي... وعبّر بالمضارع لإفادة استمرارهم على ذلك..."[5].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 66/2.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 65/2.

[3]: المصدر نفسه، 24/14.

[4]: المصدر نفسه، 110/14.

[5]: المصدر نفسه، 288/18.

وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ ﴿٧١﴾ ﴾ البقرة: ٧١، يقول ابن عاشور: "واختير الفعل المضارع في تثير وتسقي لأنّه الأنسب بذلول إذ الوصف شبيه بالمضارع؛ لأنّ المضارع دالّ على الحال"[1]. وفي قوله: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾ الرحمن: ٣٥، حيث ذكر أنّ الفعل المضارع «يُرسِل» للحال؛ أي ويرسل عليكما الآن شواظ[2].

2-إذا كان منفيّا بـ «ما»: وأشار ابن عاشور إليها في موضع واحد وهو:

-قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ ﴿٩٤﴾ ﴾ الأنعام: ٩٤، يقول ابن عاشور: وجيء بالفعل المنفي «ما نرى» بصيغة المضارع الدّال على الحال دون الماضي ليشير إلى انتفاء رؤية الشّفعاء حاصل إلى الآن، ففيه إلهام أنّ رؤيتهم محتملة الحصول بعد في المستقبل، وذلك زيادة في التّهكّم[3].

3-بعد «لو»: إنّ دخول «لو» الشّرطية على الفعل المضارع تخلّصه غالبا للمضيّ، إلّا أنّ ابن عاشور ذكر في موضعين أنّها تخلّصه للحال وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥، حيث ذُكِر في الآية حال الكافرين وما يعاينونه ويحل بهم من الأمر الفظيع على شركهم وكفرهم في الدّار الآخرة[4].

يقول ابن عاشور: "قرأ نافع وابن عامر ويعقوب (لَو تَرَى) بتاء فوقيّة... وإذ ظرف زمان والرّؤية بصرية في الأوّل والثّاني... إلّا أنّ وقت الرّؤيتين مختلف، إذ المعنى لو تراهم الآن حين يرون العذاب يوم القيامة، أي لو ترى الآن حالهم، وقرأ الجمهور (يَرَى الّذين ظَلَمُوا) بالتّحتية... المعنى أيضا: لو يرون الآن... وقد جاء «لو» في مثل هذا التّركيب بشرط مضارع ووقع في كلام الجمهور من النّحاة أنّ لو للشّرط في الماضي

[1]: المصدر السّابق، 555/1.
[2]: المصدر نفسه، 260/27.
[3]: المصدر نفسه، 384/7.
[4]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 281/1.

وأنّ المضارع إذا وقع شرطا لها يصرف إلى معنى الماضي إذا أريد استحضار حالة ماضية، وأمّا إذا كان المضارع بعدها متعيّنا للمستقبل فأوّله الجمهور بالماضي في جميع مواقعه وتكلّفوا في كثير منها..."[1].

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾ التكاثر: ٥، حيث يقول: "والمضارع في قوله «لو تعلمُون» مراد به زمن الحال؛ أي لو علمتهم الآن علم اليقين لعلمتم أمرا عظيما"[2].

ويفهم من كلام ابن عاشور أنّ الفعل «يَرَى» «تعلمُون» للدّلالة على الحال، وهنا خالف ابن مالك وغيره في كون «لو» إذا تلاها فعل مضارع فإنّها تصرفه للمضيّ.

4-بعد «إذ»: وذكر ابن عاشور دلالة المضارع على الحال بعد «إذ» في موضع واحد وهو:

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ البقرة: ١٢٧، حيث يقول: "وخولف الأسلوب الّذي يقتضيه الظّاهر في حكاية الماضي أن يكون بالفعل الماضي بأن يقول: «وإذْ رَفَع» إلى كونه بالمضارع لاستحضار الحالة وحكايتها كأنّها مشاهدة، لأنّ المضارع دالّ على زمن الحال فاستعماله هنا استعارة تبعيّة، شبّه الماضي بالحال لشهرته وتكرّر الحديث عنه بينهم لحبّهم إبراهيم وإجلالهم إيّاه... فشبّه الماضي لذلك بالحال، ولأنّ ما مضى من الآيات في ذكر إبراهيم... ممّا يوجب امتلاء أذهان السّامعين بإبراهيم وشؤونه حتّى كأنّه حاضر بينهم وكأنّ أحواله حاضرة مشاهدة، وكلمة «إذ» قرينة على هذا التّنزيل لأنّ غالب الاستعمال أن يكون للزّمن الماضي وهذا معنى قول النّحاة إنّ «إذ» تخلّص المضارع إلى الماضي[3]. فهذه الآية فيها حكاية لمنقبة من مناقب إبراهيم عليه السّلام [4] وكأنّها مشاهدة عند نزول الآية.

5- إذا كان الفعل جملة حالية: كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنفال: ٥٠، حيث يقول ابن

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 93/2_95.
[2]: المصدر نفسه، 522/30.
[3]: المصدر نفسه، 717/1-718.
[4]: نفسه.

عاشور: " وجملة (يَضْرِبُون وُجُوهَهُم وأَدبَارَهم) في موضع الحال إن كان المراد من التّوفّي قبض أرواح المشركين يوم بدر حين يقتلهم المسلمون"[1].

المطلب الثّالث: المضارع بمعنى المستقبل:

والقرائن الّتي تخلّص الفعل المضارع للاستقبال هي: حرفا التنفيس: السّين وسوف نحو قوله: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ الأعلى: ٦ ، وقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ الضحى: ٥، ولام الأمر، ولا نافية وناهية نحو قوله:﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٧، ونونا التّوكيد الخفيفة والثّقيلة نحو قوله: ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾ العلق: ١٥، ولام القسم، وأدوات الشّرط ما عدا «لو»، وأن يقع على ظرف مستقبل نحو: يقوم غدا، ونواصب الفعل نحو قوله: ﴿ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ البقرة: ١٨٤، ولو المصدريّة الّتي يحسن في موضعها «أن» نحو: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٩٦﴾ ﴾ البقرة: ٩٦، وباقتضائه طلبا نحو:﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٣، أو وعدا نحو: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴿٢١﴾ ﴾ العنكبوت: ٢١، وبمصاحبة أداة ترجّ نحو: ﴿ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يوسف: ٤٦، أو إشفاق نحو: لعلّ العدوّ يقْدُم؛ فالفرق بين الرّجاء والإشفاق في المعنى، لإنّ المرجوّ محبوب، والمشفق منه مكروه، أو مجازاة نحو: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ إبراهيم: ١٩[2].

1-السّين وسوف: فالسّين وسوف حرفا تنفيس يختصّان بالمضارع ويخلّصانه للاستقبال[3]، وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذا الموضع ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ البقرة: ١٤٢، حيث يقول: "قد خُفي موقع هذه

[1]: المصدر السّابق، 40/10.

[2]: شرح التّسهيل: ابن مالك، 24/1-25. وينظر: الصّفوة الصّفيّة: النّيلي، 167/1. والتّذييل والتّكميل: أبو حيّان، 95/1-96. وشرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 28/4-29.

[3]: الجنى الدّاني: المرادي، ص59-458.

الآية من الآي الّتي بعدها لأنّ الظّاهر منها أنّها إخبار عن أمر يقع في المستقبل، وأنّ القبلة المذكورة فيها هي القبلة الّتي كانت في أوّل الهجرة بالمدينة وهي استقبال بيت المقدس، وأنّ التّولّي عنها هو نسخها باستقبال الكعبة... والأولى بقاء السّين على معنى الاستقبال إذ لا داعي إلى صرفه إلى معنى المضيّ..."[1].

-وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الزخرف: ٢٧، يقول ابن عاشور: "وسين الاستقبال مؤذنة بأنّه أخبرهم بأنّ هداية الله إيّاه قد تمكّنت وستستمر في المستقبل، ويفهم أنّها حاصلة الآن بفحوى الخطاب"[2].

-وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ﴾ محمد: ٣٢، حيث يقول: "وحرف الاستقبال هنا لتحقيق حصول الإحباط في المستقبل، وهو يدلّ على أنّ الله محبط أعمالهم من الآن إذ لا يعجزه ذلك حتّى يترصّد به المستقبل..."[3]؛ أي أنّ الله سبحانه سيحبط أعمال الّذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وخالفوا الرّسول ﷺ في المستقبل، ولن ينظر إلى سالف أعمالهم بعدما ارتدّوا عن الإيمان من بعد ما تبيّن لهم الهدى[4].

-قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾ مريم: ٦٦، يخبر الله تعالى عن الإنسان وأنّه يتعجّب ويستبعد إعادته بعد موته[5].

يقول ابن عاشور: "وقد دخلت لام الابتداء على المضارع المستقبل بصريح وجود حرف الاستقبال، وذلك حجّة لقول ابن مالك بأنّ لام الابتداء تدخل على المضارع المراد به الاستقبال ولا تخلّصه للحال"[6]. فالفعل «أخْرج» جاء للدّلالة على الاستقبال بقرينة «سوف»؛ لأنّه بصدد حكاية تعجب الإنسان ممّا يحدث يوم القيامة من إخراج النّاس من قبورهم.

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 2/5-7.

[2]: المصدر نفسه، 193/25.

[3]: المصدر نفسه، 126/26.

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 230/4.

[5]: المصدر نفسه، 166/3.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 145/16.

وقد ذكر ابن عاشور مواضع أخرى اقترن فيها الفعل المضارع بالسّين وسوف كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ التوبة: ٧١، يقول ابن عاشور: "والسّين لتأكيد حصول الرّحمة في المستقبل، فحرف الاستقبال يفيد مع المضارع، ما يفيد «قد» مع الماضي كقوله: (ولَسَوْفَ يُعْطِيك رَبُّك)"[1]. قال تعالى: ﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٠، وحرف السّين في الفعل «سَيُجْزَون» الموضوع للخبر والمستقبل، مستعمل هنا في تحقيق الوقوع واستمراره[2].

وقد كان ابن عاشور يحدّد في بعض المواضع دلالة السّين المقترنة بالفعل المضارع على المستقبل القريب أو البعيد كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ النساء: ١٠، والسّين في «سَيصْلَون» حرف تنفيس أي استقبال، أي أنّها تدخل على المضارع فتُمحّضه لاستقبال، سواء كان استقبالا قريبا أو بعيدا، وهي مرادف سوف... وتفيدان في مقام الوعد تحقيق الوعد وكذلك التّوعّد[3]. وفي مواضع آخرى يشير إلى دلالتها على المستقبل القريب كما في قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٦، واقتران فعل «سأصرف» بسين الاستقبال القريب، تنبيه على أنّ الله يعجّل ذلك الصرف[4]، وفي قوله: ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ مريم: ٨٢، حيث ذكر أنّه يجوز أن يكون الضّمير في «سيكْفُرُون» و«يَكُونُون» راجعا إلى المشركين، وأنّ

[1]: المصدر السّابق، 263/10.

[2]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 38/8.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، 255/4.

[4]: ينظر: المصدر نفسه، 104/9.

حرف الاستقبال للحصول قريبا؛ أي سيكفر المشركون بعبادة الأصنام ويدخلون في الإسلام، ويكونون ضدّا على الأصنام يهدمون هياكلها ويلعنونها[1].

وفي موضع آخر ذكر دلالة «سوف» على المستقبل البعيد وذلك في قوله: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ الانشقاق: ٨، حيث يقول: "وحرف «سوف» أصله لحصول الفعل في المستقبل، والأكثر أن يُراد به المستقبل البعيد وذلك هو الشّائع..."[2].

2-بعد لا النّاهية: وذكر ابن عاشور بعض المواضع في اقتران الفعل المضارع بـ «لا» دون أن يشير إلى دلالة الفعل على الاستقبال كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الأنعام: ١٤١، حيث يقول: "وهذا إدماج للنّهي عن الإسراف، وهو نهي إرشاد وإصلاح، أي لا تسرفوا في الأكل وهذا كقوله: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأعراف: ٣١[3]. وفي قوله: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ البقرة: ٤١، "وعطف على أمرهم بالإيمان بالقرآن نهيُهم على أن يكونوا أوّل كافر بالقرآن... والمقصود من النّهي توبيخهم على تأخّرهم في اتّباع دعوة الإسلام... فيكون معنى النّهي مرادا ولازمه وهو الأمر بالمبادرة بالإيمان... فاعتبار اللّازم يكون النّهي في معنى الأمر... وباعتبار الملزوم يكون نهيا عن الكفر بعد الأمر بالإيمان فيحصل بذلك غرضان... ووجه الاندفاع أنّ المقصود الأهمّ هو المعنى التّعريضي وهو يقوم على قرينة أنّ القصد من النّهي أن لا يكونوا من المبادرين بالكفر..."[4]، ويذكر في قوله أيضا: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ البقرة: ١٩٥، أنّ "وقوع فعل تلقوا في سياق النّهي يقتضي عموم كلّ إلقاء باليد إلى التّهلكة، إي كلّ تسبب في الهلاك عن عمد فيكون منهيا عنه محرّما ما لم يوجد مقتضٍ لإزالة ذلك التّحريم، وهو ما يكون حفظه

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 150/16.
[2]: المصدر نفسه، 223/30.
[3]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 123/8.
[4]: المصدر نفسه، 460/1-461.

مقدما على حفظ النّفس مع تحقّق حصول حفظه بسبب الإلقاء في النّفس إلى الهلاك، أو حفظ بعضه بسبب ذلك"[1].

3–بعد نواصب الفعل المضارع: وذكر ابن عاشور دلالة الفعل المضارع المقترن بالنّواصب على الاستقبال في موضعين :

–بعد «أنْ»:

–قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾ الأعراف: ١٢٩، في هذه الآية حكاية جواب قوم موسى عليه السّلام وتضجّرهم من طول مكوثهم في عذاب فرعون وأذيّته[2].

يقول ابن عاشور: "فجعل الفعل المعبّر عنه حين علّق به «قبل» بصيغة المضارع المقترن بـ «أن» الدّالة على الاستقبال والمصدريّة لمناسبة لفظ «قبل» لأنّ ما يضاف إلى «قبل» مستقبل بالنّسبة لمدلولها، وجعل حين علّق به «بعد» بصيغة الماضي المقترن بحرف «ما» المصدريّة لا تفيد الاستقبال ليناسب لفظ «بعد» لأنّ مضاف كلمة «بعد» ماض بالنّسبة لمدلولها"[3].

–قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ النور: ١٩، يقول ابن عاشور: "فالوعيد هنا على محبة وقوع ذلك في المستقبل كما هو مقتضى قوله: (أنْ تَشيعَ) لأنّ «أنْ» تخلّص المضارع للمستقبل"[4].

وقد ذكر ابن عاشور دلالة الفعل المضارع المقترن بـ «أنْ» في مواضع إخرى منها قوله تعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠ ﴾ النور: ٥٠، بقوله: "وجيء بالحيف بصيغة المضارع للإشارة إلى أنّه خوف في الحال من الحيف في

[1]: المصدر السّابق، 215/2.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 61/9. وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص301.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 62/9.

[4]: المصدر نفسه، 184/18.

المستقبل كما تقتضيه دخول «أنْ»"[1]، وفي قوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾ الشعراء: ٣، حيث أشار إلى أنّ صيغة المضارع في قوله: (يَكُونُوا) للمستقبل، لأنّ «أنْ» تخلّص المضارع للاستقبال[2].قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧ ﴾ الأعراف: ٩٧، يقول ابن عاشور: "وجيء بقوله: «يَأتِيهم» بصيغة المضارع لأنّ المراد حكاية أمنهم الّذي مضى من إتيان بأس الله في مستقبل ذلك الوقت"[3].

–بعد «لن»: الّتي تفيد النّفي والاستقبال[4]، وعلّق ابن عاشور على ذلك في موضع واحد وهو:

–قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابٗا ٣٠ ﴾ النبأ: ٣٠، يقول ابن عاشور: "فالزيادة المنفيّة يجوز أن تكون نوعا آخر من عذاب يكون حاصلا لهم... ويجوز أن تكون زيادة من نوع ما هم فيه من العذاب بتكرّره في المستقبل... والمعنى: فسَنَزيدكم عذابا زيادة مستمرّة في أزمنة المستقبل فصيغ التّعبير عن هذا التّركيب الدّقيق... لمّا كان المقصود زيادة الوعيد بزيادة العذاب في المستقبل جيء في أسلوب نفيه بحرف نفي المستقبل وهو «لن»"[5].

4–إذا كان متّصلا بنون التّوكيد الثّقيلة: وقد علّق ابن عاشور على دلالة المضارع على الاستقبال إذا اقترن بنون التوّكيد الثّقيلة في أربعة مواضع وهي:

–الأوّل والثّاني: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾ العنكبوت: ٣، حيث علّق على فعل «فَلَيَعْلَمَنّ» بقوله: "هو علم الله الحاصل في المستقبل كما يقتضيه توكيد فعل العلم بنون التّوكيد الّتي لا يؤكّد بها المضارع إلّا مستقبلا"[6]، وهذا ما ذكره

[1]: المصدر السّابق، 271/18.
[2]: ينظر: المصدر نفسه، 93/19.
[3]: المصدر نفسه، 22/9.
[4]: شرح قطر النّدى: ابن هشام، ص73.
[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 42/30.
[6]: المصدر نفسه، 204/20–205.

في تفسيره لفعل «لَيَعْلَمَنّ» في قوله تعالى: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ العنكبوت: ١١[1].

-الثّالث: قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ إبراهيم: ١٢، حيث يقول ابن عاشور: "فأقسموا على أنّ صبرهم على أذى قومهم مستمر، فصيغة الاستقبال المستفادة من المضارع المؤكّد بنون التّوكيد في «لنصبرَنّ» دلّت على أذى مستقبل...فحصل من ذلك معنى نصبر على آذى متوقّع كما صبرنا على أذى مضى"[2].

- والآخر: في قوله: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الفتح: ٢٧، حيث ذكر ابن عاشور أنّ الفعل «لَتَدْخُلُنّ» للاستقبال دون أن يشير إلى اقتران الفعل بنون التّوكيد[3].

فهذه المواضع الأربعة دلّت على الاستقبال بقرينة نون التّوكيد الثّقيلة الّتي تخلّص الفعل المضارع للمستقبل.

5-إذا كان فعلا للشّرط: وذكر ابن عاشور دلالة المضارع على الاستقبال إذا وقع بعد الشّرط في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾ فاطر: ٤، حيث يقول: "وهذا وجه إيثار الشّرط هنا بالفعل المضارع الّذي في حيز الشّرط يتمخّض للاستقبال"[4].

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 218/20.
[2]: المصدر نفسه، 204/13.
[3]: المصدر نفسه، 199/26.
[4]: المصدر نفسه، 256/22.

تنبيه:

-تعمل لمّا الدّاخلة على الفعل المضارع عمل لم فتقلبه للمضيّ[1]، إلّا أنّ ابن عاشور ذكر في هذا الموضع أنّها للاستقبال وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٢، حيث يقول: "فيدلّ «لمّا» على اتّصال النّفي بها إلى زمن التّكلّم بخلاف «لم» ومن هذه الدّلالة استفيدت دلالة أخرى، وهي بأنّ النّفي بها مترقّب الثّبوت فيما يستقبل، لأنّها قائمة مقام قولك استمرّ النّفي إلى الآن"[2].

-لقد ذكر ابن عاشور أنّ الفعل بعد «ربّما» للاستقبال عندما رجّح هذه الدّلالة على المضيّ وهذا مخالف لما ذكره العلماء في أنّ الفعل المضارع بعد ربّما يصرف للمضيّ وذلك في قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الحجر: ٢، حيث يقول: "ويصحّ دخول «ربّما» على الأفعال، فإذا دخلت على الفعل فالغالب أن يراد بها التّقليل... والأكثر أن يكون فعلا ماضيا؛ أي الغالب دخولها على الأفعال الماضيّة، وقد يكون مضارعا للدّلالة على الاستقبال كما هنا، ولا حاجة إلى تأويله بالماضي في التّحقّق، ومن النّحويين من أوجب دخولها على الماضي، وتأوّل نحو الآية بأنّه منزّل منزلة الماضي لتحقّقه. ومعنى الاستقبال هنا واضح؛ لأنّ الكفّار لم يودّوا أن يكونوا مسلمين قبل ظهور قوّة الإسلام من وقت الهجرة"[3].

ملاحظات:

-ويذكر ابن عاشور أكثر من معنى للفعل المضارع كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ﴿١٥٣﴾ ﴾ النساء: ١٥٣، حيث يقول: ومجيء المضارع هما: إمّا لقصد استحضار حالتهم العجيبة في هذا السّؤال حتّى كأنّ السّامع يراهم كقوله: "ويصنع الفلك" وقوله: "بل عجبت ويسخرون"، وقوله: "والله الّذي أرسل الرّياح فتثير سحابا". وإمّا للدّلالة على تكرار السّؤال وتجدّده المرّة

[1]: مغني اللّبيب: ابن هشام، 307/1.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 106/4.

[3]: المصدر نفسه، 10/14-11.

بعد الأخرى بأن يكونوا ألحّوا في هذا السّؤال لقصد الإعنات... والسّائلون هم اليهود، سألوا معجزة مثل معجزة موسى... دلّت عليه صيغة المضارع المراد منها التّعجيب؛ أي فلا تعجب من هذا فإنّ ذلك شنشنة قديمة لأسلافهم مع رسولهم إذ سألوه معجزة أعظم من هذا...[1]، وفي قوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾ الملك: ١٦، حيث يقول: "لكن نظم الكلام جرى على ما يناسب جعل التّهديد بمنزلة حادث وقع فلذلك جيء بالحرف الدّال على المفاجأة لأنّ حقّ المفاجأة أن تكون واقعة في الزّمن الحال لا الاستقبال... فإذا أُريد تحقيق حصول الفعل المستقبل نزل منزل الواقع في الحال كما في قوله(ثمّ إذا دعاكم دعوةً من الأرض إذا أنتم تخرجون) وإذا أُريد استحضار حالة فعل حصل فيما مضى نزل كذلك منزلة المشاهد في الحال كقوله (وإذا أذقنا النّاس رحمة من بعد ضرّاء...) فكان قوله (فإذَا هي تَمُور) مؤذنا بتشبيه حالة الخسف المتوقّع المهدّد به بحالة خسف حصل بجامع التّحقّق كما قالوا في التّعبير عن المستقبل بلفظ الماضي"[2].

-وقد جمع ابن عاشور في أحد المواضع بين دلالة المضارع على الماضي والاستقبال معا كما في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ يوسف: ١١٠، حيث يقول: "والجمع بين الماضي في «فنُجّي» والمضارع في «نَشَاء» احتباك تقديره، فنُجّي من شِئْنا ممّن نجا في القرون السّالفة، ونُنْجي من نَشَاء في المستقبل من المكذّبين"[3].

وفي موضع آخر جمع بين الحال والاستقبال كما في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٠، حيق يقول: "وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب «ليَضلّوا» -بفتح الياء- والمعنى: ليستمرّ ضلالهم فإنّهم حين جعلوا الأنداد كان ضلالهم حاصلا في زمن الحال، ومعنى التّعليل أن تكون مستقبلة لأنّها بتقدير «أن» المصدريّة بعد لام التّعليل"[4].

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 13/6-14.

[2]: المصدر نفسه، 34/29-35.

[3]: المصدر نفسه، 70/13.

[4]: المصدر نفسه، 230/13.

– وقد ذكر ابن عاشور دلالتين لصيغة المضارع وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ المائدة: ٤، حيث يقول: " إنْ كان النّاس قد سألوا عمّا أحلّ لهم من المطعومات بعد أن سمعوا ما حرّم عليهم في الآية السّابقة، أو قبل أن يسمعوا ذلك، وأريد جوابهم عن سؤالهم الآن، فالمضارع مستعمل للدّلالة على تجدّد السّؤال؛ أي تكرّره أو توقّع تكرّره... وإن كان السّؤال لم يقع، وإنّما قُصِد به توقّع السّؤال، كأنّه قيل: إن سألوك، فالإتيان بالمضارع بمعنى الاستقبال لتوقّع أن يسأل النّاس عن ضبط الحلال... إنّ صيغة يسألونك في القرآن تحتمل الأمرين، فعلى الوجه الأوّل يكون الجواب قد حصل ببيان المحرّمات أوّلا، ثمّ بيان الحلال، وعلى الوجه الثّاني قد قُصِد الاهتمام ببيان الحلال بوجه جامع، فعنون الاهتمام به بإرادة صيغة السّؤال المناسب لتقدّم ذكره"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ حِكْمَةُۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ القمر: ٥، حيث ذكر أنّ المضارع في قوله «فما تُغن» صالح للحال والاستقبال[2].

–وهناك أفعال مضارعة تصلح لكلّ من الماضي والحال والاستقبال نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنفال: ٣٦، حيث أُتِي بصيغة المضارع في الفعل «يُنْفِقُون» للإشارة إلى أنّ ذلك دأبهم في الإنفاق مستمر، فإنفاقهم حصل في الماضي ويحصل في الحال والاستقبال[3].

–لقد كان ابن عاشور يذكر في الكثير من المواضع دلالة الفعل المضارع على التّجدد والتّكرر دون أن يقرنه بدلالة المضارع على الماضي، أو الحال، أو الاستقبال كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ

[1]: المصدر السّابق، 110/6.

[2]: المصدر نفسه،175/27.

[3]: المصدر نفسه، 340/9.

﴿ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ الكهف: ١٨، في الفعل «نُقَلّبهم» بقوله: "والاتيان بالمضارع للدّلالة على التّجدّد بحسب الزّمن المحكي، ولا يلزم أن يكونوا كذلك حين نزول الآية"[1].

وفي قوله أيضا: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ الكهف: ٤٢، حيث ذكر أنّ الفعل «يقُول» يدلّ على تكرّر القول[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ الأعراف: ٦٢، وقوله: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴿٧٠﴾ ﴾ الأعراف: ٧٠، ذكر أن المضارع في «أنصَح» و«يَعبُد» للدّلالة على التّجدّد[3]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٣، حيث يقول: "واختيار صيغة المضارع للدّلالة على تكرّر ذلك منهم؛ أي أنّ عدوانهم يتكرّر كلّ سبت"[4]. وفي قوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴿١﴾ ﴾ الأنفال: ١، ومجيء الفعل بصيغة المضارع دالّ على تكرّر السّؤال إمّا بإعادته المرّة بعد الأخرى مع سائلين متعدّدين، وإمّا بكثرة السّائلين عن ذلك[5]. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ التوبة: ٣٧، حيث يقول: "واختير المضارع لهذه الأفعال لدلالته على التّجدّد والاستمرار، أي هم في ضلال متجدّد ومستمر بتجدّد سببه، وهو تحليله تارة وتحريمه تارة، ومواطأة عدّة ما حرّم الله"[6]، وفي قوله تعالى: ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ هود:

---

[1]: المصدر السّابق، 281/15.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 327/15.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 194/8-208.

[4]: المصدر نفسه، 148/9.

[5]: المصدر نفسه، 248/9.

[6]: المصدر نفسه، 192/10.

١٠٩، وعبّر عن عبادة الآباء بالمضارع للدّلالة على استمرارهم على تلك العبادة، أي إلّا كما اعتاد آباؤهم عبادتهم[1]، وفي قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الرعد: ٣، بقوله: "وجيء فيه بالمضارع لما يدلّ التّجدّد... وأمّا إغشاء اللّيل والنّهار فهو أمر متجدّد في كلّ يوم وليلة"[2].

وفي موضع آخر يربطها بالاستقبال كما في قوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٥، وجيء بالمضارع في «يَجعل» لإفادة التّجدّد في المستقبل[3].

-ويذكر في بعض المواضع دلالة المضارع على الاستقبال دون أي قرينة كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٠، حيث ذكر أنّ الفعل المضارع «تَمْلكُون» للاستقبال[4]. وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الشورى: ٢٥، حيث ذكر أنّ المضارع في «يقبَل» للاستقبال بقوله: "وهذا الإخبار تعريض بالتّحريض على مبادرة بالتّوبة، ولذلك جيء فيه بالفعل المضارع الصّالح للاستقبال، وهو أيضا إشارة للمؤمنين بأنّه قبل توبتهم ممّا كانوا فيه من الشّرك والجاهليّة، فإنّ الّذي من شأنه أن يقبل التّوبة في المستقبل يكون قد قبل توبة التّائبين من قبل..."[5]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ البقرة: ١٥٤، حيث يقول: "والوجه في تفسير هذه الآية أنّها تهيئة للمسلمين للصّبر على شدائد الحرب، وتحبيب للشّهادة إليهم، ولذلك وقع التّعبير بالمضارع في قوله (لمن يُقتل) المشعر بأنّه أمر مستقبل وهم الّذين قُتِلوا في وقعة بدر

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 168/12.
[2]: المصدر نفسه، 84/13.
[3]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 61/8.
[4]: ينظر: المصدر نفسه، 223/15.
[5]: المصدر نفسه، 89/25.

بُعَيد نُزُول هذه الآية[1]. قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠، وهذه الأفعال «يثبّتوك» و«يَقْتُلُوك» و«يُخْرِجُوك» مستقبلة بالنّسبة لفعل المكر، إذ غاية مكرهم تحصيل واحد من هذه الأفعال[2].

لقد ذكر ابن عاشور في مبحث الفعل الماضي دلالته على المضيّ وعلى الحال وعلى الاستقبال، حيث اشتركت دلالة الفعل الماضي على المضي والحال والاستقبال في موضعين هما: مجيء الفعل بعد «إذا» و«لمّا»، واشتركت دلالة الفعل على المضي والاستقبال في أربعة مواضع: وقوع الفعل بعد الشّرط، ومجيئه بعد «قد» و«إذا» و«لمّا»، أمّا دلالته على الحال والاستقبال فقد اشتركتا معا في موضعين هما: مجيء الفعل بعد «لمّا» و«إذا». وانفردت دلالة الفعل الماضي على المضي في ثلاثة مواضع: إذا كان سردا لأحداث في أسلوب القصص، وإذا جاء الفعل صفة لما قبله، وإذا وقع بعد الصّلة، أمّا دلالته على الحال فقد انفرت كذلك في ثلاثة مواضع وهي: إذا كان خاليا من القرائن، وإذا قصد بالفعل الإنشاء، وإذا جاء بعد لفظة «الآن»، وقد تفرّد الفعل الماضي بدلالته على الاستقبال في أربعة مواضع وهي: الإخبار عن الأمور المستقبلة قصد القطع بوقوعها، وإذا جاء الفعل بعد «لو» الشّرطيّة، وإذا جاء بعد «كلّما» و«إذ». أمّا مبحث الفعل المضارع فقد ذكر كذلك أنّه جاء للدّلالة على المضي والحال والاستقبال حيث اشتركت دلالة الفعل المضارع على المضي والحال في موضعين: إذا جاء الفعل بعد «إذْ»، وبعد «لو» الشّرطيّة. أمّا دلالته على المضيّ والاستقبال فلم تشتركا معا في أي موضع، وكذلك دلالته على الحال والاستقبال. وقد انفردت دلالة الفعل المضارع على المضي في ستّة مواضع وهي: إذا كان مقترنا بـ «لم»، إذا كان حكاية للحال الماضية، إذا كان بعد الموصول؛ أي وقع الفعل صلة لاسم الموصول، إذا جاء الفعل بعد «إذا» الظّرفيّة، إذا جاء خبرا لكان، إذا جاء بعد «قد». أمّا دلالته على الحال فانفردت في ثلاثة مواضع وهي: إذا كان الفعل خاليا من القرائن، إذا كان منفيا بـ «ما»، إذا كان الفعل جملة حالية. وقد تفرّد الفعل المضارع بدلالته على الاستقبال في أربعة مواضع وهي: إذا اقترن الفعل بالسّين وسوف، إذا جاء بعد «لا» النّاهية، إذا جاء بعد النّواصب، إذا اتّصل بنون التّوكيد الثّقيلة.

وقد تفرّد كلّ مبحث بمواضع خاصّة به، حيث اختص الفعل الماضي وتميّز عن الفعل المضارع بستّة مواضع: اثنين منها في دلالته على المضي وهي: أن يكون سردا لأحداث في أسلوب القصص، وإذا جاء

[1]: المصدر السّابق، 2/52-53.

[2]: المصدر نفسه، 9/327.

الفعل صفة لما قبله، وبموضعين في دلالته على الحال: إذا قصد بالفعل الإنشاء، وإذا جاء بعد لفظة «الآن». وبموضعين اثنين في دلالته على الاستقبال وهي: الإخبار عن الأمور المستقبلة قصد القطع بوقوعها، وإذا جاء الفعل بعد «كلّما». أمّا مبحث الفعل المضارع فقد تفرّد عن الماضي في عشرة مواضع: موضع اشترك فيه دلالته على المضي والحال وهو: مجيء الفعل بعد «إذْ»، وثلاثة مواضع في دلالته على المضي: إذا كان مقترنا بـ «لم»، إذا كان حكاية للحال الماضية، وإذا جاء خبرا لكان. وبموضعين في دلالته على الحال وهي: إذا كان منفيّا بـ «ما»، وإذا جاء الفعل جملة حاليّة. وبأربعة مواضع في دلالته على الاستقبال وهي: إذا اقترن الفعل بالسّين وسوف، أو جاء بعد «لا» النّاهية، وكذلك بعد النّواصب، وإذا اتّصل بنون التّوكيد الثّقيلة.

المبحث الثّالث: الفعل الأمر.

يختصّ هذا المبحث بالقسم الثّالث من أقسام الفعل ألا وهو فعل الأمر، وسنتناول الحديث فيه عن مفهوم الأمر، وكيفيّة صياغته، والأحوال الّتي يكون عليها، كما سنتطرق إلى ذكر المعاني والأغراض الّتي ذكرها العلماء لهذا القسم من الأفعال بشكل عام، وما ذكره ابن عاشور من الأغراض أثناء تعليقه على فعل الأمر بشكل خاص، مع الإشارة إلى مدى توافق تعليقات ابن عاشور مع غيره من المفسّرين أو اختلافها بحسب ما يقتضيه السّياق القرآني.

المطلب الأوّل: مفهوم فعل الأمر بناؤه وصياغته.

1-مفهوم الأمر:

لغة:

الأمر: معروف نقيض النّهي. أَمَرَهُ بِه؛ وأَمَرَه إيَّاه، على حذف الحرف، يأْمُرُهُ أَمْرًا وإمارًا فائْتَمَر؛ أي قَبل أمرَه[1].

اصطلاحا:

[1]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (أ م ر).

الأمر عند علماء البلاغة هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[1]، وهو صيغة يصحّ أن يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب[2]؛ فهو طلب فعل غير كفّ، ويكون بلفظ: «افْعَل» و «ليَفْعَل»[3]، وهناك من جعل ألفاظ الأمر وصيغه أربعة: الأوّل: فعل الأمر«افْعَل» نحو: اقْرَأ، واسْمَع، وتُب قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴿٨﴾ ﴾ التحريم: ٨، والثّاني: الفعل المضارع المقترن بلام الأمر «ليَفْعَل» نحو: ﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴿٣٣﴾ ﴾ النور: ٣٣، والثّالث: اسم فعل الأمر نحو: مَهْ وصَه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴿١٠٥﴾ ﴾ المائدة: ١٠٥، والرّابع: المصدر النّائب عن فعل الأمر[4] نحو قوله: ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٨٣.

وما يهمّنا في هذا المبحث من الألفاظ الأربعة الّتي ذُكرت في الأمر هو النّوع الأوّل فقط وهو: فعل الأمر وصيغته «افْعَل»، أمّا الثّاني فيدخل في الفعل المضارع الّذي تناولناه في المبحث السّابق، والثّالث لا يختصّ به علم الصّرف لأنّه من الأفعال غير المتصرّفة، أمّا النّوع الأخير فيدخل في باب الأسماء، ومجال بحثنا يختصّ بالأفعال فقط.

2- بناء فعل الأمر وصياغته:

فعل الأمر يبنى على السّكون وهو الأصل نحو: أبْشِرْ، اسْتَمِعْ، وقُلْ، أمّا إذا كان معتلّ الآخر ولم يتّصل به شيء فيبنى على حذف حرف العلّة نحو: اقْضِ، واسْعَ، ويبنى على حذف النّون إذا كان متّصلا

---

[1]: المعجم المفصّل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: عكّاوي إنعام فوّال، مراجعة: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط2، 1417هـ/1996م، ص219.

[2]: ينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 123/4.

[3]: الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريّا، تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1418هـ/1997م، ص138. وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر، تح: علي محمّد البجاوي، دار الفكر العربي، 441/1.

[4]: ينظر: مفتاح العلوم: السّكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي، تح: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرّسالة/بغداد، ط1، 1402هـ/1982م، ص543. والإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني جلال الدّين أبو عبد الله محمّد بن قاضي القضاة سعد الدّين أبو محمّد عبد الرّحمان، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ص147. والمعجم المفصّل في علوم البلاغة: عكّاوي إنعام، ص220-221.

بألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة نحو قوله تعالى: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ طه: ٤٣، وقوله: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ مريم: ٢٥، ويبنى على الفتح إذا اتّصلت به نونا التّوكيد الخفيفة والثّقيلة نحو: اعْلَمَنّ، اسْمَعَنْ[1].

ويُصاغ فعل الأمر من المضارع بحذف حرف المضارعة، ثمّ يُنظَر إلى ما يليه فإن كان متحرّكا صغتَ مثال الأمر على صيغته، وحرّكته بحركته، ويكون في الفعل الثّلاثي نحو: يَهَب فنقول في الأمر منه: هَبْ نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الفرقان: ٧٤، وفي يقُول: قُل، وتكون أيضا في الفعل إذا جاء على أكثر من ثلاثة أحرف نحو: يُزَلْزِل نقول في الأمر منه: زَلْزِل، وفي يُدَحْرِجُ: دَحرِج، وفي يُشَارِك: شَارِك نحو قوله: ﴿ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ ﴿٦٤﴾ ﴾ الإسراء: ٦٤، وإن كان الحرف الّذي يلي حرف المضارعة ساكنا اجتلبت لمثال فعل الأمر همزة الوصل ليتوصّل بها إلى النّطق بالسّاكن[2]، وتكون في الفعل إن كان ثلاثيّا نحو: يخْرُج نقول: اُخْرُج نحو قوله: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٨، وفي يَجْلِس نقول: اِجْلِس، وفي يَقْرَأ نقول: اِقْرَأ كما في قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١، وفي ما زاد عن الثّلاثي نحو: ينْطَلِق فالأمر منه: انْطَلِق، ويَقْتَرِب: اقْتَرِب نحو قوله: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ العلق: ١٩، يَسْتَفِزّ: اسْتَفْزِز نحو قوله: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الإسراء: ٦٤. وشذّ عن هذه القاعدة فعلان سكن ما بعد حرف المضارعة فيهما، ولم تدخل همزة الوصل عليهما وهما الفعلان: خُذْ وكُل نحو قوله تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣، و﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴿٥٧﴾ ﴾ البقرة: ٥٧، وجوّزوا في فعلين آخرين إلحاق همزة الوصل فيهما وحذفها منهما وهما: مُر وسَل ويجوز أن نقول: اسْأل وأمُر إذا لم يكونا في صدر الكلام، وهما ينتميان إلى الفعل المهموز -فالفعل (أمَر) مهموز الفاء، والفعل (سأل)

[1]: ينظر: جامع الدّروس العربيّة: الغلاييني، 164/2.

[2]: ينظر: شرح ملحة الإعراب: الحريري، ص18-19. وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص243. وشرح ألفية ابن مالك: ابن عقيل، 134/4.

مهموز العين- وحذف الهمزة منهما كثير في كلام العرب، فإن ولِي الفعل «مُر وسَل» فاء أو واو فالإثبات أجود؛ أي إثبات الهمزة في الفعل سواء كانت فاء أو عينا، أمّا في «خُذ وكُل» فقليل إثباتها[1].

ملاحظة:

تكون همزة الوصل مضمومة في فعل الأمر إذا كانت عين المضارع مضمومة، وتكون مكسورة إذا كانت عين المضارع مفتوحة أو مكسورة، وتكون الهمزة القطعية في فعل الأمر مفتوحة إذا كان الفعل رباعيّا مزيدا بالهمزة نحو: أَكْرَم يُكرِم فالأمر منه: أَكرِم، قال تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٧٧﴾ ﴾ القصص: ٧٧. وإذا كان الفعل مضعّفا نحو: يمدُّ ويغُضّ، فيجوز في الأمر منه الإدغام نحو: مُدَّ وغُضَّ، ويجوز فكّ الإدغام فنقول: امْدُد واغْضُض نحو قوله تعالى:﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴿١٩﴾ ﴾ لقمان: ١٩. وإن كان المضارع معتلّ الفاء -وهو المثال- فتحذف فاؤه في المضارع والأمر نحو: يَقِف فالأمر منه: قِف، وإن كان معتلّ الوسط -وهو الأجوف- نحو: خَاف وقَال، فالأمر منه يكون بحذف حرف العلّة وذلك في موضعين هما: الأوّل: الأمر في الواحد المذكر وهو ضمير المخاطب «أنْت»، إذا لم تتّصل به نونا التّوكيد نحو قولنا في: يخَاف: خَفْ، وفي يقُول: قُلْ، وفي يبِيع: بِعْ، والثّاني: الأمر في جماعة المؤنّث وما لا يعقل وهو ضمير المخاطب «أنتُن» نحو: خَفْنَ، وقُلْنَ، وبِعْنَ. وإن كان المضارع معتلّ الآخر؛ أي ناقص، فالأمر منه يكون بحذف حرف العلّة فإن كانت ألفا أبقيت بعد حذفها فتحة تدُلّ عليها نحو: يسْعَى فالأمر منه: اسْعَ، وإن كانت ياء أبقيت كسرة تدلّ عليها نحو يقْضِي نقول: اقْضِ قال تعالى: ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ طه: ٧٢، وإن كان واوا أبقيت الضّمّة تدلّ عليها نحو: يَتْلُو نقول: اتْلُ قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴿٢٧﴾ ﴾ المائدة: ٢٧[2]، وإن كان لفيفا مقرونا عومل معاملة النّاقص نحو: يكْوِي نقول: اكْوِ، وفي يهوي نقول: اهْوِ، وإن كان لفيفا مفروقا فيعامل معاملة المثال والنّاقص بحذف فائه ولامه نحو: وَفَى يَفِي فالأمر منه: فِ، ووقَى يَقِي الأمر منه: قِ كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦.

المطلب الثّاني: معاني صيغة فعل الأمر:

[1]: ينظر: شرح ملحة الإعراب: الحريري، ص18-19. وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص243.

[2]: ينظر: ارتشاف الضّرب، ص19-20-22-23.

لقد ذكرنا من قبل أنّ فعل الأمر يأتي للدّلالة على الطّلب، وقد يستعمل في غير الطّلب فيخرج عن دلالته الأصليّة إلى دلالات أخرى تُعرَف من سياق الكلام بقرائن حاليّة أو مقاميّة، وتسمّى هذه الدّلالات الأغراض البلاغيّة للأمر وهي كثيرة منها: الدّعاء، الالتماس، الإرشاد، الوجوب، التّمنّي، التّرجّي، التّيئيس، التّخيير، التّسوية، التّعجيز، التّهكم والإهانة، الإباحة، التّوبيخ والتّأنيب والتّقريع، النّدب، التّهديد، التّسليم، التّحضيض، الامتنان، الاحتقار والتّقليل، الإنذار، الوعيد، التّسخير، الإكرام، الإنعام، التّكوين، التّكذيب، المشورة، الاعتبار، التّعجّب أو التّعجيب، التّحسير، التّفويض، والتّلهيف، التّأديب، الإذن[1]، وقد تناول ابن عاشور فعل الأمر بالدّراسة والتّحليل في تفسيره، فكلّما وردت آية فيها هذه الصّيغة فسّرها وذكر المقصد البلاغي الّذي خرجت إليه، ومن هذه الدّلالات والأغراض الّتي ذكرها ابن عاشور ما يلي:

1-الطّلب: وهو الغرض الأصلي والحقيقي لصيغة الأمر. وممّا ذكره ابن عاشور بهذا الصّدد ما يلي:

-قوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ الفاتحة: ٦، أي دلّنا وأرشدنا ووفّقنا إلى الصّراط المستقيم وثبّتنا عليه، وهذا الدّعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد[2]، فهو مسألة العبد ربّه التّوفيق للثّبات على العمل بطاعته، وإصابة الحقّ والصّواب فيما أمره به ونهاه عنه، فيما يستقبل من عمره[3].

يقول ابن عاشور: "ولا شكّ أنّ المطلوب بقوله: «اهْدِنا» الملقّن للمؤمنين هو ما يناسب حال الدّاعي بهذا إن كان باعتبار داع خاص أو طائفة خاصّة... أو هو أنواع الهداية على الجملة باعتبار توزيعها على من تأهّل لها بحسب أهليته إن كان دعاء على لسان المؤمنين... وعلى كلا التّقديرين فبعض أنواع الهداية مطلوب حصوله لمن لم يبلغ إليه، وبعضها مطلوب دوامه لمن كان حاملا له خاصّة... وصيغة الطّلب موضوعة لطلب حصول الماهيّة المطلوبة من فعل أو كفّ فإذا استعملت في طلب الدّوام كان استعمالها مجازا... وأمّا إذا استعملت في طلب الدّوام للزّيادة ممّا حصل بعضه ولم يحصل بعضه فهي مستعملة في معناها وهو طلب الحصول لأنّ الزّيادة في مراتب الهداية مثلا تحصيل لمواد أخرى منها. ولمّا

---

[1]: البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها: الميداني عبد الرّحمان حسن حبنّكة، دار القلم/دمشق، الدّار الشّاميّة/بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، 231/1-232. وينظر: جمع الجوامع في أصول الفقه: السّبكي تاج الدّين عبد الوهّاب بن علي، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط2، 1424هـ/2003م، ص40-41. والصّاحبي: ابن فارس، ص138-140. ومعترك الأقران: السّيوطي، 441/1-444. والإيضاح: الخطيب القزويني، ص147-149. والمعجم المفصل في علوم البلاغة: عكّاوي إنعام، ص221-230.

[2]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص39.

[3]: جامع البيان: الطّبري، 166/1.

كان طلب الزّيادة يستلزم طلب دوام ما حصل إذ لا تكاد تنفع الزّيادة إذا انتقض الأصل كان استعمالها حينئذ في لازم المعنى مع المعنى فهو كناية. أمّا إذا قال اهدنا الصّراط المستقيم من بلغ جميع مراتب الهداية ورقي إلى قمّة غاياتها وهو النّبيّ ﷺ فإنّ دعاءه حينئذ يكون من استعمال اللّفظ في مجاز معناه...وليس عين المراد من الآية لأنّ المراد منها طلب الحصول بالمزيد مع طلب الدّوام..."[1]. ويتّضح لنا من قول ابن عاشور أنّه رجّح معنى الطّلب على معنى الدّعاء بحسب المراد من الآية، ولعلّ ترجيح ابن عاشور للطّلب على الدّعاء إذا كان «اهْدِنا» بمعنى زدنا هداية، وهذا القول فاسد عند الطّبري[2].

وقد ذكر الزّمخشري أنّ «اهْدِنا» بمعنى طلب الهداية، ثمّ نقل قول علي وأبيّ رضي الله عنهما في أنّ «اهْدِنا» بمعنى: ثبّتنا، وصيغة الأمر والدّعاء واحدة؛ لأنّ كلّ واحد منهما طلب، وإنّما يتفاوتان في الرّتبة[3]. وهذا ما أشار إليه البغوي بقوله: "وهذا الدّعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التّثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية لأنّ الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السّنّة"[4]، ويقول ابن عثيمين عندما ذكر الفوائد من الآية: "حيث حذف حرف الجرّ من «اهْدِنا»؛ والفائدة من ذلك: لأجل أن تتضمّن طلب الهداية: الّتي هي هداية العلم، وهداية التّوفيق؛ لأنّ الهداية تنقسم إلى قسمين: هداية علم وإرشاد، وهداية توفيق وعمل..."[5].

وذهب السّمين الحلبي وابن عادل في تفسيريْهما أنّ صيغة الأمر في «اهْدِنا» معناها الدّعاء[6].

- قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٣، يقول ابن عاشور: "... إلّا انّهم أرادوا بالذّنوب ما كان قاصرا على ذواتهم، ولذلك طلبوا

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 1/189-190.

[2]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 1/167-168.

[3]: الكشّاف: الزّمخشري، 1/121.

[4]: معالم التّنزيل: البغوي أبو محمّد الحسين بن مسعود، تح: محمّد عبد الله النّمر وآخرون، دار طيبة، الرّياض، 1409هـ، 1/45.

[5]: تفسير القرآن الكريم (الفاتحة-البقرة): محمّد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1423هـ، 1/16.

[6]: الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: السّمين الحلبي أحمد بن يوسف: تح: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، 1/61. وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل أبو حفص عمر بن علي الدّمشقي الحنبلي، نح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، 1/203.

مغفرته"[1]، وهذا ما أشار إليه ابن عادل بقوله أنّهم طلبوا من الله في هذا الدّعاء غفران الذّنوب[2]؛ أي أنّهم طلبوا من الله سبحانه أن يغفر ذنوبهم ويسترها. ونظيره قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾ ص: ٣٥، حيث أشار إلى أنّ صيغة الأمر في «اغْفر» للطّلب[3]، وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان في معنى صيغة الفعل «اغْفر»[4].

-قوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢ ﴾ التغابن: ١٢، وفي هذه الآية أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى وزجر[5]. وقد أشار ابن عاشور إلى أنّ صيغة الأمر في «أطيعُوا» لطلب الطّاعة[6].

وقد ذكر ابن عاشور دلالة فعل الأمر على الطّلب في مواضع أخرى وهي قوله تعالى: ﴿ ...وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ ﴾ البقرة: ٢٣، حيث ذكر أنّ "الدّعاء يستعمل بمعنى طلب حضور المدعو"[7]. وفي قوله أيضا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ ﴾ آل عمران: ٨، حيث يقول في تعليقه على الفعل «هَبْ»: بأنّهم "طلبوا أثر الدّوام على الهدى وهو الرّحمة، في الدّنيا والآخرة، ومنع دواعي الزّيغ والشّر"[8] وقوله: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ ﴾ الأنعام: ١٥٢، بقوله: "... وقد جاء طلب الحقّ في القول بصيغة الأمر بالعدل، دون النّهي عن الظّلم أو الباطل؛ لأنّه قيّده بأداة الشّرط..."[9]. وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 199/4.
[2]: اللّباب في علوم الكتاب: ابن عادل، 121/6.
[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 261/23.
[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 381/7.
[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 487/4.
[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 280/28-282.
[7]: المصدر نفسه، 339/1.
[8]: المصدر نفسه، 170/3.
[9]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 168/8.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد: ١٩، حيث ذكر أنّ الأمر في قوله «فاعْلَم» للطّلب[1]، وقوله: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ المنافقون: ١٠، حيث ذكر أنّ الأمر في «أنْفقُوا» مستعمل للطّلب[2]. وفي قوله أيضا: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ الإنسان: ٢٥، بقوله: "والأمر في قوله «اذْكُر» مستعمل في مطلق الطّلب من وجوب ونفل"[3]، وفي قوله: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١، بأنّ الأمر في «اقْرَأ» للطّلب[4].

2-الدّعاء: إذا استعملت على سبيل التّضرّع كقولنا: اللّهم اغْفِر، وارْحَم[5]، ويكون عادة من العبد لربّه[6]؛ أي: من الأدنى إلى الأعلى. وممّا علّق عليه ابن عاشور في دلالة الأمر على الدّعاء ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴿٦٨﴾ ﴾ البقرة: ٦٨، والشّاهد قوله: «ادْع» يقول ابن عاشور: "ومعنى «أدْعُ لنا» يحتمل أن يراد منه الدّعاء الّذي هو طلب بخضوع وحرص على إجابة المطلوب فيكون في الكلام رغبتهم في حصول البيان لتحصيل المنفعة المرجوّة... ويحتمل أنّهم أرادوا مطلق السّؤال فعبّروا عنه بالدّعاء، لأنّه طلب من الأدنى إلى الأعلى..."[7]؛ أي أنّ بني إسرائيل طلبوا من موسى عليه السّلام أنْ يدْعُوَ لهم ربّه ليبيّن لهم صفة هذه البقرة الّتي أمِروا بذبحها.

-وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٤، حيث أشار أنّ الفعل «ءاتِنَا» للدّعاء[8].

---

[1]: المصدر السّابق، 105/26.

[2]: المصدر نفسه، 252/28.

[3]: المصدر نفسه، 405/29.

[4]: المصدر نفسه، 435/30.

[5]: مفتاح العلوم: السّكاكي، ص543. وينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 123/4.

[6]: البلاغة العربيّة: الميداني، 232/1.

[7]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 548/1.

[8]: ينظر: المصدر نفسه، 201/4.

أمّا ابن عادل فقد ذكر أنّ الأمر لطّلب الثّواب؛ لأنّ الآية دلّت على أنّهم طلبوا منافع الآخرة[1].

والأرجح عندنا ما ذهب إليه ابن عاشور؛ لأنّه دعاء من العباد إلى الله سبحانه لإيتائهم ما وعدهم به على ألسنة رسله، فالله سبحانه هو الّذي يجازي العباد على أعمالهم.

-قوله تعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الأعراف: ٤٩، يقول ابن عاشور: "والأظهر أن يكون الأمر في قوله (ادْخُلُوا الجنَّة) للدّعاء؛ لأنّ المشار إليهم بهؤلاء هم أناس من أهل الجنّة، لأنّ ذلك الحين قد استقرّ فيه أهل الجنّة في الجنّة وأهل النّار في النّار..."[2]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ يوسف: ٩٩، فالأمر في «ادْخُلُوا» للدّعاء أيضا، كالّذي في قوله: (ادّخُلُوا الجنّة لا خوف عليكم)[3].

-قوله: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ نوح: ٢٨، حيث أشار ابن عاشور أنّ الأمر في «اغْفِر» للدّعاء[4]، وهذا ما أشار إليه البقاعي بقوله: " ولما دلّ هذا كلّه على أنّه دعاء على أعداء الله . دعا أيضا لأوليائه وبدأ بنفسه لأنه رأس تلك الأمّة... ولمّا كان المقام الأعلى أجلّ من أن يقدّره أحد حقّ قدره قال: (اغْفِر لي)... ولمّا أظهر بتواضعه عظمة الله سبحانه وتعالى رتّب المدعو لهم على الأحقّ فالأحق..."[5] . وقال القرطبي: "دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين"[6]، وتابعهم أبو حيان ففسر فعل الأمر على معنى الدعاء أيضا[7].

---

[1]: ينظر: اللّباب في علوم الكتاب: ابن عادل، 123/6.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 147/8.

[3]: المصدر نفسه، 55/13.

[4]: المصدر نفسه، 215/29.

[5]: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور: البقاعي برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 458/20-459.

[6]: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 269/21.

[7]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 337/8.

ويتّضح هنا موافقة ابن عاشور لغيره من المفسّرين في معنى صيغة الأمر في الفعل «اغْفِر»، والفرق بينه وبينهم أنّه صرّح بمعنى الأمر تصريحا واضحا، أمّا المفسّرون الآخرون فقد أشاروا إليه ضمنا في سياق تفسيرهم.

3-الوجوب: إذا كان الطّلب على وجه الاستعلاء ممّن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة[1]، وقد ذكر ابن عاشور هذا المعنى في الكثير من الآيات القرآنيّة منها:

-قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢، هذه آية الدّين وهي تشتمل أحكاما عظيمة جليلة المنفعة[2]

يقول ابن عاشور: "والأمر في اكتُبُوه قيل للاستحباب وهو قول الجمهور... وقيل الأمر للوجوب قاله ابن جريج والشّعبي وعطاء والنّخعي... والأرجّح أنّ الأمر للوجوب فإنّه الأصل في الأمر، وقد تأكّد بهذه المؤكّدات... وذكر قول ابن عطيّة الّذي يخالف قوله فردَّه لأنّ مقام التّوثّق غير مقام التّبرّع... ثمّ ذكر أنّ مقصد الشّريعة تنبيه أصحاب الحقوق حتّى لا يتساهلوا ثمّ يندموا وليس المقصود إبطال ائتمان بعضهم بعضا[3]، وهذا ما ذهب إليه الطّبري حيث أشار أنّ الأمر بالاكتتاب فرض واجب وذلك عندما ذكر الاختلاف في الاكتتاب هل هو واجب أو ندب؟ وذكر قول بعضهم أنّه حقّ واجب، وفرض لازم[4]. وتابعهم أبو حيّان بقوله: "أمر الله تعالى بكتابته؛ لأنّ ذلك أوثق وآمن من النّسيان، وأبعد من الجحود، وظاهر الأمر للوجوب"[5].

أمّا ابن عطيّة فقد ذكر أنّ الأمر للنّدب بقوله: "... وهذا هو القول الصّحيح، ولا يترتّب نسخ في هذا لأنّ الله تعالى ندب إلى الكتب فيما للمرء أنْ يهبه ويتركه بإجماع، فندبه إنّما هو على وجه الحيطة للنّاس"[6].

---

[1]: ينظر: مفتاح العلوم: السّكاكي، ص543.

[2]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص118.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 100/3.

[4]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 72/5.

[5]: البحر المحيط: أبو حيّان، 359/2.

[6]: المحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 379/1.

ونلاحظ هنا أنّ ابن عاشور ذكر أنّ الأمر للاستحباب على قول الجمهور، والقرطبي وابن عطيّة وأبو حيّان ذكروا أنّ الأمر على قول الجمهور ندب لحفظ الأموال وإزالة الرّيب[1]، ولعلّ ما ذهب إليه ابن عاشور بنحو ما ذكره البغوي والبيضاوي وأبو السّعود في أنّ الأمر للاستحباب على قول والجمهور[2]، وهذا يدلّ على أنّ الاستحباب النّدب يطلقان في بعض الأحيان مرادفان لبعضهما.

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ النساء: ٨٦، والشّاهد: ردُّوها: حيث يقول ابن عاشور: على الأمر بردّ السّلام ووجوب الرّد؛ لأنّ أصل صيغة الأمر أن يكون للوجوب على مقتضى مذهب الجمهور في محمل صيغة الأمر، ولذلك اتّفق الفقهاء على وجوب ردّ السّلام[3].

وقد أشار أبو حيّان إلى هذا المعنى بقوله: "... وروي عن عمر وابن عبّاس وغيرهما: أنّ غاية السّلام إلى البركة وفي الآية دليل على أنّ الرّدّ واجب، لأجل الأمر..."[4]. وتابعهم البيضاوي بقوله: "ويدلّ على وجوب الجواب إمّا بأحسن منه... وإمّا بردّ مثله..."[5].

اتّفق المفسّرون على أنّ الأمر للوجوب، وهذا يدلّ على أنّ ردّ السّلام في ديننا واجب على المسلم، وقد حثّ سبحانه بالمسارعة لردّ السّلام لما يترتّب عليه من الأجر والثّواب العظيم.

-قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴿١﴾ ﴾ المائدة: ١، هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها، وهي تعمّ جميع ما ألزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التّكاليف والأحكام الدّينيّة، وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها ممّا يجب الوفاء به[6].

يقول ابن عاشور و"تصدّر السّورة هنا بالأمر بالإيفاء بالعقود مؤذن بأنّه سَتَرِد بعده أحكام وعقود كانت عقدت من الله على المؤمنين إجمالا وتفصيلا... والأمر بالإيفاء بالعقود يدلّ على وجوب ذلك

---

[1]: ينظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 431/4. والمحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 379/1. والبحر المحيط: أبو حيّان، 359/2

[2]: معالم التّنزيل: البغوي، 249/1. وينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 269/1. وأنوار التّنزيل: البيضاوي، 234/1.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 145/5-147.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 323/3.

[5]: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 377/1.

[6]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص218. وإرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 2/3.

فتعيّن أنّ إيفاء العاقد بعقده حقّ عليه، فلذلك يقضي به عليه؛ لأنّ العقود شرعت لسدّ حاجات الأمّة..."[1]، أمّا أبو السّعود والبيضاوي فقد ذكرا أنّ الأمر يعمّ الوجوب والنّدب[2].

وقد ذكر ابن عاشور معنى الوجوب في صيغة الأمر في مواضع أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ الأعراف: ٣١، حيث يقول: "والأمر في قوله: (خُذُوا زينَتَكُم) للوجوب... وقد يعرض لما أبطل به التّحريم أن يكون واجبا"[3]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾ التوبة: ١٢، بقوله أنّ الأمر في «قَاتِلُوا» "للوجوب، وهو حالة من أحوال الإذن المتقدّم... ففي هذه الحالة يجب قتالهم ذبّا عن حرمة الدّين"[4]، وفي قوله: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦ ﴾ الحج: ٣٦، حيث ذكر أنّ "الأمر في «أطْعِمُوا» للوجوب وهو الأصح"[5]. وفي قوله أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ٥٣ ﴾ الأحزاب: ٥٣، بقوله أنّ "الأمر في «انْتَشِرُوا» للوجوب"[6]. وفي قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ١٢ ﴾ المجادلة: ١٢، حيث ذكر أنّ الأمر في «قدّمُوا» للوجوب[7]. وقوله: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 74/6-75.

[2]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 2/3. أنوار التّنزيل: البيضاوي، 416/1.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور: القسم الثّاني، 94/8.

[4]: المصدر نفسه، 129/10.

[5]: المصدر نفسه، 265/17.

[6]: المصدر نفسه، 85/22.

[7]: المصدر نفسه، 43/28-44.

﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ الطلاق: ٢، فالأمر في «أشْهِدُوا» للدّلالة على الوجوب[1].

4-الإباحة: إذا استعملت في مقام الإذن كقولك: جَالِس الحسَن أو ابن سيرين، لمن يستأذن في ذلك بلسانه أو بلسان حاله[2]، وذلك "إذا استعملت صيغة الأمر في مقام توهّم السّامع فيه عدم جواز الجمع بين أمرين فيكون الأمر إذنا له بالفعل فله أن يفعل، وله أن يترك"[3]. وممّا ذكره ابن عاشور في هذا المعنى من القرآن الكريم ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ الأنعام: ١١٨. فهذه الآية فيها إباحة من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يأكلوا ممّا ذكر عليه اسمه من الذّبائح المحلّلة لهم[4].

يقول ابن عاشور: "والأمر في قوله (كُلُوا) للإباحة... ولمّا لم يخطر ببال أحد أنّ ما ذكر اسم الله عليه يحرّم أكله؛ لأنّ هذا لم يكن معروفا عند المسلمين، ولا عند المشركين، علم أنّ المقصود من الإباحة ليس رفع الحرج، ولكن بيان ما هو المباح، وتمييزه عن ضدّه من الميّتة وما ذبح على النّصب"[5].

وهذا ما علّق عليه ابن عاشور أيضا في فعل الأمر «كُلُوا» في قوله تعالى: ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الأنعام: ١٤١، وقوله: ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ طه: ٥٤، وقوله أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ المؤمنون: ٥١، حيث ذكر أنّه للإباحة[6].

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 309/28.

[2]: مفتاح العلوم: السّكاكي، ص543. وينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 124/4.

[3]: دراسات في البلاغة العربيّة من بلاغة القرآن المعاني البيان البديع: علوان محمّد شعبان وعلوان نعمان شعبان، دار العربيّة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1998م، ص44.

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 211/2.

[5]: التحرير والتنوير: ابن عاشور، القسم الأول، 31/8.

[6]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 119/8. وينظر: المصدر نفسه، 239/16. والمصدر نفسه، 68/18.

وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان حيث ذكر أنّه أمر بإباحة الأكل[1].

-قوله تعالى: ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ الأعراف: ٣١، حيث جمعت هذه الآية "أصول أحكام الشّريعة كلّها، فجمعت الأمر، والنّهي، والإباحة والتّخيير"[2].

يقول ابن عاشور أنّ الأمر في (وكُلُوا واشْرَبُوا) للإباحة لبني آدم الماضين والحاضرين... فالأمر بالأكل والشّرب للإباحة إبطالا للتّحريم[3]، وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان بقوله: "والظّاهر أنّه أمر بإباحة الأكل والشّرب من كلّ ما يؤكل أو يشرب ممّا يحظر أكله وشربه في الشّريعة"[4].

-قوله تعالى ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣ ﴾ هود: ١٣حيث أشار ابن عاشور أنّ الأمر في قوله: (ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم) للإباحة؛ أي إن شئتم حين تكونون قد عجزتم عن الإتيان بعشر سور من تلقاء أنفسكم فلكم أن تدعوا من تتوسّمون فيه المقدرة على ذلك...[5].

وقد ذكر ابن عاشور هذا المعنى في مواضع أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ١٨٧ ﴾ البقرة: ١٨٧، والأمر في باشِرُوهُنّ للإباحة[6]. وفي قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ ٣٣ ﴾ الرعد: ٣٣، بقوله: "فالأمر مستعمل في معنى الإباحة كناية عن قلّة المبالاة

[1]: البحر المحيط: أبو حيّان، 239/4.

[2]: البرهان في علوم القرآن: الزّركشي بدر الدّين محمّد بن عبد الله، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ط3، 1404هـ/1984م، 13/2.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 94/8.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 292/4.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 20/12.

[6]: المصدر نفسه، 183/2.

بدعائهم..."[1]. وفي قوله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ الجمعة: ١٠، حيث ذكر أنّ الأمر في «انْتَشِرُوا» و«ابْتَغُوا» للإباحة[2].

5- التّوبيخ: والتّوبيخ هو التّأنيب على فعل قد وقع بقصد أو بدون قصد، وقد يأتي في بعض المواطن مصحوبا بالتّغليظ، لشّدة ما اقترفوه من ذنب[3]. وممّا علّق عليه ابن عاشور في معنى التّوبيخ ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾ البقرة: ١٦٨. يبيّن الله سبحانه في هذه الآية "أنّه الرّازق لجميع خلقه فذكر في مقام الامتنان أنّه أباح لهم أن يأكلوا ممّا في الأرض حال كونه حلالا من الله طيّبا"[4].

يقول ابن عاشور: " فالخطاب بيا أيّها النّاس موجّه إلى المشركين كما هو شأن خطاب القرآن بيا أيّها النّاس. والأمر في قوله: «كُلُوا» مستعمل في التّوبيخ على ترك ذلك وليس للوجوب ولا للإباحة، إذ ليس الكفار بأهل للخطاب بفروع الشّريعة، فقوله: (كُلُوا) تمهيد لقوله بعده (ولا تتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَان)[5].

أمّا أبو حيّان فقد ذكر أنّه الأمر في «كُلُوا» "أمر إباحة وتسويغ؛ لأنّ الله تعالى هو الموجد للأشياء فهو المتصرّف فيها على ما يريد"[6]، وهذا ما ذهب إليه الميداني حيث ذكر أنّ غرض الأمر في الآية الإباحة[7].

وما قاله ابن عاشور في أنّ الخطاب في الآية للمشركين فيه نظر لأنّ "الخطاب موجّه للنّاس كلّهم، مؤمنهم وكافرهم"[8]، والخطاب بيا أيّها في القرآن الكريم ليس مخصّصا للكفّار فقط.

---

[1]: المصدر السّابق، 151/13.

[2]: المصدر نفسه، 227/28.

[3]: الطّاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة في ضوء تفسيره التّحرير والتّنوير "المعاني والبديع": الشوبكي رانية جهاد إسماعيل، رسالة ماجستر، كلّيّة الآداب، قسم اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، 1430هـ/2009م، ص194.

[4]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 282/1.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 101/2.

[6]: البحر المحيط: أبو حيّان، 652/1.

[7]: ينظر: البلاغة العربيّة: الميداني، 235/1-236.

[8]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص80.

وعلى هذا فقد خالف ابن عاشور رأي المفسّرين والبلاغيين في تخريج معنى الأمر للتّوبيخ، والرّاجح أنّه للإباحة؛ لأنّ التّوبيخ لا يليق بمقام الآية لأنّه يشمل المؤمنين أيضا، ثمّ إنّ الله سبحانه يرزق المؤمن والكافر وأباح لكليهما الأكل ممّا أحلّه سبحانه.

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنفال: ٣٥، يقول ابن عاشور: "والأمر هنا للتّوبيخ والتّغليظ وذلك هو العذاب"[1]؛ أي أنّ الله سبحانه وبّخ هؤلاء الكفّار وتوعّدهم بالعذاب بسبب ما كانوا يكفرون به. فقد ذكر التّوبيخ مصحوبا بالتّغليظ ليدلّ على شدّة ما اقترفوه من عمل بسبب صدّهم عن المسجد الحرام والعذاب الّذي يذوقونه.

وهذا المعنى ذكره ابن عاشوره أيضا في قوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة: ٢٤، حيث يقول: "وابتداء الخطاب بـ «قُل» يشير إلى غلظه والتّوبيخ به"[2]. وفي قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ سبأ: ٢٢، حيث ذكر أنّ الأمر في «ادْعُوا» مستعمل في التّخطئة والتّوبيخ[3].

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 339/9.

[2]: المصدر نفسه، 152/10.

[3]: المصدر نفسه، 186/22.

6- الإنذار: الإبلاغ والإنذار يكون قبل وقوع الفعل[1]، فمنهم من عدّه من التّهديد، ومنهم من جعله قسما آخر[2]، حيث ذُكِر أنّ ابن عاشور جعل الإنذار من معاني التّهديد[3]، وممّا ذكره ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنفال: ٥٠، يقول الله تعالى لنبيّه محمّد ﷺ: لو ترى الّذين كفروا بآيات الله حين توفّاهم الملائكة وقد اشتّد بهم القلق وعظم الكرب لشاهدت أمرا هائلا فظيعا، وذلك عند قبض الملائكة لأرواحهم، ونفوسهم ممتنعة مستعصية على الخروج لعلمها ما أمامها من العذاب الأليم، فتقول لهم الملائكة حينئذ ذوقوا عذاب الحريق جزاء ما عملتم من الأعمال السّيّئة في الدّنيا[4].

فالأمر في «ذُوقُوا» مستعمل في الإنذار كقوله: (قُل تَمتَّعُوا) [5]، ويقول أبو السّعود: "... أي ويقولون أو قائلين ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة..."[6].

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ طه: ١٣٥، حيث ذكر ابن عاشور أنّ صيغة الأمر في «فَتَرَبّصُوا» مستعملة في الإنذار[7]، أمّا أبو حيّان فقد ذكر أنّ الأمر للتّهديد والوعيد[8].

---

[1]: ينظر: المعجم المفصّل في علوم البلاغة: عكّاوي إنعام، 223/2. والطّاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة: الشّبوكي رانية، ص195.

[2]: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: السّبكي بهاء الدّين، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتة العصريّة، صيدا/بيروت، ط1، 1423هـ/2003م، 467/1.

[3]: ينظر: الطّاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة: الشّبوكي رانية، ص195.

[4]: تيسر الكريم الرّحمان: السّعدي، ص323. وينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 401/2-404.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 41/10.

[6]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 27/4.

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 348/16.

[8]: البحر المحيط: أبو حيّان، 270/6.

وفي قوله: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ المرسلات:٤٦، يقول ابن عاشور: "والأمر في «كُلُوا وتَمَتّعُوا» مستعمل في الإمهال والإنذار، أي ليس أكلكم وتمتّعكم بلذّات الدّنيا بشيء؛ لأنّه تمتّع قليل ثمّ مأواكم العذاب الأبدي"[1]، وقد ذكر أبو حيّان أنّه خطاب تهديد للكفّار في قريش[2].

وفي هذه المواضع اختلف أبو حيّان وابن عاشور في ذكر الغرض الّذي جاءت له صيغة فعل الأمر.

جمع ابن عاشور بين الإنذار والوعيد في بعض المواضع منها قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ الزمر: ٨، حيث ذكر أنّ "صيغة الأمر في قوله (تمَتَّع) مستعملة في الإمهال المراد منه الإنذار والوعيد"[3]، حيث قرن الإنذار بالوعيد؛ "والخطاب للكافر جاعل الأنداد لله"[4].

7- التّهديد: هو التّخويف، حيث تستخدم صيغة الأمر في مقام عدم الرّضا؛ أي أنّها تستعمل في مقام تسخّط المأمور به، وتكون بعد وقوع الفعل[5]، يقول ابن قتيبة: "أن يأتيَ الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد كقوله: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُم)"[6].

وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ الأنعام: ١٥٨، وجاء بالاستئناف في قوله: (قُل انْتَظرُوا) أمر للرّسولﷺ بأن يهدّدهم ويتوعّدهم على الانتظار إذا كان واقعا منهم، أو على التّريّث والتّأخّر عن الدّخول في الإسلام الّذي هو شبيه بالانتظار إذا كان الانتظار إدّعائيّا، بأن يأمرهم بالدّوام على حالهم الّتي عبّر عنها بالانتظار أمر

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 446/29.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 399/8.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 344/23.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 402/7.

[5]: ينظر: مفتاح العلوم: السّكاكي، ص543-544. وشرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 124/4. والطّاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة: الشوبكي رانية، ص195.

[6]: تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة أبو محمّد عبد الله بن مسلم، شرح: السّيد أحمد صقر، المكتبة العلميّة، القاهرة، 1393هـ/1973م، ص280.

تهديد[1]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ الأعراف: ٧١، حيث يقول: "وصيغة الأمر للتّهديد"[2]. وقوله: ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ هود: ١٢٢، يقول ابن عاشور: "﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ تهديد ووعيد، كما يقال في الوعيد: سوف ترى"[3]، وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان بقوله: "... أي: انتظروا ما تنتظرون إنّا منتظرون ما يحلّ بكم، وهو أمر تهديد ووعيد"[4]. أمّا الزّمخشري فقد ذكر أنّه للوعيد فقط[5]، وتابعه في ذلك البيضاوي بقوله: "﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ وعيد لهم، أي: انتظروا إتيان أحد الثّلاثة فإنّا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل"[6]، وأشار أبو السّعود أنّه للتّهديد[7].

ويتّضح لنا أنّ من أكثر المفسرين توافقا مع ابن عاشور في تخريج الغرض لصيغة الأمر في الآية هو أبو حيّان حيث جمعا بين التّهديد والوعيد، أمّا باقي المفسّرين فمنهم من ذكر الوعيد، ومنهم من ذكر التهديد فقط.

وهناك مواضع جمع فيها بين التّهديد والإنذار كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٥، حيث يقول ابن عاشور في الفعل «قُل»: "وهو الأمر المستعمل في الإنذار والتّهديد، ليملي لهم في ضلالهم إملاء يشعر في متعارف التّخاطب، بأنّ المأمور به ممّا يزيد المأمور استحقاقا للعقوبة، واقتربا منها. أمر الله رسوله ﷺ بأن ينادهم ويهدّدهم. وأمر أن يبتدأ خطابهم بالنّداء للاهتمام بما سيقال لهم... والنّداء: للقوم المعاندين بقرينة المقام، الدّال على أنّ الأمر للتّهديد، وأنّ عملهم مخالف لعمله"[8].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 191/8.

[2]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 213/8.

[3]: المصدر نفسه، 194/12.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 260/4.

[5]: الكشّاف: الزّمخشري، 416/2.

[6]: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 529/1.

[7]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 205/3.

[8]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 90/8.

كما جمع ابن عاشور بين التّهديد والتّوبيخ في قوله تعالى:﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٤ ﴾ الروم: ٣٤، حيث يقول: "والأمر في «تمتّعُوا» مستعمل في التّهديد والتّوبيخ"[1]؛ أي: يوبخون ويهدّدون ....

وهناك ما تفرّد فيها بالتّهديد كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠ ﴾ الأنعام: ٤٠، بقوله: "وافتتح هذا التّهديد بالأمر بالقول اهتماما به وإلّا فإنّ معظم ما في القرآن مأمور الرّسول ﷺ بأن يقوله لهم"[2]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠ ﴾ فصلت: ٤٠، يقول ابن عاشور: "والأمر في قوله (اعْمَلُوا مَا شِئْتُم) مستعمل في التّهديد، أو في الإغراء المكنّى به عن التّهديد"[3]. وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾ السجدة: ٢٠، حيث أشار ابن عاشور أنّ الأمر للتّهديد[4].

فالتّهديد في الآيات السّابقة يبيّن سخط الله عزّ وجلّ بكلامه أو بواسطة رسله وملائكته عليهم السّلام على الكفّار والعصاة والمتكبّرين لردعهم عن أعمالهم، وتوعّده لهم بالعذاب والعقاب الشّديد إذا صمّموا على أعمالهم وأبَوا عن العودة على ما هم عليه.

لقد قرن ابن عاشور لفظ التّهديد تارة بالوعيد كما فعل في الإنذار، وتارة بالتّوبيخ والإنذار، وهذا يدلّ أنّ التّهديد والإنذار ليسا بالمفهوم نفسه عند ابن عاشور كما سبق ذكره، فالتّهديد له مقامات مختلفة، فكلّ مقام له تهديده الخاص به حسب شناعة السّلوك والفعل، ولهذا كان يقرنه ابن عاشور تارة بالوعيد وتارة بالتّوبيخ وتارة أخرى بالإنذار؛ لأنّ هذه الأغراض قريبة من بعضها. وفي بعض المواضع يذكر التّهديد منفردا.

---

[1]: المصدر السّابق، 98/21.

[2]: المصدر نفسه، 221/7.

[3]: المصدر نفسه، 305/24.

[4]: المصدر نفسه، 232/21.

8- الإهانة: وتكون بتوجيه الأمر إلى المخاطب بقصد استحقاره واستصغاره[1]، وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

-قال تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩ ﴾ الأعراف: ٣٩، وصيغة الأمر في قوله: (فَذُوقُوا) مستعملة في الإهانة والتّشفّي[2]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤ ﴾ الأنفال: ١٤، حيث ذكر أنّ صيغة الأمر مستعملة في الشّماتة والإهانة[3]. أمّا أبو حيّان فيقول: "وأنّ قوله (فَذُوقُوا العَذَاب)من كلام الأولى خطابا للأخرى على سبيل التّشفّي منهم وأنّ ذوق العذاب ليس هو بما كسبت من الآثام لا بسبب دعواكم أنّا أضللناكم"[4].

-وقوله تعالى: ﴿ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤ ﴾ يس: ٦٤، حيث ذكر ابن عاشور أنّ الأمر في «اصْلَوْهَا» مستعمل في الإهانة والتّنكير[5]. وفي قوله أيضا: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ ﴾ الدخان: ٤٩، والأمر في «ذُقْ» مستعمل في الإهانة[6]، وقد ذكر العلوي في الطّراز هذه الآية في الوجه الثّاني من الأوجه الّتي يأتي لها التّهكّم وهي أن تورَد صفات المدح والمقصود بها الذّم، لأنّ المقصود هو الاستخفاف والإهانة، ولهذا ورد في حقّ من يدخل النّار، والغرض منه الذّليل المُهان، ولكنّه أخرجه هذا المخرج للتّهكّم[7]، وهذا ما ذكر الزّمخشري وأبو حيّان أنّ قوله: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ على سبيل التّهكّم والهزؤ[8].

---

[1]: دراسات في البلاغة العربيّة: علوان محمّد وعلوان نعمان، ص45.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 124/8.

[3]: المصدر نفسه، 285/9.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 299/4.

[5]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 49/23.

[6]: ينظر: المصدر نفسه، 316/25.

[7]: ينظر: الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني، مطبعة المقتطف، مصر، 1222هـ/1914م، 162/3. وينظر: تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص186.

[8]: ينظر: الكشّاف: الزّمخشري، 477/5. والبحر المحيط: أبو حيّان، 40/8.

9-التّهكم: هو الاستهزاء بالمخاطب، مأخوذ من (تهكَّمت البئر) إذا تهدّمت[1]، والتّهكّم في "مصطلح علماء البيان عبارة عن إخراج الكلام على ضدّ مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب، ودخوله كثير في كلام الله تعالى وكلام رسولهﷺ وعلى ألسنة الفصحاء"[2]. وممّا ذكره ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ التوبة: ٣، حيث يقول: "(والبشارة) أصلها الإخبار بما فيه مسرّة، وقد استعيرت هنا للإنذار، وهو الإخبار بما يسوء على طريقة التّهكّم كما في قوله ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ في سورة آل عمران"[3].

فهذه الآية الأخيرة أحد أوجه التّهكم حيث يكون واردا على جهة الوعيد بلفظ الوعد تهكّما، ونظيرها قوله تعالى (وبشّر المنافقين بأنّ لهم عذابا أليما) فلفظ البشارة دال على الوعد وعلى حصول كلّ محبوب، فإذا وصل بالمكروه كان دالّا على التّهكّم لإخراج المحبوب في صورة المكروه[4]. وقد أشار إلى هذا المعنى أبو حيّان بقوله: "جعل الإنذار بشارة على سبيل الاستهزاء بهم"[5]، وتابعهم في ذلك أبو السّعود حيث ذكر أنّ الخطاب بالأمر على سبيل التّهكّم[6].

وقوله: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ التوبة: ٣٤.

يقول ابن عاشور: "والفاء في «فبشّرهم» داخلة على خبر الموصول لتنزيل الموصول منزلة الشّرط... والفاء للفصيحة ليكون بعد أن ذكر آكلي الأموال الصّادين عن سبيل الله وذكر الكانزين، أمر رسوله بأن

---

[1]: ينظر: البرهان: الزّركشي، 231/2.

[2]: الطّراز: العلوي، 162/3.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 111/10.

[4]: الطراز: العلوي، 161/3.

[5]: البحر المحيط: أبو حيّان، 10/5.

[6]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 42/4.

ينذر جميعهم بالعذاب، فدلّت الفاء على شرط محذوف تقديره: إذا علمت أحوالهم هذه فبشّرهم والتّبشير مستعار للوعيد على طريقة التّهكّم"[1].

10- التّعجيز والتّحدّي: وهو "الطّلب بما لا يقدر عليه المخاطب؛ أي مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه إظهارا لعجزه وضعفه، وعدم قدرته وذلك من قبيل التّحدّي"[2]. وذكر ابن عاشور هذا الغرض في الكثير من المواضع منها:

-قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ البقرة: ٣١، بقول ابن عاشور: "والأمر في قوله (أَنْبِئُوني) أمر تعجيز بقرينة كون المأمور يعلم أنّ الآمر عالم بذلك... واستعمال صيغة الأمر في التّعجيز مجاز"[3]؛ أي أنّ الله سبحانه عالم أنّ الملائكة لا يعلمون أسماءهم ودليل ذلك ما بعده (قالوا سبحانك لا علم لنا إلّا ما علّمتنا).

وهذا ما ذهب إليه أبو السّعود بقوله: "﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ تبكيتا لهم وإظهارا لعجزهم عن إقامة ما علّقوا به رجاءهم"[4].

-وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنعام: ٩٣، يقول ابن عاشور في الفعل «أَخْرِجُوا»: "والأمر للتّعجيز، أي: أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب إن استطعتم"[5]. أمّا أبو حيّان وابن عطيّة فقد ذكرا أنّ الأمر للتّوبيخ أو الإهانة[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 178/10.

[2]: دراسات في البلاغة العربيّة: علوان محمّد وعلوان نعمان، ص42.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 412/1.

[4]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 84/1.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 379/7.

[6]: البحر المحيط: أبو حيّان، 185/4. المحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 323/2.

-قوله أيضا: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ سبأ: ٢٧، أي: "لأرى بأيّ صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة، وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجّة عليهم زيادة في تبكيتهم"[1].

حيث يقول ابن عاشور: "والأمر في «أرُوني» مستعمل في التّعجيز، وهو تعجيز للمشركين عن إبداء حجّة لإشراكهم، وهو انتقال من الاحتجاج على بطلان إلهيّة الأصنام بدليل النّظير في قوله (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم) إلى إبطال ذلك بدليل البداهة"[2].

أمّا أبو حيّان فقد أشار أنّه للتّوبيخ والتّبكيت بقوله: "... بل في ذلك تبكيت لهم وتوبيخ. ولا يريد حقيقة الأمر، بل المعنى: إنّ الّذين هم شركاء الله على زعمكم هم ممّن إنْ أريتموهم افتضحتم، لأنّهم خشب وحجر، وغير ذلك من الحجارة والجماد"[3].

وقد أشار ابن عاشور بطريقة غير مباشرة إلى معنى التّعجيز في الفعل «فَأْتُوا» وذلك في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣، بقوله: "... فلمّا كان ذلك من مثارات شبههم ناسب ذكره في تحدّيهم أن يأتوا بسورة مثله منجّمة"[4]. ونظيره قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ هود: ١٣، حيث يقول: "وتحدّاهم هنا بأن يأتوا بعشر سور خلاف ما تحدّاهم في غير هذا المكان بأن يأتوا بسورة مثله..."[5].

وقد ذكر ابن عاشور هذا المعنى في مواضع أخرى منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ آل عمران: ٩٣، والأمر في قوله: (فَأْتُوا) للتّعجيز[6]. وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٥، يذكر ابن عاشور أنّ الأمر في «كِيدُون»

---

[1]: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 107/3.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 196/22.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 268/7.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 336/1.

[5]: المصدر نفسه، 19/12.

[6]: ينظر: المصدر نفسه، 9/4.

للتّعجيز، وهذا التّحدّي تعريض بأنّه سيبلغهم وينتصر عليهم ويستأصل آلهتهم[1]. وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ الطور: ٣٨، حيث ذكر أنّ الأمر في «فَلْيَأْت» مستعمل للتّعجيز[2]. وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ المرسلات: ٣٩، فالأمر في «فَكيدُون» للتّعجيز[3]. وفي قوله: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٩، حيث ذكر أنّ الأمر في قوله (ائْتِنَا بِعَذَابِ الله) للتّعجيز[4]. وقوله: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ الرحمن: ٣٣، حيث ذكر أنّ الأمر في الفعل «فَانْفُذُوا» للتّعجيز[5].

11- التّسوية: وتكون في مقام يتوهّم فيه أنّ أحد الأمرين أرجح من الآخر[6]، "وهو طلبٌ على جهة المساواة بين أمرين لا على جهة التخيير بينهما"[7]، وقد ذكر ابن عاشور أنّ غالب أحوال صيغة افْعَل إذا جاءت معها «أو» تكون للتّسوية[8]. وممّا ذكره من نماذج في هذه الدّلالة ما يلي:

-قوله تعالى:﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ التوبة: ٥٣، "والأمر في «أنْفقُوا» للتّسوية أي: أنفقوا أو لا تنفقوا، كما دلّت عليه «أو» في قوله: (طوعًا أو كرهًا) وهو في معنى الخبر الشّرطي؛ لأنّه في قوّة أن يقال: لن يتقبّل منكم إن أنفقتم

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 223/9.
[2]: ينظر: المصدر نفسه، 73/27.
[3]: ينظر: المصدر نفسه، 442/29.
[4]: ينظر: المصدر نفسه، 241/20.
[5]: ينظر: المصدر نفسه، 258/27.
[6]: دراسات في البلاغة العربيّة: علوان محمّد وعلوان نعمان، ص46.
[7]: جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغيّة جماليّة نقديّة): حسين جمعة، منشورات اتّحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005م، ص111.
[8]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 30/29.

طوعا أو أنفقتم كرها"[1]، ويقول البيضاوي في فعل الأمر أنّه: "أمر في معنى الخبر، أي لن يتقبّل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها. وفائدته المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول..."[2].

وقد ذكر أبو حيّان أنّ الأمر بمعنى التّهديد والتّوبيخ[3]، أمّا الزّمخشري وأبو السّعود فقد ذكرا أنّه أمر بمعنى الخبر[4].

-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾ يونس: ٧١، وصيغة الأمر في قوله: «فَأَجْمِعُوا» مستعملة في التّسوية، أي أنّ عزمهم لا يضيره بحيث هو يغريهم بأخذ الأهبة التّامّة لمقاومته..."[5]. أمّا الزّمخشري فقد أشار أنّه للتّهكّم، وتابعه في ذلك أبو حيّان بقوله: "وأسند الإجماع إلى الشّركاء على وجه التهكّم"[6].

-وقوله: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ ﴾ طه: ٧٢، "وصيغة الأمر في «اقْض» مستعملة في التّسوية... أي سواء علينا ذلك بعضه أو كلّه أو عدم وقوعه، فلا نطلب منك خلاصا منه جزاء طاعتك فافعل ما أنت فاعل... فإنّ عذابك لا يتجاوز هذه الحياة ونحن نرجو من ربّنا الجزاء الخالد"[7].

---

[1]: المصدر السّابق، 226/10.

[2]: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 58/2.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 54/5.

[4]: الكشّاف: الزّمخشري، 53/3. وإرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 74/4.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 239/11.

[6]: البحر المحيط: أبو حيّان، 178/2. وينظر: الكشّاف: الزّمخشري، 161/3.

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 266/16-267.

وقد قيل أنّ ابن عاشور جعل التّسوية من معنى التّيئيس[1] وذلك في تفسيره لقوله: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ ﴿١٣٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٥، حيث ذكر أنّ الأمر "في قوله: «اعْمَلُوا» للتّسوية والتّخلية لإظهار اليأس من امتثالهم للنّصح..."[2].

وقد أشار ابن عاشور إلى معنى التّسوية في مواضع كثيرة منها قوله تعالى:﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ﴿٨٠﴾ ﴾ التوبة: ٨٠ ، يقول: "وصيغة الأمر في قوله: «اسْتَغْفر» مستعملة في معنى التّسوية المراد منها لازمها، وهو عدم الحذر من الأمر المباح، والمقصود من ذلك إفادة معنى التّسوية الّتي ترِدُ صيغة الأمر لإفادتها كثيرا"[3]. وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ يونس: ٨٠، حيث يقول: "وفعل الأمر في قوله (ألقُوا ما أنْتُم مُلْقُون) مستعمل في التّسوية المراد منها الاختيار وإظهار قلّة الاكتراث بأحد الأمرين"[4]. وفي قوله أيضا: ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الطور: ٣١، بأنّ الأمر في «تَرَبَّصُوا» مستعمل في التّسوية[5]، و﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ الملك: ١٣، بقوله: "وصيغة الأمر في «أسرُّوا» و«اجْهَرُوا» مستعملة في التّسوية كقوله تعالى: (اصبروا أو لا تصبروا)، وهذا غالب أحوال صيغة افْعَل إذا جاءت معها «أو»[6].

تنبيه:

لقد كان ابن عاشور يوجّه غرض صيغة الأمر بحسب الموقع الإعرابي للجملة كما فعل في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الإسراء: ٥٠، حيث ذكر ثلاثة أوجه، "أحدهما: أن تكون صيغة الأمر في قوله (كُونُوا) مستعملة في معنى التّسوية، ويكون دليلا على جواب محذوف تقديره:

---

[1]: ينظر: الطّاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة: الشّبوكي رانية، ص190.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 90/8.

[3]: المصدر نفسه، 277/10.

[4]: المصدر نفسه، 254/11.

[5]: المصدر نفسه، 62/27.

[6]: المصدر نفسه، 30/29.

إنّكم مبعوثون سواء كنتم عظاما ورفاتا أو كنتم حجارة أو حديدا... والوجه الثّاني: أن تكون صيغة الأمر في قوله (كُونُوا) مستعملة في الفرض، أي لو فرض أن يكون الأجساد من الأجسام الصلبة وقيل لكم: إنّكم مبعوثون بعد الموت لأحلتم ذلك واستبعدتم إعادة الحياة فيها... والوجه الثّالث أن يكون قوله (قُلْ كُونُوا حِجَارَة) كلاما مستأنفا ليس جوابا على قولهم (أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا ورُفَاتًا) الخ وتكون صيغة الأمر مستعملة في التّسوية... وبهذه الوجوه يلتئم نظم الآية وينكشف ما فيه من غموض"[1].

أمّا أبو حيّان فقد لمّح إلى غرض التّكوين بقوله: "... كأنّه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فإنّه يقدر على إحيائكم، والمعنى أنّكم تستبعدون أن يجدّد الله خلقكم ويردّه إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحيّ وغضاضته... فليس ببدع أن يردّها الله بقدرته إلى حالتها الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة الحيّ، ومن جنس ما ركّب منه البشر، وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أنّ طباعها القساوة والصّلابة ، لكان قادرا على أن يردَّكم إلى حال الحياة"[2].

فقد ذكر ابن عاشور في الوجه الأوّل والثّالث أنّ معنى الأمر للتّسوية، وفي الثّاني ذكر أنّ الأمر للفرض، بنحو ما ذكره ابن قتيبة في أنّ الكلام يأتي على لفظ الأمر وهو فرض كقوله: (واتَّقُوا اللهَ)، و(أَقِيمُوا الصَّلَاة)[3].

12- الدّوام: وقد يطلق عليه الاستمرار أيضا، وهو طلب المداومة على الفعل[4]، وهذا "الأسلوب متعلق بالمتكلم والمخاطب على السواء، وفيه تكمن جمالية بلاغية خاصة ومثيرة. فهو طلب أمر على سبيل الترغيب في الاستمرار بالشيء ودوامه لدى المتكلم أو المخاطب"[5]. وممّا استنبطه ابن عاشور من معنى الدّوام في القرآن الكريم ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧، يقول ابن عاشور: " والأمر بالتّبليغ مستعمل في طلب الدّوام... ولمّا كان نزول الشّريعة مقصودا به عمل الأمّة بها سواء كان

[1]: المصدر السّابق، 15/125-126.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 6/44.

[3]: تأويل مشكل القرآن:ابن قتيبة، ص280-281.

[4]: ينظر: الطّاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة: الشوبكي رانية، ص191. جواهر البلاغة: الهاشمي، ص72.

[5]: جمالية الخبر والإنشاء: حسين جمعة، ص112.

النّازل متعلّقا بعمل أم بغير عمل... كان معنى الرّسالة إبلاغ ما أُنزِل إلى من يُرَاد علمه به وهو الأمّة كلّها... أي بلّغ ما أُنزِل إليك جميع من يحتاج إلى معرفته، وهو جميع الأمّة"[1]. وهذا ما أشار إليه أبو حيّان في أنّ الأمر بالتّبليغ للدّيمومة[2].

-وقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥، يقول ابن عاشور أنّ صيغة الأمر في الفعل «ادْعُ» "مستعملة في طلب الدّوام على الدّعوة الإسلاميّة مع ما انضمّ إلى ذلك من الهداية إلى طرائق الدّعوة إلى الدّين. فتضمّنت هذه الآية تثبيت الرّسول ﷺ على الدّعوة وأن لا يؤيّسه قول المشركين له"[3].

وهناك مواضع أخرى ذكرها ابن عاشور في هذا الغرض منها: قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ الزخرف: ٤٣، حيث قال: "والأمر به مستعمل في طلب الدّوام، لأنّ الأمر بفعل لمن هو متلبّس به لا يكون لطلب الفعل بل لمعنى آخر، وهو هنا طلب الثّبات على التّمسّك بما أوحي إليه..."[4]. وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ غافر: ٥٥، بقوله: "والأمر بالاستغفار هنا أمر بأن يطلب من الله تعالى المغفرة الّتي اقتضتها النّبوءة، أي لأسأل الله دوام العصمة لتدوم المغفرة، وهذا مقام التّخلية من الأكدار النّفسيّة، وفيه تعريض بأنّ أمّته مطلوبون بذلك بالأحرى..."[5]. وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ الملك: ١٥، حيث ذكر أنّ صيغة الأمر في «امْشُوا» مستعملة في معنى الإدامة تذكيرا لما سخّر الله لهم في المشي في الأرض امتنانا بذلك[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 258/6.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 538/3.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 325/14.

[4]: المصدر نفسه، 219/25.

[5]: المصدر نفسه، 171/24.

[6]: المصدر نفسه، 32/29.

13- الإرشاد والنّصح: وهو الطّلب الّذي لا إلزام فيه[1]، "وإنما يرمي فيه المتكلم إلى التّوجيه والتّأديب"[2]، "ويكون عادة في مجال النّصح وإبداء المشورة"[3]، وممّا ذكره ابن عاشور في هذا المعنى ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ ﴾ النساء: ١٠٦، والأمر باستغفار الله جرى على أسلوب توجيه الخطاب إلى الرّسول ﷺ، فالمراد بالأمر غيره، أرْشِدْهم لما هو أنفع لهم وهو استغفار الله ممّا اقترفوه... وليس المراد استغفار النّبيّ لنفسه...[4].

-وقوله: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ الأعراف: ١٩٩، حيث أشار ابن عاشور في الفعل «وأْمُرْ» إلى دلالته على الإرشاد بقوله: "وحذف مفعول الأمر لإفادة عموم المخاطبين... أمر الله رسوله بأن يأمر النّاس كلّهم بكلّ خير وصلاح فيدخل في هذا العموم المشركون دخولا أوّليا لأنّهم سبب هذا الأمر بهذا العموم أي لا يصدنّك إعراضهم عن إعادة إرشادهم"[5].

-قوله تعالى: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ ﴾ يوسف: ٩، والأمر مستعمل في الإرشاد، وأرادوا ارتكاب شيء يفرّق بين يوسف وأبيه عليهما السّلام تفرقة لا يحاول من جرّائها اقترابا بأن يعدموه أو يلقوه إلى أرض أخرى فيهلك أو يفترس"[6].

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ﴾ الملك: ٣، حيث ذكر أنّ صيغة الأمر مستعملة في الإرشاد[7].

---

[1]: دراسات في البلاغة العربيّة: علوان محمّد وعلوان نعمان، ص43.

[2]: جمالية الخبر والإنشاء: حسن جمعة، ص115.

[3]: البلاغة العربيّة: الميداني، 232/1.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 193/5.

[5]: المصدر نفسه، 228/9.

[6]: المصدر نفسه، 223/12.

[7]: المصدر نفسه، 18/29.

14- الاعتبار: ويكون "على جهة الاتّعاظ والعبرة؛ ما يقرّبه من أسلوب النّصح... لذا فهو طلب على سبيل الموعظة والاعتبار، وليس غايته التّنفيذ الفوري؛ وإن تضمّن الإشارة إلى الرّغبة في تجنب فعل ما، أو الإقبال على فعل ما وتعزيزه"[1]. ومن المواضع الّتي ذكرها ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ الأنعام: ٩٩، حيث أشار ابن عاشور بأنّ الأمر في «انْظُرُوا» للاعتبار بقوله: "والمأمور به هو نظر الاستبصار والاعتبار بأطواره"[2]، وإلى هذا المعنى ذهب الزّمخشري بقوله: "إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا، ضعيفا، لا يكاد ينتفع به، وانظروا إلى حال ينعه، ونضجه، كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ، نظر اعتبار واستبصار..."[3]، وأبو حيّان بقوله: "(النّظر) نظر العين ولذلك عدّاه بـ (إلى) لكن يترتّب عليه الفكر، والاعتبار، والاستبصار، والاستدلال على قدرة باهرة، تنقله من حال إلى حال"[4].

15- الامتنان: "والظّاهر أنّه قسم من الإباحة، لكن معه امتنان"[5]. وقد علّق ابن عاشور على هذا الغرض في موضعين:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ البقرة: ٣٥، قال ابن عاشور: "والأمر بقوله (اسْكُن) مستعمل في الامتنان بالتّمكين والتّخويل وليس أمرا له بأن يسعى بنفسه لسكنى الجنّة إذ لا قدرة له على ذلك السّعي فلا يكلّف به"[6]. أمّا أبو السّعود فقد أشار أنّه للإذن بقوله: "وتصدير الكلام بالنّداء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ للتّنبيه على الاهتمام بتلقّي المأمور به وتخصيص أصل الخطاب به عليه السّلام للإيذان بأصالته في مباشرة المأمور به"[7].

---

[1]: جمالية الخبر والإنشاء: حسن جمعة، ص112.

[2]: التّحرر والتّنوير: ابن عاشور، 403/7.

[3]: الكشّاف: الزّمخشري، 380/2.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 195/4.

[5]: عروس الأفراح: السّبكي، 467/1.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 428/1.

[7]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 90/1.

الثّاني: قوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ المائدة: ١١٠، يقول ابن عاشور: "والأمر في قوله (اذْكُر) للامتنان، إذ ليس عيسى بناس لنعم الله عليه وعلى والدته."[1]، وقد أشار أبو حيّان إلى دلالة التّخصيص بقوله: "وفائدة هذا الذّكر إسماع الأمم ما خصّه به من الكرامة وتأكيد حجّته على جاحده"[2].

16- الاهتمام:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنفال: ٢٥، يقول ابن عاشور: "وافتتاح هذه الجملة بفعل الأمر «اعْلَمُوا» للاهتمام لقصد شدّة التّحذير"[3]، وقد أشار أبو حيّان أنّها للوعيد بقوله: "﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ هذا وعيد شديد مناسب لقوله: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ إذ فيه حثّ على لزوم الاستقامة، خوفا من عقاب الله"[4].

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ ﴿١٦﴾ ﴾ الرعد: ١٦، بقوله: "وإرادة فعل الأمر بالقول... لقصد الاهتمام بذلك التّفريع لما فيه من الحجّة الواضحة"[5].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ الكهف: ١٠٣، وافتتاح الجملة بالأمر بالقول للاهتمام بالمقول بإصغاء السّامعين[6]. ونظيره قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ سبأ: ٢٤، حيث ذكر ابن

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 101/7.
[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 55/4.
[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 318/9.
[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 479/4.
[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 113/13.
[6]: ينظر: المصدر نفسه، 45/16.

عاشور أنّ إعادة الأمر بالقول في الآية للاهتمام بالمقول، فإنّ أصل الأمر بالقول في مقام التّصدّي للتّبليغ دالّ على الاهتمام، وإعادة ذلك الأمر زيادة في الاهتمام[1].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٩، والأمر في «أنْصتُوا» للاهتمام[2].

17- الإذن: "أَذِن لـه في الشّيء إذناً: أباحه لـه ليفعله بحريّته الكاملة. فلو قلنا للطّارق: (أُدْخُل) فقد أبحنا له الحريّة في الدّخول... ولو وافقنا الطّالب على عمل ما وقلنا له: (إفْعَل ذلك)... لأذنّا له أن يعمل ما يشاء تاركين له الحريّة المدركة لفعل الشيء"[3].

وقد ذكر ابن عاشور هذا الغرض في تفسيره لبعض الآيات القرآنيّة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ البقرة: ١٩١، حيث ذكر أنّ قوله: (فَاقْتُلُوهُم) تنبيه على الإذن بقتلهم حينئذ ولو في غير اشتباك معهم بقتال، ثمّ أشار إلى أنّ الآية دلّت بالنّص على إباحة قتل المحارب إذا حارب في الحرم أو استولى عليه[4]، وفي قوله أيضا: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ التوبة: ٥، يقول ابن عاشور: "والأمر في «اقْتُلُوا» للإذن والإباحة، باعتبار كلّ واحد من المأمورات على حدة..."[5]، ويقول أبو حيّان: "وجاء الأمر بالقتل على سبيل التّشجيع، وتقوية النّفس، وأنّهم لا منعة عندهم من أن يقتلوا، وإطلاق الأمر بالقتل دليل على قتلهم بأيّ وجه كان"[6].

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 192/22.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 59/26.

[3]: جمالية الخبر والإنشاء: حسن جمعة، ص118. ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: الهاشمي أحمد السّيد، تقديم: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا/بيروت، ص72.

[4]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 203/2-204.

[5]: المصدر نفسه، 115/10.

[6]: البحر المحيط: أبو حيّان، 11/5.

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ الكهف: ٨٣، "والأمر في قوله: ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم ﴾ إذن من الله لرسوله بأن يعدّ الجواب لسؤالهم"[1].

وقد أشار ابن عاشور لهذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ طه: ٣٢، حيث ذكر أنّ الفعل «أشْرِكْه» على قراءة الجمهور للإذن؛ لأنّ موسى عليه السّلام سأل الله سبحانه أن يأذن له بأن يكون أخوه هارون عليه السّلام شريكا له في أمره[2]، أمّا أبو حيّان وأبو السّعود فقد ذكرا أنّ قراءة الجمهور بالأمر على صيغة الدّعاء[3]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الصافات: ١٠٢، حيث ذكر أنّ صيغة الأمر في «افْعَل» مستعملة في الإذن[4].

18- التّسخير: أي التّذليل، وهو أخصّ من الإهانة[5]. وممّا ذكره ابن عاشور في هذا الباب ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ الإسراء: ١٤، وفي هذه الآية إشارة إلى أنّه "من أعظم العدل والإنصاف، أن يقال للعبد: حاسب نفسك، ليعترف بما عليه من الحقّ الموجب للعقاب"[6].

يقول ابن عاشور: "والأمر في «اقْرَأ» مستعمل في التّسخير ومكنّى به عن الإعذار لهم والاحتجاج عليهم"[7].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 23/16.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 212/16.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 225/3. وإرشاد العقبل السّليم: أبو السّعود، 13/6.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 152/23.

[5]: معترك الأقران: السّيوطي، 442/1.

[6]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص455.

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 48/15.

-وقوله تعالى: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ المرسلات: ٢٩، والأمر في «انْطَلَقُوا» مستعمل في التّسخير[1]، أمّا أبو السّعود فقد ذكر أنّ غرض الأمر في «انْطَلَقُوا» هو التّوبيخ والتّقريع[2].

فعلى رأي ابن عاشور أنّ الغرض من الأمر هو التّسخير في الفعلين: «اقْرَأ»؛ أي تذليل لهم بقراءة ذنوبهم بأنفسهم وهذا إهانة ما بعدها إهانة بأن يكون هو الشّاهد على ذنوبه والمحصي لها، أمّا «انْطَلَقُوا» ففيه إذلال وإهانة بأن ينطلقوا إلى ما كانوا يكذّبون به في الدّنيا من العذاب والمآل إلى النّار.

19- التّكوين: قريب من التّسخير لكنّه أعمّ منه[3]، وهو "نوع من الطّلب على غير جهة الإلزام يصوّر فيه المتكلّم كيفيّة التّكوين أو إيجاد الشّيء أو حدوثه"[4]، وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ البقرة: ٦٥، وفي هذه الآية تحذير من الله عزّ وجل لليهود الّذين كانوا في زمان النّبيّ ﷺ يصرّون على كفرهم ومُقَامهم على جحود نبوّة محمّد ﷺ وتركهم اتّباعه فيما جاء به من الحقّ، أن يحلّ بهم ما حلّ بأسلافهم وهم أصحاب السّبت ويصيبهم ما أصابهم من غضب الله عليهم، حيث مسخهم قردة بمعصيتهم وجعلهم ذليلين حقيرين[5].

يقول ابن عاشور أنّ فعل الأمر: "كُونُوا أمر تكوين ... وتكوينهم قردة يحتمل أن يكون بتصيير أجسامهم أجسام قردة مع بقاء الإدراك الإنساني وهذا قول جمهور العلماء والمفسّرين، ويحتمل أن يكون بتصيير عقولهم كعقول القردة مع بقاء الهيكل الإنساني وهذا قول مجاهد، والعبرة حاصلة على كلا الاعتبارين، والأوّل أظهر في العبرة لأنّ فيه اعتبارهم بأنفسهم واعتبار النّاس بهم بخلاف الثّاني..."[6]، وهذا ما ذكره أبو حيّان في أنّ صيغة الأمر خارجة إلى معنى الكون؛ أي سرعة تنفيذ الأمر المراد وكينونته حيث يقول: "(فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا) أمر من الكون، وليس بأمر حقيقة، لأنَّ صيرورتهم إلى ما ذكر ليس فيه تكسب لهم، لأنّهم ليسوا قادرين على قلب أعيانهم قردة، بل المراد منه سرعة الكون على هذا الوصف كقوله تعالى:

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 435/29.

[2]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 80/9.

[3]: ينظر: عروس الأفراح: السّبكي، 467/1.

[4]: جمالية الخبر والإنشاء: حسن جمعة، ص117.

[5]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 59/2-61. وينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 161/1-162.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 544/1.

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النّحل: ٤٠، ومجازه أنّه لمّا أراد منهم ذلك صاروا كذلك، وظاهر القرآن مسخهم قردة ، وقيل لم يمسخوا قردة وإنّما هو مثل ضربه الله لهم... قاله مجاهد، وقيل مسخت قلوبهم حتى صارت كقلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تعي زجرا وهو محكي عن مجاهد أيضا، والقول هو قول الجمهور، ويجوز أن يبقي الله لهم فيهم الإنسانية بعد صيرورتهم قردة..."[1]، وتابعه في هذا المعنى البيضاوي وأبو السّعود في أنّ «كُونُوا» ليس بأمر إذ لا قدرة لهم عليه، وإنّما المراد به سرعة التّكوين"[2].

ويرى بعض العلماء أنّ الأمر في «كُونُوا» للتّسخير؛ أي عُبّر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم، فهو أخصّ من الإهانة[3].

وممّا سبق نستنتج أنّ أبا حيّان وغيره من المفسّرين كانوا أكثر توفيقا في إخراج صيغة الأمر إلى غرض التّكوين، دون سائر العلماء الآخرين، فعلى الرّغم من ذكرهم للغرض البلاغي لم يسمّوه التّسخير وإنّما حملوه على معنى الكون؛ أي التكوين، وعلى هذا النّحو فسّره ابن عاشور مع تبيين آراء العلماء والمفسّرين في المسألة، وهذا المعنى؛ أي التّكوين، يتناسب مع مقام الآية أكثر من التّسخير.

-قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت: ١١، حيث أشار ابن عاشور إلى أنّ الأمر في الفعل «ائْتِيَا» للتّكوين[4] وبهذا الصدد ذكر قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ يس: ٨٢، حيث بيّن أنّ الأمر في قوله: (كُن) للتّكوين[5]. وقد ضعّف ابن قتيبة التّأويل في قوله عزّ وجلّ للسّماء والأرض: ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾: إنّه عبارة عن تكوينه لهما[6].

---

[1]: البحر المحيط: أبو حيّان، 409/1.

[2]: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 108/1. وينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 110/1.

[3]: معترك الاقران: السّيوطي،442/1. وينظر: الإيضاح: الخطيب القزويني، ص152. والطّراز: العلوي، 282/3-283. وعروس الأفراح: السّبكي، 465/1.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 247/24.

[5]: المصدر نفسه، 79/23.

[6]: تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، ص112.

وقد أشار إلى هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ ﴾ الأعراف: ٢٤، حيث يقول أنّ الأمر في «اهبِطُوا» هو أمر تكويني، وبه صار آدم وزوجه وإبليس من سكان الأرض[1]، وفي قوله أيضا: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ٤٤ ﴾ هود: ٤٤، بأنّ: "... القول هنا أمر تكوين. وخطاب الأرض والسّماء بطريقة النّداء وبالأمر استعارة لتعلّق أمر التّكوين بكيفيّات أفعال في ذاتيهما وانفعالهما بذلك كما يخاطب العاقل بعمل يعمله فيقبله امتثالا وخشية"[2]

20- النّدب: وهو "أدخل في أسلوب الإباحة، فأنا حين أحثّك على أمر ما لا ألزمك بفعله. لهذا فإذا نَدَب المتكلمُ المخاطبَ لأمر ما فقد أباح له الحرية في الإجابة"[3]. وممّا ذكره ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ البقرة: ٢٨١، يقول ابن عاشور: "جيء بقوله: (واتَّقُوا يوْمًا) تذييلا لهاته الأحكام لأنّه صالح للتّرهيب من ارتكاب ما نهى عنه والتّرغيب في فعل ما أمر به أو ندب إليه، لأنّ في ترك المنهيات سلامة من آثامها، وفي فعل المطلوبات استكثارا من ثوابها، والكلّ يرجع إلى اتّقاء ذلك اليوم..."[4]، حيث جاء السّياق العام لفعل الأمر لمعنى التّرهيب ممّا نهى الله عنه، والتّرغيب في أوامره سبحانه لنيل الثّواب.

-وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ٥٣ ﴾

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 68/8.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 78/12.

[3]: جمالية الخبر والإنشاء: حسن جمعة، ص118.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 97/3.

الأحزاب: ٥٣، "والأمر في قوله «ادْخُلُوا» للنّدب؛ لأنّ إجابة الدّعوة إلى الوليمة سنّة..."[1]، وقد أشار الزّمخشري وأبو حيّان أنّه لغرض الإذن[2].

-قوله: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤، حيث يقول: "فالاستماع والإنصات المأمور بهما هما المؤدّيان بالسّامع إلى النّظر والاستدلال، والاهتداء لما يحتوي عليه القرآن من الدّلالة على صدق الرّسول ﷺ ... والأمر بالاستماع مقصود به التّبليغ واستدعاء النّظر والعمل بما فيه... ومنهم من أبقى أمر الاستماع على إطلاقه القريب من العموم، ولكنّهم تأوّلوه على أمر النّدب، وهذا الّذي يُؤخَذ من كلام فقهاء المالكيّة..."[3]، أمّا الزّمخشري فقد أشار أنّه للوجوب بقوله: "ظاهره وجوب الاستماع"[4]، ويقول البيضاوي: "وظاهر اللّفظ يقتضي وجوبهُما حيث يقرأ القرآن مطلقا، وعامّة العلماء على استحبابهما خارج الصّلاة"[5]. حيث وجّه البيضاوي صيغة الأمر على معنيين: الوجوب والاستحباب.

وقد ذكر الميداني أنّ صيغة الأمر في الآية لغرض النّدب بقوله: "دلّ على أنّ الأمر للنّدب قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ففي هذا ترغيب لا ترهيب"[6]؛ أي: التّرغيب إلى الاستماع للقرآن الكريم والإنصات له للاهتداء إلى سبيل الرّشاد.

21- التّبليغ:

- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٠، وفي هذه الآية يقول الله تعالى لنبيّه محمّد ﷺ بأن يقول لكفّار قريش: "تمتّعوا في الحياة الدّنيا. وعيدا من الله لهم لا إباحة لهم التّمتّع بها، ولا أمرا على وجه العبادة، ولكن توبيخا وتهدُّدًا ووعيدا"[7].

---

[1]: المصدر السّابق، 85/22.

[2]: الكشّاف: الزّمخشري، 88/5. وينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 237/7.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 239/9-240.

[4]: الكشّاف: الزّمخشري، 548/2.

[5]: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 591/1.

[6]: البلاغة العربيّة: الميداني، 236/1.

[7]: جامع البيان: الطّبري، 679/13.

حيث ذكر ابن عاشور أنّ الأمر في الفعل «تَمتَّعُوا» مستعمل للتّبليغ[1]، أمّا أبو حيّان وأبو السّعود فقد ذكرا أنّ الأمر بالتّمتّع أمر تهديد ووعيد[2].

وسياق الآية ومقامها يتوافق مع غرض التّهديد والوعيد وليس التّبليغ؛ لأنّهم بعدما اتّخذوا شركاء وأندادا لله سبحانه في العبادة، كان حقيقا بهم أن يَلقوا جزاء كفرهم وضلالهم فتوعّدهم بعد ذلك وهدّدهم بأعظم عقوبة وهي المآل إلى النّار.

وفي قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ سبأ: ٢٢، حيث يقول ابن عاشور: "وافتتح الكلام بأمر النّبي ﷺ بأن يقول لهم ما هو متتابع في بقيّة هذه الآيات المتتابعة بكلمة (قُل) فأمر بالقول تجديدا لمعنى التّبليغ الّذي هو مهمّة كلّ القرآن"[3]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ غافر: ٦٦، بقوله: "فإنّ الأمر بأن يقول ذلك لا قصد منه إلّا التّبليغ لهم..."[4].

22- التّعجّب والتّعجيب: وهو "يقع في نفس المتكلم من صفة ما في المخاطب، فيلجأ إلى أسلوب الأمر للدّلالة على استعظامه لتلك الصّفة"[5].

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأنعام: ٦٥، يقول ابن عاشور: "وفي الأمر بالنّظر تنزيل للمعقول منزلة المحسوس لقصد التّعجيب منه، وقد مضى في تفسير قوله تعالى:﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴿٥٠﴾ ﴾ في سورة النّساء"[6]، وفي موضع سورة النّساء لم يعلّق ابن عاشور على معنى صيغة الأمر في الفعل «انْظُر» بل ذكر أنّ "افتراءهم الكذب، لشدّة تحقّق

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 231/13.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 414/5. وينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 46/5.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 185/22.

[4]: المصدر نفسه، 196/24.

[5]: جمالية الخبر والإنشاء: حسن جمعة، ص113.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 285/7.

وقوعه، كأنّه أمر مرئيّ ينظره النّاس بأعينهم، وإنّما هو ممّا يسمع ويعقل"[1]. وقد أشار أبو حيّان إلى هذا المعنى في الفعل «انْظُر» في الآية السّابقة من سورة الأنعام بقوله: "هذا استرجاع لهم ولفظة تعجّب للنّبيّ ﷺ"[2].

قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩ ﴾ الفرقان: ٩، حيث أشار ابن عاشور أنّ الأمر في «انْظُر» مستعمل للتّعجيب[3]، وهذا ما أشار إليه أبو السّعود بقوله: "استعظام للأباطيل الّتي اجترءوا على التّفوّه بها وتعجيب منها؛ أي انظر كيف قالوا في حقّك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول..."[4].

23–النّهي: وقد ذكر ابن عاشور هذا الفعل للنّهي في قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ ﴾ الأنعام: ١٤٢، بقوله: "فالأمر هنا مستعمل في النّهي من ضدّه وهو عدم الأكل من بعضها، واقتصر على الأمر بالأكل لأنّه المقصود من السّياق إبطالا لتحريم ما حرّموه على أنفسهم، أي لا تحرّموا ما أحلّ الله لكم... وليس المراد بالأمر الإباحة فقط"[5]، ويفهم من كلام ابن عاشور أنّه جمع بين الإباحة والنّهي؛ أي إباحة أكل ما أحلّ الله لهم من الرّزق، والنّهي أن يحرّموا على أنفسهم ما أحلّه الله لهم. أمّا أبو حيّان فقد ذكر أنّه للإباحة بقوله: "وهذا نصّ في الإباحة وإزالة لما سنّه الكفّار من البحيرة والسّائبة"[6]، ومعنى الآية: "كلوا ممّا رزقكم الله أيّها المؤمنون... إذ حرّم بعْضَ ذلك على أنفسهم المشركون بالله... ولا تتّبعوا خطوات الشّيطان كما اتّبعها باحروا البَحيرة، ومُسيّبُوا السّوائب، فتحرّموا على أنفسكم من طيب رزق الله الّذي رزقكم ما حرّموه..."[7].

24– التّكذيب: يتّجه هذا النمط إلى التكذيب مع التقريع، ويُفْهم تكذيب المخاطب من السّياق في أغلب الأحيان؛ كقوله تعالى في خطابه للملائكة الذين كانوا يظنّون أنّهم أحقّ بالاستخلاف في الأرض: ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ ﴾ البقرة: ٣١؛ وقَرَّع الله بني إسرائيل

---

[1]: المصدر السّابق، 85/5.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 156/4.

[3]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 330/18.

[4]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 204/6.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 126/8.

[6]: البحر المحيط: أبو حيّان، 241/4.

[7]: جامع البيان: الطّبري، 623/9.

ووبّخهم على كذبهم الذي يخفونه؛ فيزعمون أنهم يؤمنون بالآخرة فقال سبحانه:﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ البقرة: ٩٤[1].

وقد لمّح ابن عاشور إلى دلالة فعل الأمر «قُل» على التّكذيب في قوله: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٠، حيث يقول: "ولذلك أعيد أمر الرّسول ﷺ بأن يقول لهم ما يظهر كذب دعواهم"[2].

25- الثّناء والتّحقير:

-قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۚ ﴿٧٤﴾ ﴾ النساء: ٧٤، فتعيّن أنّ إسناد الأمر في الفعل "فَلْيُقَاتِلِ" مقصود منه الثّناء على المجاهدين، وتحقير المبطئين[3].

26- التّحضيض: وذكره ابن عاشور في موضع واحد وهو:

قوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ التوبة: ٥٢، "والأمر في قوله: «تَرَبَّصُوا» للتّحضيض المجازي المفيد قلّة الاكتراث بتربُّصهم"[4].

27- التّخصيص: وقد علّق ابن عاشور على هذا الغرض في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ الإسراء: ٤٢، حيث يقول: "والمخاطب بالأمر بالقول هو النّبيّ ﷺ، لدمغهم بالحجّة المقنعة بفساد قولهم. وللاهتمام بها افتُتحت بـه «قل» تخصيصا لهذا بالتّبليغ، وإن كان جميع القرآن مأمورا بتبليغه"[5]

---

[1]: ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: حسن جمعة، ص115.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 153/8.

[3]: المصدر نفسه، 122/5.

[4]: المصدر نفسه، 225/10.

[5]: المصدر نفسه، 110/15.

28- التّأكيد:

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨ ﴾ الأعراف: ١٨.

حيث يذكر ابن عاشور أنّ الله أعاد "أمره بالخروج من السّماء تأكيدًا للأمرين الأوّل والثّاني: قال: (اهْبِط مِنْهَا) إلى قوله (فاخْرُج)"[1].

29-التّأييس: وأشار ابن عاشور لهذا الغرض في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾ المؤمنون: ١٠٨.

يقول ابن عاشور: "(اخْسَأوا) زجر شتم بأنّهم خاسئون، ومعناه عدم استجابة طلبهم... ونهوا عن خطاب الله والمقصود تأييسهم من النّجاة ممّا هم فيه"[2]، وقال أبو حيّان: "وتنطبق عليهم جهنّم ويقع اليأس"[3]؛ أي اسكتوا سكوت هوان وذلّ وزجر في النّار فإنّها ليست مقام سؤال[4].

وقد يكون قصد ابن عاشور من كلمة (شتم) غرض الإهانة من صيغة الأمر في «اخْسَأوا»؛ لأنّ الله سبحانه أجاب عن طلب من خفّت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنّم، بأن يقعدوا في النّار[5]؛ فإجابته سبحانه فيه إهانة لهم جزاء عملهم وضلالهم عن سبيل الحقّ والهدى؛ ولزيادة إهانتهم نهاهم عن الكلام معه لتيئيسهم من النّجاة من عذاب النّار.

30- التّأديب:

حيث حدّد ابن عاشور معنى فعل الأمر «فافْعَلُوا» بحسب ما يناسب سياق الآية كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌۖ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨ ﴾ البقرة: ٦٨، بقوله: "... لأنّه لمّا أمرهم بالمبادرة بالذّبح حينئذ علمنا وعلموا أنّ ما كلّفوا به بعد ذلك من طلب أن تكون صفراء وأن تكون سالمة من آثار الخدمة ممّا أراده الله

---

[1]: المصدر السّابق، القسم الثّاني، 51/8.

[2]: المصدر نفسه، 129/18.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 389/6.

[4]: ينظر: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 481/2، وإرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 152/6.

[5]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 122/17.

تعالى عند تكليفهم أوّل الأمر، وهو الحقّ إذ كيف تكون تلك الأوصاف مزادة مع أنّها أوصاف طرديّة لا أثر لها في حكمة الأمر بالذّبح... فليس لشيء من هاته الصّفات مناسبة للحكم وبذلك يعلم أنّ أمرهم بهاته الصّفات كلّها هو تشريع طارئ قصد منه تأديبهم على سؤالهم، فإن كان سؤالهم للمطل والتّنصّل فطلب تلك الصّفات المشقّة عليهم تأديب على سوء الخلق والتّذرّع والعصيان... وممّا يدلّ على أنّه تكليف لقصد التّأديب أنّ الآية سيقت مساق الذّمّ لهم، وعدّت القصّة من عداد قصص مساوئهم وسوء تلقّيهم للشّريعة بأصناف من التّقصير عملا وشكرا وفهما"[1].

31-الوعد والوعيد:

علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾ الفجر: ٢٨، بقوله: "والأمر في (ارْجِعي إلى رَبّك) مراد منه تقييده بالحالين بعده وهما (راضية ومرضيّة) وهو من استعمال الأمر في الوعد والرّجوع مجاز أيضا..."[2]، حيث وظّف الفعل في سياق تبشير المؤمنين بنعيم الجنّة الّذي وعدهم الله به جزاء لهم على أعمالهم الصّالحة.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأعراف: ٣٨.

يذكر ابن عاشور أنّ الأمر في «ادْخُلُوا» مستعمل للوعيد فيتأخّر تنجيزه إلى يوم القيامة... وهذا كلام من الله تعالى للمشركين حيث يوقنون منه أنّهم داخلون إلى النّار، فيكون هذا من أشدّ ما يرون فيه مقعدهم من النّار عقوبة خاصّة بهم[3].

ملاحظات:

من خلال ما سبق يتّضح لنا أنّ ابن عاشور قد علّق في فعل الأمر على واحد وثلاثين غرضا بلاغيّا من بين الأغراض الّتي ذكرها العلماء لهذه الصّيغة، وهذه هي أغلب الأغراض البلاغية التي بحث فيها

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 551/1-552.
[2]: المصدر نفسه، 341/30.
[3]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 118/8.

مفسرنا ابن عاشور. فمنها ما اتّفق على تسميتها مثل خروج الأمر للدّعاء والإباحة والتّسوية والتّعجيز وغيرها من الأغراض الأخرى، وهو عند تفسيره لصيغة الأمر يعتمد في بعض الأحيان على آراء النّحاة والبلاغيين والمفسرين، وفي بعضها الآخر على رأيه الخاص، كما كان يعتمد في تخريجه لمعنى الصّيغة في بعض المواضع على القراءات القرآنيّة كما في الفعل «فافْسَحُوا» في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١، حيث يقول: "... فالآية لا تدلّ إلّا على الأمر بالتّفسّح إذا أمر به النّبي ﷺ، ولكن يستفاد منه أنّ تفسّح المسلمين بعضهم لبعض في المجالس محمود مأمور به وجوبا أو ندبا... وعلى كلتا القراءتين يصحّ أن يكون الأمر في قوله «فافْسَحُوا» للوجوب أو للنّدب"[1]، وأحيانا يعتمد على كلام الفقهاء في تخريج معنى الآية كما في قوله: ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢، حيث يقول: "والأمر في قوله (وَأَشْهِدُوا شَهيدَين منْ رِجَالِكُم) قيل للوجوب، وهو قول جمهور السّلف، وقيل للنّدب، وهو قول جمهور الفقهاء المتأخّرين: مالك وأبي حنيفة والشّافعي وأحمد وسيأتي عند قوله تعالى: (وأشهدوا إذا تبايعتم)"[2].

وفي بعض المواضع يقوم بتوجيه معنى الأمر من خلال معنى المفردات المذكورة في القرآن الكريم كما فعل مع لفظة «السّلم» في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٨، حيث ذكر أنّه إذا أريد "بالسِّلمُ المسالمة... كان المعنى أمرَهم بالدّخول في المسالمة دون القتال، وكما تقتضيه صيغة الأمر في (ادْخُلُوا) من أنّ حقيقتها طلب تحصيل فعل لم يكن حاصلا أو كان مفرَّطا في بعضه... فأمّا إذا فسّر السّلم بالإسلام؛ أي: دين الإسلام، فإنّ الخطاب بيا أيّها الّذين آمنوا وأمر المؤمنين بالدّخول في الإسلام يؤوّل بأنّه أمر بزيادة التّمكّن منه والتّغلغل فيه... وهذا هو الظّاهر، فيُرادُ بالأمر في "ادْخُلُوا" الدّوام على

[1]: المصدر السّابق، 28/38-39.

[2]: المصدر نفسه، 3/106.

ذلك"[1]. فهنا ذكر ابن عاشور غرضين لفعل الأمر (ادْخُلُوا) من خلال توجيهه لمعنى كلمة «السّلم» وهما: الطّلب والدّوام، ثمّ رجّح معنى الدّوام على الطّلب بحسب ما يقتضيه مقام الأمر في الآية.

واستدل على أغراض الأمر البلاغية من قرائن الكلام المتصلة بصيغة (افْعَل) وأحيانا نجده يثبت غرض التهديد كما أثبته بقية المفسرين بأسلوب تعليمي يوضح الدّلالات المتعدّدة للأمر باختلاف الأساليب .

ونجد ابن عاشور يعرض أحيانا غرضين أو أكثر ثم يرجح أحدهما على الآخر مرتكزا على سياق الكلام ودلالاته المعنوية وذلك عند حديثه عن دلالة فعل الأمر على الوجوب في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢، حيث يقول: "والأمر في اكتُبُوه قيل للاستحباب وهو قول الجمهور... وقيل الأمر للوجوب قاله ابن جريج والشّعبي وعطاء والنّخعي... والأرجّح أنّ الأمر للوجوب فإنّه الأصل في الأمر"[2]، وأحيانا أخرى يعرضها دون أن يرجّح بينها كما فعل في قوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٩، حيث يقول: "ثمّ إن كان آدم خُلِق في الجنّة، فكان مستقرّا بها من قبل، فالأمر في قوله: (اسْكُن) إنّما هو أمر تقرير، أي ابق في الجنّة، وإن كان آدم قد خلق خارج الجنّة فالأمر للإذن تكريما له، وأيّا ما كان ففي هذا الأمر بمسمع من إبليس، مقمعة لإبليس، لأنّه إن كان إبليس مستقرّا في الجنّة من قبل فالقمع ظاهر، إذ أطرده الله وأسكن الّذي تكبّر هو عن السّجود إليه في المكان المشرّف الّذي كان له قبل تكبّره، وإن لم يكن إبليس ساكنا في الجنّة قبل فإكرام الّذي احتقره وترفّع عليه قمع له، فقد دلّ موقع هذا الكلام في هذه السّورة على معنى عظيم من قمع إبليس، زائد على ما في آية سورة البقرة، وإن كانتا متماثلتين في اللّفظ، ولكن هذا المعنى البديع اسْتُفِيد من الموقع وهذا من بدائع إعجاز القرآن" [3]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ ﴿٧٣﴾ ﴾ الحج: ٧٣، حيث ذكر أنّ صيغة الأمر في قوله «اسْتَمعُوا» مستعملة في التّحريض على الاحتمال الأوّل؛ أي إذا قدّر الفاعل الله تعالى وأن يكون المثل تشبيها تمثيليّا، وفي التّعجّب على

[1]: المصدر السّابق، 276/2-277.

[2]: المصدر نفسه، 100/3.

[3]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 53/8.

الاحتمال الثّاني؛ أي أن يقدر الفاعل المشركين ويكون المثل بمعنى المماثل؛ أي جعلوا أصنامهم مماثلة لله تعالى في الإلهيّة"[1]، هنا ذكر ابن عاشور معنيين لصيغة الأمر على حسب تخريج معنى الآية: فالأول: التّحريض، والثّاني التّعجّب. وفي قوله: ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنفال: ٣٥، يقول ابن عاشور: "لعلّ الله عجّل بأرواح هؤلاء المشركين إلى النّار قبل يوم الحساب، فالأمر مستعمل في التّكوين، أي: يذيقونهم، أو مستعمل في التّشفّي، أو المراد بقول الملائكة (ذوقُوا) إنذارهم بأنّهم سيذوقونه، وإنّما يقع الذّوق يوم القيامة، فيكون الأمر مستعمل في الإنذار"[2].

ونجده أحيانا يكتفي بتفسير المعنى كالتسخير والندب، وأحيانا أخرى يخلط بين التعجيز والإباحة حيث يعتبر الإباحة تعجيزا كما في قوله:﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ هود: ٥٥، بقوله: "حيث جعل الأمر في «كِيدُونِي» للإباحة كناية عن التّعجيز بالنّسبة للأصنام وبالنسبة لقومه، أي أنّه تحدّاهم بأن يكيدوه ثمّ ارتقى في رتبة التّعجيز والاحتقار فنهاهم عن التّأخير بكيدهم إيّاه..."[3]، والفعل لا إباحة فيه بل هو تهكّم وتعجيز للمخاطب[4]. ولعل هذا الخلط بين الأغراض البلاغية لدى ابن عاشور إنّما يعود لتقارب المعاني بين الأغراض أو بسبب ترافق غرضين معا، فقد يحمل معنى التعجيز غرض الإهانة، ومعنى الإرشاد غرض الاعتبار كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأعراف: ٨٤، فالأمر في قوله: (فانظر) للإرشاد والاعتبار، والخطاب يجوز أن يكون لغير معيّن، بل لكلّ من يأتي منه الاعتبار[5]. حيث جمع بين الإرشاد والاعتبار؛ أي أرشدهم إلى النّظر ليعتبروا بمآل أهل الكفر والعصيان وما حلّ بهم. وقيل أنّ ابن عاشور جعل التّسوية من معنى التّيئيس[6]وذلك في تفسيره لقوله: ﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٥، بقوله أنّ الأمر "في قوله: «اعْمَلُوا»

[1]: المصدر السّابق، 339/17.

[2]: المصدر نفسه، 41/10.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، 100/12. والطّاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة: الشوبكي رانية، ص191.

[4]: ينظر: نفسه.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 238/8.

[6]: ينظر: الطّاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة: الشّبوكي رانية، ص190.

للتّسوية والتّخلية لإظهار اليأس من امتثالهم للنّصح..."[1]. كما جمع بين التّوبيخ والتّقرير في قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ النبأ: ٣٠، بقوله: "والأمر في «فَذُوقُوا» مستعمل للتّوبيخ والتّقرير"[2]؛ أي يوبّخهم على فعلهم، وتقرير العذاب عليهم.

وفي بعض المواطن جمع بين الإباحة والتّأديب والتّوبيخ واعتبرها كالشّيء الواحد كما في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١، حيث استبعد أن يكون فعل «اهبِطُوا» للإنعام كما ذكره الفخر في تفسيره وغيره، بل ذكر أنّه للإباحة والتّأديب والتّوبيخ بقوله: "... ولا يخفى أنّ هذا بعيد إذ ليس في قوله (اهبِطُوا) إنعام عليهم... فالّذي عندي في تفسير الآية أنّها انتقال من تعداد النّعم المعقّبة بنعم أخرى إلى بيان سوء اختيارهم في شهواتهم والاختيار دليل عقل اللّبيب، وإن كان يختار مباحا، مع ما في صيغة طلبهم من الجفاء وقلّة الأدب مع الرّسول ومع المنعم... بل قال لهم (اهْبِطُوا مصرا) فأمرهم بالسّعي لأنفسهم وكفى بذلك تأديبا وتوبيخا... فالأمر في قوله: «اهبطوا» للإباحة المشوبة بالتّوبيخ..."[3]. وفي جمعه للمعنيين نظر دقيق؛ لأنّه أباح لهم الهبوط لمصر ليحصلوا على طلبهم، وهو يحمل توبيخا لهم على عدم شكر النّعمة الّتي كانت بين أيديهم.

تنبيه:

لقد علّق ابن عاشور في أربعة مواضع على النّوع الثّاني من الأمر وهو: اقتران الفعل المضارع بلام الأمر في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٤، يقول ابن عاشور: "والأمر باللّام في قوله: (فليستجيبوا) أمر تعجيز للأصنام، وهو أمر الغائب فإنّ طريق أمر الغائب هو الأمر"[4]، وفي قوله أيضا: قوله تعالى: ﴿ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الحجر: ٣، حيث

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 90/8.
[2]: المصدر نفسه، 42/30.
[3]: المصدر نفسه، 521/1-524.
[4]: المصدر نفسه، 221/9-222.

يقول"و «يأكلوا» مجزوم بلام الأمر المحذوفة ... وهو أمر توبيخ وتوعّد وإنذار بقرينة قوله: (فسوف يعلمون)"[1].

ففي الآيتين علّق ابن عاشور على الفعل المضارع المقترن بلام الأمر وهو الفعل «فليستجيبوا» و«يأكلوا»؛ لأنّه أحد الصيغ التي يأتي عليها الأمر، وذكر أنّه يكون لأمر الغائب وليس المخاطب.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ ﴿٥٨﴾ ﴾ النور: ٥٨، حيث ذكر أنّ "الأمر في «ليستأْذنُوا» للوجوب عند الجمهور"[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴿٢٩﴾ ﴾ الكهف: ٢٩، يقول ابن عاشور: "والأمر في قوله «فَلْيُؤمن» وقوله «فَلْيَكْفُر» للتّسوية المكنّى بها عن الوعد والوعيد"[3].

وفي موضعين آخرين على النّوع الثّالث للأمر وهو: اسم الفعل «هاتُوا» في قوله: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ النمل: ٦٤، والأمر في قوله «هَاتُوا» للتّعجيز[4]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ البقرة: ١١١حيث أشار أنّ الفعل (هَاتُوا) للتّعجيز[5].

[1]: المصدر السّابق، 13/14.
[2]: المصدر نفسه، 292/18.
[3]: المصدر نفسه، 307/15.
[4]: المصدر نفسه، 18/19.
[5]: ينظر: المصدر نفسه، 674/1.

الفصل الثّاني: أبنية الأفعال من حيث التّجرّد.

المبحث الأوّل: الفعل الثّلاثي المجرّد.

المطلب الأوّل: صيغة فَعَل.

المطلب الثّاني: صيغة فَعِل.

المطلب الثّالث: صيغة فَعُل.

المبحث الثّاني:الفعل الرّباعي المجرّد.

المطلب الأوّل: مفهومه.

المطلب الثّاني: معاني صيغة فَعْلَل.

المبحث الأوّل: الأفعال الثّلاثيّة المجرّدة.

وهذا المبحث معقود لبيان أوزان الأفعال المجرّدة ومعانيها، وهو جملة إسميّة تتكوّن من مبتدإ وخبر، فالمبحث: خبر لمبتدإ محذوف، وتقدير الكلام: هذا مبحثُ الأفعال الثّلاثيّة المجرّدة. وقد يكون مبتدأ مرفوعا لخبر محذوف؛ وتقدير الكلام: المبحثُ معقود للأفعالِ الثّلاثيّة المجرّدة أو المبحث خاصّ بالأفعال الثّلاثيّة، وربما يكون جملة فعليّة؛ حيث يجوز نصب «المبحث» على أنّه مفعول به لفعل محذوف مع فاعله لدلالة المقام عليه، وتقدير الكلام: خُذْ أو افْهَمْ مبحثَ الأفعالِ المجرّدة، والإعراب الأوّل أولى؛ لأنّ تقدير المحذوف على الجملة الإسميّة أصوب وذلك لبقاء أحد أركانها في سياق الكلام.

والفعل المجرّد: هو ما كانت جميع حروفه أصليّة، بحيث لا يسقط حرف منها في تصاريف الكلمة بغير علّة[1]، وأكثر ما يكون عليه الفعل المجرّد أربعة أحرف أصليّة، ولم يزد عن أكثر من ذلك.

وينقسم الفعل المجرّد باعتبار عدد أحرفه الّتي يتكوّن منها إلى قسمين: مجرّد ثلاثي، ومجرّد رباعي.

الفعل المجرّد الثّلاثي يتكوّن من ثلاثة أحرف أصول؛ لأنّ الفعل في العربيّة لا يقلّ عن هذا العدد من الأحرف[2] فالثّلاثي المجرّد بالنظر إلى الماضي* على ثلاثة أوزان، باعتبار حركة عينه[3] من فتح وكسر وضمّ؛ وهي فَعَل، وفَعِل، وفَعُل.

---

[1]: عون المعبود في شرح نظم المقصود في الصّرف: أبو عبد الرّحمان إبراهيم بن محمّد الفقيه القادميّ السّريحيّ اليمنيّ، دار عمر بن الخطّاب/مصر، مكتبة الإمام الوادعيّ/اليمن، ط1، 1428هـ/2007م، ص25. وينظر: شذا العرف: الحملاوي، ص61.

[2] : الصّرف التّعليمي: محمود سليمان ياقوت، ص75.

* أمّا باعتبار المضارع فهو على ستّة أبواب باعتبار حركة عين الفعل: فمن فَعَل مفتوح العين ثلاثة أبواب: (يَفْعَل، ويَفْعِل، ويَفْعُل) ومن فَعِل مكسور العين بابان: (يَفْعَل، ويَفْعِل) ومن فَعُل مضموم العين باب واحد (يَفْعُل).

[3] : شرح التّصريف العزي: السّيّد الشّريف الجرجاني، ص35.

المطلب الأوّل: فَعَل.

وبناء «فَعَل» هو أكثر الأبنية وأوفرها حتّى قال سيبويه: وليس شيء في الكلام أكثر من فَعَل، وقال الرّضي: اعلم أنّ باب فَعَل لخفّته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها؛ لأنّ اللّفظ إذا خفّ كثر استعماله واتّسع التّصرف فيه، وممّا يختصّ بهذا البناء باب المغالبة كما سيجِيء في المضارع، نحو كارمني فكرمته أكرمه؛ أي غلبته في الكرم[1]، وقد ذكر السّيوطي في الهمع سبعة عشر معنى لـ «فَعَل» مفتوح العين وهي: الغلبة، ثمّ الجمع، والإعطاء، والاستقرار، وضد هذه الثّلاثة الأخيرة وهي: المنع، والتّفريق، والتّحوّل، ثمّ السّير، والإيذاء، والاصطلام: كنسج، ورَدَن، ثمّ التّصويت، والدّفع، والتّحويل، والتّجريد، والرّمي، والسّتر، والنّيابة عن فَعُل المضموم في المضاعف نحو: حَلَلْتُ، واليائي العين نحو: طَاب...[2]، ومنهم من جعلها ثمانية عشر معنى مجموعة في قوله:

فَاعْمَل بِه وأَصِب مَع الأَخِير وَ**خُـــذْ** **أنِـــلْ** بِـذا مُـفْـرَدًا تَـمرتُـهُ نُـــزُلَا.

و**اجْمَعْ** و**فَرِّقْ** و**أعط** و**امْنَعَنَّ** و**فُـــهْ** و**اغْلبْ**، و**دَفْعٌ** و**إيذاءٌ** بِهِ حَصَـلَا.

بِه **تَحوَّلْ** و**حوِّلْ** و**اسْتَـقِرَّ** و**سِـــــرْ** و**اسْتُرْ** و**جَرِّد** و**أصْلِحْ** و**ارْمِ** مَنْ نَبَلَا.[3]

وهذه الأبيات نسبها صاحب الكتاب إلى ابن مالك في لاميّته، إلّا أنّنا عدنا للنّسخة الّتي معنا للألفية ولم نجد هذه الأبيات الّتي ذكرت.

ومن الدّلالات الّتي علّق عليها ابن عاشور في صيغة فَعَل عند تفسيره للقرآن الكريم ما يلي:

---

[1]: المغني في تصريف الأفعال: محمّد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1420هـ/1999م، ص113، وينظر: الكّناش في فنّي النّحو والصّرف: الأيّوبي، 63/2.

[2]: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3.

[3]: وشاح الحرّة بإبراز اللّاميّة وتوشيحها من أصداف الطّرّة في علم التّصريف: محمّد محفوظ بن الشّيخ المسّومِي الموريتاني الشّنقيطي، تح: محمّد محمود ولد محمّد الأمين، ط1، 1424هـ/2003م، ص17.

-الغلبة:

الغلبة في اللّغة: يقول ابن فارس: الغين واللّام والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على قوّةٍ وقهر وشدَّة[1]، قال تعالى: ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ ﴾ الروم:٣.

اصطلاحا: باب المغالبة ممّا يختصّ به بناء «فَعَل» مفتوح العين، والغلبة في هذه الصّيغة تكون بغلبة المقابل نحو: كارمني فكرمته، أو بالغلبة مطلقا نحو: قَهَر، وقسَر[2]، يقول ابن عصفور في الممتع: "وفَعَل لا يخلو أن يكون للمغالبة، أو لا يكون: فإن كان للمغالبة فإنّ مضارعه أبدا على «يفْعُل» بضمّ العين نحو: ضَارَبَني فَضَرَبْتُه أَضْرُبُه، وكَابَرَني فَكَبَرْتُه أَكْبُرُه، وفَاضَلَنِي فَفَضَلْتُه أفْضُلُه، هذا ما لم يكن معتلّ العين أو اللّام بالياء، فإن كان كذلك لزم المضارع «يَفْعِل» بكسر العين نحو قولك: رامَانِي فَرَمَيتُه أَرْمِيه، وسَايَرَنِي فَسِرْتُه أَسِيرُه أي غلبته في السّير"[3].

والمغالبة في فَعَل على مذهب البصريين تكون من المضارع مضموم العين، وذلك من كلّ فعل ثلاثي متصرّف تام[4] وعلى قول ابن عصفور فإنّ باب المغالبة يأتي من مضارع «فَعَل» بضمّ العين «يَفْعُل»، وكسرها «يَفْعِل».

ومن أمثلة ما ذكرت له هذه الدّلالة في القرآن الكريم وعلّق عليها ابن عاشور ما يلي:

---

[1]: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 388/4.

[2]: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3. وينظر الخصائص: ابن جنّي، 161/2.

[3]: الممتع: ابن عصفور، ص120. وينظر: النّكت الحسان في شرح غاية الإحسان: أبو حيّان النّحوي الأندلسي الغرناطي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ص228.

[4]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص157.

-قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الأعراف: ٩٤، هذه الآية فيها تعريف الله سبحانه لنبيّه بسنّته في الأمم الّتي خلت من قبله، وتذكير وزجر للكافرين المقيمين على الشّرك بالله، والتّكذيب برسوله ﷺ [1].

والشّاهد في الآية قوله: «أَخَذْنَا»، حيث قال ابن عاشور: "والأخذ: هنا مجاز في التّناول والإصابة بالمكروه الّذي لا يستطاع دفعه، وهو معنى الغلبة كما تقدّم في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ في سورة الأنعام"[2]، وهذا المعنى أشار إليه في تفسيره للآية 130 من سورة الأعراف في قوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾، حيث ذكر أنّ الأخذ مجاز في القهر والغلبة[3].

فقد وظّف الفعل «أَخَذْنَا» في الآية ليبيّن قدرة الله سبحانه وغلبته لأهل الشّرك في كلّ زمان ومكان؛ وذكّر قريشا بمآل أهل الكفر من الأمم السّابقة وقهره لهم جزاء على تكذيبهم للرّسل عليهم السّلام.

- وقوله تعالى: ﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٠، وفي هذه الآية ذكر لعذاب النّار الّذي يصيب الكافرين فجأة فتذعرهم ولا يطيقون دفعها عن أنفسهم[4].

---

[1]: جامع البيان: الطبري، 327/10-328.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 17/9.

[3]: المصدر نفسه، 63/9.

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 227/3، وجامع البيان: الطّبري، 277/16.

والشّاهد في الآية: «فَتَبْهَتَهُم»، يقول ابن عاشور: "والبهت: الغلب المفاجئ المعجز عن المدافعة، يقال: بهَتَه فبُهِت. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ أي غلب..."[1]، ويقول الزّمخشري: "يقال للمغلوب في المحاجّة: مبهوت؛ ومنه: (فبُهت الّذي كفر)؛ أي غلب إبراهيم-عليه السّلام-الكافر"[2].

فدلّ فعل «بَهَتَ» على غلبة النّار للكفّار وإحاطتها لهم من كلّ جانب وعجزهم عن دفع العذاب عن أنفسهم.

ولم يعلّق عليه ابن عاشور على دلالة الفعل المجرّد «بُهت» في سورة البقرة رغم وروده في موضع متقدّم، ولكنّه علّق عليه في موضع متأخّر كما في الآية السّابقة[3].

-وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ ص: ٢٣.

والشّاهد قوله: «عزَّني»، "والعزّة: الغلبة، ويقال: عزّه إذا غلبه؛ أي غلبني في مخاطبته، وأظهر في الكلام عزّة عليّ وتطاولا"[4]. وإلى هذا المعنى –الغلبة-ذهب الزّمخشري وابن عطيّة وأبو حيّان في تفسيرهم لكلمة "عزَّني"؛ أي: عزَّ يَعُزّ –بضمّ العين-بمعنى غلبني[5].

وهناك مواضع أخرى ذكرها ابن عاشور في دلالة الغلبة نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ النساء: ٧٤، حيث يقول في الفعل «يَغْلِب»:

---

[1]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 72/17.

[2]: الكشّاف: الزّمخشري، 146/4.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 32/3-34.

[4]: ينظر: المصدر نفسه، 72/11، و235/23.

[5]: ينظر: المحرر الوجيز: ابن عطيّة، 500/4. وينظر: الكشّاف: الزّمخشري، 255/5. والبحر المحيط: أبو حيّان، 544/1.

"ودخل فيه أصناف الغلبة على العدو بقتلهم أو أسرهم أو غنم أموالهمّ"[1]. وقوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ ﴿٦٠﴾ ﴾ الإسراء: ٦٠، والإحاطة لما عدّي فعلها إلى ذات النّاس لا إلى حال من أحوالهم تعيّن أنّها مستعملة في معنى الغلبة، كما في قوله تعالى:﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ في سورة يونس[2]. وقوله أيضا: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ ﴾ الضحى: ٩، بقوله: "والقهر: الغلبة والذّل وهو المناسب هنا"[3].

ملاحظة:

لقد كان ابن عاشور يلمّح إلى دلالة الغلبة دون أن يصرّح بها كما في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ ﴾ البلد: ٥، حيث وظّف الفعل «يَقدِر» في السّياق للدّلالة على غلبة الله سبحانه للكافرين، ليبيّن لهم قوّته وقدرته على إعادة خلقهم بعد اضمحلال أجسادهم، فكما خلقهم أوّل مرّة كذلك يخلقهم خلقا ثانيا، وهذا إثبات للبعث والجزاء بعد الموت[4].

كما أشار ابن عاشور إلى معنى الغلبة في تعليقه على الفعل «اختَصَموا» المزيد فيه في قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ ﴿١٩﴾ ﴾ الحج:١٩، حيث قال: "فلذلك لم يسمع منه فعل مجرّد إلّا إذا أريد منه معنى الغلب في الخصومة، لأنّه بذلك يصير فاعله واحدا"[5]، وفي قوله أيضا:﴿ وَمَا نَحْنُ

---

[1]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 122/5.

[2]: المصدر نفسه، 146/15.

[3]: المصدر نفسه، 402/30.

[4]: ينظر: المصدر نفسه، 351/30.

[5]: المصدر نفسه، 228/17.

﴿ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الواقعة: ٦٠، حيث علّق على اسم المفعول «مسبوقين» بقوله: "والسّبق: مجاز في الغلبة والتّعجيز لأنّ السّبق يستلزم أنّ السّابق غالب للمسبوق" [1].

-الجمع:

لغة: جمَعَ الشَّيءَ عنْ تَفرِقةٍ يَجْمَعُهُ جَمْعًا... وجَمَعْتُ الشَّيءَ إذَا جِئْتُ بِه مِنْ هـهُنا وهـهُنَا.[2]

اصطلاحا: للدّلالة على جمع الفاعل لأشياء، أو أمور، أو أحوال، أو غير ذلك نحو: حشر، وحشد، وجمع...، ويتّصل به ما دلّ على وصل نحو: مرَح، ومَشَج[3]، ومن الشوّاهد الّتي ذُكِرت في هذه الدّلالة ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٣، دلّت هذه الآية على فضل ذكر الله سبحانه في أيام التّشريق وما يتعلّق بها من أحكام شرعية وفقهيّة، وأمره سبحانه للعباد بتقواه وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، والتّنبيه على الإيمان بالحشر والاستعداد له[4].

وموضع الشّاهد قوله: «تُحْشَرُون»؛ والحشر كما قال ابن عاشور: "الجمع بعد التّفرّق، فلذلك ناسب قوله: ﴿ تُحۡشَرُونَ ﴾ حالتي تفرّق الحجيج بعد انقضاء الحجّ واجتماع أفراد كلّ فريق منهم إلى بلده بعد ذلك. واختير لفظ تحشرون دون تصيرون أو ترجعون؛ لأنّه يدلّ على كليهما معا"[5].

---

[1]: المصدر السّابق، 316/27.

[2]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ج م ع).

[3]: الحقول الدّلاليّة الصّرفيّة للأفعال العربيّة: سليمان فيّاض، دار المرّيخ، الرّياض/المملكة العربيّة السّعوديّة، 1410هـ/1990م، ص13. وينظر: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3.

[4]: تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة): محمّد بن صالح العثيمين، 438/2-439.

[5]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 264/2.

وهذا المعنى ذكره أبو حيّان في تفسيره بقوله: "الحشر ضمّ المتفرق وسوقه وهو بمعنى الجمع الّذي قلناه"[1]. وهذا ما أشار إليه ابن عاشور أيضا في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ الإسراء:٩٧[2].

فدلالة الفعل «حشر» في الآية أفادت استحضار الحجاج لحالهم وهو اجتماع الحجّ، وبعد ذلك يحشرون إلى مواطنهم، فذكّرهم ذلك بالحشر الأعظم الّذي يكون يوم القيامة بحيث يصيرون فيه مجتمعين كلّهم إلى الله سبحانه كما أفاده ابن عاشور[3]. وتذكّرهم لهذا الموقف العظيم عند قيامهم بفريضة الحجّ، يزيد إيمانهم بالرّجوع إلى الله، وبذلك سيستعدون له بتقواه سبحانه من خلال فعل المأمورات واجتناب المنهيات.

-وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ ﴾ الانشقاق: ١٧، يقسم الله سبحانه في هذه الآية باللّيل وما جمع ممّا سكن وهدأ فيه من ذي روح يطير أو يدبّ نهارا؛ لأنّه إذا حلّت ظلمة الليل ذهب كلّ شيء إلى مأواه[4].

والشّاهد في الآية قوله:﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾ يقول ابن عاشور: "الوسق: جمع الأشياء بعضها على بعض فيجوز أن يكون المعنى وما جمع ممّا كان منتشرا في النّهار من ناس وحيوان، فإنّها تأوي في اللّيل إلى مآويها وذلك ممّا جعل الله في الجبلّة من طلب الأحياء والسّكون في اللّيل... وقيل: ما وسقه اللّيل: النّجوم، لأنّها تظهر في اللّيل، فشبّه ظهورها فيه بوسق الواسق أشياء متفرّقة. وهذا أنسب بعطف القمر

[1]: البحر المحيط: أبو حيّان ، 116/2.

[2]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 217/15.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، 264/2.

[4]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 245/24. وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 641/4.

عليه"[1]، وهذا ما أشار إليه أبو حيّان بقوله: "(وما وسق) ما ضمّ من الحيوان وغيره إذ جميع ذلك ينضمّ ويسكن في ظلمة اللّيل"[2].

وهذه الدّلالة تشير إلى عظم قدرة الله سبحانه؛ حيث جعل اللّيل مأوى تجمع فيه كلّ مخلوقاته وتركن إلى أماكنها.

وقد أشار إلى دلالة الجمع في الفعل «كَسَب» وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾ المسد: ٢، حيث ذكر أنّ ما كسبه بمعنى ما جمعه[3].

-التّفريق:

لغة: الفرقُ خِلاف الجمع، وفَرَقَ بين القَومِ يَفْرُقُ ويَفْرِقُ. وفرَّقَ بينَهم كَفَرَق؛ وفَرَقْتُ بينَ الشّيئين أفْرُقُ فَرْقًا وفُرْقَانا، وفَرَّقْتُ الشّيء تَفْرِيقًا وتَفْرِقَة فانفَرَقَ وافْتَرَق وتَفَرَّق، وفَرَقْتُ أَفْرُق بينَ الكَلام وفَرَّقْتُ بينَ الأجْسَام[4]، وهذا ما أشار الفيومي في المصباح حين ذَكر أنّ فرَق المخفَّف في المعاني والمثقَّل في الأعيان[5].

اصطلاحا: هو فصل بين شيئين متّصلين نحو: فَصَل، وقَسَم، ويتّصل به ما دلّ على قطع: كفَصَم، أو كسر: كفَصَفَ، أو خَرْقٍ: كنَقَّب[6]، ومن أمثلة هذه الدّلالة في القرآن الكريم:

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 227/30.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 440/8.

[3]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 604/30.

[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ف ر ق).

[5]: ينظر: المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعي: أحمد بن محمّد بن علي المُقري الفيّومي، تح: عبد العظيم الشّناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1397هـ/1977م، ص470.

[6]: همع الهوامع: السّيوطي، ص264.

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ البقرة: ٥٠، ذكر الله عزّ وجلّ في هذه الآية فرقه للبحر وإنقاذه لموسى عليه السّلام ومن معه من بني إسرائيل من فرعون وجنوده[1].

والشّاهد في الآية قوله: «فَرَقْنَا» حيث يقول ابن عاشور: "وفَرَقَ وفرَّق بالتّخفيف والتّشديد بمعنى واحد... ومعناه الفصل بين أجزاء شيء متّصل الأجزاء؛ غير أنّ فرَّق يدلّ على شدّة التّفرقة وذلك إذا كانت الأجزاء المفرّقة أشدّ اتّصالا... وأنّ المخفّف والمشدّد كليهما حقيقة في فصل الأجسام... وقد اتّفقت القراءات المتواترة العشر على قراءة فرقنا بالتّخفيف، والتّخفيف منظور فيه إلى عظيم قدرة الله تعالى فكان ذلك الفرق الشّديد خفيفا"[2]، وهذا ما أشار إليه أبو حيّان حيث ذكر أنّ الفصلَ فرق بين كذا وكذا وهو ضدّ الجمع[3].

وهذه الدّلالة أشارت إلى عظم قدرة الله سبحانه حيث فرّق وفصل بين أجزاء البحر المتّصلة وذلك بإيحائه إلى موسى عليه السّلام بضربه بعصاه البحر فانفلق كما ذكره سبحانه في سورة الشّعراء الآية 63 فمر موسى عليه السّلام ومَنْ معه في ذلك الطريق ونجوا من فرعون وجنوده.

-وقوله: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ البقرة:٢٤٩، في هذه الآية إخبار عن خروج طالوت ملك بني إسرائيل بجنوده ومن أطاعه من بني إسرائيل للقتال[4].

[1]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 144/1.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 494/1.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 353/1.

[4]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 406/1.

والشاهد قوله: «فَصَلَ»، "ومعنى فصل بالجنود: قطع وابتعد بهم؛ أي تجاوز مساكنهم وقُرَاهم... وهو فعل متعدّ؛ لأنّ أصله فصل الشّيء عن الشّيء، ثمّ عدّوه إلى الفاعل فقالوا: فصل نفسَه حتّى صار بمعنى انفصل..."[1]. ومعنى الفصل في الآية فرّقهم عن مساكنهم وقراهم وابتعد بهم عنها؛ من أجل قتال العدوّ.

-وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٠، في هذه الآية تنبيه للجاحدين بتوحيده سبحانه على قدرته التّامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات[2].

والشّاهد في الآية قوله: «فَفَتَقْنَاهُما» والفتق كما قال ابن فارس: الفاء والتّاء والقاف أصل صحيح يدلّ على فتحٍ في شيء[3].

والفتق: هو الانفصال والتّباعد بين الأجزاء، فيحتمل في قوله: (كانتا) أن تكونا معا رتقا واحدا بأن تكون السّماوات والأرض كانتا جسما ملتئما. ويحتمل أن تكون كلّ سماء رتقا على حدتها، والأرض رتقا على حدتها وكذلك الاحتمال في قوله تعالى: (ففَتَقْنَاهما)، ولم يقل فصارتا فتقا؛ لأنّ الرّتق متمكّن منهما أشدّ تمكّن، ليستدلّ به على عظيم القدرة في فتقِهما، ثمّ ذكر ابن عاشور بعض الاحتمالات في مادّة الرتق والفتق، وعلى جميع هذه التّقادير فالمقصود من ذلك أيضا الاستدلال على أنّ الّذي خلق السّماوات والأرض وأنشأهما بعد العدم قادر على أن يخلق الخلق بعد انعدامه. فالآية قد اشتملت على عبرة تعمّ كلّ النّاس، وعلى عبرة خاصّة بأهل النّظر فتكون من معجزات القرآن العلميّة الّتي أشار إليها في مقدمات هذا التّفسير وهي المقدّمة العاشرة في إعجاز القرآن[4]. ويقول أبو السّعود: "قال ابن عبّاس رضي الله عنهما في

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 2/495-496.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 3/224.

[3]: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 4/471.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 17/53-56.

رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزمين ففصل الله تعالى بينهما..."[1]

ويقول الخازن: "﴿ فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾أي فصلنا بينهما بالهواء"[2].

فقد أضفت دلالة التّفريق في الفعل «فَتَقَ» معنى لطيفا في الآية حيث بيّنت قدرة الله سبحانه في التّفريق بين السّماوات والأرض بعدما كانتا متّصلتين ملتصقتين ببعضهما البعض في بداية الأمر، ففرّقهما وجعل السّماوات سبعا والأرض سبعا، وفصل بين السّماء الدّنيا والأرض بالهواء[3]، وكلّ هذا يدعو إلى التّفكر في عظيم قدرته سبحانه فالّذي خلق كلّ هذا وأحسن تدبيره قادر على أن يعيد الخلق بعد مماتهم.

ومن الأمثلة الّتي ذكرها ابن عاشور أيضا في هذه الدّلالة قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ ﴾ طه: ١٢، حيث ذكر أنّ الخلع: فصل شيء عن شيء كان متّصلا به[4]. وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ ﴾ المرسلات: ١٠، والنّسف: قلع أجزاء الشّيء بعضها عن بعض، وتفريقها مثل: الهدم[5]. وقوله أيضا: ﴿ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ عبس: ٢٦ بقوله: "والشّق: الإبعاد بين ما كان متّصلا، والمراد هنا شقّ سطح الأرض بخرق الماء فيه أو بآلة كالمحراث والمسحاة، أو بقوّة حرّ

---

[1]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 64/6.

[2]: لباب التّأويل في معاني التّنزيل: علاء الدّين علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي الشّهير بالخازن، تح: عبد السّلام محمّد علي شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1425هـ/2004م، 224/3.

[3]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 224/3.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 196/16.

[5]: المصدر نفسه، 424/29.

الشّمس في زمن الصّيف لتتهيّأ لقبول الأمطار في فصل الخريف والشّتاء"[1]. وقوله: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾ الفجر: ٢١، حيث ذكر أنّ دكّ الأرض بمعنى حطمها وتفرّق أجزائها[2].

-الإعطاء:

لغة: عَطَا الشَّيء عَطَا إليه عَطْوا: تناوله، والإعْطَاءُ المُنَاولَة[3].

اصطلاحا: وهي تدّل على إعطاء الفاعل مفعوله شيئا نحو: وهَب، منَح، نَحَل[4].

وممّا ذكره ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأنعام: ٨٤، حيث يقول: "والوهب والهبة: إعطاء الشّيء بلا عوض، وهو هنا مجاز في التّفضيل والتّيسير..."[5].

-قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الإسراء: ٦٤، في الآية إخبار لصرف إبليس للنّاس عن طاعة الله ودعوتهم لمعصيته عزّ وجلّ وتزيين المعاصي والعقائد الفاسدة لهم وما يعدهم من الوعود المزخرفة الباطلة الّتي لا أساس لها[6].

---

[1]: المصدر السّابق، 131/30.

[2]: المصدر نفسه، 336/30.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ع ط ا).

[4]: الحقول الدّلاليّة: سليمان فيّاض، ص14، وينظر: همه الهوامع: السّيوطي، 264/3.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 337/7.

[6]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 657/14-658. وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص462.

والشّاهد قوله: «وَعِدْهُم» أي أعطهم المواعيد بحصول ما يرغبون فيه، كما يسوّل لهم بأنّهم إن جعلوا أولادهم للأصنام سلم الآباء من الثّكل والأولاد من الأمراض[1].

فقد دلّ ذلك على أنّ كلّ ما يعطيهم إيّاه الشّيطان من المواعيد وما يمنّيهم به ليس إلّا تغريرا لهم ليزلّهم عن طريق الحقّ والطّاعة، وبعد استدراجه لهم يخلف وُعُودَه لهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴿٢٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٢، وفي قوله أيضا: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحشر: ١٦.

كما أشار إلى دلالة الإعطاء في الفعل «تؤتون» في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ ﴿٦٦﴾ ﴾ يوسف: ٦٦[2].

-المنع:

لغة: أن تحُول بين الرّجل وبين الشّيء الّذي يريده، وهو خلاف الإعطاء[3].

اصطلاحا: للدلالة على منع الفاعل مفعوله عن أمر، أو شيء ما نحو: حبَس، ومنَع، سجَن، أسَر[4].

وممّا جاءت له هذه الدّلالة نذكره فيما يلي:

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 154/15.

[2]: المصدر نفسه، 18/13.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (م ن ع).

[4]: الحقول الدّلاليّة: سليمان فيّاض، ص14. وينظر همع الهوامع: السّيوطي، 264/3.

-وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ٣ ﴾ إبراهيم: ٣، في هذه الآية وعيد من الله سبحانه للّذين آثروا الحياة الدّنيا وقدّموها على الآخرة، وصدّوا عن اتّباع الرّسل[1].

والصّدّ عن سبيل الله كما قال ابن عاشور: منع الدّاخلين في الإسلام من الدّخول فيه[2]؛ أي منع الكفّار للمؤمنين من عبادة الله سبحانه واتّباع ما جاء به الرّسل.

وكذلك في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ ﴾ النحل: ١٠٨، تشير الآية إلى ذمّ مَنْ اختاروا الكفر على الإيمان، ممّا أدّى إلى منع الله الهداية عنهم، والطبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، فلا يدخلها خير ولا ينفذ منها نفع[3].

والطّبع على قول ابن عاشور مستعار لمنع وصول الإيمان وأدلّته، وقد تقدّم مفصّلا في قوله:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾حيث ذكر في هذه الآية من سورة البقرة أنّ الختم مجاز في عدم نفوذ الحقّ لعقولهم وأسماعهم، وأنّه مسند مجازا إلى الله تعالى للدّلالة على تمكّن معنى الختم من قلوبهم وأنّه لا يرجى زواله[4]. وهذا دلّ على منع وصول الإيمان ونفوذه إلى قلوبهم ونفوسهم بسبب إعراضهم عن الهدى لمّا جاءهم، فكان عاقبتهم أنّهم لا يعقلون بآيات الله شيئا ولا ينتفعون بها فحُرِموا بذلك رحمة الله الّتي وسعت كلّ شيء.

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 654/2.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 184/13.

[3]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص450.

[4]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 297/14. و256/2-257.

وغيرها من المواضع الّتي أشار فيها ابن عاشور إلى هذه الدّلالة كقوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ هود: ٨، حيث قول في الفعل «يَحْبِسُه»: "والحبس: إلزام الشّيء مكانا لا يتجاوزه، ولذلك يستعمل في معنى المنع كما هنا، أي ما يمنع أن يصل إلينا ويحلّ بنا"[1]، وفي قوله أيضا:﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ ﴿٥٩﴾ ﴾ الإسراء: ٥٩، حيث قال: "وحقيقة المنع كفّ الفاعل عن فعل يريد فعله أو يسعى إلى فعله"[2]. كما أشار إلى دلالة المنع في قوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ النازعات: ٤٠، بقوله: "ونهي الخائف نفسه مستعار للانكفاف عن تناول ما تحبّه النّفس من المعاصي والهوى، فجعلت نفس الإنسان بمنزلة شخص آخر يدعوه إلى السّيّئات وهو ينهاه عن هذه الدّعوة"[3]؛ أي منع الإنسان (وهو الفاعل) نفسه (وهي المفعول) عن الهوى والمعاصي. وفي قوله: ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الماعون: ٧ بقوله: "والماعون: يطلق على الإعانة بالمال، فالمعنى: يمنعون فضلهم أو يمنعون الصّدقة على الفقراء"[4].

-الاستقرار:

لغة: الاستقرار مصدر مزيد فيه، وأصله من القُرّ بالضّم بمعنى القرار في المكان، تقول: قَرِرْتُ وقَرَرْتُ بالمكانِ، أقَرّ قَرارا. وقرَّرَهُ وأَقَرَّه في مكانه فاستقرَّ. وأَقْرَرْتُ الشّيء في مقَرِّه لِيَقِرَّ. وفلانٌ قَارٌّ سَاكِنٌ، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ البقرة:٣٦؛ أي قرار وثبوت[5].

---

[1]: المصدر السّابق، 10/12.

[2]: المصدر نفسه، 142/15.

[3]: المصدر نفسه، 92/30.

[4]: المصدر نفسه، 568/30.

[5]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق ر ر).

اصطلاحا: هي استقرار الفاعل في المكان وما إلى ذلك الاستقرار من السّكون والهدوء، نحو: سَكَنَ، وقَطَنَ، وثَوى[1].

وممّا جاءت له هذه الدّلالة ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٣، تدلّ الآية على إخلاص التّوحيد لله سبحانه وإفراده بالطّاعة؛ لأنّ جميع الخلق والعباد تحت تصرّفه وتدبيره جلّ وعلا[2].

والشّاهد في الآية قوله: «سَكَنَ»، "والسّكون استقرار الجسم في مكان، أي حيز لا ينتقل عنه مدّة، فهو ضدّ الحركة، وهو من أسباب الاختفاء؛ لأنّ المتخفّي يسكن ولا ينتشر"[3]، ويقول الخازن: "﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ يعني له ما استقرّ"[4]. وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في تفسيره لقوله: ﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴿٤٥﴾ ﴾ إبراهيم:٤٥، حيث ذكر أنّ المراد بالسّكن: الحلول. وأنّ العرب كانوا يمرّون على ديار ثمود في رحلتهم إلى الشّام ويحطّون الرّحال فيها، كما يمرّون على ديار عاد في رحلتهم إلى اليمن[5].

ودلالة الاستقرار في الفعل «سَكَنَ» تشير إلى عظيم قدرة الله سبحانه حيث تستقر له جميع المخلوقات ما بين السّماوات والأرض في اللّيل والنّهار لعبادته وطاعته.

---

[1]: همع الهوامع: 264/3. وينظر: مناهل الرّجال ومراضع الأطفال بلبان معاني لاميّة الأفعال: محمّد أمين بن عبد الله الأثيوبي الهرري، دار عمر بن الخطّاب/القاهرة، مكتبة الوادعي/اليمن، ط1، 1428هـ/2007م، ص27.

[2]: جامع البيان: الطّبري، 174/9.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 155/7.

[4]: لباب التّأويل: الخازن، 102/2.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 249/13.

وأشار إلى هذه الدّلالة في مواضع أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ ﴾ الغاشية: ١٩، في الفعل «نُصِبت» بقوله: "والنّصب: الرّفع أي كيف رفعت وهي مع ارتفاعها ثابتة راسخة لا تميل"[1]، حيث وظّف الفعل في سياق بيان أحد دلائل وحدانية الله سبحانه وهو استقرار الجبال وثباتها.

-التّحوّل والانتقال:

لغة: حَال يَحُولُ حَولًا وحُؤولًا وأَحَال، كلاهما تَحَوَّل. وفي الحديث: مَنْ أَحَالَ دَخل الجنَّة؛ يريد من أسلم، لأنّه تحوّل من الكفر إلى الإسلام. والتّحوّل: التّنقّل من موضع إلى موضع[2].

اصطلاحا: للدّلالة على تحوّل الفاعل بنفسه وانتقاله بذاته من مكان إلى مكان، أو من حال إلى حال نحو: ذهب، ورحل، ونَأَى، ومَضَى، وهَاج، ونفَر[3]، ومن أمثلة هذه الدّلالة:

-قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢. في هذه الآية إيماء إلى سبب آخر يدلّ على أنّه سبحانه المستحقّ لإفراده بالعبادة؛ ألا وهو النّعم المستمرّة الّتي أنعم بها على عباده، والّتي تدل على عظيم قدرته سبحانه[4].

فالشّاهد في الآية قوله: «جَعَل» حيث يقول ابن عاشور: "وجَعَل إن كانت بمعنى أوجد فحمل الامتنان هو إن كانتا على هذه الحالة، وإن كانت بمعنى صيّر فهي دالّة على أنّ الأرض والسّماء قد انتقلتا من حال إلى حال حتّى صارتا كما هما، وصار أظهر في معنى الانتقال من صفة إلى صفة، وقواعد علم

[1]: المصدر السّابق، 306/30.

[2]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ح و ل).

[3]: الحقول الدّلاليّة: سليمان فيّاض، ص17-18. وينظر: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3. وينظر: مناهل الرّجال: الأثيوبي، ص27.

[4]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 331/1.

طبقات الأرض(الجيولوجيا) تُؤذن بهذا الوجه الثّاني فيكون في الآية منّتان وعبرتان في جعلهما على ما رأينا وفي الأطوار الّتي انتقلتا فيهما بقدرة الله تعالى"[1].

وهذا يدلّ على انتقال العباد في نعم الله سبحانه الّتي سخّرها لهم بين السّماء والأرض وجعلها لهم آية ليتفكّروا بها في خلق الله وقدرته سبحانه.

وقد ذكر ابن عاشور هذا المعنى أيضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٣، حيث قال: "فالجعل: بمعنى الخلق ووضع السنن الكونيّة... وقد يكون الجعل بمعنى التّصيير، وهو تصيير الخلق على صفة مخصوصة أو تصيير مخلوق إلى صفة بعد أن كان في صفة أخرى..."[2]، ثمّ يقول إنّ الأظهر في نظم الآية أن تكون: جعلنا؛ بمعنى خلقنا وأوجدنا، وهو يتعدّى إلى مفعول واحد وهو: أَكَابِر مُجْرِميها. ويحتمل أن يكون: جعلنا بمعنى: صيّرنا فيتعدّى إلى مفعولين هما: أكابر، ومجرِميها؛ على أنّ مجرميها المفعول الأوّل، وأكابر مفعولها الثّاني؛ أي: جَعَلْنا مُجْرِميها أَكَابِر[3]، وهذا ما ذكره ابن عطيّة في تفسيره وهو أنّ «جَعلنَا» في الآية بمعنى صيّرنا[4].

ملاحظة:

وأشار ابن عاشور إلى هذا المعنى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ

[1]: المصدر السّابق، 332/1.

[2]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 47/8.

[3]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 48/8.

[4]: المحرر الوجيز: ابن عطيّة، 341/2.

﴿ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤ ﴾ البقرة: ٧٤، حيث قال: "القسوة والقساوة توصف بها الأجسام وتوصف بها النّفوس المعبّر عنها بالقلوب فالمعنى الجامع للوضعين هو عدم قبول التّحوّل عن الحالة الموجودة إلى حالة تخالفها، وسواء كانت القساوة الموضوعة للقدر المشترك بين هذين المعنيين الحسّي والقلبي وهو احتمال ضعيف، أم كانت موضوعة للأجسام حقيقة واستعملت في القلوب مجازا وهو الصّحيح"[1]. وفي قوله: ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ ﴾ التكاثر: ٢، حيث نوّه إلى دلالة التّحول والانتقال في الفعل «زُرْتُم» بقوله: "ولكون زيارة المقابر على هذا الوجه عبارة عن الحلول فيها... وحقيقة الزّيارة الحلول في المكان حلولا غير مستمرّ، فأطلق فعل الزّيارة هنا تعريضا بهم بأنّ حلولهم في المقابر يعقبهم خروج منها"[2]؛ أي أنّ موتكم ودخولكم في القبور سيعقبه انتقال لكم إلى مكان آخر بعد بعثكم منها.

-الدّفع:

لغة: الدّفْعُ: الإزالةُ بِقُوَّة، ودَفَعْتُهُ دَفعًا نَحَّيتُه فاندَفَع[3].

اصطلاحا: للدّلالة على الدّفع، والطّرد، والإبعاد، والزّجر، والنّهر وما إليها من الفاعل العاقل للمفاعيل نحو: درأ، وردع، وصدّ، وردّ، دفع، طرد...[4]، ومن شواهد هذه الدّلالة في القرآن الكريم:

---

[1]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 562/1-563.

[2]: المصدر نفسه، 520/30.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (د ف ع)، وينظر: المصباح المنير: الفيومي، ص196.

[4]: الحقول الدّلاليّة: سليمان فيّاض، ص16-17، وينظر: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3.

-قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٠، يخبر الله سبحانه في هذه الآية عن الكفّار وما توعّدهم به من العذاب والعقاب[1].

والشّاهد في قوله: «تغني»: فهي بمعنى تُجزِئ وتكفي وتدفع... ولدلالة هذا الفعل على الإجزاء والدّفع، كان مؤذنا بأنّ هنالك شيئا يُدفع ضرّه وتكفى كلفته...[2]، وهذا ما أشار إليه أبو حيّان بقوله: "ومعنى (أغنى عنه) دفع عنه ومنعه"[3].

وهذا يشير إلى أنّ دلالة الفعل «يغني» أضفت معنى في الآية وهي أنّ زينة الحياة الدّنيا كالأموال والأولاد لن تُنجّيهم وتدفع عنهم عذاب الله وعقابه الشديد لقاء كفرهم به.

-قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ الرعد:٢٢، في هذه الآية إخبار عن خصائص أهل الإيمان وصفاتهم الحسنة وبأنّ لهم عقبى الدّار جزاء لحرصهم على مرضاة الله والقرب منه والامتثال لأوامره[4].

والدّرء: الدّفع والطّرد، وهو هنا مستعار لإزالة أثر الشّيء فيكون بعد حصول المدفوع وقبل حصوله بأن يعدّ ما يمنع حصوله. فيصدق ذلك بأن يتبع السّيّئة إذا صدرت منه بفعل الحسنات فإنّ ذلك كطرد

---

[1]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 464/1.

[2]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 172/3.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 404/2.

[4]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص417.

السّيّئة، ويصدق بأن لا يقابل من فعل معه سيّئة بمثلها بل يقابله بالإحسان[1]، وإلى هذا المعنى ذهب الزّمخشري في تفسيره[2].

حيث وظّف الفعل «دَرَأ» في سياق تبيين صفة من صفات أهل الإيمان وهي دفع السّيئة بالحسنة؛ فيحسنون إلى من أساء إليهم ولا يقابلونه بالمثل.

كما أشار ابن عاشور إلى هذه الدّلالة أيضا في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ﴾ الطور: ١٣، حيث يقول: "والدّعّ: الدّفع العنيف... أي يوم يساقون إلى نار جهنّم سوقا بدفع، وفيه تمثيل حالهم بأنّهم خائفون متفهقرون تدفعهم الملائكة الموكّلون بإزجائهم في النّار"[3]؛ أي يدفعون إلى النّار دفعا على وجوههم[4]. وفي قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ الضحى: ١٠، حيث يقول: "والنّهر: الزّجر بالقول مثل أن يقول: إليك عنّي. ويستفاد من النّهي عن القهر والنّهر النّهي عمّا هو أشدّ منهما في الأذى..."[5].

-الظهور:

لغة: يقول ابن فارس: "الظّاء والهاء والرّاء أصل صحيح واحد يدلّ على قوّة وبروز. من ذلكَ ظَهَرَ الشَّيءُ يظْهَر ظُهُورًا فهو ظَاهِرٌ، إذا انكَشف وبَرَز"[6].

---

[1]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 129/13-130، وينظر: المحرر الوجيز: ابن عطيّة، 309/3.

[2]: الكشّاف: الزّمخشري، 348/3.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 43/27. وينظر: المصدر نفسه، 566/30.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 145/8.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 403/30.

[6]: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 471/3.

اصطلاحا: للدّلالة على ظهور الفاعل وبروزه بعد خفاء نحو: ظهَر، وبرَزَ، ونَبَت[1].

وممّا ذكره ابن عاشور في هذه الدّلالة من القرآن الكريم ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ البقرة: ١٨٠، اشتملت هذه الآية على الأمر بالوصيّة للوالدين والأقربين عند حضور الموت، وبيان حكم المال بعد موت صاحبه[2].

والشّاهد في الآية قوله: «حَضَر» يقول ابن عاشور: "فإنّ حضور الشّيء حلوله ونزوله وهو ضدّ الغيبة، فليس إطلاق حضر هنا من قبيل إطلاق الفعل على مقاربة الفعل نحو: قد قامت الصّلاة، ولا على معنى إرادة الفعل كما في ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾... ولكنّه إسناد مجازي إلى الموت لأنّهُ حضور أسبابه، وأمّا الحضور فمستعار للعرو والظّهور"[3]، وعلّق عليه أبو حيّان في الآية 106 من سور المائدة بقوله: "وحضور الموت: مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل"[4].

وهذا يشير إلى أنّه إذا ظهرت أمارات الموت وأسبابه على العبد فخير له أنْ يترك وصيّة لذوي القربى إذا كان له مال كثير.

[1]: الحقول الدّلاليّة: سليمان فيّاض، ص22.

[2]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 291/1، والتّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 145/2.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 146/2.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 43/4.

-وقوله تعالى:﴿ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ الأعراف: ١١٨، تدلّ هذه الآية على ظهور الحقّ وبيانه لمن شهده وحضره في أمر موسى عليه السّلام وأنّه ليس بسحر، وبطلان عمل السّحرة وذهابه واضمحلاله[1].

والشّاهد في قوله: «وَقَعَ» حيث قال ابن عاشور أنّ "الوقوع حقيقته سقوط الشّيء من الأعلى إلى الأرض، ومنه: وقع الطّائر، إذا نزل على الأرض، واستعير الوقوع لظهور أمر رفيع القدر، لأنّ ظهوره كان بتأييد الهيّ فشبّه بشيء نزل من علو، وقد يطلق الوقوع على الحصول لأنّ الشّيء الحاصل يشبه النّازل على الأرض..."[2]، ويذكر أبو حيّان فيما نقله عن القاضي أنّ وقوعَ الحقّ يفيد قوّة الظّهور والثّبوت بحيث لا يصح فيه البطلان كما لا يصحّ في الواقع أنْ يصير إلّا واقعا، ومع ثبوت الحقّ بطلت وزالت تلك الأعيان الّتي أتوا بها وهي الحبال والعصيّ[3].

ولمّا كان الحقّ رفيع الشأن والمنزلة عبّر عنه في الآية بالفعل «وَقَعَ» دون «نَزَل» أو فعل غيره، ليناسب الحدث الواقع من السّحرة، وإلقاء موسى عليه السّلام للعصا الّتي أبطلت عمل السّحرة، وبهذا ظهر الحقّ وحصل فكان وقوع العصا على الأرض وظهور الحقّ مقترنين كما أفاده ابن عاشور[4].

وهناك مواضع أخرى ذكر فيها ابن عاشور هذه الدّلالة نحو قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٨١﴾ ﴾ النساء:٨١، فقوله: «بَرَزُوا» بمعنى خرجوا، وأصل معنى البروز الظّهور، وشاع

---

[1]: ينظر: بحر العلوم: أبو اللّيث نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم السّمرقندي، تح: علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، 561/1. وجامع البيان: الطّبري، 360/10.

[2]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 50/9.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 364/4. وينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 260/3.

[4]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 50/9.

إطلاقه على الخروج مجازا مرسلا[1]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ يونس: ٨١، ومعنى: جئتم به، أظهرتموه لنا، فالمجيء استعمل مجازا في الإظهار؛ لأنّ الّذي يجيء بالشّيء يظهره في المكان الّذي جاءه[2].

-السّير:

لغة: السّير بمعنى الذّهاب[3].

اصطلاحا: ونقصد به الحركة المكانيّة من طرف الفاعل سواء كان مشيا، أو عدوا، أو دورانا، أو طوافا، أو جولانا، نحو: رمل، وذمل*[4]، وممّا ذكرت له هذه الدّلالة في القرآن الكريم:

-قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾ ﴾ آل عمران:١٥٦، ينهى الله سبحانه في هذه الآية عن مشابهة الكفّار في اعتقادهم الفاسد عن إخوانهم الّذين ماتوا في الأسفار والحروب[5].

والشّاهد في الآية قوله: «ضَرَبُوا» "والضّرب في الأرض هو السّفر، فالضّرب مستعمل في السّير لأنّ أصل الضّرب هو إيقاع جسم على جسم وقرعه به، فالسّير ضرب في الأرض بالرّجل، فأطلق على السّفر

---

[1]: المصدر السّابق، 136/5.

[2]: المصدر نفسه، 255/11.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (س ي ر).

*: رمل: بمعنى هرول، وذَمَل: سار سيرا ليّنا. ينظر: همع الهوامع: 264/3.

[4]: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3.

[5]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 549/1.

للتّجارة في قوله تعالى:﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾..."[1]، ونظيره أيضا قوله تعالى:﴿ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴿١٠٦﴾ ﴾ المائدة:١٠٦، حيث ذكر ابن عاشور أنّ الضّرب في الأرض: السّير فيه، والمراد به السّفر[2]، وهذا ما ذكره ابن عطيّة في كون الضّرب في الأرض: الإبعاد في السّير[3]؛ وهذا يعني أنّ فعل «ضَرَب» الدّالّ على السّير يقصد به السّفر في التّجارة أو الحرب أو غيرها.

-وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ﴿٧١﴾ ﴾ الزمر:٧١، يخبر الله تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النّار سوقا عنيفا[4].

والسّوق كما قال ابن عاشور: "أن يجعل الماشي ماشيا آخر يسير أمامه ويلازمه... والسّوق مشعر بالإزعاج والإهانة، قال تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ ﴿٦﴾ ﴾ الأنفال: ٦"[5]، وهذا ما ذهب أليه أبو حيّان وأبو السّعود في كون السّوق يقتضي الحثّ على المسير بعنف وإهانة[6].

وهذه الدّلالة عبّرت عن معنى في الآية وهو جعل الملائكة الموكّلون الكفّار يسيرون أمامهم بعنف ليأخذوهم إلى جهنّم لنيل العقوبة الّتي يستحقّونها لقاء كفرهم وتكذيبهم للحقّ.

هناك مواضع أخرى أشار فيها ابن عاشور إلى دلالة السّير نحو قوله: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأنبياء:١٢، في الفعل «يَرْكُضُون»، حيث يقول: "والرّكض: سرعة سير الفرس، وأصله

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 141/4. وينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 103/2.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 84/7.

[3]: المحرر الوجيز: ابن عطيّة، 531/1.

[4]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 83/4.

[5]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 69/24.

[6]: البحر المحيط: أبو حيّان، 424/7. وينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 263/7.

الضّرب بالرّجل فيسمّى به العدو، لأنّ العدو يقتضي قوّة الضّرب بالرّجل، وأطلق الرّكض في هذه الآية على سرعة سير النّاس على وجه الاستعارة تشبيها لسرعة سيرهم بركض الأفراس"[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٣، في الفعل «يسبحون» بقوله: "والسّبح: مستعار للسّير في متّسع لا طرائق فيه متلاقية كطرائق الأرض، وهو تقريب لسير الكواكب في الفضاء العظيم"[2]. وقوله تعالى: ﴿ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الصافات: ٧٠، حيث قال: " «يُهْرَعُون» بفتح الرّاء مبنيّا للمجهول مضارع: أهْرَعَه، إذا جعله هارعا؛ أي حمله على الهرع، وهو الإسراع المفرط في السّير... فكأنّهم مدفوعون إلى الهرع في آثار آبائهم"[3].

-التّصويت:

لغة: صَاتَ يَصُوتُ يَصاتُ صَوْتًا، وأَصَاتَ، وصَوَّتَ بِه: كلُّه نادى. ويُقَال: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تَصْوِيتًا، فهو مصَوِّتٌ، وذلكَ إذا صَوَّتَ بِإنسانٍ فَدَعاه[4].

اصطلاحا: هو إصدار أصوات من الكائنات الحيّة نحو: صرخ، وصهل، وصَاح، ونَعَق، ويلحق به ما دلّ على قول: كنطق، ووعظ[5]. ومن نماذج ما ذُكرت له هذه الدّلالة:

-قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾ الأحزاب:١٩، في هذه الآية وصف للمنافقين

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 25/17.

[2]: المصدر نفسه،61/17.

[3]: المصدر نفسه، 127/23.

[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ص و ت).

[5]: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3.

بالشّحّ على المؤمنين عند الغنيمة والنّفقة والخير في سبيل الله، والجبن والخوف والجزع من القتل، فإذا أمنوا على أنفسهم بعد ذلك تكلّموا كلاما بليغا فصيحا فيه أذًى للمؤمنين[1].

والشّاهد في قوله: «سَلَقُوكُم»، يقول ابن عاشور: "والسّلق: قوّة الصّوت والصّياح... وفُسِّر السّلق بأذى اللّسان"[2]؛ فكلام ابن عاشور يشير إلى دلالة التّصويت الّتي دلّت على رفع المنافقين أصواتهم بالملامة على التّعرض لخطر العدوّ الشّديد، وعدم الانصياع إلى إشارتهم على المسلمين بمسالمة المشركين كما أفاده ابن عاشور[3]؛ وهذا فيه احتجاج على للمؤمنين وأذى لهم.

-قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ النحل: ٥٣، وفي هذه الآية إخبار على أنّ لله سبحانه مالك كلّ شيء؛ فهو الّذي بيده رزق العباد والإنعام عليهم بفضله وإحسانه، وهو أيضا من بيده دفع الضرّ عنهم؛ فإذا مسّهم الضّرّ لجأوا إليه واستغاثوا به لكشفه عنهم[4].

يقول ابن عاشور: "وتَجْأَرُون: تصرخون بالتّضرّع، والمصدر: الجؤار، بصيغة أسماء الأصوات"[5]، وهذا الفعل يحمل معنى دقيقا في الآية وهو رفع صوت التّضرع لله سبحانه والدّعاء له برفع الضّر وكشفه عنهم، لعلمهم ويقينهم أنّه لا يقدر على ذلك إلّا هو سبحانه.

---

[1]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 52/19-53. والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 105/17.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 298/21.

[3]: نفسه.

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 716/2.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 178/14.

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة أيضا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ الإسراء: ١١٠، والجهر: قوّة صوت النّاطق بالكلام[1]. وفي قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ العلق: ١، حيق يقول: "والقراءة نطق بكلام معيّن مكتوب أو محفوظ على ظهر قلب"[2].

ملاحظة:

وقد أشار ابن عاشور بطريقة غير مباشرة إلى دلالة التّصويت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ البقرة: ١٧٣، والشّاهد في الآية قوله: «أُهِلَّ» وهو "من أَهَلَّ إذا رفع صوته بالكلام ومثله استَهَلّ ويقولون: استهلّ الصّبيّ صارخا إذا رفع صوته بالبكاء، وأهلّ بالحجّ والعمرة إذا رفع صوته بالتّلبية عند الشّروع فيها، والأقرب أنّه مشتقّ من قول الرّجل: هلا لقصد التّنبيه المستلزم لرفع الصّوت..."[3]. وفي قوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴿٦٤﴾﴾ الإسراء: ٦٤، حيث أشار إلى دلالة التّصويت بقوله: "والإجلاب... مشتقّ من الجلبة، وهي الصّياح؛ لأنّ قائد الجيش إذا أراد جمع الجيش نادى فيهم..."[4].

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 238/15.

[2] : المصدر نفسه، 435/30.

[3]: المصدر نفسه، 119/2.

[4]: المصدر نفسه، 153/15.

– التّحويل والتّغيير:

لغة: يقول الرّاغب الأصفهاني: «وحَوَّلْت الشَّيء فَتَحَوَّل: غَيَّرتُه، إمَّا بالذّات وإمَّا بالحُكْم والقَول... وقولُك حوَّلتُ الكِتاب هو أنْ تنقُلَ صورةً ما فِيه إلَى غيرِه...»[1].

اصطلاحا: وهي للدّلالة على تحويل الفاعل للمفعول من صورة إلى صورة أخرى نحو: قلب، وصرف، ونقل[2]، ومن أمثلة ذلك:

-قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ ﴾ آل عمران: ١٠٠، تدلّ هذه الآية على تحذير الله سبحانه لعباده المؤمنين من طاعة أهل الكتاب الّذين يحسدونهم[3].

والشّاهد في قوله: «يَرُدُّوكم»، قال ابن عاشور: "وأصل الرّدّ الصّرف والإرجاع قال تعالى: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ ﴾، وهو هنا مستعار لتغيّر الحال بعد المخالطة فيفيد معنى التّصيير كقول الشّاعر فيما أنشده أهل اللّغة:

فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السّودَ بِيضَا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودَا"[4].

وهذه الدّلالة لها معنى لطيف في الآية وهو عدم طاعة أهل الكتاب بعد مخالطتهم إيّاهم؛ حتّى لا يغيّروهم من حال الإيمان إلى حال الكفر والعياذ بالله.

---

[1]: المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني، تح: مركز الدّراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ص181.

[2]: همع الهوامع: 264/3، وينظر: مناهل الرّجال: الأثيوبي، ص27.

[3]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 509/1.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 28/4.

وقد ذكر هذه الدّلالة في قوله أيضا: ﴿ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥، بقوله: "إنّ حق فعل «تَبْخَسُوا» أن يتعدّى إلى مفعول واحد، فإذا تعدّى إلى مفعولين فذلك على معنى التّحويل لتحصيل الإجمال ثمّ التّفصيل"[1]

-السّتر:

لغة: سَتَرَ الشَّيءَ يَسْتُرُه سَتْرًا وسَتَرًا: حَجَبَه وأخْفاهُ وغَطَّاه[2].

اصطلاحا: للدّلالة على ستر الفاعل لشيء: كخبأ، وحجب، وستَر[3].

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ الأنعام: ٧٦، في هذه الآية ذكر لقصّة إبراهيم عليه السّلام عندما أظلم عليه اللّيل وأحاطه من كلّ جانب[4].

والشّاهد في الآية قوله: «جَنَّ»، "يقال: جنَّهُ اللّيل، أي أخفاه، وجنان اللّيل بفتح الجيم، وجنَّه: ستره الأشياء المرئيّة بظلامه الشّديد. ويقال: جنّه اللّيل، وهو الأصل. ويقال: جنّ عليه اللّيل، وهذا يقصد به

[1]: المصدر السّابق، القسم الثّاني، 213/8.

[2]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (س ت ر). وينظر: المصباح المنير: الفيّومي، ص266.

[3]: همع الهوامع: 264/3.

[4]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 317/6.

المبالغة في السّتر بالظّلمة حتّى صارت كأنّها غطاء"[1]، وإلى هذا المعنى أشار ابن عطية بقوله: "وجنّ الليل: إذا ستر وغطّى بظلامه "[2].

فدلالة السّتر هنا حملت معنى وهو أنّ اللّيل إذا أرخى سدول الظّلمة سترت وغطّت ضَوْء النّهار وحجبت تلك الظّلمة رؤية الأشياء ولم يعد يظهر إلّا الكواكب المضيئة كالقمر والنّجوم.

وقد أشار ابن عاشور إلى دلالة السّتر في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الانشقاق: ٢٣، حيث بيّنت الآية حال الكفّار وما يضمرون في قلوبهم من العناد، واستعمال الإيعاء في الآية للإخفاء؛ أي إخفاء ما جاء به القرآن من حقّ[3]، وفي قوله أيضا: ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: ١٠، حيث ذكر أنّ معنى (دَسَّاها) إذا أدخل شيئا تحت شيء فأخفاه[4]؛ حيث وظّف الفعل «دسّ» في وصف حال المشركين وخيبتهم؛ لأنّهم أخفوا أنفسهم في المعاصي.

-الإصابة:

لغة: الإصَابَةُ خِلافُ الإصْعَاد؛ أي الإنزال، وأَصَابَ السَّهم القِرْطَاسَ إِذَا لَمْ يُخْطِئ؛ وأَصَابَ إِذَا قَصَدَ ولَم يَجُزْ، وأصَابَ الشَّيءَ: وَجَدَهُ، وأصابَهُ أيضًا: أَرَادَه[5].

اصطلاحا: للدّلالة على إصابة الفاعل لعضو من جسم اشتقّ منه الفعل نحو: جلَده؛ إذا أصاب جلده، ورَأسَه؛ إذا أصاب رَأسَه...[6]، وممّا ذُكرت له هذه الدّلالة ما يلي:

---

[1]: المصدر السّابق، 318/7.

[2]: المحرر الوجيز: ابن عطيّة، 312/2.

[3]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 234/30.

[4]: المصدر نفسه، 371/30.

[5]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ص و ب).

[6]: الحقول الدّلاليّة: سليمان فيّاض، ص23. وينظر: ارتشاف الضّرب من لسان العرب: أبو حيّان، ص167.

-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ ﴾ يوسف: ٣٠. في هذه الآية إخبار عن قصّة امرأة العزيز وما فعلته مع يوسف عليه السّلام وإنكار نسوة المدينة عليها ذلك[1].

والشّاهد في الآية قوله: «شَغَفَهَا»، يقول ابن عاشور: "وشَغَف: فعل مشتّق من اسم جامد، وهو الشِّغَاف بكسر الشِّين المعجمة وهو غلاف القلب، وهذا الفعل مثل: كَبِدَهُ، ورَآهُ، وجَبِهَهُ؛ إذا أصاب كَبِدَه، ورِئتَه، وجَبْهَتَه"[2]، وشَغَف: إذا أصاب شَغَافه.

فالفعل «شَغَف» زاد الآية قوّة في المعنى حيث دلّ على إصابة قلب امرأة العزيز بحبٍّ يوسف عليه السّلام وبلوغه منها كلّ مبلغ حتّى وصل إلى غلاف قلبها وحجابه.

-وقوله تعالى: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ المطففين: ١٤. تدلّ هذه الآية على حجب الرّين لقلوب الكفّار عن الإيمان بالله سبحانه بسبب كثرة الذّنوب والخطايا[3].

يقول ابن عاشور: وأصل فعله أن يسند إلى الشّيء الّذي أصابه الرّين، فيقال: ران السّيف وران الثّوب إذا أصابه الرّين، أي صار ذا رين... والمعنى غطّت على قلوبهم أعمالهم أن يدخلها فهم القرآن والبون الشّاسع بينه وبين أساطير الأوّلين[4]، وللخازن رأي آخر في هذه الآية حيث ذهب إلى أنّ الفعل «ران» بمعنى الغلبة بقوله: "وأصل الرّان الغلبة ومعنى الآية أنّ الذّنوب والمعاصي غلبت على قلوبهم وأحاطت بها"[5].

---

[1]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 597/2.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 260/12.

[3]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 636/4.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 199/30.

[5]: لباب التّأويل: الخازن، 404/4.

فعلى قول ابن عاشور فإنّ الفعل «رَان» يدلّ على إصابة الرّين لقلوبهم فلا يدخلها نور القرآن وفهمه وتدبره؛ لأنّ معاصيهم وذنوبهم حالت دون ذلك. وعلى قول الخازن فالفعل يدّل على غلبة الذّنوب على القلب بحيث تحجبه عن رؤية الهدى والحقّ؛ "فالرّين: كالصّدأ الّذي يغشى القلب؛ ورَانَ الذَّنْب عَلى قَلبِه يَرِينُ رَينًا: أي غَلَب وطَبَع وختَم"[1]، ويصح تخريج الآية على كلا المعنيين وإنْ كان معنى الغلبة أقوى وأبين.

ملاحظة:

وقد أشار إلى دلالة الإصابة أيضا في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢ ﴾ الأعراف: ١٥٢، والشّاهد في قوله: «سَيَنَالُهم»، والنّول والنّيل: الأخذ وهو هنا استعارة للإصابة والتّلبس كما في قوله:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ في هذه السّورة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ٣٧ ﴾ الحج: ٣٧ [2]، وإلى هذا المعنى أشار في قوله:﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ ١٥٥ ﴾ الأعراف:١٥٥، حيث قال: "والأخذ مجاز في الإصابة الشّديدة المتمكّنة تمكّن الآخذ من المأخوذ"[3]. وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾ الأعراف: ٢٠١، والشّاهد قوله: «مَسَّهُم»، وقد استعير كما قال ابن عاشور للإصابة أو لأدنى الإصابة، وهو يدلّ على إصابة غير مكينة، ومع اقترانه بـ «إذا» يشير إلى أنّ الفزع إلى الله من الشّيطان، عند ابتداء إلمام الخواطر الشّيطانيّة بالنّفس[4]. وفي قوله: ﴿ وَنَبۡلُوَكُمۡ

---

[1]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ر ي ن).

[2]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 119/9، وينظر: المصدر نفسه، 267/17.

[3]: المصدر نفسه، 125/9.

[4]: المصدر نفسه، 232/9-233.

﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ٣٥﴾ الأنبياء: ٣٥، وذلك عند تفسيره للآية 17 من سورة الأنفال في الفعل «بلو» حيث ذكر أنّ البلاء يطلق لإصابة أحد أحدا بشيء يظهر به مقدار تأثّره، وهذا الفعل المجرّد صالح للخير والشّر[1].

-التّجريد:

لغة: جَرَدَ الشَّيءَ يَجْرُدُهُ جَرْدًا وجَرَّدَهُ: قَشَرَه؛ فكلّ شيء قَشَرْتَه عَنْ شَيءٍ فقَدْ جَرَدْتَه... والتَّجْرِيد: التَّعْرِيَة[2].

اصطلاحا: ونعني به تجريد الفاعل للمفعول ممّا عليه أو ممّا معه نحو: سلَخ، وقشَر، مَحَا، كَشَط، سَلَب، وسَرَق[3].

وقد أشار ابن عاشور إلى هذه الدّلالة في بعض المواضع وهي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١﴾ التكوير: ١١. وكشط السّماء: طيّها كطي السّجل، وقيل: أزيلت كما يكشط الجلد عن الذّبيحة[4].

يقول ابن عاشور: "والكشط: إزالة الإهاب عن الحيوان الميّت، وهو أعمّ من السّلخ، لأنّ السّلخ لا يقال إلا في إزالة إهاب البقر والغنم دون إزالة إهاب الإبل فإنّه كشط ولا يقال له سلخ، والظّاهر أنّ المراد إزالة تقع في يوم القيامة..."[5]. وهذا تمثيل وتشبيه في غاية الدّقة لحدث عظيم يقع يوم القيامة؛ وهو إزالة السّماء وذهابها كما يزال إهاب الإبل.

---

[1]: المصدر السّابق، 296/9.

[2]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ج ر د).

[3]: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3. وينظر: الحقول الدّلاليّة: سليمان فيّاض، ص20.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 425/8.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 149/30.

والظّاهر أنّ ابن عاشور يشير إلى دلالة التّجريد بلفظ الإزالة كما في قوله أيضا: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ يونس:١٢، حيث يقول: "الكشف: حقيقته إظهار شيء عليه ساتر أو غطاء، وشاع إطلاقه على مطلق الإزالة"[1]. وقوله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ الشرح: ١، حيث ذكر أنّ حقيقة الشّرح: فصل أجزاء اللّحم بعضها عن بعض، وإطلاق الشّرح على رضى النّفس بالحال أصله استعارة ناشئة عن إطلاق لفظ الضّيق وما تصرّف منه على الغحساس بالحزن والكمد، فجعل إزالة ما في النّفس من حزن مثل شرح اللّحم[2].

–الرّمي: ونعني به رمي الفاعل وتركه للشّيء نحو: قَذَف، وحَذَف[3].

قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنبياء: ١٨، في هذه الآية إخبار أنّ الله سبحانه يتكفّل بإحقاق الحقّ وتبيينه وإبطال الباطل؛ فينزّل من الحقّ ما يدحض الباطل ويجعله مضمحلّا[4].

يقول ابن عاشور: "والقذف حقيقته: رمي جسم على جسم، واستعير هنا لإيراد ما يزيل ويبطل الشّيء من دليل أو زجر... لأنّ ذلك مثل رمي الجسم المبطل بشيء يأتي عليه ليتلفه أو يشتّته"[5]؛ أي نرمي بسرعة بالحقّ على الباطل[6].

---

[1]: المصدر السّابق، 111/11.

[2]: المصدر نفسه، 408/30.

[3]: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3.

[4]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص520. وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 222/3.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 34/17.

[6]: البحر المحيط: أبو حيّان، 280/6.

وهذا المعنى في الفعل «قَذَف» يوحي إلى رمي الحقّ على الباطل فيبطله ويبيّن للنّاس بطلانه على لسان رسله كما أشار إليه ابن عاشور[1].

-الاضطراب والحركة: نحو: جال وهاج وغلى[2] وهذه الدّلالة لم يذكرها علماء الصّرف القدامى كأبي حيّان والسّيوطي وغيرهم، وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ يس: ٥١، في هذه الآية إخبار عن إخراج الموتى يوم البعث من قبورهم وإسراعهم للحضور بين يدي ربّهم[3].

والشّاهد في الآية قوله: «يَنْسِلُون»، وفعله من باب ضرب، ومصدره النَّسلان على وزن الغليان لما في معنى الفعل من التّقليب والاضطراب[4]، وهذه الدّلالة تبيّن حال النّاس وما يظهر عليهم من الاضطراب لإسراعهم في المشي وذلك من هول ما يرونه يوم البعث.

-وقوله تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ ﴾ الواقعة:٤، إذا زلزلت وحرّكت تحريكا فاهتزّت واضطربت بطولها وعرضها[5].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 34/17.

[2] : ينظر: أبنيةُ الصّرف في كتاب سيبويه (معجم ودراسة): الحديثي خديجة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص381-282، والدّلالة الإيحائيّة في الصّيغة الإفراديّة: صفيّة مطهري، اتّحاد كتّاب العرب، دمشق، 2003م، ص48.

[3]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص697.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 36/23.

[5]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 281/22-282، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير،363/4.

والشّاهد قوله: «رُجَّت»، "والرّجّ الاضطراب والتّحرّك الشّديد، فمعنى رُجَّت رَجَّها راجّ، وهو ما يطرأ فيها من الزّلزال والخسف ونحو ذلك"[1]. وفي هذا وصف لما يعرض على الأرض من اضطراب واهتزاز شديد وزلازل يوم القيامة.

وذكر ابن عاشور هذه الدّلالة أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ص: ٣٤، حيث يقول: "والفَتْن والفُتُون والفِتنَة: اضطراب الحال الشّديد الّذي يظهر به مقدار صبر وثبات على من يحلّ به، وتقدّم في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ في سورة البقرة"[2]. وفي قوله: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ ﴾ النازعات: ٦، بقوله أنّ "الرّجف: الاضطراب والاهتزاز، وفعله من باب نصر"[3].

-الدّنو: نحو: دنا وبدا[4]، وأشار ابن عاشور لهذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ آل عمران: ٩٦، حيث علّق على الفعل «وضع» وذكر أنّه لمعنى الإدناء للمتناول[5].

-الإيجاد:

وقد أشار ابن عاشور لهذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنعام: ٧٩، حيث يقول: "وفطر: خلق، وأصل الفطر: الشّقّ، يقال: فطَر فُطورا؛ إذا شقّ... شبّه الخلق بصناعة الجلد ونحوه، فإنّ الصّانع يشقّ الشّيء

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 284/27.

[2]: المصدر نفسه، 259/23.

[3]: المصدر نفسه، 67/30.

[4]: أبنية الصّرف: الحديثي خديجة، ص381-382.

[5]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 12/4.

قبل أن يصنعه، وهذا كما يقال: الفتق والفلق، فأطلق الفطر على إيجاد الشّيء وإبداعه على هيئة تؤهّل للفعل"[1].

-الاحتواء والإحاطة:

وذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٦، حيث يقول: "وفي الاحتواء والإحاطة يقال: أخذته الحمّى وأخذته الصّيحة، ومنه قوله هنا أخذته العزّة؛ أي احتوت عليه عزّة الجاهليّة"[2]، حيث وظّف الفعل«أخذ» في سياق وصف الممتنع عن الرّجوع إلى الحقّ بعد نصحه بسبب كبره وعزّته.

-التّلقّي:

لقد علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة عندما فسّر الآية 206 من سورة البقرة حيث ذكر قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران: ٨١، ثمّ قال: "وفي التّلقّي مثل (أخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيّين) ومنه أخذ فلان بكلام فلان"[3]. وأشار إلى هذه الدّلالة في بعض النّظائر نحو قوله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ النساء: ٢١، وقوله:﴿ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴿٨٠﴾ ﴾ يوسف: ٨٠[4].

---

[1]: المصدر السّابق، 324/7.

[2]: المصدر نفسه، 271/2.

[3]: المصدر نفسه، 271/2.

[4]: المصدر نفسه، 18/13.

-الانتشار:

أشار ابن عاشور إلى دلالة الانتشار في الفعل «بثّ» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ البقرة: ١٦٤، حيث يقول: "البثّ في الأصل نشر ما كان خفيّا ومنه بثّ الشّكوى وبثّ السّر؛ أي أظهره... ثمّ استعمل البثّ مجازا في انتشار الشّيء بعد أن كان كامنا كما في هذه الآية، واستعمل أيضا في مطلق الانتشار... وبثّ الدّواب على وجه عطفه على فعل «أنزل» هو خلق أنواع الدّواب على الأرض فعبّر عنه بالبثّ لتصوير ذلك الخلق العجيب المتكاثر فالمعنى وخلق فبثّ فيها من كلّ دابة... وعلى وجه عطف (وبثَّ) على (فَأحيا) فبثّ الدّواب انتشارها في المراعي بعد أن كانت هازلة جاثمة وانتشار نسلها بالولادة، وكلّ ذلك انتشار وبثّ"[1].

وهذه الدّلالات الأربعة الأخيرة وهي: الإيجاد، الاحتواء والإحاطة، التّلقي، والانتشار تفرّد بها ابن عاشور –على حدّ علمنا– عن علماء الصّرف الّذين حدّدوا دلالات صيغة (فعَل)، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ دلالات هذه الصّيغة كثيرة جدّا ولا يحدّدها غير سياقها الّذي ترد فيه.

تنبيه:

وذكر ابن عاشور دلالات أخرى لصيغة «فَعَل» كما في تفسيره لقوله تعالى:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ ﴿١٥٨﴾﴾ الأنعام: ١٥٨، حيث ذكر أنّ «يَنْظُرُون» مضارع «نَظر» بمعنى انتظر[2]؛ أي أنّ فَعَل المجرّد بمعنى افْتَعَل المزيد فيه. وهذا المعنى أي

[1]: المصدر السّابق، 84/2.

[2]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 184/8.

فعل بمعنى افتعل أشار إليه أيضا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ يونس: ٣٥، فالفعل في قوله: (أَمَّنْ لا يَهدِي) مضارع (هدى) القاصر بمعنى (اهتدى) كما يقال: شرى بمعنى اشترى[1]. ويقول أبو حيّان: "وقرأ أهل المدينة إلّا ورشا (أمن لا يَهْدِّي) بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدّال... وقرأ ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن كذلك، إلّا أنّهم فتحوا الهاء، وأصله: يهتدي، فقلبت حركة التّاء إلى الهاء... وقرأ حفص ويعقوب والأعمش عن أبي بكر كذلك، إلّا أنّهم كسروا الهاء"[2].

كما أشار إلى دلالة المطاوعة في قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ القصص: ٨١، بقوله: والخسف: انقلاب بعض ظاهر الأرض إلى باطنها، وعكسه، يقال: خسف الأرض، وخسف الله الأرض فانخسفت[3]؛ أي فعَل مطاوع انْفَعل، وهذه الدّلالة أشار إليها سيبويه في هذا باب ما طاوع الّذي فعْله على فَعَل وهو يكون على انْفَعَل وافْتَعَل نحو: كَسَرتُه فانْكَسَر، وحَطَمْتُه فانْحَطَم، وشَوَيْتُه فانْشَوَى وبعضهم يقول: فاشْتَوَى[4].

وقد ذكر ابن عاشور دلالة فَعَل بمعنى أفْعَل وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ طه: ٥٣، حيث ذكر ابن عاشور أنّ هذا الفعل حقّه أن يتعدّى إلى مفعول واحد وهو المدخول فيه، ويستعمل متعدّيا بمعنى أسلك. وحقّه أن يكون تعدّيه بهمزة التّعدية، فيقال: أسلك المسمار في اللّوح؛ أي جعله سالكا إيّاه، إلّا أنّه كَثُر

[1]: المصدر السّابق، 163/11.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 157/5.

[3]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 185/20.

[4]: الكتاب: سيبويه، 65/4.

في الكلام تجريده من الهمزة كقوله تعالى:﴿ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾. وكثُر كون الاسم الّذي كان مفعولا ثانيا يصير مجرورا بـ «في» كقوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ بمعنى: أسلككم سقر... أمّا سلك في الآية فهو «سَلَك» المتعدّي؛ أي أسْلَك فيها سُبُلا، أي جعل سبلا سالكة في الأرض، أي داخلة فيها[1].

كما ذكر أيضا دلالة فَعَل بمعنى فَعَّل عند تفسيره لقوله:﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ يس: ١٤، على قراءة أبي بكر عن عاصم بتخفيف الزّاي في «عزَّزْنا»؛ وفعل «عزَّ» بمعنى يحيى مرادفا لعزَّز، كما قالوا: شدَّ وشدَّد[2]؛ أي فَعَل بمعنى فعَّل.

وهذه الدّلالات الأخيرة لم نجد مَنْ ذكرها مِنْ علماء الصّرف الّذين تطرّقنا إليهم -إلّا النّزر القليل- في معاني الصّيغ المجرّدة الّتي ذُكِرت في هذا المطلب، إلّا أنها موجودة في القرآن وبيّنها علماء التّفسير كابن عاشور وقد أكدّت الشّواهد الذكورة آنفا ذلك، كما أنّه يوجد بعض المصنّفات الّتي تدلّ على تلك الدّلالات ككتاب ما جاء على فعَلْت وأفعَلت بمعنى واحد لأبي منصور الجواليقي وغيرها.

المطلب الثّاني: فَعِل.

وصيغة فَعِل لزومها أكثر من تعديتها، وهي أكثر في الكلام من فَعُل وتكثر في **الأعراض من الأدواء*** **والعلل** نحو: مَرِض، وسَقِم، وجَرِب... **والحزن** نحو: حَزِن، وغَضِب، وسَخِط... **وضدّها** نحو: نَشِط، وبَرِئ، وفَرِح، وجَذِل... وممّا يلحق بالأدواء ما دلّ على الجوع والعطش نحو: غَرِث، وعَطِش، وطَمِئ، ورَوِي... وتكثر أيضا في **العيوب** نحو: عَرِجَ، وعَوِرَ، وعَمِشَ... **والحلى**: هي العلامات الظّاهرة للعيون في أعضاء الحيوان نحو: صَلِع، وشَتِرَ، وحَوِرَ، ودَعِجَ... و**الألوان** نحو: حَمِر، وسَوِد، وشَهِب، وكَدِر... ويأتي

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 16/236-237.

[2]: المصدر نفسه، 22/360.

للإغناء عن فَعُل المضموم يائي اللّام نحو: حَيِي ووعِي، و**مطاوعة فَعَل** نحو: جَدَعَه فجَدِع، وثَلَمَه فَثَلِم بمعنى انْجَدَع وانْثَلَم[1].

ملاحظة:

-جاءت بعض الأفعال بكسر العين وضمّها فمنها ما دلّ على الألوان والعيوب والحلى نحو: أَدِم وأدُم، سَمِر وسَمُر، عَجِف وعَجُف، حَمِق وحَمُق، خَرِق وخَرُق، عَجِم وعَجُم، رَعِن ورَعُن، ومنها ما دلّ على الأدواء والأمراض نحو: سَقِم وسَقُم، وعَسِر وعَسُر، ويشترط فيها ألّا تكون لامها ياءً[2].

-وقد تجيء بعض الأفعال بفتح العين وكسرها نحو: فَزِع وفَزَع، فَرِقَ وفَرَق[3].

-ودلالة الألوان في فَعِل الغالب فيها أن تكون على وزن افْعَلّ وافْعَالّ نحو: ابْيَضّ واسْوَدّ واحْمَرّ، وازْرَاقّ واخْضَارّ، ولا تكون من فَعَل مفتوح العين[4].

ومن الدّلالات الّتي ذكرت لهذه الصّيغة في القرآن الكريم وعلّق عليها ابن عاشور ما يلي:

1-الأدواء والعلل: نحو: مرض وجِع، وعمِي...

-قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ ﴾ القيامة: ٧، في الآية إخبار عن شخوص الأبصار وذهولها من الهول العظيم الّذي يكون يوم القيامة[5].

---

* وذكر سيبويه دلالة الذّعر والخوف وذلك في باب ما جاء من الأدواء؛ لأنّها داء قد وصل إلى القلب، ينظر: الكتاب: سيبويه، 18/4.

[1]: ينظر: همع الهوامع: السّيوطي، 264/3-265، والمغني: عبد الخالق عظيمة، ص114، وشرح شافية ابن الحاجب: رضي الدّين الاستراباذي، 72/1-73.

[2]: ينظر: شرح شافيّة ابن الحاجب: الاستراباذي، 71/1-73. والكتاب: سيبويه، 18/4-21.

[3]: ينظر: الكتاب: سيبويه، 18/4.

[4]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 73/1.

[5]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص899.

والشّاهد في قوله: «بَرِق»، وقرأه الجمهور بكسر الرّاء، ومعناه: دَهِش وبَهِت، ويقال: بَرِق يَبْرَق فهو بَرِق من باب فرِح فهو من أحوال النّاس. وإسناده في الآية إلى البصر على سبيل المجاز العقلي تنزيلا له منزلة مكان البرق؛ لأنّه إذا بهت شخص بصره، ثمّ ذكر قراءة أخرى وهي بفتح الرّاء في «بَرِق» وكلا القراءتين كناية عن الفزع والرّعب[1].

فالفعل «بَرِق» دلّ على حال النّاس وما يكونون عليه من الذّهول والفزع من هول ما يرونه من أحداث يوم القيامة.

كما أشار إلى هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴿١٩١﴾ ﴾ البقرة: ١٩١، وهذه الآية تتضمّن أمر الله سبحانه للمؤمنين بقتال المشركين أينما وجدوا[2].

والشّاهد قوله: «ثَقِفتُمُوهُم»، وهو بمعنى لقيتموهم لقاء حرب وفعله كفرح[3]، وفسّره الزّمخشري في الكشّاف بأنّه وجود على وجه الأخذ والغلبة[4].

ونرجح هنا رأي ابن عاشور لأنّ الفعل «ثَقِف» من باب تَعِب كما ذكره الفيومي[5]، والغلبة لا تكون من باب فَعِل مكسور العين بل من فَعَل بفتح العين كما تقدّم آنفا في دلالات هذه الصّيغة؛ ولأنّ دلالة «فَعِل» هنا أقوى وهذا لما فيها من حثّ على قتال الكفّار في حال الحرب.

-الحزن:

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 344/29.

[2]: ينظر: تيسير الكريم الرحمان: السّعدي، ص89.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 202/2.

[4]: الكشّاف: الزّمخشري، 396/1.

[5]: المصباح المنير: الفيّومي، ص83.

وعلّق عليه ابن عاشور على هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المائدة: ٢٦،حيث يقول: "والأسى: الحزن يقال: أسِي كفَرِح إذا حَزن"[1].

-الفرح[2]:

وهو ضدّ الحزن؛ أي كلّ ما دلّ على فرح ونحوه، وعلّق عليها ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢، هذه الآية فيها تبيين لصفات المؤمنين وأحوالهم[3].

والشّاهد في الآية قوله: «وَجِلَت»، والفعل جاء "في الفصيح بكسر العين في الماضي على طريقة الأفعال الدّالة على الانفعال الباطني، مثل: فرِح، وصدِي، وهوِي، وروِي..."[4]، ثمّ يذكر معنى الآية من خلال ما أشار إليه في دلالة الفعل «وَجِل» بقوله: "وقد أجملت الآية ذكر الله إجمالا بديعا ليناسب معنى الوَجل، فذكر الله يكون: بذكر اسمه، وبذكر عقابه وعظمته، وبذكر ثوابه ورحمته وكلّ ذلك يحصل معه الوجل في قلوب المؤمنين؛ لأنّه يحصل معه استحضار جلال الله وشدّة بأسه وسعة ثوابه، فينبعث عن ذلك الاستحضار توقّع حلول بأسه، وتوقع انقطاع بعض ثوابه ورحمته، وهو وجل يبعث المؤمن على الاستكثار من الخير وتوقي ما لا يرضي الله تعالى وملاحظة الوقوف عند حدود الله في أمره ونهيه"[5]، وكلّ هذا يدلّ

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 168/6.

[2]: ينظر: أبنية الصّرف: الحديثي، ص385. والدّلالة الإيحائية: صفيّة مطّهري، ص50.

[3]: لباب التّأويل: الخازن، 290/2.

[4]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 256/9.

[5]: نفسه.

على حال المؤمنين وما يظهر عليهم من خشية وورع عند ذكر الله سبحانه وسماعهم لآياته، فيَزِيدهم ذلك إيمانا وحرصا على الاستكثار من الخيرات لنيل ثوابه ورحمته وتجنّب عذابه وعقابه.

ملاحظة:

وقد أشار ابن عاشور إلى صيغة فَعِل في تعليقه على كلمة «فاكهين» في قوله تعالى: ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾ الطور: ١٨، بقوله: فالفاكه: وصف من فَكِه كفَرِح، إذا طاب نفسه وسرّ[1].

2-العيوب:

وعلّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦. في الفعل «يَعْشُ»، وذكر أنّه قد يُقال فيه: "عَشِي بالياء مثل: عَرِج إذا كانت في بصره آفة العشا، وعَشِي يَعْشَى إذا صار العشا له آفة لأنّ أفعال الأدواء تأتي كثيرا على فَعِل بكسر العين مثل مَرِض، وعَشِي ياؤه منقلبة عن واو؛ لأجل كسرة صيغة الأدواء"[2]. وهذا ما أشار إليه أبو السّعود بقوله: :ومَنْ يَعْش؛ أي يتعام... وقرئ يعشَ بالفتح أي يعم يقال: عشي يعشى إذا كان في بصره آفة، وعشا يعشو إذا تعشى بلا آفة كعرج..."[3]

وهذه الدّلالة أفادت معنى في الآية وهو أنّه من ينظر نظرا غير متمكّن في القرآن؛ أي من لاحظ له إلّا سماع كلمات القرآن دون تدبّر وقصد للانتفاع بمعانيه؛ فهو كالّذي أصابه علّة وعيب العشا في بصره

[1]: المصدر السّابق، 45/27.

[2]: المصدر نفسه، 208/25-209.

[3]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 47/8.

ولم تعد الرّؤية سليمة واضحة أمامه، فشبّه سماع القرآن مع عدم الانتفاع به بنظر النّاظر دون تأمّل[1] وبصيرة بمعانيه.

3-المطاوعة:

وممّا أشار له ابن عاشور في دلالة المطاوعة غير الّتي ذكرها السّيوطي في الهمع؛ وهي مطاوعة فَعَل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٠، وفي هذه الآية تسلية للنّبيﷺ في تكذيب من كذّبه من قومه ووعده له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدّنيا والأخرة[2].

والشاهد في الآية قوله: «سَخِرُوا»، وأصل مادة سَخِر كما قال ابن عاشور مؤذن بأنّ الفاعل اتّخذ المفعول مسخّرا يتصرّف فيه كيف شاء بدون حرمة لشدّة قرب مادة(سَخِر) المخفَّف من مادّة التّسخير؛ أي التّطويع، فكأنّه حوّله عن حقّ الحرمة الذّاتيّة فاتّخذ منه لنفسه سُخريّة[3].

حيث دلّ ذلك على حال المكذبين واستهزائهم بما جاء به الرّسولﷺ من الحقّ، وتوعده لهم سبحانه أنّه مصيبهم ما أصاب الأمم السّابقة لقاء تكذيبهم لرسلهم.

ملاحظة:

وأشار ابن عاشور إلى دلالة فَعِل بمعنى أفعَل في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾ هود:١٠٨، حيث قرأ

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 25/208-209.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 2/159.

[3]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 7/147.

الجمهور قوله: «سَعِدُوا» بفتح السّين[1]، وهو بمعنى: أَسْعدوا[2]، وهذا ما أشار إليه أبو حيّان بقوله: "لأنّه لا يقال: سعده الله إنّما يقال: أسعده الله، وقال الثّعلبي: سعد وأسعد بمعنى واحد"[3].

كما أشار ابن عاشور إلى صفة السّمع في الفعل «أذِن» في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ النبأ: ٣٨، حيث يقول: "والإذن: اسم للكلام الّذي يفيد إباحة فعل للمأذون، وهو مشتقّ من: أذن له، إذا استمع إليه قال تعالى: ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ ﴾، أي استمعت وطاعت لإرادة الله... فأصل معنى أذِن له: أمال أُذُنه؛ أي سَمعَه إليه يقال: أذِن يأذَن أذنا كفرِح، ثمّ استعمل في لازم السّمع وهو الرّضى بالمسموع فصار أذِن بمعنى رضِي بما يطلب منه..."[4].

المطلب الثّالث: فَعُل.

يقول سيبويه: "«هذا باب أيضا في الخصال الّتي تكون في الأشياء» أمّا ما كان حُسْنا أو قُبْحا فإنّه ممّا يُبْنَى فعله على فَعُل يَفْعُل..."[5]، ويكثر «فَعُل» مضموم العين في الطّبائع والسّجايا، فيكون للخصال والخلق الكائنة في الأشياء[6]؛ وهي الصّفات الملازمة لصاحبها نحو: الحسن والقبح، والوسامة،

---

[1]: وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر، أمّا ضمّ السّين في "سُعِدُوا" فهي قراءة حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم، ينظر: الحجّة في علل القراءات السّبع: أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النّحوي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1428هـ/2007م، 3/267-268.

[2]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 166/12.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان،264/5.

[4]: التّحرير والتّنوير، ابن عاشور، 52/30. وينظر المصدر نفسه، 219/30.

[5]: الكتاب: سيبويه، 28/4.

[6]: البديع في علم العربيّة: ابن الأثير المبارك بن محمّد الشّيباني الجزري أبو السّعادات مجد الدّين، تح: صالح حسين العايد، 1421هـ، 405/2.

والقسامة، والكِبر، والصِّغر، والطّول، والقصر، والغِلظ، والسّهولة، والصّعوبة، والسّرعة، والبطء، والثّقل، والحلم، والرِّفق، ونحو ذلك، ولـمّا كان فَعُل في الأغلب للغرائز والسّجايا، ومن شأن السّجيّة أن تلازم صاحبها، ولا تتعدّاه إلى غيره، كانت أفعال هذا الباب كلّها لازمة غير متعدّيّة، وشذّ نحو: رَحُبَتْك الدّار؛ فقد جاء متعدّيا عن طريق التّضمين لمعنى: وَسِع...[1] وهذه الصّيغة تأتي لمعنى مطبوع عليه ممّن هو قائم به ككَرُم، ولَؤُم، أو كمطبوع نحو: خَطُب، وفَقُه، أو شبهه نحو: جَنُب، وشبُه، ونَجُس[2].

ولم يرد يائي العين استغناء عنه بفَعَل لاستثقال الضّمّة على الياء نحو: طاب: يطيب... إلّا هَيُؤ الشّيء بمعنى: حسُنَت هيئته، ونقول: هَيُؤ الرّجل؛ إذا صار ذا هيئة، فقد جاء مضموم العين شذوذا[3]، ولا يائي اللّام إلّا «نَهُو» ... فإنّ أصله نَهُي، قلبت الياء واوًا لانضمام ما قبلها وهذا أيضا شاذّ[4]، وقد سُمِع بَهُوَ الرّجل يَبْهُو، بمعنى: بَهِي يَبْهِي؛ أي صار بهيّا[5].

ومن دلالاته الّتي علّق عليها ابن عاشور في القرآن الكريم ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنعام:٣٥، وفي هذه الآية ذكر لشدّة حرص الرّسول ﷺ في دعوة جميع النّاس للإيمان ومشقّة إعراضهم عنه في اتّباع ما جاء به من الهدى[6].

---

[1]: شرح شافيّة ابن الحاجب: الرضي الاستراباذي، 74/1. وينظر: المغني: عبد الخالق عظيمة، ص115.

[2]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص153.

[3]: همع الهوامع: السّيوطي، 265/3. وينظر: المغني: عبد الخالق عظيمة، ص115.

[4]: همع الهوامع: السّيوطي، 265/3.

[5]: المغني في تصريف الأفعال: عبد الخالق عظيمة، ص115.

[6]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 165/2.

والشّاهد قوله:«كَبُر» وهو ككَرُم، كبرا كعنب: عظمت جثّته. ومعنى «كَبُر» هنا شقّ عليك. وأصله عظم الجثّة، ثمّ استعمل مجازا في الأمور العظيمة الثّقيلة لأنّ عِظم الجثّة يستلزم الثّقل، ثمّ استعمل مجازا في معنى شقّ؛ لأنّ الثّقيل يشقّ حمله[1]، ومعنى الآية أنّه عظم وشقّ على الرّسولﷺ إعراض الكفّار عن الإيمان والتّصديق بما جاء به من الهدى[2].

-وقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾ طه: ٩٦، وهنا ذكر لادّعاء السّامري بعلمه ما لم يعلموه؛ وهو رؤيته لجبريل عليه السّلام حين جاء لهلاك فرعون وقبضه قبضة من أثره[3].

والشّاهد في قوله: «بَصُرْتُ»، وبَصُر بالشّيء حقيقته صار ذا بصر؛ أي بصيرا به أو بصيرا بسببه، أي شدّة وقوّة الإبصار، فهو أقوى من أبصر؛ لأنّه صيغ على «فَعُل» –بضمّ العين–الّذي تشتقّ منه الصّفات المشبّهة الدّالة على كون الوصف سجيّة، وهذا ما أشار إليه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ القصص:١١[4]، فمعنى الآية من خلال دلالة الفعل «بَصُر» شدّة بصر السّامري وقوّته الّتي جعلته كما يزعم يعلم ما لم يعلموه، ويفطن لما لم يفطنوا له.

كما أشار ابن عاشور لهذه الدّلالة في قوله: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأعراف: ٥٨، في الفعل «خَبُث»

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 203/7.

[2]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 118/4.

[3]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 207/3. والتّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 295/16.

[4]: المصدر نفسه، 295/16، وينظر: المصدر نفسه، 83/20.

حيث ذكر أنّ "الّذي خَبُث ضدّ الطّيّب؛ والطّيب هو المتّصف بالطّيب"[1]، وهذا يعني أنّ الفعل «خَبُث» هو المتّصف بالخبث.

تنبيه:

وقد أشار ابن عاشور إلى هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ ﴾ القارعة: ٦ ، في الفعل «ثقُل» بقوله: "وثقل الموازين كناية عن كونه بمحلّ الرّضا من الله تعالى لكثرة حسناته، لأنّ ثقل الميزان يستلزم ثقل الموزون... وقد شاع عند العرب الكناية عن الفضل والشّرف وأصالة الرّأي بالوزن ونحوه"[2]. كما ذكر بعض الأفعال في هذا الباب دون أن يشير إلى دلالة الطّبائع والسّجايا كما في قوله تعالى:﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ﴾ النساء:٦٩، فقوله: (حَسُن) "مراد به المدح ملحق بنعم ومضمّن معنى التّعجب من حسنهم، وذلك شأن فعُل –بضمّ العين– من الثّلاثي أن يدلّ على مدح أو ذمّ بحسب مادته مع التّعجب..."[3]، وهذا الفعل «حَسُن» ليس للدّلالة بنحو ما جاء لوزن فَعُل المجرّد اللّازم الّذي لا يتعدّى إلى مفعول به، وإنّما هو على وزن صيغة التّعجب «ما أفْعَل»؛ وكأنّه قال: ما أحسَنهم رفيقا. وفي قوله أيضا: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾ الكهف:٥، ففعل «كَبُر» استعمل مجازا في الشّدّة والقوّة في وصف من الصّفات المحمودة والمذمومة على وجه الاستعارة، وهو هنا مستعمل في التّعجّب من كبر هذه الكلمة في الشّناعة بقرينة المقام. ودلّ على قصد التّعجّب منها انتصاب «كلمة» على التّمييز إذ لا يحتمل هنا معنى

[1]: المصدر السّابق، القسم الثاني، 185/8.

[2]: المصدر نفسه، 513/30.

[3]: المصدر نفسه، 116/5.

غير أنّه تمييز نسبة التّعجّب، ومن أجل هذا مثّلوا بهذه الآية لورود فعل أصلي ومحوّل لمعنى المدح والذّم في معنى نعم وبئس بحسب المقام[1].

ونستنتج أنّ هذا الباب غنيّ بالدّلالات الّتي ذكرها ابن عاشور في الصّيغ الثّلاثة السّابقة، وأنّ أكثر الدّلالات الّتي علّق عليها في القرآن الكريم خاصّة بصيغة فَعَل مفتوح العين لخفّته وهي أكثرها وأوفرها، ثمّ تليها صيغة فَعِل مكسور العين، ثمَّ فَعُل مضموم العين.

[1]: المصدر السّابق، 252/15.

المبحث الثّاني: الأفعال الرّباعيّة المجرّدة.

المطلب الأوّل: مفهوم الفعل الرّباعي المجرّد

الفعل الرّباعي المجرّد هو ما كانت حروفه الأصليّة أربعة أحرف، وله وزن واحد وهو: فَعْلَل نحو: دَحْرَجَ وزَلْزَل وبَسْمَل... ويكون لازما ومتعدّيا، وتعديته أكثر من لزومه، وهو على نوعين:

الأوّل: المضعّف وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من نوع، وعينه ولامه الثّانية من نوع آخر نحو: زَلْزَل، وقَلْقَل، وسَلْسَل، والثّاني: غير المضعَّف وهو ما لم تكن فاؤه ولامه الأولى من نوع، وعينه ولامه الثّانية من نوع آخر نحو: دَحْرَج، وحَرْجَم[1]، والثّاني يأتي لدلالات كثيرة منها: **الاتّخاذ**: نحو قمطرت الكتاب؛ إذا اتّخذته قمطرا، **والمشابهة**: نحو حنظل خُلق زيد؛ إذا أشبه الحنظل، **والجعل**: نحو نرْجَس الدّواء إذا جعل في النّرجس، **الدّلالة على أنّ الاسم مأخوذ منه آلة**: نحو عَرْفَصَه؛ إذا ضربه بالعرفاص: وهو السّوط، **وإصابة ما أخذ منه الفعل**: نحو عَرْقَبْتُه؛ إذا أصبت عُرْقُوبَه، **والنّحت**: نحو بَسْمَل[2].

ويلحق بالرّباعي المجرّد سبعة أبنية: 1-فَعْلَل نحو: جَلْبَب، 2-فَوْعَل نحو: رَوْدَن، 3-فَعْوَل نحو: جَهْوَر، 4-فَيْعَل نحو: سَيْطَر، 5-فَعْيَل نحو: شَرْيَف، 6-فَنْعَل نحو: سَنْبَل، 7-فَعْنَل نحو: قَلْنَس، 8-فَعْلَى نحو: سَلْقَى[3].

وهذه الصّيغ في الملحق بالرّباعي المجرّد لم تذكر في القرآن الكريم، إلّا إشارة لصيغة واحدة وهي: فَيْعَل، وسنوضّحه في النّماذج المذكورة لاحقا إن شاء الله.

---

[1]: أبنيةُ الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي خديجة، ص90-389، والمغني: عبد الخالق عظيمة، ص122-123. وينظر: الكنّاش: القوشجي، 71/2.

[2]: ينظر: المغني: عبد الخالق عظيمة، ص122-123، وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص180، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: خديجة الحديثي، ص390.

[3]: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: ابن عقيل، 119/4.

المطلب الثّاني: معاني صيغة فعْلَل:

ومن الدّلالات الّتي ذُكِرت لهذه لصيغة "فَعْلَل" في القرآن الكريم ووضّحها ابن عاشور ما يلي:

-التّكثير والمبالغة:

فالفعل المضعّف كزحّ، وزلّ، وكبّ إذا ضوعِف اجتمعت فيه ثلاثة أحرف متماثلة؛ عينه ولامه والحرف المزيد للتّكثير، كقولك في تضعيف كبّه لوجه: كبَّبه، وهذا هو الأصل، ولك أن تبدل عن الحرف المزيد للتّكثير حرفا مماثلا للفاء، فتقول: كبكبه لوجهه، وإنّما جعلوه مماثلا للفاء، لأنّه بدل عن المماثل لعين الفعل. وقد سُمِع عن العرب النّطق بالوجهين في أفعال كثيرة نحو: كبَّه لوجهه وكبكبه، ودجَّ اللّيل ودجدج: إذا أظلم، وعجّ بصوته وعَجْعَجه...[1].

-قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة: ٢١٤، أخبر الله سبحانه في هذه الآية أنّه لا بدّ من اختبار عباده في السّراء والضّراء كما فعل بمن قبلهم، وابتلائه لهم بأنواع المخاوف من التّهديد بالقتل وغيره؛ لأنّ كلّ من قام بالحق يمتحن في صبره ويقينه بالله[2].

الشّاهد قوله: «زُلْزِلُوا» وهو من زَلْزَل المبني للمعلوم على وزن فَعْلَل، والزّلزلة تحرّك الجسم من مكانه بشدّة، والتّضعيف فيه دالّ على تكرّر؛ فهو مضاعف «زلّ» تضعيفا يفيد المبالغة، و«زُلزِلوا» بمعنى أزعجوا

[1]: فتح الإقفال وحلّ الإشكال بشرح لاميّة الأفعال: جمال الدّين محمّد بن عمر المعروف ببَحرَق، تح: مصطفى النّحاس، 1413هـ/1992م، ص38-39.

[2]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص96.

أو اضطربوا؛ فالّذي اضطرب نظام معيشتهم كما في قوله تعالى:﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾الأحزاب:١١[1].

وهذا يدلّ على امتحان المؤمنين امتحانا شديدا عظيما، والمبالغة في الابتلاء لاختبار قوّة إيمانهم ويقينهم بالله سبحانه؛ لأنّ أمر المؤمن كلّه خير فإذا أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له وإذا أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له.

- قوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥، في هذه الآية إخبار يعمّ جميع الخلق بأنّ كلّ نفس ذائقة الموت، فمن جنب النّار ونجا منها وأدخل الجنّة فقد فاز كلّ الفوز[2].

وموضع الشّاهد قوله: «زُحْزِحَ» ومعناه: أبعد، وحقيقة فعل زحزح أنّها جذب بسرعة، وهو مضاعف زحّه عن المكان إذا جذبه بعجلة[3]؛ أي شدّة الجذب والمبالغة فيه للإبعاد عن النار والدخول إلى الجنّة.

-وقوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ٩٤، أي أُلقُوا في النّار بعضهم على بعض من الكفّار وقادتهم الّذين دعوهم إلى الشّرك[4].

ومعنى «كُبْكِبُوا» كبّوا فيها كبّا بعد كبّ فإنّ «كُبْكبوا» مضاعف كبّوا بالتّكرير، وتكرير اللّفظ مفيد تكرير المعنى مثل: كفكف الدّمع، ونظيره من الأسماء: جيش لملم؛ أي كثير، مبالغة في اللّمم، وذلك لأنّ له فعلا مرادفا له مشتملا على حروفه ولا تضعيف فيه؛ والتّضعيف في مرادفه للدّلالة على الزّيادة في معنى

---

[1]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 316/2، وينظر: المصدر نفسه، 283/21، و490/30.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 569/1.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 188/4.

[4]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 428/3.

الفعل[1]، بنحو ما ذهب إليه الزّمخشري في قوله: "والكبكبة: تكرير الكبّ، جعل التّكرير في اللّفظ دليلا على التّكرير في المعنى"[2]؛ وهذا يدلّ على المبالغة في كبّ الكفّار في النّار وشدّة عقابهم.

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾ الشمس: ١٤، فوزن دمدم «فَعْلَل»، ودمدم عليهم: أطبق عليهم الأرض، يقال: دمدم عليه القبر؛ إذا أطبقه، فدمدم مكرّر «دمّ»؛ وهو للمبالغة مثل كبكب[3].

–النّحت: وأفعال هذا الباب سماعيّة نحو: بسمل، وهلّل، وحمدل، ويسميه أبو حيّان اختصار الحكاية[4].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾ الانفطار:٤، أي أخرجت ما فيها من الأموات، وحُشِروا للموقف بين يدي الله للجزاء عن الأعمال[5].

يقول ابن عاشور: "والبعثرة: الانقلاب، ويقال بعثر المتاع إذا قلب بعضه على بعض. قال في الكشّاف بعثر مركّب من بعث وراء ضمّت إليه. وقال البيضاوي قيل: بعثر مركّب من بعث وراء الإثارة كبسمل. ونقل مثله عن السّهيلي. وأن بعثر منحوت من بعث وإثارة مثل بسمل وحوقل، فيكون من بعثر معنى فعلين: بعث

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 152/19.

[2]: الكشّاف: الزّمخشري، 400/4.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 375/30.

[4]: الإنباء بشرح متن البناء في علم التّصريف: أبو زياد محمّد بن سعيد البحيري، ص78. وينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمّد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة، 1392هـ/1972م، 693/4، وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص180.

[5]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص914.

وأثار؛ أي أخرج وقلب، فكأنّه قلب لأجل إخراج ما في المقلوب....."[1]، وهذا المعنى في بعثر ذكره عبد الخالق عظيمة في أنّه مركّب من بعث وأثار[2].

وبعثرت القبور دلت عل معنى دقيق في الآية كما ذكره ابن عاشور، فهي حالة من حالات الانقلاب الأرضي والخسف خصّت بالذّكر من بين حالات الأرض لما فيها من الهول باستحضار حالة الأرض وقد ألقت وأخرجت على ظاهرها ما كان في باطن المقابر من جثث كاملة ورفات[3].

تنبيه:

وعلّق ابن عاشور على دلالة صيغة «فَعْلَل» عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣ ﴾ النساء:١٤٣، في كلمة «مُذَبْذَبين» وهي اسم مفعول من الفعل «ذَبْذَب» حيث قال: "والذّبذبة شدّة الاضطراب من خوف وخجل، قيل: إنّ الذّبذبة مشتقّة من تكرير ذبّ إذا طرد... فهو من الأفعال الّتي أفادت كثرة المصدر بالتّكرير، مثل زَلْزَل ولَمْلَم بالمكان وصَلْصَل وكَبْكَب..."[4]، وهذا أكسب معنى في الآية كما أفاده ابن عاشور بقوله: "فتعيّن المعنى أنّهم أضاعوا الإيمان والانتماء إلى المسلمين. وأضاعوا الكفر بمفارقة نصرة أهله؛ أي كانوا بحالة اضطراب وهو معنى التّذبذب. والمقصود من هذا تحقيرهم وتنفير الفريقين من صحبتهم"[5].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 172/30.

[2]: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عظيمة، 693/4.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 172/30.

[4]: المصدر نفسه، 241/5.

[5]: المصدر نفسه، 242/5.

ملاحظة:

وذكر ابن عاشور الملحق بالرّباعي في قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الطور: ٣٧، في كلمة «المصيطرون» الّتي هي اسم فاعل من صيطر بالصّاد والسّين؛ إذا حفظ وتسلّط، وهو فعل مشتقّ من سيطر: إذا قطع، وصيغ منه وزن "فَيْعَل" للإلحاق بالرّباعي كقولهم: بيقر: بمعنى هلك[1]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨، "والمهيمن: الأظهر أنّ هاءه أصليّة وأنّ فعله بوزن «فيْعَل» كسَيْطَر، ولكن لم يسمع له فعل مجرّد فلم يسمع «هَمَن» ... قال أهل اللّغة لا نظير لهذا الفعل إلّا هَيْنَم، إذا دعا أو قرأ، وبَيْقَر إذا خرج من الحجاز إلى الشّام، وسيْطَر إذا قهر..."[2].

وخلاصة هذا الباب أنّ دلالات أفعاله أقلّ من المبحث السّابق –وهو الأفعال الثّلاثيّة المجرّدة– وربّما يرجع ذلك لقلّة صيغه فلا يوجد فيه إلّا صيغة واحدة، وحتّى في ثنايا الباب هي قليلة فلم نجد ابن عاشور علّق إلّا على دلالتين: الأولى خاصّة بالنّوع الأوّل وهو المضعّف وهذا له نصيب كبير من الشّواهد في القرآن الكريم فجلّها أتت بالتّضعيف لمعنى التّكثير والمبالغة في الفعل، والثّانية خاصّة بالنّوع الثّاني وهو غير المضعّف وهو قليل جدّا إن لم نقل إنّها نادرة، فلم يُذكر إلّا في فعل واحد وهو «بَعْثَر» الّذي أتى لدلالة النّحت.

[1]: المصدر السّابق، 71/27.

[2]: المصدر نفسه، 221/6.

الفصل الثّالث: أبنية الأفعال من حيث الزّيادة.

المبحث الأوّل: الفعل الثّلاثي المزيد.

المطلب الأوّل: المزيد بحرف.

المطلب الثّاني: المزيد بحرفين.

المطلب الثّالث: المزيد بثلاثة أحرف.

المبحث الثّاني:الفعل الرّباعي المزيد (مفهومه وصيغه).

يعرض هذا المبحث الأفعال المزيدة وهي قسمان: مزيد ثلاثي، ومزيد رباعي، وقبل التفصيل في هذين القسمين سنتناول مفهوم الزّيادة وحروفها وأغراضها.

1- مفهوم الزِّيادة.

أ- لغة:

الزّيادة: "النّمو، وكذلك الزُّوَادَة، والزّيادة خلاف النّقصان. زَادَ الشَّيء يَزِيدُ زَيْدًا وزِيدًا وزِيادَةً وزيادًا ومزادًا أي: ازدادَ، والزَّيْدُ والزِّيدُ الزِّيادة. وزدتُه أنا أزيدهُ زِيادةً: جعلتُ فيه الزِّيادة"[1].

ويقول ابن فارس(ت395هـ) في المقاييس: "الزاي، والياء، والدّال، أصل يدلّ على الفضل: يقولون: زاد الشّيء يزيدُ فهو زائد، وهؤلاء قوم زيدٌ على كذا، أي: يزيدُون، ويقال: شيء كثير الزّيايد، أي الزّيادات"[2].

ولقد ذكرَ السّيوطي(ت911هـ) مسألةَ الزِّيادةِ في كتابِهِ المزهر بقوله: "ومِنْ سننِ العربِ الزّيادةُ، إمّا للأسماءِ أو الأفعالِ أو الحروفِ... ومِنْ سَنَنِهِم الزّيادةُ في حروفِ الفعلِ مبالغَةً، يقولون: حَلَا الشّيءُ فإذا انتهَى قالُوا احلَولَى، ويقولُونَ: افلولى واثنونى"[3].

ب- اصطلاحا:

الزِّيَادَة: على وزن «فِعَالَة» وهي فرع والأصلُ التّجرُّد ويُطْلَقُ على الزِّيادةِ عدّة مصطلحات وهي:"التّفْئِيم*، والضَّم، والتَّوسِيع"[4].

وقد ذكر الثّمامينى(ت442هـ) أنَّ الزّيادةَ هي أحدُ أقسامِ التّصريفِ الثّلاثة[5].

---

[1]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ز ي د).

[2]: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 40/3.

[3]: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها: السّيوطي عبد الرّحمن جلال الدّين، مكتبة أنوار التّراث، القاهرة، 331/1-332.

*والفئام وطاء يكون في الهودج ويقال: هو الهودج الّذي قد وسّع أسفله بشيء زيد فيه، ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ف. أ. م).

[4]: المعجم المفصّل في علم الصّرف: راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ص275-276.

[5]: شرح التّصريف: الثّمامينى عمر بن ثابت، تح: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرّشد، الرّياض، ط1، 1419هـ/1999م، ص212.

ويقولُ ابنُ جنّي:"الزّائِد ما لمْ يكُنْ فاءً ولا عيناً ولا لاماً"[1]، فالزّيادة هي" أنْ يُضَافَ إلى حروف الكلمةِ الأصليةِ حرفٌ أو أكثر"[2] "ما ليس منها ممّا يسقطُ تحقيقاً أو تقديراً لغيرِ علَّةٍ تَصريفيّة"[3].

فالزّيادةُ هي الحروف الّتي تُزَادُ على بِنيةِ الكلمةِ الواحدةِ؛ أي على الفاء والعينُ واللّام، وليسَتْ مِنْها حيثُ يمكنُ سقوطُها مِنْ أصلِ الكلمةِ في بعضِ تصاريفِها، فإذا سقطَ حُكِمَ علَى ذلِكَ الحرفِ بالزّيادةِ وذَلِكَ نحو سقوطِ الهمزةِ في صيغة أَفْعَل فنقول في أَكْرَمَ: كَرُم؛ حيثُ بقِيت الأصول الثّلاثة(الفاء والعين واللّام)، أمّا إذا كان سُقُوطُه لعلَّةٍ تَصرِيفيّة نَحو قولنَا في خَافَ: خِفْتُ على وزنِ: «فِلْتُ» والّذي أصلُه خَوِفْتُ على وزنِ: «فَعِلْتُ» حيثُ حدثَ لهُ إعلالٌ بالنّقلِ والحذفِ؛ فقدْ سقطتْ عينُ الفعلِ هنا مِنَ الفعل الأجوف، وهذا السّقوطُ لا يدخلُ في بابِ الزّيادَة.

فالزّيادة كما قالَ ابن جنّي بابُها الأفعال، حيثُ ذكرَ ما ذهب إليه الْمازني أنّ (النون والألف) الزائدتين في آخر «فَعْلَان» كعَطْشَان وغَضْبَان ونحوها مِنَ الصِّفات قريبةٌ مِنَ الْفعلِ والزّيادةُ بِالفعلِ وما شابهه أحقُّ، ثمّ يذكرُ أنّ الاسمَ لا تَجتَمِعُ فيه زيادتان إلّا إذا كانا جاريين على الفعل نحو: منطلقٌ ومستَخْرِجٌ، فلو لم يكونا جاريين على الفعل لما جازَ وقُوعُ الزّيادَةِ في أوّلِهِما[4].

2- حروف الزّيادة وأغراضها.

أ – حروف الزّيادة: وهذه الحروف تأتي على نوعين:

-الأوّل: زيادة في موضع الحروف الأصليّة، وذلك بتكرير حرف أو أكثر من أصول الكلمة، كتكرير العين نحو: قَطَّع، وهَذَّب، واعْشَوْشَب، وتكرير اللّام نحو: جَلْبَبَ، واحْمَرّ وابْيَضّ...[5].

[1]: المنصف: ابن جنّي، 11/1.

[2]: أبنيةُ الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي خديجة، ص67.

[3]: المغني في تصريف الأفعال: عظيمة عبد الخالق، ص60.

[4]: المنصف: ابن جنّي، 29/1.

[5]: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي، ص67. وينظر: المغني في تصريف الأفعال: عبد الخالق عظيمة، ص60.

ـ الثّاني: زيادةُ حروف خارجة عَنْ بِنيةِ الْفعلِ ـ وهي الزّيادة بغير تكرير ـ وهي عشرة كما ذكرها سيبويه (ت180هـ) في باب سمّاه: "«هذا باب علم الحروف الزّوائد وهي عشرة»"[1]، وقد جُمِعَت في عبارة (سألتمونيها أو اليوم تنساه أو السِّمان هويت)[2].

وسنقتصر على حروف الزّيادة الخّاصة بالأفعال فقط دون الأسماء، والمواضع الّتي تزاد فيها هذه الحروف في الأفعال وهي:

1-السّين: اطّردت زيادتُها في صِيغةِ «اسْتَفْعَل» وما تصرّف مِنْها نحو: اسْتَخْرَجَ واسْتَغْفَرَ والاسْتِخْرَاج والاسْتِغْفَار ومُسْتَخْرج ومُسْتَغْفر...[3].

2-الهمزة: تَكثرُ زيادتُها أوّلًا في الأفعالِ نحو: أَذْهَب وأَجْلَس[4]،" وقد تزاد في غير الأوّل فتكون ثانية في «شَأْمَل»، وثالثة في «شَمْأَل»"[5].

3-التّاء: تأتي التّاء زائدة باطّراد في المواضع التّالية:

-في الفعل المضارع نحو: تَقُومُ وتَخرُج وتَكْتُب...

-في الصّيغِ التّاليةِ وما تَصرّفَ مِنْها «افْتَعَل، اسْتَفْعَل، وتَفَعَّل، وتَفَاعَل، وتَفَيْعَل» نحو: اقْتَرَب والاقْتِرَاب، اسْتَخْرَج والاسْتِخْرَاج، وتَكَسَّر والتَّكَسُّر، تَشَارَك والتَّشَارُك، تَشَيْطَن والتَّشَيْطُن على أنَّه مِنْ «شَطَن»، وفي مصدر «فَعَّل» وهو التَّفْعِيل نحو: كَبَّر تَكْبِيرًا.

-في آخرِ الكلماتِ الدَّالَةِ عَلَى التّأنيث نحو: قَامَتْ وسارت وجالت...

---

[1]: الكتاب: سيبويه، 235/4.

[2]: وممّا روي فيها أنّ تلميذًا سأل شيخه عنها فقال: "سألتمونيها فظنّ أنه لم يجبه إحالة على ما أجابهم به قبل هذا، فقال: ما سألتك إلّا هذه النّوبة؛ فقال الشّيخ: اليوم تنساه، فقال: والله لا أنساه، فقال قد أجبتك يا أحمق مرّتين. وقِيل إنّ المبرّدَ سألَ المازنيّ عَنْها فأنشدَ المازني:

هَوَيْتُ السِّمَانَ فشَيَّبْنَنِي * * * ومَا كُنْتُ قِدْمًا هَوَيْتُ السِّمَانَا. ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدّين الاستراباذي، 331/2.

[3]: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي، ص67.

[4]: التّكملة: أبو العلي الحسن بن أحمد بن عبد الغّفار النّحوي، تح: كاظم بحْر المُرجان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ/1999م، ص552.

[5]: الممتع: ابن عصفور، ص154. وينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي، ص69.

4-الواو: وهي لا تكون زائدةً في أوّلِ الكلام، وتُزادُ في غير ذلك إذا صَحبها ثَلاثَة أصُولٍ أو أكثر، فتكون ثانيةً في الفعل نحو: حَوْقَل ووزنهما «فَوْعَل»، وثَالثَةً في الْفعلِ نحو: جَوْهَر ووزنهما «فَعْوَل»، ورَابعةً في الفعل نحو: اغْدَوْدَن على وزن «افْعَوْعَل»، وخَامسَةً في الفعل نحو: اعْلَوَّط على وزن «افْعَوَّل»[1].

5-النّون: وتطّرد زيادتها إذا كانت:

-في أوّل الفعل المضارع مثل: نَكْتُب، ونَقُوم، ونَخْرُج...

-في صيغة «انْفَعَل، وافْعَنْلَل» وما تصرّف منها: كانْطَلَق وانْطِلَاق، واحْرَنْجَم واحْرِنْجَام.

-علامة رفع للفعل المضارع: يَفْعِلَان ويَفْعَلُون، ونونا التّوكيد نحو: تَقُولَنَّ وتَقُومَنْ، نون الوقاية نحو: ضَرَبَنِي[2].

6-الياء: في الفعلِ نحو «يَضْرب»، و«سَيْطَر» وفي الْفعلِ نحو: «شَرْيَف، ورَهْيَأ»، ورَابعةً في الفعلِ نحو: «سَلْقَيْتُه»، وخامسة في الْفعلِ نحو: «تَسَلْقَيْت»[3].

7-الألف: وتَكْثُرُ زِيَادَةُ الألفِ فِي غَيرِ أوّلِ الْكَلِمَةِ فهي "تُزاد ثانيةً: في (فَاعل) ونحوه"[4]، ورابعةً: نحو: سَلْقَى، و«الألف» لا تَكونُ أصلاً في فعل ولا في اسم متمَكّن بلْ زائدةً أو مُنقلبةً عَنْ واو أو ياء[5].

ويُمكِنُ الإشارة هنا إلى أنّ الْحروفَ الّتي تهمُّنا في هذا البحثِ ـ الأفعال الثلاثية المزيدة ـ هي ستّة أحرف: الهمزة في «أَفْعَل»، والألف نحو «فَاعَل وتَفَاعَل وافْعَالّ»، والتّاء نحو «افْتَعَل وتَفَاعَل وتَفَعّل»، والنون في «انْفَعَل»، والسّين في «اسْتَفْعَل»، والواو في «افْعَوعَل وافْعَوّل» وهاتان الصّيغتان غيرُ موجُودتين في القرآن الكريم. أمّا من حيث مزيد الرّباعي فلم يذكر في القرآن الكريم إلّا صيغة واحدة وهي: افْعَلَلّ.

ويمكن أنْ نُنَوّهَ هنا أنّ هناك من القُدماءِ مَنْ ذكرَ غيرَ هذه الحروف العشرة وهو كراع النّمل (ت310هـ) حيث توسّعَ في حروفِ الزّيادةِ على مذهبِ الكُوفيّين وعقد له باباً بعنْوان «باب الزّوائد مِنْ

[1]: الممتع: ابن عصفور، ص210. وينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي، ص71.

[2]: الممتع: ابن عصفور، ص171. وينظر: الكتاب: سيبويه، 236/4. وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي، ص71.

[3]: أبنية الأسماء والأفعال والمصادر: ابن القطّاع، ص100. وينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي، ص70.

[4]: الكتاب: سيبويه، 235/4.

[5]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص201. وينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي، ص70.

غيرِ العشرة ومِنْ أخواتها» نحو زيادة العين في: ارتَجَّ يقال: ارْتَعَج[1]، ومن المُحدثين تمام حسّان حيثُ ذكرَ أنّ الزّيادةَ لا تقتصرُ على الحروفِ العشرة واتّهمَ النّحاةَ أنّهُم لمْ يفسِّرُوا الأفعالَ الثّلاثيةَ المزيدةَ، وبَيْنَ ما زَادَ عَلى الثّلاثةِ واعْتُبِرَتْ جَمِيعُ حُرُوفِهِ أصولاً[2]، فمَنْ جَعَلَ «العينَ» زائِدةً في «ارْتَعَج» رُدَّ عَليه بأنّ في ذلك الْتِبَاس بينَ معرفَةِ «العين» المزيدة مِنَ «العين» الأصليّة لِلْفعلِ لأنّ وَزنَهُ: افْتَعَل، وكذلك ما قاله تمام حسّان بهذا الشّأن فهو لم يميّزْ بينَ الزّيادةِ للمعنَى، والزّيادة للإلحاق؛ لأنّ الغرضَ مِنْها إلحاقُ بِناءٍ بآخرَ فيُعامَلُ مثلَهُ ولا تعتبرُ تلك الحروفُ مِنَ الزّوائد؛ ذلك لأنّ "الغايةَ الأولى لفظيّة والدّلالةُ جاءَتْ تبعاً"[3].

ب– أغراض الزّيادة في الأفعال:

لقد ذكرَ عُلمَاءُ الصَّرفِ أنّ هذهِ الحُروفَ لا تُزَادُ إلّا لأغراضٍ أجملوها فيما يلي:

1–الزّيادة للإلحاق: ويُذكَرُ أنّ "معنى الإلحاق في الْفِعلِ أنْ تزيدَ حرفًا أو حرْفَين على تركيب زيادةً غير مطّردة في إفادة معنى؛ ليصير ذلك التّركيب بتلك الزّيادة مثل كلمة أخرى في عدد الحروف وحركاتها المعينة والسّكنات... وفي تصاريفها"[4]، وذلك كالواو[5] في الأفعال نحو: «حَوْقَل وسَيْطَر» فهما ملحقتان بـ «دَحْرَجَ»[6]، فالغرض من الزّيادة للإلحاق هو غرض لفظي[7]. وهذا أشرنا إليه في الفعل الرّباعي المجرّد في الفصل السّابق.

---

[1]: المنتخب في غريب كلام العرب: كراع النّمل أبو الحسن علي بن الهُنَائي، تح: محمّد بن أحمد العُمَري، مركز إحياء التّراث الإسلامي، مكّة المكرّمة، ط1، 1409هـ/1989م، ص700.

[2]: اللّغة العربية معناها ومبناها: تمام حسّان، دار الثّقافة، المغرب، 1994م، ص161.

[3]: الخلاف التّصريفي وأثره الدّلالي في القرآن الكريم: فريد بن عبد العزيز الزّايل السّليم، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السّعودية، ط1، 1427هـ، ص88.

[4]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 52/1.

[5]: المنصف: ابن جنّي، 13/1.

[6]: شرح ألفية ابن مالك: ابن عقيل، 119/4.

[7]: المغني في تصريف الأفعال: عبد الخالق عظيمة، ص67.

2-الزّيادة من أصل الوضع: وهو ما "لا يُتَكلَّم به إلّا بزائد لأنّه وضع على المعنى الّذي أرادوا به الهيئة"[1]، نحو استغنائهم بـ «افْتَقَر واشْتَدَّ» عن «فَقُر وشدُد» واستغنائهم عن ماضي «وَدَعَ ووَذَرَ» بـ «تَرَكَ»، كما استعملوا بالزّيادة «اقْطَرّ واقْطَارّ، وابْهَارّ، وارْعَوَى، واجْلَوَّذَ، واقْشَعَرّ واشْمَأَزّ»[2].

3-الزّيادة للمعنى: وتكون لإفادة معنى لم يكن في الكلمة المجرّدة منها كزيادة، حروف المضارِعة «أنيت» الّتي تتّصل بالفعل المضارع، والهمزة والنّون في صيغة «انْفَعَل وافْعَنْلَل» للدَّلالةِ عَلى الْمطاوَعَةِ، وكزيادةِ الْهمزة في «أَفْعَل» للتّعدية والألف في «فَاعَل» والتّاء والألف في «تَفَاعَل» للدَّلالة على المشاركة.

4-الزّيادة لإمكان الابتداء بالسّاكن: "كزيادة همزة الوصل في أوّلِ الأفعالِ المبدوءةِ بساكن نحو: «انْتَصَر، وانْطَلَق، واسْتَغْفَر»"[3]، وهاء السّكت في الوقفِ على نحو: قِهْ وعِهْ فإنّه لا يمكِنُ النّطقُ بحرف واحد[4].

ويمكنُ أنْ نُشِيرَ هنا إلى اتّفاق ابن عصفور(ت669هـ) في الممتع وأبي حيّان في المبدع على أغرَاض الزّيادة الخاصة بالأفعال فقط لأنّها محلّ الدّراسة: كالزّيادة للإلحاق، والمعنى، ولإمكان النّطق بالسّاكن، أمّا ابن جنّي فقد ذَكَر غَرضًا آخرَ لمْ يَذكُرَاهُ وهو: الزّيادةُ في أصلِ الوضع ، وما يَهُمُّنَا مِنْ هذه الأغراض ثلاثة: الزّيادة لمعنى نحو: الهمزة في «أَفْعَل» والألف في «فَاعَل» والنون في «انْفَعَل» والزّيادة لإمكان النّطق بالسّاكن نحو: اسْتَفْعل وافْتَعَل، والزّيادة من أصل الوضع نحو: اعْلَوَّط واشتدّ... وهي الّتي لم تخرجْ مِنْ أصلِ وضْعِها إلى أصْلِ استِعْمَالها إلّا بالزّيادة، وقد قال سيبويه في ذلك: "ولمْ نسْمعْهُم قالوا: فَقُرَ، كما لمْ يقُولُوا في الشَّدِيدِ: شَدُدَ، استَغْنَوا باشْتَدّ وافْتَقَر، كما استَغْنوا باحْمَارّ عَنْ حَمِر"[5].

وهناك مَنْ يجمِلُ أغراضَ الزّيادَةِ فَي غَرضَين:

الأوّل: لفظيّ وهو تكثيرٌ للكلمةِ على سبيلِ التّوسُّع في اللّغة كالإلحاق، والثّاني: معنوي فـ "الغالبُ في زيادات الفعل الثّلاثي المزيدِ فِيه أنّها تكُونُ لأغراضٍ معنويّة"[6]؛ لأنّ القصدَ مِنْه حُصولُ معانٍ جديدة لمْ

---

[1]: المنصف: ابن جنّي، 15/1.

[2]: المصدر نفسه، 16/1-17. وينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي، ص70.

[3]: المرجع نفسه، ص75-76.

[4]: الممتع: ابن عصفور، ص139.

[5]: الكتاب: سيبويه، 33/4.

[6]: سلّم اللّسان في الصّرف والنّحو والبيان: جرجي شاهين عطيّة، دار ريحان، بيروت، ط4، ص18.

تَكُنْ مَوجُودَةً فِي الْفعلِ الْمُجَرّدِ وعلى هذا الأساسِ قِيلَ إنّ الزّيادةَ في المبنى تُؤَدّي إلى زيادة في المعنى[1]، حيث يقول ابن جنّي في باب قوّة اللّفظ لقوّة المعنى: "ومثله باب فَعَل وافْتَعَل نحو: قدَر واقْتَدر، فاقتدر أقوى معنى من قولهم قَدَر... فزيادة اللّفظ زيادة في المعنى"[2].

المبحث الأوّل: مزيد الثّلاثي.

تعدّ الزّيادة مِنَ الظَّواهر الصّرفيّة الّتي تعتَري الأفعال الثّلاثيّةَ فتُكْسِبُها معنًى جديدًا غير الْمَعْنَى الّذِي كَانَ عَلَيه الفِعْل وهوَ مجرّد، فقد تتغيَّرُ دَلالةُ هذهِ الأفْعَالِ ـ المزيدَةِ ـ عِنْدمَا تَدْخُلُ فِي سِيَاقِ الْكلامِ فتزيدَهُ رونقًا وحُسنًا. وقد حدّد علماء الصّرف لهذِه الأفعال معانِي ودَلالات خاصة بكلِّ باب، وقدْ تشتركُ هذِه المعانِي والدَّلالات فِي الباب الواحد.

والفعل الثّلاثي المزيد: هو "ما كانت أحرفه الأصلية ثلاثةٌ وزِيدَتْ عَلَيها أحرف أخرى"[3]، وهو ثَلاثةُ أقسام؛ لأنّ الزّيادة في هذه الأفعال إمّا تكون واحدةً أوِ اثنتَانِ أو ثَلاثَة ولا تعدُو ذلك[4]، وأكثر ما تكون عليه هذه الأفعال بالزّيادة ستّةُ أحرفٍ كما ذكره ابن مالك:

وَمُنْتَهَاهُ أَرْبَعٌ إنْ جُرِّدَا *** وإنْ يُزَدْ فِيهِ فَمَا سِتًّا عَدَا[5].

وصيغُ هذهِ الأفعالِ اثنَا عشرَ صيغةً ثلاثة مِنْها للمزيد بحرف، وخمسة للمزيد بحرفين، وأربعةٌ للمزيدِ بثلاثةِ أحرُف.

---

[1]: المهذّب في علم التّصريف: صلاح مهدي الفرطوسي وهاشم طه شلاش، مطابع بيروت الحديثة، ط1، 1432هـ/2011م، ص 76.

[2]: الخصائص: ابن جنّي، 3/264-266.

[3]: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي، ص262.

[4]: عنقود الزّواهر في الصّرف: القوشجي علاء الدّين علي بن محمّد، تح: أحمد عفيفي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م، ص346.

[5]: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، 4/88.

المطلب الأوّل: المزيدُ بحرف:

إنّ صيغَ الأفعال الثّلاثيّة المزيدةِ بحرفٍ هي ثلاثُ صيغٍ، تعتريهَا الزّيادةُ فِي الأوّلِ نحوَ: «أَفْعَلَ»، وفِي درجِ الْكَلَامِ نحو: «فَعَّل» و«فَاعَل»، ولكلّ صِيغةٍ مِنْها معانٍ خاصة بها. وهذه الصّيغُ الثّلاثة هناك مَنْ يُدْخِلُها تحتَ قِسمِ غَيرِ الْملحق المماثل للرّباعي[1].

1-صيغة أَفْعَل.

صيغَة "أَفْعَلَ" بزيادةِ الهمزةِ في أوّله نحو: أنْزَل وأعْلَم، ومضارعهُ «يُفْعِل» وأصله يُؤفْعِل فحُذِفَت همْزتُه فِي الْمضارع فنقول في: أكْرَمْتُ أُكْرِمُ والأصل أُأَكْرِم فحُذِفت همزتهُ الثّانية وهي الهمزة المزيدة؛ لأنّهُ كَانَ يَلزمُ إذا أخْبَرَ عَنْ نفسِه أنْ يجمعَ بينَ هَمزَتَين وذلك مُمْتَنِع[2].

تُعدُّ صِيغةُ «أَفْعَلَ» مِنْ أَكْثَرِ الصِّيَغِ وُرُوداً في الْقُرْآنِ الْكَرِيم كما أفادَهُ عبدُ الْخَالِق عُظَيمَة[3]، ولهَا عِدَّةُ معانٍ قد أوصَلَها أبُو حيّان إلى أربعة وعشرينَ معنى، وابنُ عُصفُور إلى أحدَ عشرَ معنى[4]، وأشهرُ معَانِي هذه الصّيغة ذكرًا في تفسير القرآنِ الكَرِيم هي:

ـ التّعدية:

إنّ الهمزةُ في «أَفْعَل» مِنَ الأمورِ السّبعةِ التّي يتعدّى بها الفعْل القَاصِر كَمَا تُسَمَّى الهمزةُ فِيه للنّقْلِ كَذَلِك[5]، ولقدْ ذَهَبَ الرّضي الاستراباذِي إلى أنّ "الغَالِبَ فِي «أَفْعَل» تَعدِيةُ ما كَانَ ثُلَاثِيًّا؛ وهي أَنْ يَجْعَلَ ما كَانَ فَاعِلًا لِلَّازِمِ مَفْعُولًا لِمَعنَى الْجَعْلِ فَاعِلًا لِأصْلِ الحَدَث"[6] نحو: أذْهَبْتُ زيداً؛ أي جعلتُ زيداً ذاهباً؛ فـ «زيدٌ» هُوَ فَاعِلُ الْفِعْلِ اللَّازِمِ «ذَهَبَ» وبِدُخُولِ الهَمْزَةِ عَليهِ صَارَ مَفْعُولًا لِلْفِعْل «أَذْهَبَ» وفَاعِلًا لِلذَّهَاب، ولقدْ ذَكَرَ ابنُ جنّي أنَّ "الْمَألُوفَ فِي اللُّغَةِ إذَا كَانَ «فَعَل» غيرَ متعدٍّ كانَ «أَفْعَل» متعدّيا"[7]،

---

[1]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص 172-174. وينظر: المفصّل في علم العربية: الزّمخشري، ص278.

[2]: التّصريف الملوكي: ابن جنّي أبو الفتح عثمان، شركة التّمدّن الصّناعية، مصر، ط1، ص35. والمُقْتَضَب: المبرّد أبو العبّاس محمّد بن يزيد، تح: محمّد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1415هـ/1994م، 210/1.

[3]: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عظيمة محمّد عبد الخالق، 72/4.

[4]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص 172-174. وينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 144/1. وينظر: الممتع: ابن عصفور، ص127.

[5]: مغني اللّبيب: ابن هشام، ص600. وينظر: التّكملة: الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد، ص216.

[6]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 86/1-87.

[7]: الخصائص: ابن جنّي، 214/2.

حيثُ يُضَمَّنُ الْفِعلُ مَعنَى التّصْيِير[1]؛ أي غيرهُ مَنْ صَيّرَهُ إلَى ذَلِكَ الْفِعْل، فإذَا كَانَ الْفِعْلُ لَازِما صَارَ بِالْهمزَةِ مُتَعَدّياً إلى مَفعُولٍ وَاحِدٍ، وإذَا كَانَ مُتعدّياً إلى مَفعُولٍ وَاحِدٍ صَارَ بِالْهمزَةِ مُتعدّياً إلى مَفعُولَين نَحو: أفهمتُ الطالبَ الدّرسَ، وإذا كَانَ مُتعدّياً إلَى مَفعُولَين صَارَ بِالهمزَةِ مُتعدّياً إلى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ أوَّلُها لِلْجعْلِ وَالثَّانِي والثَّالِثُ لأصلِ الْفعْلِ وهُمَا فِعْلَانِ فقط: أَرَى وأَعْلَم[2].

وقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَسألَةِ قِيَاسِيّةِ هَمْزَةِ التَّعديةِ فقد ذَهَبَ الرّضِي الاسْتِرَابَاذِي إلى أنَّهَا "غيرُ مَقِيسَةٍ فليسَ لَكَ أنْ تَقُولَ في « ظَرُفَ» أظْرَفَ ولا فِي« نَصَر» أَنْصَر بل يَحْتَاجُ فِي كُلِّ بَابٍ إلى سَماعِ اسْتِعْمَالِ اللّفْظِ المعيّن وكذا اسْتِعمَالُهُ فِي الْمَعْنَى الْمُعَيّن"[3]، "وقِيلَ النّقلُ بِالْهمزَةِ كُلُّهُ سَمَاعِيّ، وقِيل قِياسيّ في الْقَاصِرِ والْمُتعَدّي إلى وَاحدٍ، والْحَقُّ أنَّهُ قِياسِيٌّ فِي الْقَاصِرِ، سَمَاعِيٌّ فِي غَيرِهِ"[4]، والرّاجِحُ هُنا ما ذَهَبَ إليه الرّضِي في أنَّ التَّعدِيةَ بالهمزَةِ بَابُهَا السَّماعُ سواء أكَانَ ذَلكَ فِي الْقَاصِرِ أمْ فِي الْمُتَعدّي؛ لأنّهُ ليسَ لَنَا أَنْ نَقيسَ الأفعالَ الْقَاصِرةَ على التّعديةِ بِالْهمزَةِ إلَّا إذَا كَانتْ مسموعةً ومتداولةً عندَ الْعَرَبِ الْفُصحَاءِ بِلفْظِهَا ومَعنَاهَا.

وهناك مَنْ يُدْرِجُ التّعديةَ ضِمْنَ قِسْمٍ خَاصٍ مِنْ أَقسَامِ الْجَعْلِ وهُوَ القِسْمُ الأوَّلُ حيث يَجعلُونَ الْجعْلَ عَامًا والتّعديةَ خَاصَّة[5].

ومِنْ أَمثِلةِ مَا علّق عليه ابن عاشور في هذِه الدَّلالَة ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ البقرة: ٣.

وإقامَةُ الصَّلاةِ "أدَاؤُها بِحُدُودِها وفرُوضِها الواجِبِ فِيها على مَنْ فُرِضَتْ عليه"[6] "وحفظُها مِنْ أنْ يقَعَ زَيغٌ في فرائِضِها وسُنَنِها وآدَابِها، مِنْ أقَامَ العُودَ إذَا قوّمَهُ"[7].

---

[1]: دروس التّصريف: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1416هـ/1995م، ص71.

[2]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 1/86-87.

[3]: المصدر نفسه، 1/84.

[4]: مغني اللّبيب: ابن هشام، ص600.

[5]: الممتع: ابن عصفور، ص127. وينظر: المبدع في التّصريف: أبو حيّان، ص111.

[6]: جامع البيان: الطّبري، 1/247.

[7]: الكشّاف: الزّمخشري، 1/154.

ومَوْضِعُ الشّاهِدِ فِي الآيةِ قَولُه: «يُقِيمُونَ»، وهُوَ مُضَارِع «أَقَامَ» المتَعدّي إلى مَفْعُول واحد وهُوَ: الصَّلاة؛ لأنّ مجرّدَهُ «قَامَ» فعلٌ قاصِرٌ يتعدّى بحَرفِ الجرّ، وقَدْ ذكرَ ابنُ عَاشُور أنَّ "الإقامَةَ: مَصدَرُ «أَقَامَ» الّذي هو معدَّى «قَامَ»، عُدِّي إليه بِالْهمزَةِ الدَّالَةِ عَلَى الْجَعْل، والإقامَةُ جَعَلَهَا قَائمَةً"[1]، وهذا ما ذَهَبَ إليه أبُو حيّان في أنَّ الهمزَةَ فِي أَقَامَ لِلتّعدِية[2].

وهذَا المعنَى الّذِي ذهَبَ إليهِ المفسّرُونَ لا يحصُلُ بِالفعلِ المُجرّدِ «قَامَ» الّذِي يَدُلُّ عَلَى "الْقَوْمَة المرّة الواحدة أمّا «أَقَامَ الشّيءَ» إذا أدَامَهُ؛ أي أدَامَ الْقِيَامَ عليه[3]. فالهمزة هنا قدْ أضافت معنًى جديدا وهو المُدَاوَمة على الصّلاةِ والْمُواظبَة عليها والْعنايَة بِها ولذلك شُبِّهَت بجعلِ الشّيء قائماً كما أفادَهُ ابنُ عَاشُور[4].

-قوله تعالى: ﴿ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الشعراء: ٦٤، أي قرّبنا من البحر فرعون وجنوده، وأدنيناهم إليه[5].

والشّاهد قوله: «أَزْلَفْنَا» حيث يذكر ابن عاشور أنّه مشتقّ من الزّلف بالتّحريك وهو القرب، والهمزة في «أَزْلَفْنا» للتّعدية[6]. فيكون زَلف إلى الشّيء؛ إذا دنا منه، أمّا أزْلَفَ الشّيءَ؛ بمعنى قرَّبَه[7]، وعلى هذا يكون المعنى كما قال ابن عاشور أنّ الله جرأهم حتّى أرادوا اقتحام طرق البحر كما رأوا فعل بني إسرائيل[8].

-قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ ص: ٤٦، في هذه الآية إخبار عن بعض فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين؛ ألا وهي ذكرهم للآخرة وعملهم لها[9].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 231/1.
[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 162/1.
[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق. و. م).
[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 231/1.
[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 425/3.
[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 136/19.
[7]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ز. ل. ف).
[8]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 136/19.
[9]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 52/4.

والشّاهد في الآية قوله: «أخْلَصْنَاهم»: أي جعلناهم خالصين، فالهمزة للتّعدية[1]. والفعل المجرّد خَلَص الشَّيءُ بمعنى: نَجَا وسَلِم، أمّا المزيد فيه بالهمزة أي؛ أَخْلَص الشَّيءَ: إذا اخْتَاره[2]؛ فيدلّ هذا أنّ الله سبحانه جعل عباده المرسلين وأنبياءَه العابدين مختارين بفضائل الأعمال من أجل تطهيرهم وتنقيتهم من دَرن النّفوس والعيوب العارضة للبشر، وهذا الإخلاص هو معنى العصمة اللّازمة للنّبوّة[3]، فكثرة ذِكرهم للآخرة والرّجوع إلى الله سبحانه جعلهم زاهدين في الدّنيا وزينتها لعلمهم ويقينهم أنّ ما عند الله في الآخرة من النّعيم أفضل وأعظم، فكان عملهم لدار المقام خالصا لوجه الله تعالى.

-قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ البقرة: ١٢٨، وهذه الآية حِكايةٌ لدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام الله سبحانه لأنفسهما ولذرّيتهما بالإسلام الّذي حقيقته خضوع القلب وانقياده لربّه، وأن يُريهم مناسك الحجّ ويرشدهم إليها[4].

والشّاهد في الآية قوله: «أَرِنَا»: وهو فعل تعدّى إلى مفعولين الأوّل: ضمير المتكلمين «نَا»، والثّاني: مَنَاسِكَنا[5].

يقول ابن عاشور أنّ «أَرِنَا»: "فعل من رأى العرفانيّة وهو استعمال ثابت لفعل الرّؤية كما جزم به الرّاغب في المفردات والزّمخشري في المفصّل وتعدّت بالهمز إلى مفعولين. وحقّ رأى أن يتعدّى إلى مفعول واحد لأنّ أصله هو الرّؤية البصريّة ثمّ استعمل مجازا في العلم اليقيني تشبيها برؤية البصر، فإذا دخل عليه همز التّعدية تعدّى إلى مفعولين"[6]، ونظير هذا المعنى ما ذكره ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٥، بقوله: والإراءة من رأى البصريّة، لأنّها عدّيت إلى مفعولين فقط[7]، الأوّل: الضّمير (كُم)، والثّاني: (دَارَ الفَاسِقِين). وهذا ما ذهب إليه الزّمخشري وأبو السّعود في أنّ «أَرِنا» منقولة من رأى بمعنى أبصر أو عرف، ولذلك لم يتجاوز مفعولين؛ أي وبصرنا متعبّداتنا في

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 277/23.

[2]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (خ. ل. ص).

[3]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 277/23.

[4]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص66.

[5]: ينظر: بلاغة القرآن الكريم: الشّيخلي، ط1، 1422هـ/2001م، 290/1-291.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 721/1.

[7]: المصدر نفسه، 102/9.

الحجّ أو عرفناها[1]، وذكر ابن عادل وأبو حيّان أنّ «أرِنا» بمعنى: بصّرنا؛ أي أنّها من رأى البصريّة التّي تتعدّى في الأصل إلى مفعول واحد، فلمّا دخلت همزة النّقل أكسبتها مفعولا ثانيا؛ فالتّعدّي هنا إلى اثنين ظاهر، لأنّه منقول بالهمزة من المتعدّي إلى واحد، وإن كانت من رؤية القلب فالمنقول أنّها تتعدّى إلى اثنين، فإذا دخلت عليه همزة النّقل تعدّت إلى ثلاثة وليس هنا إلّا اثنان فوجب أن يعتقد أنّها من رؤية العين[2]، ويرجّح ابن عطيّة أنّ «رأى» هنا قلبيّة، وعليه يلزم أن يتعدّى الفعل إلى ثلاثة مفاعيل[3].

ومن خلال الأقوال السّابقة للمفسّرين يترجّح أنّ «أَرَى» تعدّى إلى مفعولين، سواء كانت من رأى البصريّة أو من رأى القلبيّة بمعنى عرف لا علم[4]؛ لأنّه لو كان من «رأى» بمعنى علم لتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل وفي الآية لا يوجد سوى مفعولين اثنين فقط وهما: «نا» و«مناسكنا» كما تقدّم آنفا.

فالفعل «رأى» المجرّد يكون من الرّؤية بالعين وهنا يتعدّى إلى مفعول واحد، أو من الرّؤية القلبيّة بمعنى العلم فيتعدّى إلى مفعولين نحو: رَأَيْتُ زَيدًا عَالمًا، أمّا «أَرَى» المزيد فيه هنا فهو بمعنى عرف، وبصّر[5]. وهذا يدلّ في الآية على دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام ربَّهما بأن يعرّفهما مناسك الحجّ.

-قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣ ﴾ الحاقة: ٣، عظّم الله سبحانه أمر الحاقة؛ لأنّها من أسماء يوم القيامة وفيها يتحقّق الوعد والوعيد[6].

والشّاهد في الآية قوله: «أَدْرَاك»، وفعل أدرَى كما قال ابن عاشور يتعدّى بهمزة التّعدية إلى ثلاثة مفاعيل من باب أعلم وأرى...[7]، فالمفعول الأوّل: هو (كاف الخطاب)، والجملة الإسميّة (ما الحاقَّة) سدّت مسدّ مفعولي (أدْرى) الثّاني والثّالث[8]، أمّا ابن عادل أبو السّعود والسّمين الحلبي فقد ذكروا أنّه يتعدّى إلى مفعولين فقط؛ لأنّ أَدرى بالهمزة يتعدّى إلى المفعول الثّاني بالباء كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ

---

[1]: الكشّاف: الزّمخشري، 322/1. وينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 161/1.

[2]: ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل، 486/2. والبحر المحيط: أبو حيّان، 561/560/1.

[3]: المحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 211/1.

[4]: ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني: الألوسي شهاب الدّين السّيد محمود البغدادي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت/لبنان، 385/1.

[5]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ر. أ. ى) و(ع. ر. ف) و(ب. ص. ر).

[6]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير،538/4.

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 113/29.

[8]: بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز: الشّيخلي، 276/10.

﴿ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ ﴿١٦﴾ ﴾ يونس:١٦، فلمّا وقعت جملة الاستفهام معلّقةً له كانت في موضع المفعول الثّاني، وأنّ «دَرى» بدون الهمزة يتعدّى لواحد بالباء كقولك: دَريتُ بكذا، وإن كان بمعنى «عَلم» فيتعدّى لاثنين[1]، فابن عاشور جعل الفعل «أدْرَى» متعدّيا إلى ثلاثة مفاعيل؛ لأنّه بمعنى «عَلم» الّذي يتعدى إلى مفعولين نحو: دَرَيتُ الحقَّ منْتَصِرًا، وبدخول همزة التّعدية صار متعدّيا إلى ثلاثة مفاعيل نحو: أدْرَيتُه الحقَّ مُنْتَصِرا.

فالفعل المجرّد دَرَى الشَّيءَ دَرْيًا ودِرْيًا: عَلِمه، وفعل أَدْرَى المزيد فيه بمعنى: أَعْلَمْتُه[2]، وعلى هذا يكون المعنى: أيّ شيء أعلمَك ما الحاقة؛ لأنّ يوم القيامة لا يعلمه إلّا الله سبحانه.

ملاحظة:

ويمكنُ أنْ نُشيرَ هنا إلى أنّ ابنَ عاشور عندما يستخدِمُ مصطلحَ (الهمزة للجعل، أو جعله كذا، أو جَعْل الشّيء كذا)؛ فإنّهُ يقصدُ بهِ التّعديةَ ويُدْخِلُها في بَابِها، فنَجِدهُ أحيانا يَربِطُها بِالتّعدية، كما في الآية 3 من سورة البقرة، وأحيانا أخرى يذكر أنّ الهمزة للتّعدية دون أن يربطها بالجعل كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ الكهف: ١٩، والإشعار: الإعلام والهمزة فيه للتّعدية مثل همزة «أعلم» من علِم...[3]، وأحْياناً أخْرَى يَذكُرُها مُنفردةً دون ذكر التّعدية وذلك بقوله الهمزة للجعل؛ أي جعل الشّيء كذا كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ البقرة:١١،حيث يقول: "والإفساد: فعل ما به الفساد والهمزة فيه للجعل؛ أي جعل الأشياء فاسدة في الأرض"[4]، وفي قوله أيضا: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ الأنفال: ٧١ ، والإمكان الهمزة فيه للجعل، وأنّ معنى أمكنه من كذا جعل له منه مكانا[5]، وفي مواضع أخرى يذكر فقط أنّ الإفعال هو

---

[1]: ينظر: اللّباب في علوم الكتاب: ابن عادل، 313/19. إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 21/9. الدرّ المصون: السّمين الحلبي، 423/10.

[2]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (د. ر. ى).

[3]: التحرير والتّنوير: ابن عاشور، 286/15.

[4]: المصدر نفسه، 284/1.

[5]: المصدر نفسه، 82/10.

جعل الشّيء كذا كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ البقرة: ١٨٢، يقول ابن عاشور: والإصلاح: جعل الشّيء صالحا يقال: أصلحه أي جعله صالحا[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠، والإرهاب: جعل الغير راهبا[2].

تنبيه:

ولم يكتف ابن عاشور بالتّعليق على الأفعال فقط بل كان يعلّق على مشتقّاتها كذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ ﴿٢﴾ ﴾ التوبة: ٢، والمعجز اسم فاعل من أعجز فلانا، إذا جعله عاجزا عن عمل ما[3]. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ الهمزة: ٨، ومؤصدَة: اسم مفعول من «أوصَد» ... ويقال: آصَد بهمزتين إحداهما أصليّة والأخرى همزة التّعدية[4].

وترتيب الشّواهد في دلالة التّعدية لم يكن عشوائيا، بل اعتمدنا فيه على طريقة خاصة وذلك بحسب الهمزة في الفعل من حيث التّعدّي إلى مفعول واحد، وإلى مفعولين، وإلى ثلاثة مفاعيل.

-السّلب: ويكونُ للسّلب عَنْ مَفعُولِ أَفْعَلَ ما اشْتُقَّ مِنْهُ نحو: أشْكَيْتُهُ؛ إذا أزَلْتُ شَكْوَاه[5]؛ أي أنْ يُزيلَ الفاعلُ عَنِ الْمَفعُولِ أَصْلَ الْفعْلِ[6]، فبدخُول هذه الهمزة علَى الْفِعلِ الْمجرّدِ يُسْلَبُ معنَاهُ ويُكْسَبُ مَعنًى مُعاكِسًا نحو: أجَارَ؛ أي أزالَ عَنْه الْجُورَ، فالفِعلُ الْمُجرَّدُ «جَارَ» بمعنَى ظَلَمَ أمّا الْفِعلُ «أَجَارَ» بمعنَى نَصَر، ولهَذَا سمَّاهَا علمَاءُ الصَّرفِ همزَةَ السَّلْب.

ومِنْ نَمَاذِجِ ما ذكره ابن عاشور في هذِهِ الدَّلالَةِ مَا يلي:

---

[1]: المصدر السّابق، 154/2.

[2]: المصدر نفسه، 56/10.

[3]: المصدر نفسه، 107/10.

[4]: المصدر نفسه، 541/30.

[5]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 91/1.

[6]: دروس التّصريف: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ص72.

-قوله تعالى: ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الأنفال: ١٧، أي ليُعَرِّف المؤمنين نعمته عليهم من إظهارهم على عدوّهم مع كثرة عدوّهم وقلّة عددهم؛ حيث أراد سبحانه أنْ يمتحنَ المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدّرجات، وأرفع المقامات، ويعطيهم أجرا حسنا وثوابا جزيلا[1].

والشّاهد قوله: «لِيُبْلِي» مضارع أبلى، حيث ذكر ابن عاشور أنّ أبلاه يستعمل مهموزا؛ أي أصابه بخير، ثمّ نقل قول ابن قتيبة أنّه: يقال في الخير أبليتُه إبلاء، ومن الشّر بَلَوتُه بلاء، قلت جعلوا الهمزة فيه دالّة على الإزالة؛ أي إزالة البلاء الذّي غلب في إصابة الشّر ولهذا قال تعالى: (بلاءً حسَنا)[2]، ويظهر من هذا الكلام أنّ ابن عاشور يجعل الهمزة في «أبْلى» للإزالة بنحو ما ذهب إليه ابن قتيبة. والصّحيح أنّ بَلَى من البلاء يكون في الخير والشّر[3] كما قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٥، فإذا ابتلي بالخير وشكر كان خيرا له، وإن ابتلي بالشّر وصبر كان خيرا له.

يُقال: بَلاه الله بَلاءً وابتلاء؛ أي اختبره، وأَبْلاه الله يُبْلِيه إبلاء؛ إذا صنع به صنعا جميلا، وقيل: إذا أنعم عليه[4]. وهذا يدلّ على معنى دقيق في الآية وهو صنيع الله سبحانه بعباده المؤمنين وإنعامه عليهم بالنّصر، والغنيمة، والأجر، وإعلاء درجاتهم، ورفع مقاماتهم جزاء لهم على جهادهم في سبيل الله.

-قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ طه: ١٥، في هذه الآية تأكيد على وقوع السّاعة، وإخفائها عن جميع الخلائق، فلا يعلمها ملك مقرّب ، ولا نبيّ مرسل، والحكمة من إتيانها جزاء النّاس على أعمالهم، إنْ خيرا، وإنْ شرّا[5].

والشّاهد في الآية قوله: «أُخْفِيها» على قراءة الجمهور، وهو مضارع أَخْفَى المزيد فيه، وقد ذكر ابن عاشور هنا قولا لأبي عليّ الفارسي حيث تأوّل أنّ معنى "أُخْفِيها" أي أظهرها، وقال همزة أخفيها للإزالة

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 373/2. وينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص317.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 296/9.

[3]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 472/4.

[4]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ب. ل. ا).

[5]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص503.

مثل همزة أعجم الكتاب، وأشكى زيدا؛ أي أُزيل خفاءها[1]. وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان في كون «أَخْفَى» بمعنى ستر الهمزة فيه للإزالة؛ أي أزلت الخفاء وهو الظّهور؛ فإذا أزلت الخفاء صار للسّتر[2]. وهذا ما ذهب إليه البيضاوي في تفسير في كون الهمزة في أَخْفَى للسّلب[3].

وهذا المعنى لا يتأتّى بالفعل المجرّد «خَفَى»؛ لأنّ خفَا الشّيءُ خَفْوا: ظَهَر. وخَفَى الشّيءَ خَفْيًا وخُفْيًا: أظْهَرَهُ واسْتَخْرَجَه، أمّا أَخْفَيتُ الشّيءَ بمعنى: سَتَرْتُهُ وكَتَمْتُهُ[4]؛ أي أنّ الله سبحانه ستر علم السّاعة وكتمه عن جميع الخلائق، ودليل ذلك الحديث الّذي رواه مسلم في سؤال جبريل عليه السّلام لمحمّدﷺ عن السّاعة: "«قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»"[5].

-قوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل: ١٩، في هذه الآية إخبار لما أنعم به الله سبحانه على عبده ونبيّه سليمان عليه السّلام من النّعم الجزيلة، حيث منّ عليه بتعليمه منطق الطّير والحيوان. فدعا ربّه أن يُلهمه للقيام بشكر نعمته الّتي أنعم بها عليه وعلى والديه، وأن يوفّقه للعمل الصّالح، ويلحقه بعباده الصّالحين[6].

والشّاهد هنا قوله: «أَوزِعْنِي» وهو فعل أمر من أَوزَع مزيد وزع الّذي هو بمعنى كفّ كما تقدّم في الآية 17 من هذه السّورة، والهمزة فيه للإزالة؛ أي أزال الوزع، أي الكف، والمراد أنّه لم يترك غيره كافّا عن عمل وأرادوا بذلك الكناية عن ضدّ معناه؛ أي كناية عن الحثّ عن العمل...[7]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 202/16.
[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 218/6.
[3]: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 386/2.
[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (خ. ف. ا).
[5]: الأربعون النّوويّة في الأحاديث الصّحيحة النّبويّة: النّووي أبو زكريا يحيى بن شرف، دار الإمام مالك، 1436هـ/2015م، ص6.
[6]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 450/3-451. وينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص603.
[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 243/19.

﴿ صَٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ ﴿١٥﴾ ﴾ الأحقاف: ١٥، حيث قال: أنّ «أوْزَع» للدّلالة على إزالة الوزع؛ أي الانكفاف عن عمل ما، فالهمزة فيه للإزالة[1].

فالمعنى الّذي أُكتسب بهمزة السّلب لا يتأتّى بالفعل المجرّد «وَزَعَ» بمعنى كفَّ؛ أي كفّ عن الشّيء، لأنّ أَوْزَع المزيد فيه بمعنى أَلْهَم؛ أي أزال الكفّ عن ذلك الفعل[2]، فهذه الدّلالة أفادت معنى جديدا في الآية وهو دعاء سليمان عليه السّلام ربّه أنْ يلهمه المداومة على شكر نعمه عليه، وعدم الكفّ عن ذلك.

ملاحظة:

وقد أشار ابن عاشور إلى دلالة الإزالة عند تعليقه على صيغة «اسْتَفْعَل» في قوله تعالى: ﴿ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الروم: ٥٧، بقوله: "يُسْتَعْتَبُون: مبني للمجهول... إذا سأل العُتْبَى، وهي اسم للإعتاب؛ أي إزالة العتب فهمزة الإعتاب للإزالة، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فصلت: ٢٤ "[3].

كما علّق ابن عاشور على أحد مشتقّات هذه الصّيغة وهو اسم التّفضيل كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢، حيث يذكر أنّ اشتقاق أقسط من أقسَط إذا عدل، وهو رباعيّ وليس من قَسَط بمعنى جار[4]. وهذا ما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجرات: ٩، بأنّ الله تعالى أمر المسلمين بالعدل بقوله: «أَقْسِطُوا» بين الفئتين المقْتَتِلَتَيْن[5].

---

[1]: المصدر السّابق، 33/26.

[2]: لينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (و. ز. ع).

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 133/21.

[4]: المصدر نفسه، 115/3.

[5]: المصدر نفسه، 242/26.

يقول عبدُ العزيزِ المغربي في نظمِ مثلّث قطرب:

الْقَسْطُ جُورٌ رُفِضَا * * * والْقِسْطُ عَدْلٌ فُرِضَا.[1]

فالهمزة في الفعل «أَقْسَط» حوّلت المعنى إلى الضدّ؛ أي من الجور إلى العدل، وهما معنيان مختلفان تماما.

-التّعريض: وهي جَعلُ "ما كانَ مفعُولاً للثّلاثيّ مُعرّضًا لأنْ يَكونَ مفْعُولًا لأصْلِ الحدَثِ، سواء صار مفْعُولًا له أو لَا نحو: أقتَلْتهُ؛ أي عرّضتَه لأنْ يَكونَ مقتُولًا قُتلَ أو لَا... وكذا أسْقَيْتهُ... وأقْبَرْتهُ"[2]، والتّعريضُ يختصُّ بِالفاعلِ؛ لأنَّه هو الّذي يعرّضُ مَفْعُولَهُ لأصلِ معنَى الفِعْلِ[3]، ومِنْ نماذجِ ما علّق عليه ابن عاشور في هذهِ الدّلالةِ ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الفرقان: ٤٩، هذه الآية إشارة إلى آية من آيات الله في خلقه؛ وهي نزول المطر الّذي تُحْيَى به الأرض المَيْتَة، وتُسْقَى وتَشْرب منه الأنعام والنّاس[4].

والشّاهد قوله: «ونُسْقِيَهُ» مضارع «أَسْقَى»، حيث يقول ابن عاشور: ... يُقال: سَقي وأسقَى... وقيل سَقِي أعطى الشّراب، وأسْقَى هيّأ الماء للشّرب، وهذا القول أسدّ لأنّ الفروق بين معاني الألفاظ من محاسن اللّغة فيكون المعنى: هيّأناه لشرب الأنعام والأناسي فكلّ من احتاج للشّرب شرب منه سواء من شرب ومن لم يشرب[5].

أي تعريضه للسّقي سواء أَسُقِي أم لمْ يُسقَ، وذكر الزّمخشري وابن عطيّة وأبو السّعود أنّ «أَسْقَى» بمعنى جعل له سُقيا[6]، فالهمزة في «أَسْقَى» ليست للتّعدية؛ لأنّ الفعل المجرّد «سَقَى» يتعدّى أيضا إلى

---

[1]: أربع رسائل في شرح مثلّث قطرب (المورث لمشْكل المثّلث): عبد العزيز بن عبد الواحد المكناسي اللّمطي، تح: هشام بن محمّد حيجَر الحسني، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، المغرب، ط:1، 1431هـ/2010م، ص140.

[2]: شرح شافيّة ابن الحاجب: الاستراباذي، 88/1. وينظر: الكتاب: سيبويه، 59/4.

[3]: الحقول الدّلاليّة: سليمان فيّاض، ص62.

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 405/3، وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص584.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 48/19.

[6]: ينظر: الكشّاف: الزّمخشري، 361/4. والمحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 213/4. وإرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 224/6.

مفعولين كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ الإنسان: ٢١، فـ «سَقَيتُه» معناه أعطيته ماءً يشربه، أمّا أَسْقَيْتُه بمعنى جعلت له حظّا من الماء وشربا[1].

ويظهر لنا ممّا سبق أنّ الهمزة أكسبت معنى في الآية وهو تعريض الأنعام والنّاس للسّقي وجعل حظّ لهم من الماء والشّرب سواء أشَرِبوا منه أم لم يشربوا.

-قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ﴾ عبس: ٢١، تدلّ الآية على إكرام الله سبحانه للإنسان بالدّفن بعد الموت، ولم يجعله كسائر الحيوانات الّتي تكون جيفها على وجه الأرض[2].

والشّاهد في الآية قوله: «أَقْبَرَه»؛ أي جعله ذا قبر، وهو أخصّ من معنى قبره؛ أي أنّ الله يسبّب له أن يقبر[3]، وقد ذكر أبو حيّان وابن عطيّة وأبو السّعود أنّ «أقْبَر» بمعنى جعل له قبرا؛ أي جعله ذا قبر[4]. وفي كلام ابن عاشور إشارة إلى معنى التّعريض؛ لأنّ الله سبحانه لم يجعل الميّت مطروحا في الأرض.

وقد وظّف الفعل «أقْبر» في سياق التّعريض؛ لأنّ هذا المعنى لا يكون بالفعل المجرّد «قَبَر» بمعنى دَفَن، لأنّ القابِر هو الدّافن بيده، أمّا «أَقْبَر» بمعنى جَعل له قَبْرا، والمُقْبر هو الله تعالى؛ وليس فعله كفعل الآدمي[5]، أي أنّ الله سبحانه عرّض الإنسان للقَبْر ليُوَارَى فيه ويدفن، وهذه كرامة له حتّى لا يجعل مطروحا على الأرض يستقذره من يراه، ودليل على مشروعيّة دفن الميّت[6].

إلا أنّ ابن مالك في شرح التّسهيل ذكر أنّ «أسقَى» إذا جعلته ذا ماء يسقى به ما هو محتاج إلى السّقي، و«أقْبَر» إذا جعلت له قبرا تدخل في معنى "جعل الشّيء صاحب ما اشتقّ من اسمه"[7].

وكلا المعنيين يصلحان في الفعل «أَقْبَر»، إلّا أنّ معنى التّعريض أقوى في توجيه السّياق العام للآية.

---

[1]: تصحيح الفصيح وشرحه: ابن درستُويه، تح: محمّد بدوي المختون ورمضان عبد التّواب، القاهرة، 1419هـ/1998م، ص121.

[2]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص911.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 124/30.

[4]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 420/8. والمحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 439/5. وإرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 110/9.

[5]: ينظر: معاني القرآن: الفرّاء أبو زكريّا يحيى بن زياد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ/1983م، 237/3، ولسان العرب: ابن منظور، مادة (ق ب ر).

[6]: ينظر: روح المعاني: الألوسي، 44/30.

[7]: شرح التّسهيل: ابن مالك، 450/3.

ملاحظة:

وقد أشار ابن عاشور لهذه الدّلالة في تفسيره لقوله: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الحج: ٣٦، بقوله: "والمعتَرّ: اسم فاعل من أعتر، إذا تعرّض للعطاء؛ أي دون سؤال بل بالتّعريض... يقال: أعتر إذا تعرّض[1].

وما علّق عليه ابن عاشور بالإضافة إلى ما ذكره علماء الصّرف والمفسّرون الآخرون يخالف تماما مَنْ ذكر أنّ دلالة التّعريض لا وجود لها في القرآن الكريم[2].

– **الصّيرورة**: وهي "تدلّ على أنّ الفاعلَ صارَ صَاحبَ شَيءٍ هو ما اشْتُقَّ مِنْهُ الْفعلُ نحو: أَوْرَقَ الشَّجَرُ أي صَارَ ذَا وَرَقٍ"[3]، وهنا صيغةُ أَفْعَل تكونُ قَاصِرةً كما أفادَهُ ابنُ هشام فِي مغنِي اللّبِيب[4]. وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلي:

–قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ يوسف: ٦٧، في هذه الآية إخبار عن يعقوب عليه السّلام وما أمر به بنيه ووصّاهم به عند ذهابهم لمصر، واعتمادهم في ذلك على الله وصدق توكّلهم عليه، لا على الاحتراز من الأسباب التّي وصّاهم بها؛ لأنّ هذا لا يردّ قدر الله وقضاءه، فإنّ الله إذا أراد شيئا لا يُخَالَف ولا يُمَانَع؛ لأنّ القضاء قضاؤه والأمر أمره، فما قضاه وحكم به لا بدّ أن يقع[5].

والشّاهد في الآية قوله: «أُغْنِي» مضارع أغنى؛ فمعنى فعل «أغنى» بهذا الاستعمال كما قال ابن عاشور معنى الأفعال القاصرة، ولم يفد الهمز تعدية، فلعلّ همزته دالّة على الصّيرورة؛ أي صار ذا غنى[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 266/17.

[2]: ينظر: معاني زيادات الأفعال في القرآن الكريم (دراسة وصفيّة إحصائيّة): سكينة محمّد عبد الكريم السّوالقة، رسالة ماجستر، جامعة مؤتة، الأردن، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2008م، ص36.

[3]: دروس التّصريف: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ص71.

[4]: مغني اللّبيب: ابن هشام، ص596.

[5]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 606/2، وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص402.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 22/13.

فغَنِي المجرّد من الغِنَى في المال وهو ضدّ الفقر، وأغناه بمعنى ناب عنه، وأجزأ عنه[1]، وعليه فالمعنى أنّ الأسباب الّتي ذكرها إبراهيم عليه السّلام لأبنائه لا تنوب ولا تجْزِئ عن صدق التّوكّل على الله والاعتماد عليه، ولا تردّ قضاء الله وقدره.

-قوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الصافات: ٤٧، وهنا تنزيه الله سبحانه لخمر الجنّة عن الآفات الّتي في خمر الدّنيا من صداع الرّأس ووجع البطن وذهاب العقل[2].

والشّاهد قوله: «يُنْزَفُون» حيث ذكر ابن عاشور قراءة حمزة والكسائي وخلف في «يُنْزِفُون» -بضمّ الياء وكسر الزّاي- من أنْزَف الشّارب؛ إذا ذهب عقله، أي صار ذا نزف، فالهمزة للصّيرورة لا للتّعدية[3]، ف «نَزَف» بمعنى نفاد الشّيء وانقطاعه، و «أنْزَف» بمعنى ذهاب الشّيء[4]، وهذا يدّل على إحدى صفات خمر الجنّة وهو عدم ذهاب عقل شاربها.

وهذا ما أشار إليه في قوله: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الواقعة: ١٩، حيث ذكر أنّ قراءة الجمهور بفتح الزّاي من أنزف الّذي همزته للتّعدية، وقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بكسر الزّاي من أنزَف المهموز القاصر[5]، فعلى القراءة الثّانية تكون الهمزة للصّيرورة حيث ذكر ابن عاشور أنّ أَنزف مهموز قاصر بنحو ما أفاده ابن هشام سابقا أنّ صيغة أَفْعل في هذه الدّلالة تكون قاصرة.

-قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الصافات: ٩٤؛ أي يسرعون، يريدون الإيقاع بإبراهيم عليه السّلام بعدما عرفوا أنّه هو من كسّر آلهتهم[6].

والشّاهد في الآية قوله: «يَزِفُّون» حيث ذكر ابن عاشور قراءة حمزة وخلف بضمّ الياء وكسر الزّاي أي «يُزِفُّون»، على أنّه مضارع أزَفَّ؛ أي شرَعُوا في الزّفيف، فالهمزة ليست للتّعدية، بل للدّخول في الفعل

[1]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (غ. ن. ا)، والمصباح المنير: الفيّومي، ص455.
[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 8/4.
[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 114/23.
[4]: ينظر: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 416/5.
[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 295/27.
[6]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص705.

مثل قولهم: أدنَف؛ أي صار في حال الدّنف، وهو راجع إلى كون الهمزة للصّيرورة[1]. فالفعل «زَفّ» بمعنى أسرع، وأزَفَّ؛ أي جاءوا مسرعين[2]، حيث دلّت هذه القراءة على معنى وهو مجيء القوم مسرعين إلى إبراهيم عليه السّلام بعدما عرفوا أنّه هو من فعل ذلك بأصنامهم.

ملاحظة:

وقد علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في مواضع أخرى منها قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٩ ، والإثقال: ثقل الحمل وكلفته، يقال: أثقلت الحامل فهي مثقل، وأثقل المريض فهم مثقل، والهمزة للصّيرورة، مثل: أورق الشّجر، فهو كما يقال أقربت الحامل فهي مقرب إذا قرب أبان وضعها[3].

وذكر هذه الدّلالة أيضا في تعليقه على مشتقّات الفعل كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأعراف: ٤٠، بقوله: "وأصل أجرم صار ذا جرم، كما يقال: ألبن وأتمر وأخطب"[4]، وأيضا في قوله تعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٣، والموسع: من أوسع إذا صار ذا سعة، والمقتر من أقتر إذا صار ذا قتر[5]، وفي قوله أيضا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٧، ومبلسون: اسم فاعل من «أبلس» وهو ملازم للهمزة، وأصل أبلس إذا صار ذا بلاس[6]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الروم: ٣١، حيث يقول ابن عاشور: "ويظهر أنّ أناب صار ذا نوبة؛ أي ذا رجوع متكرّر، وأنّ الهمزة فيه للصّيرورة"[7]،

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 144/23.

[2]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ز. ف. ف).

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 212/9.

[4]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 128/8.

[5]: المصدر نفسه، 462/2.

[6]: المصدر نفسه، 103/18.

[7]: المصدر نفسه، 95/21.

وفي قوله: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الملك: ٢٢، والمكبّ: اسم فاعل من أكبّ إذا صار ذا كبّ، فالهمزة في أصلها لإفادة المصير في الشّيء مثل: أقشع السّحاب؛ إذا دخل في حالة القشع...[1].

– **الحينونة:** وهي أنْ "تكُونَ أَفْعَل بمعنَى حَانَ وقتٌ يستحقُّ فيها فاعلُ أفعلَ أنْ يُوقَعَ عليه أصلُ الْفعلِ نحو: أَحصَدَ؛ أي حان أن يُحْصَدَ"[2]، ويطلق عليها همزة الاستحقاق أيضا؛ أي قد استحقّ أن تفعل به هذه الأشياء[3].

وهذه الدّلالة علّق عليها ابن عاشور في موضع واحد؛ وهو اسم الفاعل من أفْعَل في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ النبأ: ١٤، وهذه الآية تشير إلى نعمة من نعم الله سبحانه وقدرته، حيث ينزّل من السّحاب ماءً كثيرا منصبّا، فتنبت به الأرض وتحيا[4].

والشّاهد قوله: «المعْصِرات» وهي "اسم فاعل من أعصرت السّحابة؛ إذا آن لها أن تعصر... فهمزة أعْصَر تفيد معنى الحينونة، وهي استعمال موجود وتسمّى همزة التّهيئة كما في قولهم: أجزّ الزّرع؛ إذا حان له أن يجزَّ... وأحصد؛ إذا حان وقت حصاده... وذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب: أركب المهر؛ إذا حان أن يركب، وأقطف التّمر؛ إذا حان أن يقطف..."[5]، وهذا ما ذهب إليه الزّمخشري والبيضاوي في كون الهمزة في أعصر للحينونة؛ إذا حان لها أن تعصِر[6]، أمّا أبو حيّان فذهب إلى غير هذا المعنى وهو الدّخول في الشّيء؛ أي دخلت في حين العصر فحان لها أن تُعصر[7].

---

[1]: المصدر السّابق، 46/29.

[2]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 1/(89-90).

[3]: ينظر: الكتاب: سيبويه، 60/4. وأدب الكاتب: ابن قتيبة، ص491.

[4]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص906. وتفسير القرآن الكريم (جزء عمّ): العثيمين محمّد بن صالح، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السّليمان، دار الثّريا للنشر، ط2، 1423هـ/2002م، ص28.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 30/(25-26).

[6]: ينظر: الكشّاف: الزّمخشري، 296/6. وأنوار التّنزيل: البيضاوي، 488/3.

[7]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 404/8.

فالفعل المجرّد «عَصَر»؛ أي استخرج ما فيه، أمّا «أَعْصَر» المزيد فيه فهو بمعنى: أمْطَر[1]؛ فالمعنى: حان وقت إمطار السّحاب.

– الدّخول في الشّيء: أي "دخولُ الفَاعلِ في الْوقتِ الْمشتقّ منه"[2]، ومِنْ أمثلةِ ما جاءَتْ فيهِ الْهمزةُ للدّخولِ في الشّيءِ في القرآنِ الكريم:

-قوله تعالى: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٠، تدلّ الآية على إجابة الله سبحانه لدعاء رسوله صالح عليه السّلام في نصرته على قومه ثمود الّذين خالفوه وعاندوه بما جاءهم به[3].

والشّاهد في الآية قوله: «لَيُصْبِحُنَّ» مضارع أصْبَح، والإصباح: هنا مراد به زمن الصّباح، لا معنى الصّيرورة بدليل قوله في سورة الحجر: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[4]، فهنا ابن عاشور علقّ على دلالة الصّيغة في موضع متأخّر، ولم يعلّق عليها في سورة الحجر.

فصَبَح: تدلّ على أوّل النّهار، أمّا أَصْبَح: تدلّ على الدّخول في الصّباح[5]، وهذا يعني حلول العذاب بقوم صالح عليه السّلام عند دخولهم في وقت الصّباح.

-قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الروم: ١٧ – ١٨، وهذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدّسة، وإرشاد لعباده على تسبيحه وتحميده في هذه الأوقات المتعاقبة الدّالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه[6].

والشّاهد هنا قوله: «تُمْسُون» و«تُصْبِحُون» و«تُظْهِرُون» مضارع أَمْسَى وأَصْبَح وأَظْهَر، "فالإمساء: حلول المساء، والإصباح حلول الصّباح... والإظهار: حلول وقت الظّهر وهو منتصف النّهار. وقد استعمل الإفعال الّذي همزته للدّخول في المكان مثل: أنجد، وأتهم، وأيمن، وأشأم في حلول الأوقات من المساء

[1]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ع. ص. ر).
[2]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 1/(89-90).
[3]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 310/3.
[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 58/18.
[5]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ص. ب. ح).
[6]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 534/3.

والصّباح والظّهر تشبيها ذلك الحلول بالكون في المكان. فيكثر أن يقال: أصبح، وأضحى، وأمسى، وأعتم وأشرق، قال تعالى: ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴾"[1].

وهذا المعنى لا يحصل بالأفعال المجرّدة؛ لأنّ «صَبَح» تدلّ على أوّل النّهار، أمّا «مَسَى» تدلّ على بعد الظّهر إلى صلاة المغرب، و«ظَهَر» من الظّهر وهي تدلّ على ساعة الزّوال؛ أي صلاة الظّهر كما أفاده ابن منظور[2]، أمّا الأفعال المزيدة فيها بالهمزة فتدلّ على الدّخول في هذه الأوقات، وهذا أضفى معنى في الآية وهو تنزيه الله سبحانه وتعظيمه والثّناء عليه وذلك بالإكثار من تسبيحه وتحميده عزّ وجلّ في هذه الأوقات كما أشار إليه ابن عاشور[3].

ملاحظة:

وقد علّق ابن عاشور هنا على اسم الفاعل من صيغة أفْعَل كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الحجر: ٧٣، بقوله: "وهو اسم فاعل من أشرَقُوا إذا دَخلوا في وقت شروق الشّمس"[4]، وقوله: ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الشعراء: ٦٠، بقوله: "يجوز أن يكون معناه قاصدين جهة الشّرق، يقال: أشرق؛ إذا دخل في أرض الشّرق، كما يقال أنجد، وأتهم، وأعرق، وأشأم... ويجوز أن يكون المعنى داخلين في وقت الشّروق؛ كأصبح إذا دخل في وقت الصّباح وأمسى إذا دخل في وقت المساء؛ ومشرقين: أي أدركوهم عند شروق بعد أن قَضوا ليلة أو ليالي مشيا فما بصر بعضهم بعضا إلّا عند شروق الشّمس بعد ليالي السّفر"[5]، فهنا ذكر ابن عاشور أنّها قد تكون إمّا للدّلالة على الدّخول في المكان، أو الزّمان، وكلاهما يدخل في هذا المعنى وهو الدّخول في الشّيء. وفي قوله: ﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الصافات: ١٣٧، بقوله: "والمصبح: الدّاخل في وقت الصّباح، يمرّون على منازلهم في الصّباح تارة وفي اللّيل تارة بحسب تقدير السّير في أوّل النّهار وآخره"[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 67/21.

[2]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ص. ب. ح) و(م. س. ى) و(ظ. ه. ر).

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 21/(65-66).

[4]: المصدر نفسه، 69/14.

[5]: المصدر نفسه، 134/19. وينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 19/7.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 172/23.

كما علّق على مصدره أيضا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾ ص: ١٨، والإشراق: وقت ظهور ضوء الشّمس واضحا على الأرض وهو وقت الضّحى، يقال: أشرقت الأرض، ولا يقال: أشرقت الشّمس، وإنّما يقال: شَرَقت الشّمس، ولهذا قال تعالى في سورة الزّمر أشْرَقت للأرض ولم يقل شرقت: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الزمر: ٦٩ ، ... فوقت طلوع الشّمس هو المشرِق، ووقت الإشراق الضّحى[1].

– **وجود المفعول على صفة**: ويُطلَقُ عليها المُصَادَفَةُ أيضًا وهي أنْ تجِدَ الْفَاعلَ والْمَفعُولَ مَوصُوفاً بِصفةٍ مُشتقّةٍ مِنْ أصْلِ الْفِعلِ نحو: أحْمَدْتَه إذا وجَدْتَه مَحْمُوداً وأكْبَرْتَهُ إذا وجدته كبيرا[2]. وتكونُ في هذه الدّلالة "أَفْعَلْته بمعْنى وَجَدْتَه"[3]، ومن أمثلة ما ذُكِرتْ له هذه الدّلالة في القرآن الكريم:

-قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨، في الآية أمر من الله سبحانه لنبيّه محمّد ﷺ أنْ يُصبّر نفسه في الجلوس مع من يذكرون الله في أوّل النّهار وآخره ابتغاء وجهه، وعدم مجاوزتهم إلى غيرهم ممّن شُغِلوا عن الدّين وعبادة الله بالدّنيا[4].

والشّاهد قوله: «أَغْفَلْنَا»، وأصل الإغفال كما قال ابن عاشور: "إيجاد الغفلة، وهي الذّهول عن تذكّر الشّيء، وأريد بها هنا غفلة خاصّة، وهي الغفلة المستمرّة المستفادة من جعل الإغفال من الله تعالى كناية عن كونه في خلقه تلك القلوب"[5]، وقد ذهب أبو حيّان وابن عطيّة في تَفسِيرَيْهِما إلى أنّ (أَغْفَلْنَا قَلْبَه)

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 228/23.

[2]: دروس التّصريف: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ص71، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 1/(90-91).

[3]: الكنّاش في فَنّي النّحو والصّرف: الأيّوبي، 67/2.

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 102/3-103.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 306/15.

جعلنا قلبه غافلا عن الذّكر، أو وجدناه غافلا عنه[1]؛ حيث ذكرا دلالتين للفعل وهي: التّعدية، ووجود المفعول على صفة.

وما ذكره ابن عاشور في دلالة فعل «أغْفَلنا» لا يحصل بالفعل المجرّد؛ لأنّ «غَفَل» فَعَل هو؛ أي هو من غفل عليه وليس غيره من أغفله، أمّا أغْفَلَ فهو ترك الشّيء غفلا والسّهو عنه؛ أي غيره من أغفله، فالزّيادة أكسبت معنى جديدا وهو إغفال الله سبحانه لقلوب العباد عن التّفكير في وحدانيّته كما أفاده ابن عاشور[2]، وذلك لاهتمامهم بأمور الدّنيا وانشغالهم عن دينهم وعبادة ربّهم.

-قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ طه: ٩٧، الآية فيها قول موسى عليه السّلام للسّامريّ بالابتعاد عنه، ثمّ ذكر له عقوبته في الدّنيا جزاء فعله، وأنّ له موعدا يوم القيامة لا محيد له عنه[3].

والشّاهد في الآية: «لن تُخْلَفَه»، حيث يذكر ابن عاشور قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب – بكسر اللّام- مضارع أخْلَف وهمزته للوجدان، يقال: أخلف الوعد إذا وجده مخلفا[4].

فالفعل خَلَفَه يَخْلُفُه: صَارَ خَلْفَهُ، وخَلَفْتُه أيْضا إذَا جِئتُ بعدَه، والخَلَف: البَدَل والعِوَض، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ مريم: ٥٩، أمّا أَخْلَف: إذا لم يَفِ بِعَهدِه؛ أي وجَد موعِدَهُ خُلْفًا[5]؛ أي أنّه سيجد ما وعدَ الله سبحانه حقّا ولنْ يُخلفه إيّاه.

وقد أطلق عليها ابن عاشور في هذا الموضع أنّ الهمزة فيه للعدّ وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ يوسف: ٣١، ومعنى

---

[1]: البحر المحيط: أبو حيّان، 114/6، والمحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 3/(512-513).

[2]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 306/15.

[3]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 3/208-209.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 299/16.

[5]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (خ. ل. ف). وتاج العروس من جواهر القاموس: الزّبيدي السّيد محمّد مرتضى الحسيني، تح: مصطفى حجازي، مراجعة: عبد السّتار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1397هـ/1977م، 251/23.

أكْبَرْنه أعظمنه، أي أعظمن جماله وشمائله، فالهمزة فيه للعدّ؛ أي أعددنه كبيرا[1]، فهنا يقصد بالهمزة للعدّ وجود المفعول على صفة؛ أي وجد النّسوة يوسف عليه السّلام على صفة الجمال.

-أفْعَل بمعنى فَعل: حيث يكون الفعلُ المزيد فيهِ بمعنى المجرّد، ومِن أمثلةِ ما علّق عليه ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلِي:

- قوله تعالى: ﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ ﴾ يونس: ٩٠، وهنا يذكر الله سبحانه كيفيّة إغراقه فرعون وجنوده في البحر عندما كانوا يلحقون بموسى عليه السّلام ومَنْ معه مِنْ بني إسرائيل[2].

والشّاهد قوله: «فَأَتْبَعَهُم» وأتبعهم بمعنى لحقهم، يقال: تَبِعَه فأتْبَعه؛ إذا سار خلفه فأدركه... وقيل: أتْبَع مرادف تَبِع[3]، وفي قوله أيضا: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾ الحجر: ١٨، و«أتْبَعَه»: بمعنى تَبِعَه، والهمزة زائدة مثل همزة أبان بمعنى بان، وتقدّم في قوله تعالى: ﴿ فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ في سورة الأعراف[4].

فتَبِعتُ الشّيءَ: إذا سرت في إثره، أو مشيت خلفه[5]؛ أي أنّ فرعون وجنوده ساروا في إثر موسى عليه السّلام ومن معه لمحاولة اللّحاق بهم.

- قوله تعالى: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ النحل: ١٠٣، أخبر الله تعالى في هذه الآية عن المشركين المكذّبين لمحمّد ﷺ، وردّه سبحانه عليهم في افترائهم وكذبهم على رسوله[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 262/12.

[2]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 539/2.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 274/11.

[4]: المصدر نفسه، 31/14.

[5]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ت. ب. ع).

[6]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 733/2-734.

والشّاهد في الآية قوله: «يُلْحِدُون» مضارع ألحَد، يقول ابن عاشور: "وألحد مثل لَحد، أي مال عن القويم فهو ممّا جاء من الأفعال مهموز بمعنى المجرّد، كقولهم: أبان بمعنى بان"[1]، وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان في كونها بمعنى واحد[2].

ف (لَحَد إلى الشّيء): مال وعدل عنه، وقَيل: «أَلْحَد» بمعنى: مارى وجادل[3]؛ وهذا يدلّ على أنّهم يميلون عن الحقّ القويم ويتركونه مع أنّه كلام الله المنزّل الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما أفاده ابن عاشور[4].

-وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾ البروج: ١٣؛ أي أنّه سبحانه هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا مشارك له في ذلك[5].

والشّاهد في الآية قوله: «يُبْدِئ» مضارع «أَبْدَأ»، يقول ابن عاشور: "ويُبْدِئ: مرادف بَدَأ، يقال: بَدَأ وأَبْدَأ فليست همزة أبدأ للتّعدية"[6]، فالفعل «بَدَأ» هو فِعْلُ الشَّيء أَوَّلا؛ أي فَعلتُه ابتِدَاء، ويقال: بدَأ الله الخلق: أي خَلَقَهم، و«أبْدَأ» أيضا بمعنى خَلق[7]، فمعنى الآية هنا أنّ الله سبحانه هو الذّي يخلق الخلْق ويبعثهم.

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في مواضع أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء: ١، بقوله: وأسرى لغة في سرى، بمعنى سار في اللّيل فالهمزة هنا ليست للتّعدية؛ لأنّ التّعدية حاصلة بالباء، بل أسرى فعل مفتتح بالهمزة مرادف سرى، وهو مثل: أبان مرادف بان، ومثل: أنهج الثّوب بمعنى نهج[8]، وهذا ما أشار إليه في قوله تعالى: (فَأَسْرِ بِعِبَادِي) الأحقاف: 23، حيث ذكر قراءة الجمهور

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 287/14.

[2]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 519/5.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ل. ح. د).

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 287/14.

[5]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص919.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 248/30.

[7]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ب. د. أ). وينظر: تاج العروس: الزّبيدي، 138/1.

[8]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 11/15.

في «أسرى» وهي بمعنى سرى[1]. وفي قوله: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٠، فعلى قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ورويس، ويعقوب-بضمّ التّاء وكسر الموحّدة- على لغة من يقول: أنْبَت بمعنى نَبَت[2]. وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ البقرة: ٤٠، وأَوفَى فعل مهموز من وَفَى المجرّد، ولمّا كان المجرّد متعدّيا للمفعول، ولم يكن في المهموز زيادة تعدية، لتساوي بين قولك وَفَيْته حقَّه وأوفيتُه حقَّه تعيّنت الزّيادة لمجرّد المبالغة في التّوفية مثل: بان وأبان، وشَغل وأشغل[3].

ملاحظة:

وقد علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في كلمة «المُرِيب» في قوله تعالى: ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ هود: ٦٢، حيث يقول: "والمريب: اسم فاعل من أراب، يقال: رابه وأرابه بمعنى"[4].

-أفْعَلَ مُطاوِعُ فَعَل:

ذَكَرَ ابن عاشور هذه الدّلالة في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ النجم: ٥٣، ففي هذه الآية ذكر للعذاب الّذي ألحقه الله سبحانه بقوم لوط عليه السّلام، حيث قلب أسفل ديارهم أعلاها[5].

والشّاهد قوله: «أهوى»؛ حيث يذكر ابن عاشور أنّه يقال: أهواه فهوى[6]؛ أي أَهْوَى مطاوع هَوَى، وهذا المعنى لا نجده في الفعل المجرّد «هَوَى» لأنّه بمعنى سَقَط من عُلُوّ إلى سُفْل، أمّا "أَهْوَى" فهو

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 299/25.
[2]: المصدر نفسه، 39/18.
[3]: المصدر نفسه، 452/1.
[4]: المصدر نفسه، 111/12.
[5]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص823.
[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 154/27.

بمعنى أسْقَط: وهو رَفْع الشّيء في الهواء وإسْقَاطه[1]؛ أي غيره من أسقطه، وهذا أضفى معنى في الآية وهو رَفْعُ قرية قوم لوط عليه السّلام في الهواءِ وإسقاطها فَسَقطت.

-الاستغناء عن المجرّد:

وقد أشار ابن عاشور إلى هذا المعنى في تعليقه على فعل «استفتى» في قوله تعالى: ﴿ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ يوسف: ٤١، بقوله: "وفعله أَفْتَى ملازم للهمز ولم يسمع منه فعل مجرّد، فدلّ ذلك على أنّ همزه في الأصل مجتلب لمعنى..."[2] ، حيث أشار بقوله أنّ الفعل «أَفْتَى» بزيادة الهمزة أتى للاستغناء عن الفعل المجرّد «فَتَى».

-أفْعَل بمعنى فَعَّل:

ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ الفرقان: ٦٧، ففي هذه الآية صفة من صفات عباد الرّحمان؛ وهي أنّهم عدل خيار؛ أي ليسوا بمبذّرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصّرون في حقّهم[3].

والشّاهد قوله: «لم يَقْتِروا»، حيث ذكر ابن عاشور أنّ قراءة نافع وابن عامر وأبو جعفر -بضمّ التّحتيّة وكسر الفوقيّة-؛ أي «لم يُقْتِروا» من الإقتار وهو مرادف التّقتير[4]؛ أي أقتَر مرادف قَتَّر، فالفعل أقتر وقَتّر بمعنى واحد؛ أي ضيَّق عليهم في الرّزق والنّفقة[5]، وهذا يدلّ أنّ من صفات عباد الرّحمان عدم التّضييق على أهليهم فيما يجب عليهم من النّفقة، وذلك دون إسراف وتبذير؛ لأنّ الله سبحانه لا يحبّ المبذّرين، بل هم ينفقون على أهليهم بالعدل لا إلى هذا ولا إلى ذاك.

-أفْعَل بمعنى اسْتَفْعَل:

---

[1]: المفردات: الرّاغب الأصفهاني، ص(712-713).

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 278/12.

[3]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 411/3.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 72/19.

[5]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق. ت. ر).

وقد علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في موضع واحد وهو:

-قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الصافات: ١٠٣، تدلّ الآية على اسْتَسلام وانقياد إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام لله سبحانه وامتثالهما لأمره[1].

و«أسْلَمَا»: اسْتَسْلَما، يقال: سلَّم واستَسلَم وأسلَم بمعنى انقاد، وخضع[2]، وهذا المعنى لا يحصل بالفعل المجرّد "سَلِم" لأنّه بمعنى خَلَصَ ونَجَا[3]، فالمعنى على هذه الدّلالة أنّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام انقادا وأظهرا الخضوع لأمر الله سبحانه.

ملاحظات عامّة حول دلالات صيغة أفْعَل:

وهناك بعض الآيات الّتي ذكر فيها ابن عاشور دلالتين أو أكثر لصيغة «أفْعَل» كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ البقرة: ٣، حيث قال: "ويُؤمنون معناه يصدِّقون، وآمنَ مزيد أمِن وهمزته المزيدة دلّت على التّعدية، فأصل آمن تعدية أمِن ضدّ خاف، فآمن معناه جعل غيره آمنا... وعلى تقدير أنّه آمَن نفسَه من أن تخاف من كذب الخبر مبالغة في أمن كأقْدَم على الشّيء بمعنى تقدّم إليه وعمد إليه، ثمّ صار فعلا قاصرا إمّا على مراعات حذف المفعول لكثرة الاستعمال بحيث نزل الفعل منزلة اللّازم"[4]. فهنا ذكر أوّلا دلالة التّعدية، ثم دلالة أفَعَل بمعنى تَفَعّل، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ البقرة: ١١، حيث ذكر أنّ الإصلاح ضدّ الإفساد؛ أي جعل الشّيء صالحا، ثمّ أشار إلى معنى آخر غير معنى التّعدية عندما ذكر أنّه يقال صَلح بمعنى وجَد من أوّل وهلة[5]، وهذه هي دلالة المصادفة؛ أي وجود المفعول على صفة، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأنعام: ٣٤ ، حيث ذكر ابن عاشور أنّ الهمزة في «أُوذُوا» للجعل أو للتّصيير[6]؛ أي إمّا للتّعديّة وهي جعله آذيا، أو للصّيرورة؛

---

[1]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 19/4.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 152/23.

[3]: ينظر: المصباح المنير: الفيومي، ص287.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 230/1.

[5]: المصدر نفسه، 285/1.

[6]: المصدر نفسه، 201/7.

أي صار ذا أذى، وفي قوله أيضا: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ النساء: ٦٣، حيث يقول: فلعلّ أصل الهمزة في «أعْرَض» للدّخول في الشّيء؛ أي دخل في عرض المكان، أو الهمزة للصّيرورة؛ أي صار ذا عرض، أي جانب، أي أظهر جانبه لغيره ولم يظهر له وجهه...[1]

2-مَعَانِي فَعَّل.

صيغة فَعَّل تكون الزّيادة فيها بتكرير العين نحو: حَرَّم وعَلَّم وكَبَّر ومضارِعُه «يُفَعِّل» نحو: يُحَرِّم ويُعَلِّم...[2]، وتعدُّ هذه الصِّيغَةُ مِنْ أَكثَرِ الصِّيَغِ وُرُوداً فِي القُرآنِ الْكرِيمِ بَعدَ صِيغَةِ «أَفْعَل» وأَغْلَبُ الْمعَاني الّتي وَرَدَتْ فِيها هَذهِ الصّيغَةُ كَانَ للتّعديَةِ والتّكْثِير[3]، وقد ذَكرَ لها عُلَماءُ الصَّرفِ عِدَّةَ مَعان غير هَذَيْنِ المَعْنَيَيْنِ ومِنْ هذه المعَاني الّتِي ذَكَرُوها ما يلي:

التّعدية: وقدْ تطرَّقْنَا فِيما مَضَى إلى مفْهُوم التّعْدِية عِنْدَ الحدِيثِ عَنْ صِيغَةِ «أَفْعَل» وليسَ هناك داع لإعادةِ ذَلك هُنَا، فَقَط يُمكِنُ أنْ نُشِيرَ إلى أنّ النّقلَ بالتّضعيفِ مِنَ الْأمُورِ الّتِي يَتَعدَّى بِها الْفعْلُ الْقاصِر، والنّقلُ سَماعيٌّ فِي اللّازِمِ وفِي الْمُتعدِّي لِواحِدٍ ولمْ يُسْمَعْ في الْمتَعدّي لاثْنَين[4]، ومِنْ أمثلةِ ما ذُكِرَتْ لَهُ هذِهِ الدَّلالة في القرآنِ الكريمِ ما يلِي:

-قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ آل عمران: ٣، وقد ذُكِر في هذه الآية أنّ الله سبحانه نزَّل القرآن الكريم على محمّد ﷺبالحقّ لا شكَّ فيه ولا ريب، وأنّه جاء مصدّقا للكتب المنزّلة قَبله من السّماء على الأنبياء؛ فهي تصدّقه بما أخبرت به وبشّرت في القديم، وهو يصدّقها لأنّه طابق ما أخبرت به وبشّرت من الوعد من الله سبحانه بإرسال محمّد ﷺ وإنزال القرآن العظيم[5].

---

[1]: المصدر السّابق، 108/5.

[2]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص(172-174). وينظر: المفصّل في علم العربية: الزّمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص278.

[3]: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عظيمة، قسم:2، 72/4-220.

[4]: مغني اللّبيب: ابن هشام، ص(601-602).

[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 458/1.

والشّاهد في الآية قوله: «نَزَّل» وهو فعل متعدّ إلى مفعول واحد وهو «الكتاب»، يقول ابن عاشور: "والتّضعيف في نَزَّل للتّعدية فهو يساوي الهمزة في أنزل، وإنّما التّضعيف يؤذن بقوّة الفعل في كميّته أو كيفيّته... من أجل أنّهم قد أتوا ببعض الأفعال المتعدّية، للدّلالة على ذلك كقولهم: فَسَر وفَسَّر، وفرَقَ وفَرَّق... كما أتوا بأفعال قاصرة بصيغة المضاعفة دون تعدية للدّلالة على قوّة الفعل كما قالوا: مَات ومَوَّت، وصَاحَ وصَيَّح، فأمّا إذا صار التّضعيف للتّعدية فلا أوقن بأنّه يدلّ على تقوية الفعل إلّا أن يقال: إنّ العدول عن التّعدية بالهمز إلى التّعدية بالتّضعيف، لقُصِد ما عهد في التّضعيف من تقوية معنى الفعل، فيكون قوله: (نَزَّل علَيكَ الكِتَابَ) أهمُّ من قوله: (وأنْزَلَ التَّورَاة) للدّلالة على عظم شأن القرآن"[1]، وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان في أنّ التّضعيف في «نَزَّل» للتّعدية[2].

وهذا المعنى الّذي ذهب إليه المفسّرون لا نجده في الفعل المجرّد «نَزَل»؛ لأنّه فعل لازم وهو يدلّ على هبوط الشّيء ووقوعه، أمّا «نَزَّل» فهو ترتيب الشّيء ووضعه مَنْزِلَه[3]، فالزّيادة بالتّضعيف دلّت على عظم شأن القرآن الكريم الّذي نَزّله الله على محمّد ﷺ ومنزلته كما أفاده ابن عاشور[4].

-قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴿٨٧﴾ ﴾ البقرة: ٨٧، وفي هذه الآية ذكر لإرسال موسى عليه السّلام لبني إسرائيل بالتّوراة، ثمّ تابع من بعده بالرّسل بعضهم خلف بعض[5].

والشّاهد قوله: «وقَفَّيْنَا»، يقول ابن عاشور: "وقفّى مضاعف قَفَا تقول: قَفَوْتُ فُلانًا إذا جئت في إثره، أمّا قَفَّيْتُه بفلان؛ أي أنّك جعلته مأمورا بأن يقفو بجعل منك لا من تلقاء نفسه؛ أي جعلته يقفوه غيره، وكون المفعول واحدا جعلوا المفعول الثّاني عند التّضعيف متعلّقا بالفعل بباء التّعدية حتّى لا يلتبس التّابع بالمتبوع فقالوا: قَفَّى زَيدًا بِعَمر عوض قَفَّى زَيدًا عمرًا"[6]، ويظهر من كلام ابن عاشور أنّ التّضعيف في «قَفَّينَا» للتّعدية وهذا ما أشار إليه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 3/147-148.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 2/393.

[3]: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 5/417.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 3/148.

[5]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص58.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 1/593.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴿٤٦﴾﴾ المائدة: ٤٦، بقوله: "والأصل في التّضعيف أن يفيد تعدية الفعل إلى مفعول لم يكن متعدّيا إليه، فإذا جُعِل تضعيف «قَفَّينَا» هنا متعدّيا للفعل اقتضى مفعولين: أوّلهما الّذي كان مفعولا قبل التّضعيف والثّاني الّذي عُدِّي إليه الفعل... وإذا جُعِل التّضعيف لغير التّعدية بل لمجرّد تكرير وقوع الفعل مثل: جَوّلت، وطوَّفت كان حقّ التّرتيب: وقَفَّيناهم بعيسى ابن مريم..."[1]. وتقدير الكلام في الآية الأولى: (قَفَّى الله مُوسى بالرّسل) حيث لم يذكر المفعول الأوّل وهو: موسى عليه السّلام للعلم به؛ لأنّه ذُكر في بداية الآية، وعُوِّض بالجارّ والمجرور (مِنْ بَعْدِه)، ولم يقل: (قَفَّى اللهُ مَوسَى رُسُلًا) حتّى لا يلتبس المتبوع وهو: موسى عليه السّلام بالتّابع وهم: الرّسُل عليهم السّلام.

وذهب أبو حيّان إلى أنّ التّضعيف في «قَفَّيْنَا» ليس للتّعدية، إذ لو كان كذلك لتعدَّى إلى مفعولين؛ لأنّ «قَفَا» المجرّد يتعدَّى إلى مفعول واحد، ولكان (وقَفَّيْنَاهُ مِنْ بعْدِهِ بالرُّسُلِ)؛ أي جِئنا من بعدِه بالرّسل[2]، ويمكن أن نرجّح ما ذهب إليه ابن عاشور في أنّ التّضعيف للتّعدية؛ لأنّ أبا حيّان ذكر أنّ بعض الأفعال الّتي تتعدَّى إلى مفعولين قد يُحذَف أحد مفعُولَيْها اختصارا[3].

وهذا المعنى المذكور في الفعل المزيد فيه «قَفَّى»: بمعنى أَتْبَعَه إيَّاه، لا يُتَوصّل إليه بالفعل المجرّد «قَفَا»؛ لأنّه بمعنى تَبِع أثَرَه[4]؛ أي هو من تَبِع الشّيء لا غَيره من أتْبَعه، فالزّيادة بالتّضعيف أفادت معنى في الآية وهو إتباع الله سبحانه بعد موسَى عليه السّلام رُسلا يردف بعضهم بعضا.

وهناك مواضع أخرى ذكر فيها ابن عاشور هذه الدّلالة دون أن يربطها بالجعل كما في الآيتين السّابقتين، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ آل عمران: ١٧٥، يقول ابن عاشور: "وتقدير الكلام: يُخَوِّفُكم أولِيَاءَه، فحذف المفعول الأوّل لفعل «يَخَوِّف»... فإنّ خَوَّف يتعدّى إلى مفعولين إذ هو مضاعف خاف المجرّد، وخاف يتعدّى

[1]: المصدر السّابق، 218/6.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 467/1.

[3]: المصدر نفسه، 125/3.

[4]: ينظر: العين: الفراهيدي أبو عبد الرّحمان الخليل بن أحمد، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، 221/5. ومقاييس اللّغة: ابن فارس، 112/5.

إلى مفعول واحد، فصار بالتّضعيف متعدِّيًا إلى مفعولين من باب كسا كما قال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴿٣٠﴾ ﴾ آل عمران: ٣٠"[1].

وأحيانا يربطها بالجعل كما في قوله تعالى: ﴿ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٧، والتّدمير: مصدر دَمَّر الشّيء إذا جعله دامرا، والتّضعيف للتّعدية[2]، وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا ﴿١٤٢﴾ ﴾ البقرة: ١٤٢، يقول ابن عاشور: "وفعل «وَلّاهم» أصله مضاعف «وَلَى» إذا دنى وقرب، فحقّه أن يتعدّى إلى مفعول واحد بسبب التّضعيف، فيقال: ولَاه من كذا؛ أي قرَّبه منه، وولَّاه عن كذا؛ أي صرفه عنه... ومنه قوله تعالى: (نُوَلِّه ما تولّى) أي نجعله واليا ممّا تولى أي قريبا له"[3]، وهذا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٩، بقوله أنّ ولَّى بمعنى جعله وليّا، وهو من باب أعطى يتعدّى إلى مفعولين، فإذا عُدّي الفعل بالتّضعيف قيل: ولَّيتُ ضبة تميما[4].

وأحيانا أخرى يذكر لفظ (الجعل) فقط دون أن يقرنه بالتّعدية كما في قوله أيضا: ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ الزمر: ١٦، والتّخويف مصدر خوّفه، إذا جعله خائفا[5]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦، فصيغة التّفعيل للجعل مثل: طيّن الجدار، وأزّره؛ أي ألبسه الإزار، وقد تقدّم في قوله: ﴿ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ ﴿٢٥﴾ ﴾ في سورة فصّلت[6].

ملاحظة:

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 172/4.
[2]: المصدر نفسه، 78/9.
[3]: المصدر نفسه، 8/2.
[4]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 73/8.
[5]: المصدر نفسه، 363/23.
[6]: المصدر نفسه، 209/25.

وقد أشار ابن عاشور للتّعدية في تعليقه على اسم المفعول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٩، المتَبَّر: المدمّر... وتبَّرَه تضعيف للتّعدية[1].

التّكثير والمبالغة: وتكونُ "إمّا فِي الْفِعلِ نَحو: جَوَّلْتُ وطَوَّفْتُ، وإمّا في الفاعِلِ نحو: مَوَّتَت الإبل، وإمّا لِلمَفْعُولِ نحو: غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ"[2]، ومِنْ أمثِلة هذه الدَّلالة في القرآن الكريم:

-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴿١٢﴾ ﴾ المائدة: ١٢، في هذه الآية تبيين من الله سبحانه كيف أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل، حيث أقسم سبحانه لهم بأنّهم إن أطاعوه، وآمنوا برسله وصدّقوهم فيما جاءوا به ونصروهم على الحقّ سيأتيهم ما وعد به عباده من النّعيم[3].

ومحلّ الشّاهد قوله: «عَزَّرْتُمُوهُم»، حيث يذكر ابن عاشور أنّه يقال: "عَزَرَه مخفَّفا وعَزَّرَه مشدّدا، وهو مبالغة في عزَّرَه عزْرا إذا نصره..."[4]، وقد ذكر ابن جنّي في المحتسب أنّ قراءة التّخفيف هي قراءة عاصم الجدري، وتخفيف عَزَر من قولهم: عَزَرْتُ الرَّجلَ أعْزِرُه عَزْرًا؛ إذا حُطْتَه وكَنَفتَه، وعَزَّرْتُه؛ بمعنى فخَّمتَ أمرَه وعظَّمتَه[5]، أمّا عبد الخالق عظيمة فقد جعل التّضعيف فيه للتّعدية[6].

---

[1]: المصدر السّابق، 82/9.

[2]: دروس التّصريف: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ص73.

[3]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 242/8-246. وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 41/2-43.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 142/6.

[5]: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جنّي أبو الفتح عثمان، تح: علي النّجدي ناصيف وآخرون، دار سزكين للطّباعة والنّشر، ط2، 1406هـ/1986م، 208/1.

[6]: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عظيمة، قسم2، 248/4.

والعزر والتّعزير في اللّغة بمعنى الرّدّ والمنع ومنه أُخِذ معنى النّصر، يقال: عزَرَ فلانًا وعزَّرَه إذا أعانه ونصره[1]، وممّا سبق نستنتج أنّ هذه الدّلالة أفادت معنى في الآية وهو تعظيم الرّسل عليهم السّلام والمبالغة في نصرتهم وردّ أعدائهم عنهم.

-قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾ المائدة: ٣٣، في هذه الآية بيان من الله سبحانه لحكم الفساد في الأرض، وما يستحقّه المفسدون من العقوبة والحدّ في الدّنيا جزاء لهم على أعمالهم[2].

والشّاهد في الآية قوله: «أنْ يُقَتَّلُوا» مضارع قَتَّل، يقول ابن عاشور: "يُقَتَّلُوا مبالغة في يَقْتُلُوا... قصد بالمبالغة هنا إيقاعه بدون لين ولا رفق تشديدا عليهم، وكذلك الوجه في قوله: يُصَلَّبُوا"[3]، وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان وابن عطيّة بأنّ التّشديد في قراءة الجمهور للتّكثير والمبالغة بالنّسبة إلى الّذين يوقع بهم الفعل[4].

وما ذهب إليه المفسّرون لا يحصل بالفعل المجرّد «قَتَل»؛ لأنّه بمعنى أمات، أمّا «قَتَّل» يأتي للكثرة في القتل[5]، وهذا يدلّ على المبالغة في قتل الّذين يحاربون الله ورسوله دون لين ولا رفق تشديدا عليهم وتشنيعا لفعلهم كما أشار إليه ابن عاشور سابقا.

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في مواضع أخرى كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١ ﴾ الشعراء: ٩١، «وبرّزت» مبالغة في أبرزت؛ لأنّ التّضعيف فيه مبالغة ليست في التّعدية بالهمزة، ونظيره في قوله: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ ﴾ في سورة النّازعات...[6]، وكقوله أيضا: ﴿ قُلۡ

---

[1]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ع. ز. ر)، وينظر: تاج العروس: الزّبيدي، 24/13.

[2]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 359/8.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 183/6.

[4]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 485/3. والمحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 185/2.

[5]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق. ت. ل).

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 151/19.

﴿ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١٦ ﴾ الحجرات: ١٦، "والتّعليم: مبالغة في إيصال العلم إلى المعلّم؛ لأنّ صيغة التّفعيل تقتضي قوّة حصول الفعل كالتّفريق والتّفسير، يقال: علّمه وأعلمه، كما يقال أنبأه ونبّأه"[1].

وقد كان ابن عاشور يعبّر عن هذه الدّلالة بالشّدة فقط كما في قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠ ﴾ الأنعام: ١١٠، بقوله: والتّقليب مصدر قَلَّب الدّال على شدّة قلب الشّيء عن حاله الأصليّة[2]، وفي قوله: ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ ١٦٠ ﴾ الأعراف: ١٦٠، والتّقطيع شدّة في القطع وهو التّفريق، والمراد به التّقسيم[3]، وأيضا في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ١٤٠ ﴾ الأنعام: ١٤٠، حيث ذكر قراءة ابن عامر بتشديد التّاء في «قَتَّلُوا»؛ لأنّه قتل بشدّة، فتسليط فعل القتل على الأولاد يفيد أنّه قتل فظيع[4]، وصرّح في هذا الفعل –قَتّل– تصريحا واضحا بدلالة المبالغة على قراءة الجمهور وذلك في الآية 127 من سورة الأعراف.

وأحيانا يذكرهما معا–القوّة والشّدة مع المبالغة–كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ٧١ ﴾ طه: ٧١، والتّقطيع شدّة القطع، ومرجع المبالغة إلى الكّيفيّة، وهذا ما ذكره في قوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ ﴾ الحجّ: ١٩، بأنّ التّقطيع مبالغة في القطع، وهو فصل بعض أجزاء شيء عن بقيّته[5]، وفي قوله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٤٨ ﴾ التوبة: ٤٨، وقلّبوا بتشديد اللّام مضاعف قَلَب المخفّف وهو للدّلالة على قوّة

[1]: المصدر السّابق، 268/26.

[2]: المصدر نفسه، 442/7.

[3]: المصدر نفسه، 142/9.

[4]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 115/8. وينظر: المصدر نفسه، 110/22.

[5]: المصدر نفسه، 264/16. وينظر المصدر نفسه، 230/17.

الفعل، فيجوز أن يكون من قلَّب الشّيء إذا تأمّل ظاهره وباطنه ليطّلع على دقائق صفاته فتكون المبالغة إلى الكمّ؛ أي كثرة التّقليب[1].

ملاحظة:

علّق ابن عاشور على اسم الفاعل في صيغة فَعَّل كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾ ﴾ الرعد: ١١، معقّب: "اسم فاعل من عقّبه، إذا تَبِعه وصيغة التّفعيل فيه للمبالغة في العقب"[2]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ ﴿١٨﴾ ﴾ الأحزاب: ١٨، "والمعوّق: اسم فاعل من عَوَّق الدّال على شدّة حصول العوق... فالتّضعيف فيه للشّدّة والتّكثير مثل: قطّع الحبل؛ إذا قطّعه قطعا صغيرة"[3].

-اختصار الحكاية: والصّيغةُ هنا تكونُ عبارةً عَنْ قَولٍ مُختَصَرٍ نحو: هلّل؛ مِنْ قولك: لا إله إلّا الله، ومِنْ أمثلةِ وُرُودِ هذِهِ الدَّلالةِ في القرآنِ الكريمِ ما يلي:

-قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ البقرة: ٣٠، وفي هذه الآية إشارة إلى تعظيم الملائكة لله سبحانه وتنزيههم له عمّا لا يليق به عزّ وجلّ[4].

والشّاهد في الآية قوله: «نُسَبِّح» مضارع سَبَّح، والتّسبيح كما قال ابن عاشور: "قول أو مجموع قول مع عمل يدلّ على تعظيم الله تعالى وتنزيهه... ويطلق التّسبيح على قول سبحان الله لأنّ ذلك القول من التّنزيه... وأظهر منه أن يكون سبّح بمعنى نسب للسّبح أي البعد وأريد البعد الاعتباري وهو الرّفعة؛ أي

[1]: المصدر السّابق، 219/10.
[2]: المصدر نفسه، 100/13.
[3]: المصدر نفسه، 294/21.
[4]: ينظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، 412/1.

التّنزيه عن أحوال النّقائص..."[1]، وأشار إلى هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ ص: ١٨، والتّسبيح في «يُسَبِّحن» أصله قول سبحان الله، ثمّ أطلق على الذّكر وعلى الصّلاة[2]، وفي قوله أيضا: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ الطور: ٤٨ – ٤٩، فالتّسبيح في الآية 48 المراد به ما يدلّ عليه من قول، وأشهر ذلك هو قول (سبحان الله) وما يرادفه من ألفاظ... والتّسبيح في الآية 49 مراد به الصّلاة والقيام: جعل وقت للصّلوات إمّا للنّوافل وإمّا لصلاة الفريضة وهي الصّبح... فالآيتان تشيران إلى أوقات الرّغائب في النّوافل وهي صلاة الفجر والأشفاع بعد العشاء، وقيام آخر اللّيل[3]. والصّلاة لا تخلو من تسبيح الله سبحانه سواء في الرّكوع، أو السّجود، أو في الذّكر المشروع بعد الفراغ من الصّلاة.

وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان في الفعل «نُسبّح» من سورة البقرة وقال بأنّه اختصار لقول الملائكة من تسبيح لتعظيم الله سبحانه[4]، أمّا عبد الخالق عظيمة فقد ذكر أن التّضعيف فيه للتّعدية[5].

وقد ذكر ابن عاشور دلالتين للفعل «سَبَّح» ألا وهي دلالة اختصار الحكاية، ودلالة النّسبة، ومن خلال الأقوال السّابقة نرجّح أنّ الفعل «سَبَّح» جاء للدّلالة على اختصار الحكاية، وهذا المعنى لا نجده في الفعل المجرّد «سَبَح»؛ لأنّه من السّبح والسّباحة؛ وهي العوم، أمّا «سَبَّح» من التّسبيح وهو التّنزيه[6]، وهذه الزّيادة أفادت معنى في الآية وهو حمد الله سبحانه وتمجيده والثّناء عليه وتنزيهه وتعظيمه عمّا لا يليق أن يوصَف به كما أشار إليه ابن عاشور[7].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 405/1.

[2]: المصدر نفسه، 228/23.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 84/27-86.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 291/1.

[5]: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عظيمة، مجل:4، ج1، قسم 2، ص232.

[6]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (س. ب. ح)

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 405/1.

-قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦، في هذه الآية تنبيه على كمال رسول اللهﷺ، ورفعة درجته، وعلوّ منزلته عند الله وعند خَلْقه[1].

والشّاهد في الآية قوله: «وسَلِّمُوا»، وهو فعل أمر من «سَلَّم»، وقد علّق ابن عاشور على هذه الآية في موضع متقدّم أثناء تفسيره لسورة النّمل في الآية 59، ولم يعلّق على دلالتها في موضعها من سورة الأحزاب، حيث قال في تعليقه على الفعل «سلِّموا»: "أي قولوا: السّلام عليك أيّها النّبيّ؛ لأنّ مادة التّفعيل قد يُؤتَى بها للدّلالة على قول منحوت في صيغة التّفعيل فقوله: (سَلِّمُوا تَسْلِي)ا" معناه: قولوا كلمة السّلام، مثل بَسْمَل؛ إذا قال: بسم الله، وكَبَّر؛ إذا قال: الله أكبر"[2]، واكتفى في موضع الفعل من سورة الأحزاب بذكر صيغة السّلام بين المسلمين وهي: السّلام عليكم، وفي التّشهّد: السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته[3]. وهذا ما أشار إليه الألوسي والبيضاوي في تفسيريهما لقوله: (وسَلِّمُوا تَسلِيما)؛ أي وقولوا السّلام عليك أيّها النّبيّ[4].

فالفعل «سَلِم» بمعنى: نجا؛ وهو من السَّلْم والسَّلامة؛ أي البراءة والتّعرّي من الآفات، أمّا «سَلَّم» هنا فهي قول: السّلام عليكم؛ وهي الدّعاء للإنسان بالسّلامة[5]، وفي هذه الآية كرامة عظيمة لنبيّنا ﷺ حيث أمر الله سبحانه الخلق بالدّعاء له ﷺ بالسّلامة والبركة ورفع الدّرجة والثّناء عليه؛ حيث اجتمع له الثّناءان في العالم العلوي والسّفلي كما أشار إليه ابن كثير[6]، كما تتضمّن أيضا الدّعاء له بالسّلامة لدينه وشريعته أن يسلّمهما الله من الأعداء.

ويشير ابن عاشور إلى هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ النساء: ٨٦، بقوله: ولعلّه من قبيل النّحت من قول القائل:

---

[1]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص671.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 8/20.

[3]: المصدر نفسه، 98/22-101.

[4]: ينظر: روح المعاني: الألوسي، 79/22. وأنوار التّنزيل: البيضاوي، 95/3.

[5]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (س. ل. م). والمفردات: الأصفهاني، ص315.

[6]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 632/3.

حيَّاك الله؛ أي وهب لك طول الحياة[1]، وهذا ما أشار إليه في قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ الأحزاب: ٤٤، "والتّحيّة الكلام الّذي يخاطب به عند ابتداء الملاقاة... وهذا الاسم في الأصل مصدر «حيَّاه» إذا قال له: أحياك الله؛ أي أطال حياتك، فسمّى به كلام العرب عند ابتغاء الخير للملاقي أو الثّناء عليه، غلب أن يقولوا: أحياك الله... وتحيّة الإسلام: سلام عليك أو السّلام عليكم... وتقدّم في قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ ﴿١٠﴾﴾ في سورة يونس"[2].

ويمكن أن نقول أنّ ابن عاشور عندما يقول (باختصار القول) أو (النحت) فهما الشّيء نفسه؛ أي يقصد بهما دلالة واحدة لا غير.

-النّسبة:

ومِنْ أمثلةِ ما علّق عليه ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلي:

-قولُه تعالَى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ البقرة: ١٨٥، وفي هذه الآية إشارة إلى أنّ الله سبحانه رخّص الفطر في شهر رمضان في حال المرض والسّفر للتّيسير والتّسهيل على العباد، وأمرهم بقضاء عدّتها في أيّام أخر لإتمام عبادة الصّوم، كما أمرهم بذكره عند انقضائها وذلك بالتّكبير في عيد الفطر تعظيما له سبحانه[3].

والشّاهد قوله: «ولِتُكَبِّرُوا» مضارع «كَبَّر»، يقول ابن عاشور: "والتّكبير تَفْعِيل مراد به النّسبة والتّوصيف، أي تنسبوا الله إلى الكبر، والنّسبة هنا نسبة بالقول اللّساني، والكِبَر هنا كِبَر معنوي لا جسمي، فهو العظمة والجلال والتّنزيه عن النّقائص، أي تَصِفوا الله بالعظمة، وذلك بأن تقولوا: الله أكبر، فالتّفعيل هنا مأخوذ من فعَّل المنحوت من قول يقوله، مثل قولهم: بسمل وحمدل وهلّل...أي لتقولوا: الله أكبر، وهي جملة تدلّ على أنّ الله أعظم من كلّ عظيم... وكذلك شرّع التّكبير عند انتهاء الصّيام في هذه الآية،

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 146/5.

[2]: المصدر نفسه، 51/22.

[3]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 298/1-300. وجامع البيان: الطّبري، 218/3-221.

فمن أجل ذلك مضت السّنّة بأن يكبّر المسلون عند الخروج إلى صلاة العيد... وفي لفظ التّكبير عند انتهاء الصّيام خصوصيّة جليلة وهي أنّ المشركين كانوا يتزلّقون إلى آلهتهم بالأكل والتّصيخ بالدّماء، فكان لقول المسلم: الله أكبر إشارة إلى أنّ الله يعبد بالصّوم وأنّه متنزّه عن ضراوة الأصنام"[1]، وهذا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ المدثر: ٣، "وتكبير الرّبّ تعظيمه، ففعل كبَّر يفيد معنى نسبة مفعوله إلى أصل مادّة اشتقاقه وذلك من معاني صيغة «فَعَّل»؛ أي أخبر عنه بخبر التّعظيم..."[2]، وذكر أبو حيّان أنّ معنى التّكبير هنا هو تعظيم الله والثّناء عليه[3]؛ ويتّضح من قول ابن عاشور في الآية الأولى أنّه جمع بين دلالة النّسبة واختصار الحكاية الّتي يطلق عليها النّحت، إلّا أنّه في الآية الأخرى ذكر النّسبة فقط، ومن هنا يترجّح عندنا أنّ صيغة الفعل «كبَّر» للنّسبة.

والمعنى المراد من صيغة الفعل «كبَّر» هي قول: الله أكبر؛ والتّكبير: معناه التّعظيم وهذا لا نجده في الفعل المجرّد «كَبُر» الّذي هو بمعنى عَظُم[4]؛ حيث وظّف الفعل «كَبّر» في سياق يفيد نسبة الله سبحانه إلى الكبر وإثبات الأعظمية له عزّ وجل من خلال كلمة (الله أكبر)، وهذا يدلّ على وحدانيّته في الألولهيّة وأنّه المستحقّ للعبادة وحده كما أفاده ابن عاشور[5].

-قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام: ٣٣، وفي هذه الآية تسلية الله سبحانه لنبيّهﷺ في تكذيب قومه له ومخالفتهم إيّاه[6].

وموضع الشّاهد قوله: «لا يُكَذِّبُونَكَ»، يقول ابن عاشور: "قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر «لا يكَذِّبونَك» بسكون الكاف وتخفيف الذّال، وقرأ الجمهور -بفتح الكاف وتشديد الذّال-، وقال بعض أئمّة اللغة إنّ أكْذب وكَذّب بمعنى واحد؛ أي نسبه إلى الكذب، وقال البعض: أكذبه وجده كاذبا، كما

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 176/2-177.
[2]: المصدر نفسه، 296/29.
[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 51/2.
[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ك. ب. ر).
[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 176/2.
[6]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 164/2.

يقال: أحمده وجدهُ محمودا، وأمّا كذّب-بالتّشديد-فهو لنسبة المفعول إلى الكذب"[1]، وهذا ما ذكره أبو حيّان والبيضاوي في أنّ كَذَّبه بمعنى نسبه إلى الكذب[2].

وما ذهب إليه المفسّرون لا يتأتّى بالفعل المجرّد «كَذَب»؛ لأنّ الكذب نقيض الصّدق، أمّا «كَذّب»؛ إذا جعله كاذبا أو قيل له كذبت[3]، وهذا يشير إلى معنى دقيق في الآية لأنّ الله سبحانه أراد أن يسلّي نبيّه ﷺ فقال له: إنّ الكفّار لا ينسبونك إلى الكذب فيما جئتهم به من الحقّ، وإنّما يكذّبونني بجحود آياتي.

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم: ٣٢، وتُزَكُّوا: مضارع زَكَّى التّضعيف المراد منه نسبة المفعول إلى أصل الفعل نحو: جَهَّله؛ أي لا تَنسِبوا أنفسَكم إلى الزّكاة[4]، وفي قوله أيضا: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٨، فالتّزيين جعل الشّيء ذا زينة أو إظهاره زينا أو نسبته إلى الزّين، وهو هنا بمعنى إظهاره في صورة الزّين وإن لم يكن كذلك، فالتّفعيل فيه للنّسبة مثل التّفسيق[5].

-الإزالة:

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في موضعين اثنين:

-الأوّل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ سبأ: ٢٣، وفي هذه الآية ذكر لمقام رفيع في عظمة الله سبحانه؛ وهو أنّه إذا تكلّم بالوحي فسمع أهل السّماوات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتّى يلحقهم مثل الغشي؛ فإذا كشف عن قلوبهم الفزع وذهب سألوا عمّا قال الله، فقالوا: الحقّ[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 198/7-199.

[2]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 116/4، وأنوار التنزيل: البيضاوي، 486/1.

[3]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ك. ذ. ب).

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 125/27.

[5]: المصدر نفسه، 433/7.

[6]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 669/3. وجامع البيان: الطّبري، 274/19-279.

والشّاهد في الآية قوله: «فُزّع»، يقول ابن عاشور: و«فُزّع» قرأ الجمهور بضمّ الفاء وكسر الزّاي مشدّدة، وهو مضاعف فزع والتّضعيف فيه للإزالة مثل: قَشَّر العود، ومرَّض المريض؛ إذا باشر علاجه... وفُزّع عن قلوبهم؛ أي أزيل الخوف عن نفوسهم[1]. وهذا ما ذكره ابن عثيمين وأبو السّعود في كون فزّع بمعنى أزال الفزع، وهو فعل يراد به السّلب[2].

وهذا المعنى الّذي ذُكر دلّ على معنى مضاد تماما للفعل المجرّد «فَزَع»؛ لأنّه من الفَزع وهو الخوف والذّعر من الشّيء، أمّا «فَزَّع» بمعنى كُشف عنه الخوف[3]، وهذا أضفى معنى في الآية ألا وهو إزالة الخوف عن القلوب.

-والثّاني: أشار إليه ابن عاشور عندما علّق على صيغة «تَفَعَّل» في قوله: ﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ ﴾ الواقعة: ٦٥، بقوله: صيغة التّفعّل فيه لمطاوعة فَعَّل الّذي تضعيفه للإزالة مثل: قشَّر العود، وقرَّد البعير[4]، فهنا فعل «فَكَّه» المضعّف أتى لمعنى الإزالة.

-الدّخول في الوقت: وأشار ابن عاشور إلى هذه الدّلالة في موضعين:

-قوله تعالى: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ ﴾ النساء: ١٠٨، في هذه الآية إنكار على المنافقين الّذين يستخفون بقبائحهم من النّاس ويجاهرون الله سبحانه حين يسّرون ليلا[5].

والشّاهد في الآية قوله: «يُبَيِّتُون» مضارع بَيَّت، والتّبييت كما قال ابن عاشور: "جعل الشّيء في البيات، أي اللّيل، مثل التّصبيح، يقال بيّتَهم العدوُّ، وصبَّحَهم العدوُّ وفي القرآن "لَنُبَيِّتَنَّه وأَهْلَه" لأي لنأتينّهم ليلا..."[6]، وهذا ما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور: 22/189-191.

[2]: تفسير القرآن الكريم (سورة سبأ): محمّد بن صالح العثيمين، ص165. وينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 132/7.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ف. ز. ع).

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 322/27.

[5]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 717/1. وجامع البيان: الطّبري، 472/7.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 194/5.

﴿ شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ النمل: ٤٩، والتّبييت والبيات: مباغتة العدوّ ليلا، وعكسه التّصبيح: الغارة في الصّباح[1].

وهذا المعنى الّذي ذكره ابن عاشور لا نحصل عليه بالفعل المجرّد «بَات»؛ لأنّه بمعنى فَعَله باللّيل ولا يكون إلّا مع سَهر اللّيل، أمّا «بَيَّت» فهو بمعنى دبّره ليلا[2]، حيث أكسبت هذه الصّيغة المعنى جمالا يبيّن حال المنافقين وهو إتيانهم المعاصي ليلا خفية عن أنظار النّاس.

-قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ ﴾ القمر: ٣٨، وفي هذه الآية إخبار عن العذاب الّذي حلّ بقوم لوط عليه السّلام في الصّباح؛ وذلك عند طلوع الفجر[3].

ومحلّ الشّاهد قوله: «صَبَّحَهُم» يقول ابن عاشور: "والتّصبيح: الكون في زمن الصّباح وهو أوّل النّهار"[4]، وهذا المعنى الذّي أشار إليه لا يحصل بالفعل المجرّد «صَبَح»؛ لأنّه يدلّ على أوّل النّهار وهو الصّباح، أمّا «صَبَّح» فهو بمعنى آتيناه صباحا[5]، فالتّضعيف أفاد معنى في الآية وهو إتيان قوم لوط عليه السّلام العذاب في وقت طلوع الصّبح.

-فَعّل بمعنى أفْعَل:

وذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في ثلاثة مواضع:

-قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان: ٣٢، وفي هذه الآية يخبر الله سبحانه عن كثرة اعتراض الكفّار وتعنّتهم بسبب تنزيل القرآن الكريم منجّما وعدم إنزاله جملة واحدة[6].

---

[1]: المصدر السّابق، 283/19.

[2]: المصباح المنير: الفيومي، ص67-68. وينظر: الأفعال: السّرقسطي أبو عثمان سعيد بن محمّد المعافري، تح: حسين محمّد محمّد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، 1395هـ/1975م، 127/4.

[3]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 152/22.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 207/27.

[5]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ص. ب. ح).

[6]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 401/3.

والشّاهد قوله: «نُزِّل» حيث قال ابن عاشور: "ونزّل هنا مرادف أنْزَل، ليس فيه إيذان بما يدلّ عليه التّفعيل من التّكثير"[1]، وهذا ما أشار إليه الزّمخشري والبيضاوي في أنّ نُزّل بمعنى أُنزِل كخَبَّر بمعنى أخبر[2]، وقد ذكر ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣ أنّه أُتِي بفعل «نَزَّل» دون «أَنْزَل»؛ لأنّ القرآن نزل منجّما، وأنّ صاحب الكشّاف قد ذكر أنّ اختياره هنا في مقام التّحدّي لمراعاة ما كانوا يقولون لولا أنْزِل عليه القرآن جملة واحدة[3].

وهذا المعنى الّذي ذهب إليه المفسّرون لا يحصل بالفعل المجرّد «نَزَل» كما أشرنا إلى معناه سابقا، أمّا (الإنزال والتّنزيل) فقد فرّقوا بينهما فقيل: التّنزيل في القرآن تدريجيّ؛ يختصّ بإنزال القرآن متفرّقا منجّما، والإنزال دفعي؛ أي دفعة واحدة فهو أعمّ من التّنزيل[4]، وهذا المعنى في صيغة «فَعَّل» يناسب سياق الآية الّذي وردت فيه وهو طعن الكفّار في القرآن الكريم بأنّه ليس من عند الله؛ لأنّه لم ينزل دفعة واحدة، فردّ على خطابهم وبيّن الحكمة من تنزيله مفرّقا وهذا ما أشار إليه ابن عاشور[5].

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ التحريم: ٣، وفي هذه الآية ذكر لإخبار حفصة رضي الله عنها صاحبتها بالحديث الّذي أسرّ إليها رسول الله ﷺ [6].

والشّاهد قوله: «نَبَّأت» يقول ابن عاشور: "ونبَّأ بالتّضعيف مرادف أنْبَأ بالهمز ومعناهما أخبر"[7]، أمّا أبو حيّان وابن عطيّة فقد ذهبا إلى أنّ التّضعيف في «نَبَّأ» للتّعدية[8]، وما ذكره ابن عاشور لا يحصل بالفعل

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 19/19.

[2]: ينظر: الكشّاف: الزّمخشري، 347/4. وأنوار التّنزيل: البيضاوي، 521/2.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 336/1.

[4]: ينظر: المفردات: الأصفهاني، ص631. وتاج العروس: الزّبيدي، 479/30.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 18/19-19.

[6]: جامع البيان: الطّبري، 91/23.

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 352/28.

[8]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 285/8، والمحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 330/5-331.

المجرّد «نَبَأ»؛ لأنّه من النّبأ: وهو الخبر، أمّا «نَبَّأ وأنْبَأ» بهما بمعنى أعلم وأخبر[1]، فالزّيادة هنا دلّت على الإعلام بحديث النّبيّ ﷺ والإخبار به.

وآخر موضع ذكره ابن عاشور في هذه الدّلالة هو قوله تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾ ﴾ الطارق: ١٧، حيث قال: "والتّمهيل مصدر مَهَّل بمعنى أمْهَل، وهو الإنظار إلى وقت معيّن أو غير معيّن"[2].

-فَعّل بمعنى تَفعّل:

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في موضعين الأوّل:

- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ ﴾ الحجرات:١، هذه آية أدَّب الله سبحانه بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرّسولﷺ من التّوقير والاحترام والتّبجيل والإعظام[3].

والشّاهد قوله: «لا تُقَدِّمُوا» مضارع «قَدَّم» "القاصر بمعنى تَقَدّم على غيره، وليس لهذا الفعل مفعول... والتّقدّم حقيقته: المشي قبل الغير، وفعله المجرّد: قَدَم من باب نَصَر ... وحقّ «قَدَّم» بالتّضعيف أن يصير متعدّيا إلى مفعولين، لكن ذلك لم يرد وإنّما يعدَّى المفعول الثّاني بحرف (على) ... ويقال: قدَّم بمعنى تَقَدَّم كأنّه قدّم نفسه، فهو مضاعف صار غير متعدّ. فمعنى «لا تُقَدِّمُوا»: لا تَتَقَدَّمُوا، فمادة فَعّل تجيء بمعنى تَفَعَّل مثل: وجَّه بمعنى توجَّه، وبيَّن بمعنى تَبَيَّن"[4]. وذكر الزّمخشري وأبو حيّان والألوسي لفعل "تُقَدّموا" معنيين: الأوّل التّعدية؛ وحذف مفعولها ليتناول كلّ ما يقع في النّفس ممّا يُقدّم، والثّاني: فَعَّل بمعنى تَفعَّل، ويكون المحذوف ممّا يوصل بحرف؛ أي: لا تتقدّموا في شيء ما[5].

وما ذهب إليه ابن عاشور في أنّ قَدَّم بمعنى تَقَدَّم رأي وجيه، فلو كان للتّعدية هنا للزم أن يتعدّى إلى مفعولين؛ لأنّه من باب نصر وفعل نَصر متعدّ فنقول: نصرت فلانا، وقَدَم مثله، وبالتّضعيف يتعدّى إلى المفعول الثّاني بحرف الجر (على) فنقول: قَدّمت فلانا على الأمر، وهنا لا يوجد سوى مفعول واحد وقد

---

[1]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ن. ب. أ)، والمصباح المنير: الفيومي، ص591.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 268/30.

[3]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 261/4.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 215/26-216.

[5]: ينظر: الكشّاف: الزّمخشري، 554/5. والبحر المحيط: أبو حيّان، 105/8. وروح المعاني: الألوسي، 131/26-132.

حُذف اختصارا والتّقدير: لا تُقَدّمُوا أمراً[1]. وبما أنّ (قَدَم، وقَدّم، وتقَدّم بمعنى)، وهو: السّبق في الأمر[2]، فالمقصود من الآية هنا النّهي عن السّبق في قضاء أمر من أمور الدّين والحرب حتّى يُعلم حكم الله ورسوله فيه، وذلك ليعلّم المسلمين الأدب مع الله ورسولهﷺ في امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

والثّاني: في تعليقه على اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ ﴿١٩﴾ ﴾ النساء: ١٩، حيث قال: "وقرأ الجمهور مُبَيِّنَة- بكسر التّحتيّة- اسم فاعل من بَيّنَ اللّازم بمعنى تَبَيَّن"[3].

-الاستغناء عن المجرّد:

ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في موضع واحد وذلك عندما علّق على قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨، حيث يأمر الله سبحانه في هذه الآية بأداء الأمانات إلى أهلها[4].

والشّاهد في الآية قوله: «تُؤَدُّوا» مضارع أدَّى، يقول ابن عاشور: "وأصل أدّى أن يكون مضاعف أدَى بالتّخفيف بمعنى أوصل، لكنّهم أهملوا أدَى المخفّف واستغنوا عنه بالمضاعف... والأداء هنا مستعمل في معناه الحقيقي، لأنّ الحقّ ذات يمكن إيصالها بالفعل إلى مستحقّها"[5]، وبما أنَّ التّأدية بمعنى الإيصال[6] فهذا يدلّ على أنّ الآية آمرة بجميع أنواع الإيصال والوفاءات كما أفاده ابن عاشور[7]؛ أي وجوب إيصال الأمانات وردّها إلى أصحابها.

3-صيغة فَاعَل.

---

[1]: ينظر: بلاغة القرآن الكريم: الشّيخلي، 433/9.

[2]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق. د. م).

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 286/4.

[4]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 671/1.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 92/5-93.

[6]: المصباح المنير: الفيومي، ص9.

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 92/5-93.

وصيغة فَاعَل بِزيادة الألف نحو: قَاتَل وشَارَك وجَاهَد ومضَارِعُهُ «يُفَاعِل» نحو: يُقَاتِل ويُشَارِك...[1]، تأتي لمعان منها:

-المشاركة: وهي "تدلّ على أنّ الفِعْلَ حادثٌ مِنَ الفاعِلِ والمفعُولِ معاً"[2]، ومِنْ المواضع الّتي علّق عليها ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ النساء: ٣٣، وفي هذه الآية إشارة أنّه في بداية الإسلام كانوا يتوارثون بالحلف؛ أي الّذين تحالفوا بالأيمان وكانت بينكم وبينهم عهود ومعاقدات، فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم[3].

والشّاهد في الآية قوله: «عَقَدَت»، حيث قرأ أهل الكوفة «عَقَدَت» بغير ألف، وقرأ الباقون «عَاقدت» بالألف، وهو الاختيار؛ لأنّ المفاعلة لا تكون إلّا من اثنين[4]، يقول ابن عاشور: "والمعاقدة حصول العقد من الجانبين؛ أي الّذين تعاقدتم معهم على أن يكونوا بمنزلة الأبناء، أو بمنزلة الإخوة، أو بمنزلة أبناء العمّ"[5].

وهذا المعنى الّذي ذكره ابن عاشور في القراءة القرآنيّة لا يدلّ عليه الفعل المجرّد «عَقَد» لأنّه من العَقد الّذي هو نقيض الحلّ؛ إذا جمع بين أطراف الشّيء، وقيل: عَقَد العهد إذا أكّده، أمّا «عَاقَد» فهو بمعنى عَاهَد[6]؛ فيكون المعنى يرمي إلى لزوم الوفاء بالمعاهدة الّتي تشاركتم أنتم وهم فيها من قبل على الميراث.

---

[1]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص (172-174). وينظر: المفصّل في علم العربية: الزّمخشري، ص278.

[2]: التّطبيق الصّرفي: عبده الرّاجحي، دار الميسرة، عمان، الأردن، ط:1، 1428هـ/2008م، ص39.

[3]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 638/1.

[4]: إعراب القراءات السّبع وعللها: ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد الهمذاني النّحوي الشّافعي، تح: عبد الرّحمان بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ/1992م، 133/1، وينظر: النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري الحافظ أبو الخير محمّد بن محمّد الدّمشقي، تصحيح ومراجع: علي محمّد الضّبّاع، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، 249/2.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 35/5.

[6]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ع. ق. د). وينظر: المفردات: الأصفهاني، ص443.

-قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾ الأنفال: ٥٦، وفي هذه الآية إخبار عن خصال الكافرين الّذين إذا عاهدوا عهدا نقضوه، وإذا أكّدوه بالأيمان نكثوه[1].

ومحلّ الشّاهد قوله: «عَاهَدت»، فالمفاعلة كما قال ابن عاشور تدلّ على حصول الفعل من الجانبين[2]، وهذا ما أشار إليه أبو السّعود في المعاهدة بأنّها عبارة عن إعطاء العهد وأخذه من الجانبين[3].

فالفعل المجرّد «عَهَد» من العَهْد وهو: حفظ الشّيء ومراعاته حالا بعد حال، والعهد: الموثِق واليَمِين يحلف بها الرّجل؛ وكلّ ما بين العباد من مواثيق فهو عهد، أمّا «عَاهَد» من المعاهدة: بمعنى المعاقدة والمحالفة؛ وهي إحداث العهد بما عَهِدتَه[4]، فقد نبّه هذا على أنّ المقصود من المعاهدة بين الكفّار وبين النّبيﷺ كانت تتضمّن التزاما من جانبهم بأن لا يُعينُوا عليه عدوّا كما أشار إليه ابن عاشور[5]، ولكنّهم نقضوا العهد الّذي بينهم، وفي هذا إيماء إلى وجوب الوفاء بالعهد والحفاظ عليه بين الأطراف المتعاهدة.

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في بعض المواضع منها قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠﴾ طه: ٨٠، بقوله: "والمواعدة اتّعاد من الجانبين، أي أمرنا موسى بالحضور للمناجاة، فذلك وعد من جانب الله بالمناجاة، وامتثال موسى لذلك الوعد من جانبه، فتمّ معنى المواعدة كما قال في سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ٥١﴾[6]، وفي قوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾ الحج: ٦٧، حيث أشار إلى أنّ صيغة المفاعلة تقتضي حصول الفعل من الجانبين فاعله ومفعوله، فيصبح نهي كلّ من الجانبين عنه، وإنّما أسنِد الفعل لضمير

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 403/2.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 48/10.

[3]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 30/4.

[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ع. هـ. د). وينظر: المفردات: الأصفهاني، ص455.والمصباح المنير: الفيومي، ص435.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 47/10-48.

[6]: المصدر نفسه، 273/16-274.

المشركين مبالغة في نهي النّبيّ ﷺ عن منازعته إيّاهم[1]، وفي قوله أيضا: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢٢، حيث ذكر أنّ "الموادّة، أصلها حصول المودّة في جانبين... وإنّما جيء بصيغة المفاعلة هنا اعتبارا بأنّ شأن الودّ أن يجلب وُدّا من المودود للوادّ"[2].

–المبالغة والكثرة: وقَدْ ذُكِرتْ هذِهِ الدَّلالَةُ فِي صِيغةِ «فَعَّل»، ومِنْ أمثلة وُرُودِهَا فِي صِيغةِ «فَاعَل» فِي الْقرآنِ الْكَرِيمِ ما يلي:

–قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٨، يأمر الله سبحانه في هذه الآية بالمحافظة على الصّلوات في أوقاتها وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها[3].

والشّاهد في الآية قوله: «حَافِظُوا» يقول ابن عاشور: "وحَافِظُوا صيغة مفاعلة استعملت هنا للمبالغة على غير حقيقتها، والمحافظة عليها هي المحافظة على أوقاتها من أن تؤخّر عنها... والمراد: الصّلوات المفروضة... وهي الصّلوات الخمس المتكرّرة؛ لأنّها الّتي تطلب المحافظة عليها"[4]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ المعارج: ٣٤ ، "والمفاعلة هنا للمبالغة في الحفظ مثل: عافاه الله، وقاتله الله، فالمحافظة راجعة إلى استكمال أركان الصّلاة وشروطها وأوقاتها..."[5]، وهذا ما ذهب إليه أبو السّعود في كون المفاعلة للمبالغة[6]، أمّا أبو حيّان فقد ذكر أنّها من باب طَارقت النّعل، ولمّا ضُمِّن معنى التّكرار والمواظبة عدّي بـ (على)، ثمّ أشار إلى أنّ البعض يبقي فَاعل على معناها وهو الاشتراك بين اثنين؛ أي احفظ صلاتك يحفظك الله الّذي أمرك بها[7]. فالمعنى الّذي ذهب إليه أبو حيّان هو دلالة التّكرير.

---

[1]: المصدر السّابق، 328/17.

[2]: المصدر نفسه، 58/28.

[3]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 391/1.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 466/2-477.

[5]: المصدر نفسه، 174/29.

[6]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 235/1.

[7]: البحر المحيط: أبو حيّان، 248/2.

إنّ ما ذهب إليه ابن عاشور وأبو السّعود لا نستطيع أن نحصل عليه بالفعل المجرّد «حَفِظ» فحَفظْتُ الشّيء: صُنْتُه؛ والحِفْظ نقيض النّسيان وهو التّعاهد وقلّة الغَفَلة، أمّا «حَافَظ» فهو بمعنى المواظبة على الأمر[1]، وهذا يدلّ على معنى بليغ في الآية وهو المبالغة في المواظبة على الصّلاة والمداومة عليها؛ لأنّها تؤذن أنّ المتعلّق بها حقّ عظيم يخشى التّفريط فيه كما أفاده ابن عاشور[2].

-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ آل عمران: ١٣٣ ، وهذه الآية ذُكر فيها بعض خصال المتّقين، الّذين أُمروا بالمبادرة إلى فعل الخيرات، والمسارعة إلى نيل القربات وعمل الطّاعات؛ ليفوزوا بمغفرة الله عزّ وجل ودخول الجنّة[3].

والشّاهد في الآية قوله: «وسَارِعُوا» حيث يقول ابن عاشور: "وجيء بصيغة المفاعلة، مجرّدة عن معنى حصول الفعل من جانبين، قصد المبالغة في طلب الإسراع، والعرب تأتي بما يدلّ على الوضع بتكرّر الفعل وهم يريدون التأكيد والمبالغة دون التّكرير"[4]، أمّا أبو حيّان وابن عطية فقد أشارا إلى دلالة المشاركة بقولهم: "والمسارعة مفَاعَلة، إذ النّاس كلّ واحد منهم ليصل قبل غيره فبينهم في ذلك مفاعَلة"[5]؛ أي اشتراك النّاس في المبادرة إلى فعل الطّاعات الّتي توصلهم إلى ما وعدهم الله به من النّعيم كلّ حسب عمله؛ فمنهم سابق ومنهم متأخّر.

فالمعنى الّذي ذكره ابن عاشور لا يُتَوصّل إليه بالفعل «سَرُع»؛ لأنّه نقيض البطء، أمّا «سَارع» فهو بمعنى المبَادَرة إلى الشّيء[6]، وعلى هذا يكون المعنى المراد من هذه الدّلالة في الآية: المبالغة في المبادرة إلى عمل الطّاعات الّتي تكون سببا في استحقاقهم لمغفرة الله سبحانه ودخول الجنّة.

---

[1]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ح. ف. ظ). وينظر: المصباح المنير: الفيومي، ص142.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 466/2.

[3]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 530/1، وينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص148.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 89/4.

[5]: البحر المحيط: أبو حيّان، 61/3. وينظر: المحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 507/1.

[6]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (س. ر. ع).

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ البقرة: ١٠٤، ورَاعِنا: أمر من رعاه يراعيه وهو مبالغة في رعاه يرعاه، إذا حرسه بنظره من الهلاك[1].

وهذا المعنى أيضا ذكره في قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٥، حيث قال: "والمؤاخذة مفاعلة من الأخذ بمعنى العدّ والمحاسبة... فالمفاعلة هنا للمبالغة في الأخذ، إذ ليس فيه حصول الفعل من الجانبين"[2]، وفي تفسيره للآية 286 من سورة البقرة بقوله أنّ المؤاخذة مفاعلة وهي للمبالغة[3]، وهذا ما ذكره أيضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء: ١٤٢، حيث يقول أنّ المفاعلة هنا لمجرّد المبالغة في الإراءة[4]. وذكره أيضا في قوله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ غافر: ٤، بقوله: "فصيغة المفاعلة للمبالغة في الفعل من جانب واحد لإفادة التّكرّر مثل: سافر، وعافاه الله"[5].

ملاحظة:

يعبّر ابن عاشور عن دلالة المبالغة والكثرة بمعنى الشّدّة والقوّة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الإسراء: ١١٠، والمخافتة مفاعلة من خَفت بكلامه؛ إذا أسرّ به، وصيغة المفاعلة مستعملة في معنى الشّدّة... أي اطلب سبيلا بين الأمرين ليحصل المقصود من إسماع النّاس القرآن وينتفي توهّم قصد التّطاول عليهم[6]، وفي قوله أيضا: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 651/1.

[2]: المصدر نفسه، 380/2.

[3]: المصدر نفسه، 140/3.

[4]: المصدر نفسه، 240/5.

[5]: المصدر نفسه، 82/24.

[6]: المصدر نفسه، 238/15.

﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ٢٩﴾ الفتح: ٢٩، وصيغة المفاعلة في «آزَرَه» على قراءة الجمهور مستعارة لقوّة الفعل مثل قولهم: عافاك الله[1].

-فَاعَلَ بمعنَى فَعَل: وعلّقَ ابنُ عَاشور على هَذه الدَّلالَة في موضعين:

-الأوّل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾ البقرة: ٢٢٣، وفي هذهِ الآية تَحذِيرُ الله سبحَانَه لِعبَادِه مِمّا نَهَاهُم عَنْه مِن المَعاصِي وتخويفٌ لَهُم مِنْ عِقابِه عِندَ لِقائِه[2].

ومحلّ الشّاهد في الآية قوله: «مُلَاقُوهُ»، وهو اسمُ فَاعِل مِنْ «لَاقَى» المزيد فيه بالألف، حيث ذَكَر ابن عَاشُور أنَّ "المُلَاقَاة مُفَاعَلَة مِن اللِّقَاء وأصل مَادَةِ لَقِي تَقْتضِي الوقوعَ بينَ الشّيْئين فَكانت مفيدة معنَى المفاعلة بمجرّدِها، فلذلك كان «لَقِي» و «لَاقَى» بمعنى واحد[3]، ولم يعلّق أبُو حيّان في هذَا الموضع عن دلالة الصّيغة؛ لأنّهُ علّقَ عليها قبل ذلكَ في قوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ٧٦﴾ البقرة: ٧٦ حيثُ ذكر أنّ السّميفع قرأها «لَاقُوا»؛ و«لَاقُوا» هنا بمعنى «لَقُوا»[4]، أمّا ابن عاشور فلم يعلّق على دلالة الفعل في هذا الموضع بل علّق عليه في موضع متأخّر عنه.

إنّ الفعلُ «لَقِيَ» يعني مقابلة الشّيءِ ومصادَفتُه معا، والملاقاة تَوافِي الاثنين متقابلين، وملاقاة الله عزّ وجلّ هي عبارة عنِ القيامَة وعن المصيرِ إليه[5]، وهذا أفادَ معنى في الآية وهوَ تحقُّقُ لقاء اللهِ عزّ وجلّ ومقابلته يومَ القيامَة.

---

[1]: المصدر السّابق، 26/208-209.

[2]: جامع البيان: الطّبري، 3/763.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 2/375.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 1/439.

[5]: المفردات: الأصفهاني، ص584، وينظر: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 5/261.

- والثّاني قوله تعالى:﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٨، وفي هذه الآية إخبار عَن قَول بَني إسرائِيل لموسَى عليه السّلام حِينَ جَاوَزُوا البحر[1].

والشّاهد في الآية قَوله: «جَاوَزْنَا»، وقَدْ ذَكَرَ ابن عاشور أنَّ "المجَاوَزَة البُعدُ عَن المكَانِ عَقْبَ المُرُورِ فيه، يُقالُ: جَاوَزَ بمعنَى جَازَ كما يُقالُ: عَالَى بِمعنَى عَلَا"[2]، وهذا ما ذَهَبَ إليه أبُو حيّان وأبُو السّعُود في أنّ جَاوَز المزِيد فِيه بِمعنَى المجرّد[3].

وهذا المعنَى الّذي ذكره المفسّرون لا يكون بالفعل المجرّد؛ لأنَّ «جَازَ الشّيءَ» بمعنَى لزِم وسطَه، أمّا جَاوَزَ: بمعنَى سارَ فِيه وسَلَكَه[4]، وعليهِ فإنَّ هذهِ الزّيادةَ أفادَت معنى في الآية وهوَ سُلوكُ بنِي إسرائيل البحر والسّير فيه.

-فَاعَل بمعنى أفْعَل:

وعلّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في موضع واحد وهو قوله تعالى:﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿١٩﴾ ﴾ سبأ: ١٩، وفي هذه الآية دلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، حيث سألوا الله أن يباعد بين أسفارهم ويجعل بينهم وبين القرى الّتي كان السّير فيها متيسّرا مفَاوز وفلوات، فردّ عليهم سبحانه بسلب هذه النّعم منهم وتخريبها[5].

والشّاهد في الآية قوله: «بَاعِد» على قراءة الجمهور، والمباعدة بصيغة المفاعلة قائمة مقام همزة التّعدية والتّضعيف، فالمعنى: ربّنا أبْعِد بين أسْفارنا[6].

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 307/2.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 79/9.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 376/4. وإرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 267/3.

[4]: لسان العرب: ابن منظور، (مادة: ج. و. ز). وينظر: المفردات: الأصفهاني، ص134. ومقاييس اللّغة: ابن فارس، 494/1.

[5]: جامع البيان: الطّبري، 265/19. وينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص677.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 177/22.

فالفعل المجرّد «بَعُد» من البُعْد بالضّم: ضدّ القرب، وأبعَده الله: نحّاه عن الخير[1]، وبما أنّ باعَد بمعنى أبْعد فهذا يدلّ أنّهم من بطرهم لنِعَم الله عليهم سألوه أن ينحّيها عنهم، فاستبدلوا هذه النِّعَم وما يسّره لهم من الخيرات دون عناء وجهد، بما هو أدنى منها وهو ما يحصل عليه بالكدّ والتّعب.

-الاستغناء عن المجرّد: وذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في موضعين:

- الأوّل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨، وفي هذه الآية ذكر لمحاجّة النّمرود لإبراهيم عليه السّلام في ربّه[2].

وموضِعُ الشّاهد في الآيةِ قولُه: «حَاجّ»، يقول ابن عاشور: "ومعنى حاجَّ خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاجّ في الاستعمال فعل مجرّد دالّ على وقوع الخصام، ولا تُعرف المادّة الّتي اشتقّ منها"[3]، وذكر في موضع آخر ذكر أنّ صيغةَ المفاعلة في «حاجّ» غَيرُ مَقصُود بها حُصُول الفعل مِن الجانِبَين بَل هِي لتأكيد الاحتجاج وذلك في الآية 76 من سورة البقرة[4]، وذَكَرَ ابنُ عطيّة أنّ "المتحاجَّيْن كلُّ واحِد مِنْهُما يَقصِد غَلَبَة الآخَر"[5]؛ فكلامه يشير إلى معنى المُشَارَكة، وكأنّ كلّ واحد مِنْهما يُحَاجِجُ الآخر.

فالفعلُ المجرّدُ «حَجَّ» يعني القصْد إذا كَانتْ مِنَ الحَجِّ، وحَجَّه يَحُجّه حجّا، وحاججْتُه أُحاجُّه حِجَاجا كلّها بمعنى الغلَبَة بِالحُجَج[6]؛ وقد يكون «حاجّ» مسْتعمل في معنَى المخَاصمَة، وعليه فإنّ الصّيغة جاءت ملائمة للسّياق وهو مخَاصَمَةُ النّمرود لإبراهيم عليه السّلام في ربوبيّة اللهِ تعالى.

---

[1]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ب. ع. د). وتاج العروس: الزّبيدي، 435/7.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 319/1.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 31/3-32.

[4]: المصدر نفسه، 570/1.

[5]: المحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 169/1.

[6]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، (مادة: ح. ج. ج).

ـ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ النساء: ١٠٧، وهذه الآية تَشمُل "النّهيَ عَنْ المجادلة عمّن أذْنَبَ وتُوجَّه إليه عقُوبَة مِنْ حدّ أو تَعزيز، فإنَّه لا يُجَادَلُ عنْه بدَفْعِ ما صدَرَ مِنْهُ مِن الخيانَة"[1].

والشّاهدُ في الآيةِ قولُه: «لا تُجَادِلْ»، مضارِعُ جَادَلَ، ويَذكُرُ ابنُ عاشُور أنّ المُجادَلَةَ "مُفاعلَةٌ مِنَ الجَدَل ولَمْ يُسمَعْ لِلجَدلِ فِعلٌ مجرّدٌ أصلِيّ والمسمُوع مِنْه جَادَلَ"[2].

وهذَا المعنَى لا يَحصُلُ بالفعلِ المجرَّد «جَدَلَ»؛ لأنَّه بمعنَى أحْكَمَ فَتْلَ الشّيء، أمّا المجَادَلَة: فهي بمعنَى شدَّةُ الخصُومَة[3]، وهذا دلّ على النَّهي عَنْ شدّةِ المخاصَمة مع الّذين يَخْتانُون أنْفُسَهم.

–التكرير: إذا "كانَ فَاعَلَ مِنْ جَانبٍ واحِدٍ علَى وجهِ الكثرةِ لا الْحصْر"[4]، وعلّق ابن عاشور على موضعين في هذه الدّلالة:

ـ الأوّل قوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ ﴿٢٣﴾ ﴾ يوسف: ٢٣، وفي هذه الآيةِ إخبارٌ عَنِ امرأةِ العزيز الّتي رَاوَدَتْ يُوسفَ عليه السّلام عَنْ نَفسِه[5].

ومحلُّ الشّاهدِ في الآيةِ قولُه: «ورَاوَدَتْهُ»، وذكرَ ابنُ عَاشُور أنّ "المفاعلةَ مُستعْمَلة في التّكرير"[6]، وذهبَ أبُو السّعُود إلى أنّهُ "يَجُوزُ في هذِهِ الصّيغة أنْ تَكونَ لِمجرّدِ المبَالغَةِ أو أنّهَا مستعملَةٌ في بابِهَا أي المفاعلةَ مِنْ واحدٍ بمعنَى أنّها طَلَبَتْ مِنْهُ الفعلَ وهو مِنْها التّرْك"[7].

---

[1]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص200.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 134/5.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ج. د. ل).

[4]: المهذّب في علم الصّرف: صلاح مهدي الفرطوسي وهاشم طه شلاش، ص84.

[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 593/2.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 250/12.

[7]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 264/4.

والمعنَى الموجود في الفعلِ المزيدِ فيه لا نَلتَمِسُه في الفعل المجرّد «رَادَ»؛ لأنّه بمعنى: طَلَب والمُرَاوَدَةُ: بمعنى الإرَادَة[1]، وعليه فإنّ الصّيغة جاءت متوازية مع الجوّ لعام للحادثة وهو تكريرُ مراودة امرأة العزيز ليوسفَ عليه السّلام لإرَادَتِها له وشَغَفِها به.

-والثّاني: عندما تطرّق إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ البقرة: ٢١٨، حيث ذكر دلالتين للفعل «جَاهَد» وإحدى هاتين الدّلالتين هي دلالة التّكرير، بقوله: "...لأنّه يضمّ جهده إلى جهد آخر في نصر الدّين مثل المساعدة، وهي ضمّ الرّجل ساعده إلى ساعد آخر للإعانة والقوّة، فالمفاعلة بمعنى الضّم والتّكرير"[2].

ملاحظات:

يذكر ابن عاشور الكثير من المواضع الّتي فيها أكثر من دلالة في الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ البقرة: ٢١٨، حيث يقول في الفعل هاجَر: "وإنّما اشتقّ منه وزن المفاعلة للدّلالة على أنّه هجرٌ نشأ عن عداوة من الجانبين فكلّ من المنتقل والمنتقل عنه قد هجر الآخر وطلب بعده، أو المفاعلة للمبالغة[3]، وهذا ما أشار إليه في قوله: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٦ ، في كلمة «مُهَاجِر» حيث ذكر أنّ المفاعلة للمبالغة، أو لأنّ الّذي يهجر قومه يكونون هم أيضا قد هجروه[4]، ويذكر أيضا في فعل «جاهدوا» أنّ المجاهدة مفاعلة من الجهد وهو المشقّة وهي القتال لما فيه من بذل الجهد كالمفاعلة للمبالغة، وقيل: لأنّه يضمّ جهده إلى جهد آخر في نصر الدّين مثل المساعدة، وهي ضمّ الرّجل ساعده إلى ساعد آخر للإعانة والقوّة، فالمفاعلة بمعنى

[1]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ر. و. د).

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 337/2.

[3]: المصدر نفسه، 337/2، وينظر: المصدر نفسه، 176/5 في تفسيره للآية 97 من سورة النّساء وهي قوله تعالى: ﴿ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ ﴿٩٧﴾ ﴾

[4]: المصدر نفسه، 238/20.

الضّم والتّكرير[1]، ففي الفعل الأوّل «هاجر» جمع بين دلالة المشاركة والمبالغة، وفي الثّاني «جاهد» ذكر دلالتين أيضا وهما: المبالغة والتّكرير، وذلك دون أن يرجّح معنى على آخر وكأنّ كلا الدّلالتين تصحلان أن تكونا معنى في الآية الّتي ذكرت فيها.

وأحيانا يذكر معنيين ويرجّح أحدهما كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ ﴿٢٣١﴾ ﴾ البقرة: ٢٣١، حيث يقول: "والضّرار مصدر ضارّ وأصل هذه الصّيغة أن تدلّ على وقوع الفعل من جانبين، مثل: خاصم، وقد تستعمل في الدّلالة على قوّة الفعل مثل: عافاك الله، والظّاهر أنّها هنا مستعملة للمبالغة في الضّر"[2]، فهنا ذكر دلالتين: الأولى: المشاركة، والثّانية: المبالغة، ثمّ رجّح أن يكون معنى المبالغة أقرب في الصّيغة من معنى المشاركة، وفي قوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴿٨٠﴾ ﴾ الأنعام: ٨٠، حيث ذكر أنّ المحاجّة مفاعلة من الحجّة، ولا يعرف لها فعل مجرّد... فإن كانت المفاعلة فيها احتجاج من الجانبين فهي حقيقة وهو الأصل، وإن كانت من جانب واحد باعتبار أنّ محاول الغلب في الحجّة لا بدّ أن تتلقّى من خصمه ما يردّ احتجاجه فتحصل المحاولة من الجانبين، فعلى كلا الاحتمالين الدّلالة هنا للمشاركة، ثمّ ذكر أن المفاعلة فيه قد تكون للمبالغة، وبعد ذلك رجّح دلالة المشاركة بقوله أنّ الأولى حملها على الحقيقة، بمعنى حصول المحاجّة بينهم وبين إبراهيم عليه السّلام[3].

وأحيانا أخرى يؤكّد معنى وينفي معنى آخر عن الصّيغة كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ الأعراف: ٢١، بقوله أنّ المفاعلة هنا للمبالغة وليست لحصول الفعل من الجانبين[4].

---

[1]: المصدر السّابق، 337/2.

[2]: المصدر نفسه، 423/2.

[3]: المصدر نفسه، 326/7.

[4]: المصدر نفسه: ابن عاشور، القسم الثاني، 60/8.

ملاحظات عامّة حول الفصل:

لقد ذكر ابن عاشور في بعض المواضع أنّ هناك آيات تحتمل صيغتين كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٦ ، حيث ذكر ابن عاشور قراءة يعقوب في «أَمرْنا» التّي تحتمل صيغتين بقوله: وقرأ يعقوب «آمَرْنَا» بالمدّ بهمزتين همزة التّعدية وهمزة فاء الفعل؛ أي جعلناهم آمرين، أي داعين قومهم إلى الضّلالة... أو الألف ألف المفاعلة، والمفاعلة مستعملة في المبالغة، مثل: عافاه الله[1]، حيث ذكر صيغتين للفعل «أمَر»؛ ويدلّ ذلك على أنّ الفعل «آمر» في الآية يجوز توجيهه على صيغة (أفْعَل أوفَاعَل).

لقد اعتنى ابن عاشور بتبيين معاني صيغ الأفعال الثّلاثيّة المزيدة بحرف في القرآن الكريم حيث ذكر في صيغة «أفْعَل» اثنا عشر معنى، وصيغة «فَعَّل» تسعة معان، وصيغة «فَاعَل» ستّة معان؛ اشتركت الصّيغ الثّلاث في معنى واحد وهو: الاستغناء عن المجرّد، أمّا صيغة (أفعَل وفعّل) فقد اشتركا في أربعة معان وهي: التّعدية، والسّلب أو ما يسمّى أيضا بالإزالة، الدّخول في الشّيء، والاستغناء عن المجرّد، أمّا (أَفعَل وفَاعل) فاشتركتا في معنيين هما: الاستغناء عن المجرّد، وأَفْعَل أو فَاعَل بمعنى فَعَل، و(فَعَّل و فَاعَل) اشتركتا في ثلاثة معان وهي: المبالغة والكثرة، والاستغناء عن المجرّد، وفَعَّل أو فَاعَل بمعنى أَفْعَل. وانفردت صيغة «أَفْعَل» بدلالة: التّعريض، والحينونة، والصّيرورة، ووجود المفعول على صفة، وأفعل مطاوع فَعَل، وأفْعَل بمعنى فَعَّل، وأفْعَل بمعنى استَفعَل، أمّا صيغة «فَعَّل» فانفردت بدلالة: اختصار الحكاية، والنّسبة، وفَعَّل بمعنى تَفَعَّل. وأخيرا صيغة «فَاعَل» انفردت بدلالتين: المشاركة، والتّكرير.

كما تُبيّنُ النّماذج السّابقة مدَى اهتمام ابن عاشور بأفعال هذا الباب وذكر معانيها، وتعليقه عليها لا سيما صيغَة أفْعَل فأكثرُ ما علّقَ عليه ابن عاشور خاصّ بهذه الصّيغة وأكثر دلالة بارزة فيها هي دلالَةُ التّعديةِ، ثمّ تليهَا صيغةُ فَعَّل، ثمَّ صيغَة فَاعَل وهي أقلُّ صيغ هذا الباب ذكرا في القرآنِ الكريم.

المطلب الثّاني: المزيد بحرفين:

وهي الأفعال الّتي زِيد فيها حرفان على حروفها الأصلية الثّلاثة وهي خمسُ صِيغ، تلْحَقُها الزّيادَة في صَدر الكَلام وحشْوِه نَحْوَ: افْتَعَل: كاشْتَوَى واسْتَوَى وانْتَبَذ... ومضارِعُه «يَفْتَعِل» نحو: يَسْتَوِي

[1]: المصدر السّابق، 55/15.

ويَنْتَبِذُ...، وتَفَعَّل: كتَيَقَّن، وتَجَبَّر، وتَكَبَّر... ومُضَارِعُه «يَتَفَعَّل» نحو: يَتَيَقَّنُ ويَتَكَبَّر...، وتَفَاعَل: تَثَاقَل وتعَاوَن وتَهَاوَن... ومضارِعُه «يَتَفَاعَل» نحو: يَتَثَاقَلُ ويَتَعَاوَنُ... وهاتَان الصّيغَتَان هناك مَنْ يَجعَلُهُمَا مُلْحَقَتَين بـ «تَدَحْرَج»[1]، وانْفَعَل: كانْطَلَق وانْفَجَر وانْفَطَر... ومضارِعُه «يَنْفَعِل» نحو: يَنْطَلِقُ ويَنْفَجِرُ...، وهناك ما يلحقها الزّيادة في الْأخيرِ نَحْوَ: افْعَلّ: كابْيَضّ واعْوَرّ... ومضارِعُه «يَفْعَلّ» نحو: يَحْمَرُّ ويَبْيَضُّ...، وهذهِ الصّيغُ هناك من يُدرِجُهُما تحت قسمِ غير الملحق غير المماثِل للرّباعي[2]، ولكلِّ صِيغة مَعَان خَاصَة بِها وقد تَشتَرِكُ في بَعض المعَانِي.

1-معاني افْتَعَل.

وقد ذَكر أبُو حيّان لهذه الصّيغة اثْنَي عشَر معْنى[3]، وذَكَرَ لها ابنُ عُصفور سِتَّة مَعان[4]، والمعَانِي الّتي وَرَدَتْ لها هَذِه الصّيغةُ في القرآن الكريم ما يلي:

-المشَارَكَة: وهذه الدَّلالةُ في باب المزِيدِ بِحرفين، تَختَلِف عن المشَاركة في بَاب المزيد بحرف في «فَاعَل»؛ لأنَّ أحدَ المُتشَارِكَيْن في صيغةِ «فَاعَل» يكون منصوبًا عَلى المَفْعُولِيَّة نحْوَ قولِك: ضارَبَ زيْدٌ عمراً، أمّا في صيغَةِ «افْتَعَل» فإنَّ المتَشَارِكَيْن يكُونَانِ مشْتَرِكَينِ في الرّفعِ وذلك نحْوَ: اخْتَصَمَ زيدٌ وعمرٌ[5]. وعلّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في بعض المواضع وهي:

-قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ يوسف: ١٧، وفي هذه الآية إخبار عمّا قاله إخوة يوسف عليه السّلام لأبيهم عندما رجعوا إليه فيما حلّ بأخيهم كما زعموا عند ذهابهم للاستباق والانتضال، وعُذْرهم الكاذب في ذلك وهو وأكل الذّئب له[6].

---

[1]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص172.

[2]: المصدر نفسه، ص172-175.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 156/1. وينظر: الدّر المصون: السّمين الحلبي، 90/1.

[4]: الممتع: ابن عصفور، ص131.

[5]: دروس التّصريف: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ص77.

[6]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 591/2.

والشّاهد في الآية قوله: «نَسْتَبِقُ» مضارع استبق، يقول ابن عاشور: "والاستباق: افتعال من السّبق، وهو هنا بمعنى التّسابق قال في الكشاف: والافتعال والتّفاعل يشتركان كالانتضال والتّناضل، والارتماء والتّرامي، أي فهو بمعنى المفاعلة"[1]؛ أي نتسابق في العدو أو في الرّمي[2]، وهذا ما ذكره أبو السّعود والسّمين الحلبي في تفسيريهما[3]، أمّا أبو حيّان فلم يعلّق عليه في هذا الموضع؛ لأنّه علّق عليه في موضع سابق بقوله: "وذكرنا أنّ استبق بمعنى: تسابق، فهو يدلّ على الاشتراك..."[4]

وهنا يشير المفسّرون إلى دلالة المشاركة في صيغة افْتَعَل، وما قاله ابن عاشور في أنّ الصّيغة بمعنى المفاعلة يدلّ عليها قول علماء الصّرف عندما يطلقون معنى المفاعلة على دلالة المشاركة.

وهذا المعنى لا يحصل بالفعل المجرّد «سَبَق»؛ لأنّه بمعنى التّقدّم في السّير، أمّا «استَبَق» فهو بمعنى الانتضال وقيل هو المباراة في الرّمي بالسّهام[5]، وهذا المعنى المذكور يدلّ على الحجّة الكاذبة التّي أخبر بها إخوة يوسف عليه السّلام أباهم؛ وهي اشتراكهم في التّسابق والتّباري بالرّمي بالسّهام، حين زَعموا أنّ أخاهم أكله الذّئب.

تنبيه:

إلّا أنّ ابن عاشور يذكر الفعل نفسه في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴿٢٥﴾ ﴾ يوسف: ٢٥ ويشير إلى دلالة غير هذه الدّلالة بقوله: "وهو هنا إشارة إلى تكليفها السّبق؛ أي كلّ واحد منهما يحاول أن يكون هو السّابق إلى الباب"[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 236/12.

[2]: ينظر: الكشّاف: الزّمخشري، 262/3.

[3]: ينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 259/4. والدّر المصون: السّمين الحلبي، 455/6.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 612/1.

[5]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (س ب ق) و(ن ض ل)، والمفردات: الأصفهاني، ص294.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 255/12.

-وقوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ الحج: ١٩، وفي هذه الآية ذكر لاختصام المؤمنين والكفّار في دين ربّهم[1].

والشّاهد في الآية قوله: «اخْتَصَمُوا»، يقول ابن عاشور: "والاختصام افتعال من الخصومة. وهي الجدل والاختلاف بالقول، يقال: خَاصَمه، واختَصَما، وهو من الأفعال المقتضية جانبين فلذلك لم يسمع منه فعل مجرّد، ألّا إذا أريد منه معنى الغلب في الخصومة... واختصام فريقي المؤمنين وغيرهم معلوم عند السّامعين قد ملأ الفضاء جلبته..."[2]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾ ق: ٢٨، والاختصام: المخاصمة وهو مصدر بصيغة الافتعال الّتي الأصل فيها أنّها لمطاوعة بعض الأفعال فاستعملت للتّفاعل مثل: اجتوروا، واعتوروا، واختصموا...[3].

والمعنى الّذي ذكره ابن عاشور لا يحصل بالفعل المجرّد «خَصَم»، لأنّه بمعنى غلبتُه في الخُصُومَة، أمّا "اخْتَصَم" فهو بمعنى جَادَل[4]، وهذا أضاف معنى في الآية يشير إلى الجدال الواقع بين المؤمنين والكفّار في شؤون الدّين.

إلّا أنّه ذكر فعل «اختصم» في قوله: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ص: ٦٩ أنّها تدلّ على المبالغة في خصم[5].

كما علّق ابن عاشور على قراءة حمزة ورويس ويعقوب في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ ﴿٨﴾ ﴾ المجادلة: ٨، حيث قُرِأ يَتَنَاجون: يَنْتَجُون

[1]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 493/16-494.
[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 228/17.
[3]: المصدر نفسه، 315/26.
[4]: ينظر: المصباح المنير: الفيومي، ص171. وتاج العروس: الزّبيدي، 101/32.
[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 298/23.

بصيغة الافتعال من نجا الثّلاثي المجرّد؛ أي سارّ غيره، والافتعال يرد بمعنى المفاعلة مثل: اختصموا، واقتتلوا[1].

-الطّلب: وقد علّقَ ابن عاشُور على هذِه الدَّلالة في ثلاثة مواضع:

- الأوّل قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣، وفي هذه الآية دعوة إلى التّمسك بدين الله وشرعه الّذي أمرهم به، وعهده الّذي عهده إليهم في كتابه من الألفة والاجتماع على الحقّ، والتّسليم لأمر الله[2].

الشّاهد قوله: «اعْتَصِمُوا»، يقول ابن عاشور: والاعتصام افتعال من عصَم وهو طلب ما يعصم أي يمنع[3]؛ فـ «عصَم» المجرّد بمعنى: منع ووقى، أمّا «اعْتَصَم»؛ إذا هيّأ له شيئا يعتصم به[4]، وهذا زاد من شأن الآية زيادة لا مثيل لها حيث دلّ على طلب التّمسّك بدين الله سبحانه وكتابه العزيز والاحتكام إليه، وذلك بالامتثال لأوامره واجتباب نواهيه ودَرْء الوقوع في المعاصي.

- الثّاني في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنعام: ٣٥، أي وإنْ كان عظم عليك يا محمّد إعراض هؤلاء المشركين عنك، وانصرافهم عن تصديقك فيما جئت به من الحقّ، رغم حرصك عليهم ومحبّتك لإيمانهم، فإن استطعت أن تأتيهم بعلامة وبرهان على صحّة قولك غير الّذي أتيتك فافعل، فليس في مقدورك أنْ تهدي من لم يرد الله هدايته، وهذا قطع لطمعه في هدايته أشباه هؤلاء المعاندين[5].

---

[1]: المصدر السّابق، 30/28.

[2]: جامع البيان: الطّبري، 643/5.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 31/4.

[4]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ع. ص. م).

[5]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 225/9-226. وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص255.

موضع الشّاهد قوله: «تَبْتَغِي» مضارع ابتغى، يقول ابن عاشور: "والابتغاء: الطّلب... ومعنى الطّلب هنا: البحث؛ أي أن تطلب نفقا أو سلّما لتبلغ إلى خبايا الأرض وعجائبها، وإلى خبايا السّماء"[1]، فـ (بَغَى الشّيءَ) إذا طَلَب أكثر ما يجب وكذلك (ابْتَغَى)[2]، حيث يستوقفنا هذا المشهد العظيم على رغبة النّبيّ ﷺ وحرصه على إيمان المكذّبين به وهدايتهم، إلّا أنّ الله سبحانه قطع طمعه من هداية هؤلاء المعاندين لحكمة بالغة، فهو الذّي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

– والثّالث قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ البقرة: ٢، في كلمة «المتّقِين» حيث يقول: "وهي اسم فاعل مِنْ اتّقى، حيث ذكر ابن عاشور أنَّ "المتّقِي مَنْ اتَّصفَ بالاتِّقاء وهو طلب الوقايَة... والمراد هنا المتّقين الله؛ أي الّذين هم خائفون غضبه واستعدّوا لطلب مرضاته واستجابة طلبه فإذا قُرِئ عليهم القرآن استمعوا له وتدبّروا ما يدعو إليه فاهتدَوا"[3].

–التَّكلُّف: وهو "الدَّلالة على الرَّغبة في حصُول الفعل لَه واجتِهاده في سبيل ذلكَ، ولا يكون ذلِك إلّا في الصِّفات الحَميدة"[4]، وقد يكون في الصّفات غير المحمودة، وممّا ذكره ابن عاشور في هذِه الدّلالة ما يلي:

–قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ ﴾ طه: ١٣، وفي هذهِ الآيةِ إخبارٌ عنِ اختيارِ اللهِ تعالَى لموسَى عليهِ السّلام ليكونَ رسولًا لقومِهِ حتَّى يُبَلِّغَ رِسالاتِ ربِّه[5].

والشّاهدُ في الآيةِ قولُهُ: «اخْتَرْتُكَ»، وذَهَب ابنُ عاشور إلى أنَّ "الاختِيارَ تَكَلُّفُ دَلالةِ ما هوَ خير، واسْتُعْمِلَتْ صيغَة التَّكلّفِ في معنَى إجادة طلب الخيرِ"[6]، وقد ذكَرَ في موضِع آخر قولَه تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ ١٥٥ ﴾ الأعراف:١٥٥، وأشار إلى أنَّهُ افْتِعَال مِنَ

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 204/7.
[2]: ينظر: المفردات: الأصفهاني، ص71. ومقاييس اللغة: ابن فارس، 271/1.
[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 226/1.
[4]: التّطبيق الصّرفي: الراجحي، ص42.
[5]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 183/3.
[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 198/16.

الخَير وقد صِيغَ الفِعْل مِنْ غيرِ دَلَالَة على المطَاوعةِ لِلفِعل «خَارَ»[1]. وقد يكوُن الفعل بمعنَى الاستغناء عنِ المجرّد لأنّهُ لم يُسْمَعْ له –أي اخْتَارَ– فعل مجرّد في الاستعمال.

وهذا المعنَى لا يحصُل بالفعل المجرّد «خَار»؛ لأنّهُ بمعنَى فَضَّل، أمّا «اخْتَار» فهو بمعنَى الاصْطِفَاء والانْتِقَاء[2]، ومنْ هنا فقدْ أضْفَت الزّيادَة معنى في الآية وهو اختيار الله تعالى لموسَى عليه السّلام لتلقّي الوحيّ كما أفادَه ابن عاشور[3].

–قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنعام: ٧٤، وفي هذه الآية ذكر لقصّة إبراهيم عليه السّلام مع أبيه وما قاله له في حال دعوته إلى التّوحيد وعبادة الله وحده، وإنكاره عليه عبادة الأصنام واتّخاذها آلهة[4].

والشّاهد في الآية قوله: «تَتَّخِذُ»، حيث يقول ابن عاشور: و "تتَّخِذ" مضارع اتّخذ، وهو افتعال من الأخذ، فصيغة الافتعال فيه دالّة على التّكلّف للمبالغة في تحصيل الفعل... ومعنى تتَّخذ هنا تصطفي وتختار؛ فالمراد أتعبد أصناما. وفي فعل «تَتَّخِذ» إشعار بأنّ ذلك شيءٌ مصطنع مفتعل وأنّ الأصنام ليست أهلا للإلهيّة[5]، فتَخِذ الشّيء واتّخذه: عمله، وقيل: تَخِذْتُ زَيدا خليلا بمعنى جَعَلْتُه واتّخذتُه كذلك[6]. وقد يكون «اتّخذ» بمعنى الاستغناء عن المجرّد؛ لأنّه لم يسمع له فعل مجرّد في الاستعمال.

وهذا المعنى الّذي ذكره ابن عاشور يدلّ على إنكار إبراهيم عليه السّلام لتكلّف أبيه وقومه اختيار الأصنام الّتي يصنعونها بأيديهم آلهة تعبد من دون الله سبحانه.

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 123/9.

[2]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (خ. ي. ر).

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 199/16.

[4]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص262.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 312/7-313.

[6]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ت. خ. ذ). والمصباح المنير: الفيومي، ص73.

-قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٨، وفي هذه الآية وعيد من الله سبحانه للّذين ينسبون إلى المؤمنين ما هم برآء منه على سبيل العيب والتّنقّص لهم[1].

والشّاهد قوله: «احْتَمَلُوا»، يقول ابن عاشور: "ومعنى احتملوا: كلّفوا أنفسهم حملا، وذلك تمثيل للبهتان بحمل ثقيل على صاحبه، وقد تقدّم نظيره في قوله تعالى: ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ في سورة النّساء"[2]، أمّا أبو حيّان فلم يعلّق على دلالة الفعل «احْتَمل» في سورة الأحزاب؛ لأنّه علّق عليه في سورة النّساء بقوله: "ولفظ «احْتَمَل» أبلغ من حَمَل؛ لأنّ افْتَعَل فيه للتّسبّب كاعتَمَل، ويحتمل أن يكون افتعل فيه للمجرّد"[3].

فالفعل «حَمِل» المجرّد من الحِمل وهو ما يحمل على الظّهر أو الرّأس، و«احْتَمَل» بمعنى حَمل[4]، فالحمل يكون للشّيء الخفيف، والاحتمال يكون للشّيء الثّقيل، وعليه يكون المعنى تكلّفهم حمل الإثم بسبب رميهم للمؤمنين بما ليس فيهم للانتقاص منهم.

وذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في بعض المواضع منها قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ الحجر: ١٨، "واستراق السّمع سرقته، صيغ وزن الافتعال للتّكليف، ومعنى استراقه الاستماع بخفية إلى المتحدّث كأنّ المستمع يسرق من المتكلّم كلامه الّذي يخفيه عنه"[5]، وفي قوله أيضا: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ النساء: ١٠٧، يقول ابن عاشور: "يختانون بمعنى يخُونون وهو افتعال دالّ على التّكلّف والمحاولة لقصد المبالغة في الخيانة. ومعنى خيانتهم أنفسهم أنّهم بارتكاب ما يضرّ بهم كانوا بمنزلة من يخون غيره"[6].

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 646/3.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 106/22.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 361/3.

[4]: ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس، 106/2. والمصباح المنير: الفيومي، ص151-152.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 31/14.

[6]: المصدر نفسه، 194/5.

ملاحظة:

لقد علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في اسم الفاعل والمفعول كما قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ ﴿٩٠﴾ ﴾ التوبة: ٩٠، "والمعذّرون: أصله المعتذرون اسم فاعل من اعتذر فأدغمت تاء الافتعال في الذّال، بمعنى تكلّف العذر... فاستعملت مادة الافتعال للتكلّف في الفعل..."[1]، وفي قوله أيضا: ﴿ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الحجر: ٩٠، والمُقْتَسِمين: "اسم فاعل من اقْتَسَم، وهو افتعال من قسَّم إذا جعل شيئا أقساما، وصيغة الافتعال هنا تقتضي تكلّف الفعل"[2]، وكذلك في قوله: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الكهف: ٢٧، و«ملتَحَدا» اسم مفعول من التَحَد، وصيغة الافتعال للتّكلّف[3].

–المبالغة: وتكونُ صيغَةُ افْتَعَلَ تفيد "المبالغة في معنَى الفعل"[4]، وقد علّق ابن عاشور على هذه الدَّلالةُ في مواضع كثيرة منها:

–قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنعام: ٨٧، ذكر الله سبحانه في هذه الآية هدايته لبعض من آباء الأنبياء والرّسل، وأبنائهم وإخوانهم للحقّ والدّين الخالص، فوفّقهم له، واختارهم لبلاغ رسالته إلى مَن أرسلهم إليهم[5].

والشّاهد قوله: «واجْتَبَيْنَاهُم»، يقول ابن عاشور: "والاجتباء الاصطفاء والاختيار... فالافتعال فيه للمبالغة مثل الاضطرار..."[6]، والمعنى الذّي ذكره ابن عاشور لا نحصل عليه بالفعل «جَبَى»؛ لأنّه بمعنى جَمَع، أمّا «اجْتَبَى» بمعنى اختار واصْطفى[7]، حيث دلّ على المبالغة في اصطفاء الأنبياء والرّسل عليهم

---

[1]: المصدر السّابق، 292/10-293.

[2]: المصدر نفسه، 85/14.

[3]: المصدر نفسه، 304/15.

[4]: شذا العرف: أحمد الحملاوي، ، ص81.

[5]: جامع البيان: الطّبري، 385/9-386.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 349/7-350.

[7]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ج. ب. ى).

السّلام؛ لأنّ الله اختارهم فجعلهم موضع هديه؛ فهو أعلم حيث يجعل رسالته ونبوءته وهديه كما أفاده ابن عاشور[1].

-قوله تعالى: ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ الأنعام: ١١٣، وفي هذه الآية إشارة إلى ما يوحي به الشّياطين من تزيين القول بالباطل إلى بعض ليغرّوهم ويفتنوهم عن دينهم، فتميل إليه قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة، ويَرْضَوْنه، فينتج عن ذلك أن يكتسبوا من الأعمال والأقوال السّيئة والقبيحة ما هم مكتسبون[2].

ومحلّ الشّاهد قوله: «وليَقْتَرِفُوا» مضارع اقْتَرَف، والاقتراف كما قال ابن عاشور "افتعال من قَرَف إذا كسب سيّئة؛ لأنّ الاقتراف لا يكون إلّا في اكتساب الشّر، ويقال: قَرَف واقتَرف وقارف، وصيغة الافتعال وصيغة المفاعلة فيه للمبالغة، وهذه المادّة تؤذن بأمر ذميم"[3]، وهذا المعنى لا نلتمسه في الفعل المجرّد «قَرَف»؛ لأنه بمعنى قَشَر ونَحَت؛ وقيل: قَرَف الشّيء أيضا بمعنى كسب، أمّا «اقْتَرَف» فهو بمعنى اكتسب وعمل وفَعَل[4]، فوظّفت هذه الصّيغة في بيان شدّة مبالغة المغترين بأقوال الشّياطين ما أدّى بهم إلى اكتساب الأعمال والأفعال السّيّئة الّتي يؤثم عليها صاحبها ويُجزَى عنها سُوء الجزاء.

-قوله تعالى: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ الكهف: ١٨، وفي هذه الآية ذكر لما ألقاه الله سبحانه على أصحاب الكهف من المهابة لئلّا يدنو منهم أحد، حتّى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم الّتي شاء الله تبارك وتعالى فيهم، لما له في ذلك من الحكمة والحجّة البالغة والرّحمة الواسعة[5].

والشّاهد قوله: «اطَّلَعْت» يقول ابن عاشور: "والاطّلاع: الإشراف على الشّيء ورؤيته من مكان مرتفع، لأنّه افتعال من طَلَع إذا ارتقى جبلا، فصيغ الافتعال للمبالغة في فعل الطّلوع وهو الارتقاء كما ذكره

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 350/7.

[2]: جامع البيان: الطّبري، 503/9-505. وينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص270.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 12/8-13.

[4]: ينظر: لسان العرب: الن منظور، مادة (ك. س. ب). والمصباح المنير: الفيومي، ص499.

[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 97/3.

في قوله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ مريم: ٧٨[1]، ونظيره أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣، حيث ذكر ابن عاشور أنّ "الاطّلاع: افتعال من طلَع... وصيغة الافتعال فيه لمجرّد المبالغة، إذ ليس فعله متعدّيا حتّى يصاغ له مطاوع، فاطَّلع بمنزلة تطلّع؛ أي تكلّف الطّلوع لقصد الإشراف، والمعنى لا تزال تكشف وتشاهد خائنة منهم"[2].

وهذا المعنى الّذي ذكره ابن عاشور لا يحصل بالفعل المجرّد «طَلَع»؛ لأنّه بمعنى علا، وكلّ ما بدا لك من علوّ فقد طلع عليك، أمّا «اطَّلَع» فهو بمعنى نظر إليه، وقيل: أشرف عليه وعلم به[3]؛ أي لو أشرفت عليهم وبالغت في النّظر إليهم لفررت منهم لما ألقاه الله سبحانه عليهم من الهيبة والذّعر والرّعب وهو راقدون في ذلك الكهف المرتفع.

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في مواضع أخرى منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ يونس: ٩٣، بقوله: "والاختلاف افتعال أريد به شدّة التّخالف... وهي مشتقّة من الاسم الجامد وهو الخلف بمعنى الوراء، فتعيّن أنّ زيادة التّاء للمبالغة مثل: اكتسب مبالغة في كسب، فيحمل على خلاف شديد وهو مضادّة ما جاء به الدّين وما دعا إليه الرّسولﷺ "[4]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنفال: ٤٤، والالتقاء "افتعال من اللّقاء، وصيغة الافتعال فيه دالّة على المبالغة، واللّقاء والالتقاء في الأصل الحضور لدى الغير..."[5]، وفي قوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 282/15. وينظر: المصدر نفسه، 160/16.

[2]: المصدر نفسه، 144/6.

[3]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ط. ل. ع)، والمصباح المنير: الفيومي، ص375.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 282/11.

[5]: المصدر نفسه، 27/10.

﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ التوبة: ١٠٢، حيث ذكر أنّ الاعتراف: افتعال من عرف وهو المبالغة في العرف[1].

ملاحظة:

عندما يطلق ابن عاشور دلالة قوّة الفعل فإنّه يقصد بها المبالغة كما في قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ مريم: ٦٥، والاصطبار: شدّة الصّبر على الأمر الشّاق، لأنّ صيغة الافتعال ترد لإفادة قوّة الفعل[2]، إلّا أنّه ذكر لفعل «اصطبر» في موضع آخر معنى المطاوعة كما في قوله تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴿١٣٢﴾ ﴾ طه: ١٣٢ ، بقوله: والاصطبار: الانحباس، مطاوع صَبَره، إذا حبَسَه[3].

كما علّق على مصدر الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ ﴾ القمر: ٤ بقوله: والمزدَجَر: مصدر ميمي وهو مصاغ بصيغة اسم المفعول الّذي فعله زائد على ثلاثة أحرف، ازدَجَرَه بمعنى زَجَره، ومادّة الافتعال فيه للمبالغة، وهذا ما أشار إليه أيضا في قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾ القمر: ٩ في أنّ صيغة الافتعال للمبالغة[4].

–المطاوعة: وهي "أنْ تُرِيدَ مِنَ الشَّيءِ أمرا ما فتَبْلُغَهُ"[5]، والمطاوعةُ تكونُ "عكسَ التَّعديةِ فهي تُفْقِدُ الفعْلَ القُدرةَ على نَصبِ المفعولِ به"[6]، والغالبُ في افْتَعَل أنْ تكونَ للمطاوعة[7]، وتأتِي هذهِ الصّيغةُ لمطاوعةِ فَعَلَ، وأَفْعَلَ، وفَعَّل.

---

[1]: المصدر السّابق، 21/11.

[2]: المصدر نفسه، 142/16.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، 342/16.

[4]: ينظر: المصدر نفسه، 174/27-175-181.

[5]: الممتع: ابن عصفور، ص126.

[6]: علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص235. وينظر: الأبنية الصّرفية في السّور المدنية (دراسة لغويّة دلالية): عائشة محمّد سليمان قشوع، رسالة ماجستر، إشراف: أحمد حسن حامد، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2004م، ص30.

[7]: ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 108/1.

1- مطاوعة فَعَل: وممّا ذُكِرَتْ لهُ هذه الدّلالة في القرآن الكريمِ ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ ﴾ البقرة: ١٩٢، أي فإن انتهوا عن قتالكم عند المسجد الحرام وأنابوا إلى الإسلام والتّوبة فإنّ الله يغفر ذنوبهم[1].

والشّاهد في الآية قوله: «انْتَهَوا» ويذكر ابن عاشور أنّ الانتهاء: أصله مطاع نَهَى يقال: نهاه فانتهى ثمّ توسّع فيه فأطلق عن الكفّ عن عمل أو عن عزم؛ لأنّ النّهي هو طلب ترك فعل سواء كان الطّلب بعد تلبّس المطلوب بالفعل أو قبل تلبّسه به[2]، أمّا أبو حيّان فقد قال: "ومعنى انْتَهَى: كفّ، وهو افْتَعَل، من النّهي وهو فعل الفاعل بنفسه وهو نحو قولهم: اضطرب، وهو أحد المعاني الّتي جاءت لها افْتَعَل"[3]؛ أي نَهَاه يَنْهَاه نَهْيا وانْتَهَى بمعنى: كفّ[4]، فالمعنى يكون: فإن كفّوا عن قتالكم فلا تقتلوهم؛ لأنّهم تابوا إلى الله وأسلموا فغفر لهم.

-قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ سبأ: ٥٠، تشير هذه الآية إلى أمر من الله سبحانه لنبيّهﷺ أن يقول للمشركين: إنّ استقامته على الحقّ المبين هي بوحي من الله عزّ وجلّ إليه، وتوفيقه له[5].

موضع الشّاهد في الآية قوله: «اهْتَدَيْت» وهو مطاوع هَدَى، لما فيه من الإيماء إلى أنّ له هاديا، هو الله سبحانه، ليحصل شكره لله إجمالا ثمّ تفصيلا، وفي هذا إيماء إلى أنّه على هدى؛ لأنّه أثبت أنّ وحيا من الله واردا إليه[6]، فالفعل «هَدَى» يدلّ الإرشاد والتّبيين والدّلالة[7].

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 313/1.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 206/2-207.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 75/2.

[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ن. هـ. ى).

[5]: جامع البيان: الطّبري، 308/19. وينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 678/3.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 240/22. وينظر: المصدر نفسه، 170/25.

[7]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (هـ. د. ى).

-قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يس: ٥٩، وفي هذه الآية إخبار من الله سبحانه عمّا يؤول إليه الكفّار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا عن المؤمنين في موقفهم[1].

والشّاهد قوله: «امْتَازُوا» يقول ابن عاشور: "وامتاز مطاوع مازَهُ؛ إذا أفردَه عمّا مختلط معه... فيكون الميز بصوغ الأمر من مادة المطاوعة، فإنّ قولك لتنكسر الزّجاجة أشد في الإسراع بحصول الكسر فيها من أن تقول: اكسروا الزّجاجة"[2]، وهذا ما أشار إليه الزّمخشري بقوله: "ويقال: مازه فانماز وامتاز"[3]، فالفعل «مازَ الشّيء يميزه»؛ إذا فصل بعضه عن بعض، و «امْتَاز» إذا تنحّى عن الشّيء وصار في ناحية[4]، وهذا دليل على شدّة تنحيتهم بالابتعاد عن الجنّة، وذلك بأن يصيروا إلى النّار فيؤوّل إلى معنى: ادخلوا النّار كما أفاده ابن عاشور[5].

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في كثير من المواضع منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤، والارتداد مطاوع الرّدّ، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ ﴿٩٦﴾ ﴾ يوسف: ٩٦، "ارْتَدَّ بمعنى رجع، وهو افتعال مطاوع ردّه؛ أي ردّ الله إليه قوّة بصره كرامة له، وليوسف عليه السّلام..."[6]، وفي قوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ ﴾ مريم: ١٦، الانتباذ: الانفراد والاعتزال؛ فالانتباذ في الأصل افتعال مطاوع نَبَذَه[7]، وفي قوله: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ القصص: ٢٠، وأصل الائتمار: قبول أمر

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 721/3.
[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 45/23.
[3]: الكشّاف: الزّمخشري، 185/5.
[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (م. ي. ز).
[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 45/23.
[6]: المصدر نفسه، 235/6. وينظر: المصدر نفسه، 368/15. والمصدر نفسه، 53/13.
[7]: المصدر نفسه، 79/16.

الآمر فهو مطاوع أمره[1]، وقوله أيضا: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ النمل: ١٠، والاهتزاز: الاضطراب، وهو افتعال من الهزّ وهو الرّفع كأنّها تطاوع فعل هزّ يهزّها[2].

2- مطاوعة أَفْعَل: وذكر ابن عاشور هذهِ الدَّلالةِ في ثلاثة مواضع:

-الأوّل: قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ يوسف: ٦٩، وفي هذه الآية إشارة إلى إطلاع يوسف عليه السّلام لأخيه على شأنه وما جرى له حيث نهاه عن التّأسف على صنيع إخوته به[3].

ووجه الاستدلال في الآية قوله: «لَا تَبْتَئِس» مضارع ابْتَأس، والابتئاس مطاوعة الإبئاس؛ أي جعل أحد بائسا؛ أي صاحب بؤس[4]، وهذا المعنى لا يحصل بالفعل المجرّد «بَئِس»؛ لأنّه بمعنى الشّدّة والحاجة، أمّا «ابْتَأس» فهو بمعنى الحزن، وهذا أفاد معنى في الآية وهو نَهي أخ يوسف عليه السّلام عن الحزن عليه.

-والثّاني قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ السجدة: ٣٠، وفي هذه الآية أمر من الله سبحانه للنّبيّ ﷺ بالإعراض عن المشركين، وانتظار النّصر عليهم وصنيع الله بهم كما وعدك عزّ وجل؛ لأنّهم سيجدون غبّ ما ينتظرونه من العذاب ومجيء السّاعة[5].

والانتظار: التّرقّب. وأصله مشتقّ من النّظر فكأنّه مطاوع: أنْظَره، أي أراه فانتظر، أي تكلّف أن ينظر[6]، ونَظَرت الشّيءَ انْتَظرتُه؛ أي: ارتقبت حضوره؛ وكأنّه ينظر إلى الوقت الّذي يأتي فيه، وأنْظرني انْتَظرني: أي أمهلني وأخّرني[7]؛ وعلى هذا يكون المعنى: ترقّب الوقت الّذي يأتي فيه نصر الله لك على

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 96/20. وينظر: المصدر نفسه، 329/28.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 228/19. والمصدر نفسه، 302/24.

[3]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 607/2.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 26/13.

[5]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 645/18. وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 579/3.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 243/21.

[7]: ينظر: لسان العرب: ابن منضور، مادة (ن. ظ. ر). ومقاييس اللغة: ابن فارس، 444/5.

من خالفك، وما سيحدث لهم من العذاب يوم القيامة؛ لأنّهم سيجدون ما وعدهم الله حقًّا ولن يخلفهم الله وعده.

– والثّالث قوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ البقرة: ١٢٦، حيث يقول ابن عاشور: "والاضطرار في الأصل الالتجاء وهو بوزن افتعل مطاوع أفعل إذا صيّره ذا ضرورة؛ أي حاجة، فالأصل أن يكون اضطرّ قاصرا لأنّ أصل المطاوعة عدم التّعدي، ولكن الاستعمال جاء على تعديته إلى مفعول وهو استعمال غير جار على قياس... ونظيره في الآية في سورة لقمان (ثُمّ نَضْطَرُّهم)"[1].

3– مطاوعةُ فَعَّل: لقد علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في موضع واحد وهو:

–قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٦، في هذه الآية ذِكر لمنع الله سبحانه فهم الحجج والأدلّة الدّالة على عظمته وشريعته وأحكامه قلوب المتكبّرين عن طاعته وتوحيده والإيمان به، عقوبة لهم على تكذيبهم بآياته وسلكوهم سبيل الضّلال على الرّشد[2].

والشّاهد قوله: «لا يَتَّخِذُوهُ» مضارع اتَّخَذ، "والاتّخاذ حقيقته مطاوع أخّذه بالتّشديد، إذا جعله آخذا..."[3]، وهذا المعنى لا نلتمسه في الفعل المجرّد «أَخَذ» لأنّه بمعنى تَنَاول، أمّا الفعل «اتّخَذ» فهو بمعنى: جَعل[4]، حيث دلّت الصّيغة في هذا المقام على أنّ المستكبرين عن طاعة الله إذا رأوا الهدى لا يجعلونه سبيلا يهتدون به إلى الحقّ.

–افْتَعَل بمعنَى فَعَل:

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 717/1.

[2]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 311/2–312. وجامع البيان: الطّبري، 444/10–445.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 105/9.

[4]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (أ. خ. ذ)، والمصباح المنير: الفيومي، ص7.

لقد أشار ابن عاشور إلى هذه الدّلالة في موضع واحد؛ وذلك عند تعليقه على مصدر الفعل «ابْتَغَى» في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴿١٠٤﴾ ﴾ النساء: ١٠٤، بقوله: "والابتغاء: مصدر ابتغى بمعنى بَغَى المتعدّي؛ أي الطّلب وقد تقدّم عند قوله: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ في سورة آل عمران"[1].

-الاستغناء عن المجرّد: وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلي:

- قولُه تعالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنعام:٢ ، وفي هذه الآيةِ تنبيهٌ مِنَ اللهِ تعالَى لخلقهِ الّذينَ يشكُّونَ في قدرتِهِ على إخراجِهِم مِنَ الْأجداثِ وهوَ الّذِي خلقَهُم مِنْ قبلُ ولمْ يكونُوا شيئا[2].

والشّاهدُ في الآيةِ قولُه: «تَمْتَرُونَ» مضارِع «امْتَرَى»، والامْتِرَاء عَلى وَزن الافْتِعَال ولم يَرِد فعلُه إلّا بالزّيادةِ، ولم يسمعْ له فعلٌ مجرّدٌ[3]. ونظيره قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ البقرة: ١٤٧حيث يقول أيضا ابن عاشور: والامتراء افتعال من المراء وهو الشّك، والافتعال فيه ليس للمطاوعة، ومصدر المرية لا يعرف له فعل مجرّد بل هو دائما بصيغة الافتعال[4].

ف «مَرَى» المجرّدُ مِنَ المريَةِ وهي بِمعنى الْجَحدِ والتّردّد، أمّا والامْتِرَاء: بمعنَى الشكّ والمحاجّة فيما فيه مرية[5]، وهذهِ الزّيادةُ مِنْ أصلِ الوضعِ أفادَتْ معنًى وهو الشّكُّ والمحاجّة دونَ برهان في قدرةِ اللهِ تعالى.

وقد أشار ابن عاشور بطريقة غير مباشرة إلى هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنعام: ٩٠، حيث يذكر أنّ الاقتداء "افتعال من القدوة... ولا يعرف له في اللغة فعل مجرّد فلم يسمع إلّا اقتدى. وكأنّهم اعتبروا القدوة اسما جامدا، واشتقّوا منه الافتعال للدّلالة على

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 189/5.

[2]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 157/2. وجامع البيان: الطّبري، 154/9.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 132/7.

[4]: المصدر نفسه، 41/2.

[5]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (م. ر. ى). المفردات: الأصفهاني، ص603.

التّكلف، كما اشتقّوا من الخريف اخترف، ومن الأسوة ائتسى، ومن اسم النّمر تنمّر، ومن الحجر تحجّر"[1]. فقول ابن عاشور أنّ الفعل «اقْتَدَى» لم يسمع إلّا بالزّيادة تدلّ على معنى الاستغناء عن المجرّد. ثمّ ذكر دلالة التّكلف، وكلاهما يصلحان لدلالة الفعل اقْتَدَى.

تنبيه:

لقد خالف ابن عاشور غيره من المفسّرين في صيغة الفعل «استكان» وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٦، حيث يقول أنّ الاستكانة "افتعال من السّكون للدّلالة على تمكّن السّكون وقوّته، وألفه ألف الافتعال مثل الاضطراب، والتّاء زائدة... ويبعد أن يكون «استكانوا» استفعالا من الكون من جهتين: جهة مادّته فإنّ معنى الكون فيه غير وجيه، ومن جهة صيغته لأنّ حمل السّين والتّاء فيه على معنى الطّلب غير واضح"[2]، أمّا أبو حيّان فقد ذكر أنّ «استكان» على وزن "استَفْعَل أي: انتقل من كون إلى كون. كما تقول: استحال انتقل من حال إلى حال، وقول من زعم أنّ استكان افْتَعَل من السّكون وأنّ الألف إشباع ضعيف؛ لأنّ الإشباع بابه الشّعر"[3]. أمّا الزّمخشري أبو السّعود فقد ذكرا أنّ صيغة الفعل «استكان» إمّا استفعال من الكون، أو افتعال من السكون قد أشبعت فتحته[4].

ثانيا: معاني تَفَعَّل.

لقد ذكر أبُو حيّان لهذه الصّيغة سبعة عشر معنى، وذكر ابن عصفور ثمانيَة معان[5]، ومِنْ هذه الدَّلالات الّتِي ذكرها ابن عاشور لهذه الصّيغةُ ما يلِي:

-التَّكلُّف: فالتّكلّفُ في «تَفَعَّلَ» هي ممَارَسة الفِعل لِيَحصلَ، فيكون فاعِل تَفَعَّل يتَعَانى في أصل ذلِك الفعل ويُرِيدُ حُصُولَهُ في الحقيقَةِ ويَجْتَهدُ في الزِّيادة[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 356/7.

[2]: المصدر نفسه، 101/18.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 383/6.

[4]: الكشّاف: الزّمخشري، 243/4. وإرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 146/6.

[5]: البحر المحيط: أبو حيّان، 317/1. والممتع: ابن عصفور، ص (126-127).

[6]: أبنية الفعل في شافيّة ابن الحاجب (دراسة لسانيّة لغويّة): عصام نور الدّين، دار الفكر اللّبناني، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م، ص218.

-قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ البقرة: ١٦٦، أخبر الله سبحانه في هذه الآية أنّ المتّبَعِين على الشّرك بالله يتبرّؤون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله، وتتقطّع بينهم الوُصل الّتي كانت في الدّنيا، لأنّها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، فاضمحلّت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم، وبطلت أعمالهم الّتي كانوا يأملون نفعها وانقلبت عليهم حسرة وندامة[1].

والشّاهد قوله: «تَبَرَّأَ» يقول ابن عاشور: "والتّبرّؤ تكلّف البراءة وهي التباعد من الأمر الّذي من شأن قربه أن يكون مضرّا ولذلك يقال تبرّأ إذا أبعد كلّ الآخر من تبعه محقّقة أو متوقّعة"[2]. ف: بَرَأ الله الخلق؛ بمعنى خلقهم، وبَرِأت من الشّيء وبَرَأتُ منه؛ بمعنى التّباعد عن الشّيء، ومن ذلك البُرْء وهو السّلامة من السُّقم، وتَبَرَّأ قيل: بمعنى تفَارَق[3]، وهذا يدلّ على تكلّف تباعد المتبوعين عن أتباعهم والافتراق عنهم لِما رأوه من أهوال يوم القيامة وشدائده، وفي هذا إشارة لطيفة إلى أنّ الرّوابط الّتي لغير الله سبحانه تنقطع كلّها؛ لأنّها لم تكن خالصة لوجهه الكريم.

-قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ مريم: ٦٤، نزلت هذه الآية من أجل استبطاء رسول الله ﷺ جبريل عليه السّلام بالوحي، فأجابه بأنّهم لا يتنزّلون من السّماء إلى الأرض إلّا بأمر الله، فالأمر كلّه بيده؛ له الأمور الماضية والحاضرة والمستقبليّة، وهو أعلم بما يدبّر ويقضي في خلقه سبحانه[4].

والشّاهد في الآية قوله: «نَتَنَزَّل» قال ابن عاشور: "وأصل التّنزّل: تكلُّف النّزول، فأطلق ذلك على نزول الملائكة من السّماء إلى الأرض لأنّه نزول نادر وخروج عن عالمهم فكأنّه متكلّف، قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾"[5]، أمّا أبو حيّان فقد ذكر أنّ صيغة التّفعّل للمطاوعة؛ أي نزّلته فتنزّل،

---

[1]: جامع البيان: الطّبري، 3/24-25، وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص80.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 2/97.

[3]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ب. ر. أ)، ومقاييس اللغة: ابن فارس، 1/236. وتاج العروس: الزّبيدي، 1/149.

[4]: جامع البيان: الطّبري، 15/578-584. وينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص498.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 16/140.

فتكون لمواصلة العمل في مهلة[1]؛ فهنا أشار أبو حيّان إلى دلالتين الأولى: مطاوعة فعَّل، والثّاني مواصلة العمل في مهلة نحو: تَفَهَّم[2].

فالنّزول بمعنى الحلول، ونَزَل من علوّ إلى سفل: إذا انحدر، أمّا التّنزل: فهو النّزول في مهلة[3]، ودلالة التّفعّل الّتي ذكرها ابن عاشور تدلّ على معنى لطيف في الآية وهو تكلّف نزول الملائكة في المهلة الّتي يحدّدها الله سبحانه؛ فهم لا ينزلون إلّا بأمره عزّ وجل.

-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢٢، في هذه الآية تنبيه على أنّ في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم للقتال مصالح لو خرجوا لفاتتهم؛ وهي تعلّمهم العلم الشّرعي، حتّى يعلموا معانيه ويفقهوا أسراره، وليعلّموا غيرهم، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم[4].

والشّاهد قوله: «ليَتَفَقَّهُوا» مضارع تَفَقَّه، "والتّفقّه: تكلّف الفقاهة، وهي مشتقّة من فَقِه-بكسر القاف-... ولمّا كان مصير الفقه سجيّة لا يحصل إلّا بمزاولة ما يبلغ إلى ذلك كانت صيغة التّفعّل المؤذنة بالتّكلّف متعيّنة لأن يكون المراد بها تكلّف حصول الفقه؛ أي الفهم في الدّين، وهذا إيماء إلى أنّ فهم الدّين أمر دقيق المسلك لا يحصل بسهولة"[5].

فالفعل فَقَه من الفِقه وهو العلم بالشّيء والفهم له وغلب على علم الدّين لشرفه وفضله، وتَفَقَّه: تعاطَى الفِقه[6]، فدلالة هذه الصّيغة أضفت معنى في الآية وهو تعاطي الفقه والاجتهاد في الحصول عليه؛ أي ممارسة الفقه ليكونوا علماء بالدّين ويعلّموه غيرهم، فلا قيام للدّين إلّا بالتّفقّه فيه ومعرفة أحكامه.

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ ﴿١٧﴾ ﴾ إبراهيم: ١٧، بقوله: "والتّجرُّع:

---

[1]: البحر المحيط: أبو حيّان، 191/6.

[2]: المصدر نفسه، 318/1.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ن. ز. ل).

[4]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص355.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 61/11-62.

[6]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ف. ق. ه).

تكلّف الجرع، والجرع بلع الماء"[1]. وفي قوله أيضا: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ مريم: ١٧، بقوله: "والتّمثّل: تكلّف المماثلة، أي أنّ ذلك الشّكل ليس شكل الملك بالأصالة"[2]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٤، بقوله: والتّفضّل تكلُّف الفضل وطلبه، والفضل أصله الزّيادة ثمّ شاع في زيادة التّرف والرّفعة، أي أن يكون أفضل النّاس لأنّه نسبهم كلّهم إلى الضّلال[3]، وقوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣، حيث ذكر أنّ «التّسلّل» تكلُّف الانسلال مثل ما يقال: تدخّل إذا تكلّف إدخال نفسه[4]، وفي قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الزمر: ٤٢، ويتَفَكَّرون: تكلّف الفكرة، وهو معالجة الفكر ومعاودة التّدبّر في دلالة الأدلّة على الحقائق[5]

ملاحظة:

لقد علّق ابن عاشور على دلالة التّكلّف في مصدر الفعل كما في قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٣، بقوله: "والتّعفّف تكلّف العفاف وهو النّزاهة عمّا لا يليق"[6]، وفي قوله أيضا: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 211/13.
[2]: المصدر نفسه، 80/16.
[3]: ينظر: المصدر نفسه، 42/18.
[4]: المصدر نفسه، 310/18.
[5]: المصدر نفسه، 26/24.
[6]: المصدر نفسه، 75/3.

﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ الفرقان: ١٢، والتّغيظ: شدّة الغيظ، وصيغة التّفعّل هنا موضوعة في الأصل لتكلّف الفعل[1].

–المطاوعة: وتأتي لمطاوعة فَعَل، وفَعَّل:

1– مطاوعة فَعَل: وذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في ثلاثة مواضع وهي:

–قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ ﴿٢٧٥﴾﴾ البقرة: ٢٧٥، وفي هذه الآيةِ ذكرٌ لآكلي الرّبا وحالِ قيامِهِم يومَ الْقيامةِ مِنْ قُبُورِهم[2].

وموضعُ الشّاهدِ في الآيةِ قولُه: «يَتَخَبَّطُهُ» مضارع تَخَبّط، وقد ذكرَ ابنُ عاشور أنّ" التَّخَبُّط مطاوعُ خَبَطَهُ"[3]، أمّا أبُو حيّان والألوسي فقد ذَهَبَا في تَفْسِيرَيْهِمَا إلى أنَّ «تَخَبَّطَ» موافقٌ للمجرَّدِ «خَبَطَ»؛ أي أنَّ تَفَعَّل بمعنَى فَعَل[4].

وهذا المعنى لا يحْصُلُ بالفعل المجرّد «خَبَطَ»؛ لأنَّهُ بمعنى ضَرَبَهُ ضَرْباً شديداً، أمّا «تَخَبَّطَ» فهو بمعنى صَرَعَه؛ أي بمعنى الطّرحُ بالْأرضِ[5]، ومِنْ هنا فقد أفادَت الزّيادة معنى وهو قِيامُ آكل الرّبا يومَ القيامة كالمصروعِ المطرُوحِ في الأرض.

– وفي قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ مريم: ٩٠، حيث ذكر أنّ الفعل «يتَفَطَّرن» على قراءة نافع، وابن كثير، وحفص عن عاصم، والكسائي يأتي لمطاوعة فَطَّر المضاعف أو فَطَر المجرّد[6]، وفي قوله أيضا: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 333/18.

[2]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 436/1.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 82/3.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 347/2. وروح المعاني: الألوسي، 49/3.

[5]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (خ. ب. ط). وتاج العروس: الزّبيدي، 229/19.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 171/16.

﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الروم: ٤٣، حيث يقول إنّ التّصدّع مطاوع الصّدع، وحقيقة الصّدَع: الكسر والشّقّ، والتَّصَدُّع: التّفرّق والتّمايز؛ أي يومئذ يفترق المؤمنون من الكافرين[1].

2- مطاوعةُ فَعَّل: وممّا علّق عليها ابن عاشور في هذه الدّلالة من القرآنِ الكريمِ ما يلِي:

-قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٣، وفي هذه الآية ذكر لاختلاف الأمم على رسلها بين مصدّق ومكذّب[2].

والشّاهد قوله: «تَقَطَّعوا» والتّقطّع: مطاوع قطَّع؛ أي تفرّقوا، وأسند التّقطيع إليهم لأنّهم جعلوا أنفسهم فرقا فعبدوا آلهة متعدّدة، ونظيره قوله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٣، حيث ذكر أنّ التّقطع أصله مطاوع قطّع واستعماله بهذا المعنى إفادة الشّدّة في حصول الفعل[3]، أمّا الزّمخشري فقد أشار إلى دلالة الصّيرورة بقوله: "... تمثيلا لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتّى"[4].

وبما أنّ الفعل «قَطَع» من القَطْع وهو إبانة شيء من شيء فصلا، فالفعل المزيد فيه «تَقَطَّع» من التّقطيع وهو التّفرّق[5]؛ وهذا يدلّ على تفرّق النّاس في أمر الدّين فمنهم المؤمن والكافر، وكلّ هؤلاء المتفرّقين -سواء المؤمن أو الكافر- راجعون إلى الله وحده يوم القيامة فيجازيهم على أعمالهم.

-قوله تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ الفتح: ٢٥، أي لو تميّز الكفار من المؤمنين الّذين بين أظهرهم، لعذّبهم الله عذابا أليما بقتلهم إيّاهم[6].

والشّاهد في الآية قوله: «تَزَيَّلوا»، "والتَّزيّل مطاوع زَيَّله؛ إذا أبعده عن مكان؛ أي أبعد بعضهم عن بعض؛ أي فرّقهم قال تعالى: ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ وهو هنا بمعنى التّفرّق والتّميّز من غير مراعاة لمطاوعة

---

[1]: المصدر السّابق، 115/21.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 246/3.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 142/17، وينظر: المصدر نفسه، 72/18.

[4]: الكشّاف: الزّمخشري، 164/4.

[5]: ينظر: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 101/5، ولسان العرب: ابن منظور، مادة (ق. ط. ع)

[6]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 246/4.

فعل الفاعل؛ لأنّ أفعال المطاوعة كثيرا ما تطلق لإرادة المبالغة لدلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى... أي لو تفرّق المؤمنون عن أهل الشّرك لسلّطنا المسلمين على المشركين فعذّبوا الّذين كفروا عذاب السّيف"[1]

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في بعض المواضع منها قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥ ﴾ الشورى: ٥، حيث ذكر ابن عاشور قراءة الجمهور في قوله: «يَتَفَطّرن» بتحتيّة ثمّ فوقيّة وأصله مضارع التّفطّر، وهو مطاوع التّفطير[2]، وقوله: ﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ ﴾ النازعات: ١٨، وتَزَكّى مطاوع زَكّاه؛ إذا جعله زاكيا[3]، قوله تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠ ﴾ الأعلى: ١٠، ويذّكّر: مطاوع ذَكّره، وأصله يتذكّر[4].

-المبالغة: وممّا ذكره ابن عاشور في هذه الدّلالة من القرآن الكريم ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾ إبراهيم: ٧، وفي هذه الآية إيذان وإعلام من الله سبحانه بوعده لقوم موسى عليه السّلام؛ فإن شكروا نعمه يزيدهم منها، وإنْ كفروا بها وجحدوها يعاقبهم بإزالة هذه النّعم عنهم وسلبها منهم[5].

ومحلّ الشّاهد قوله: «تَأَذَّن» يقول ابن عاشور: "والتّأَذُّن مبالغة في الأذان، يقال: أذن وتأذّن كما يقال: تَوعَّد وأوعد، وتفَضّل وأَفْضَل، ففي تفعّل زيادة معنى على صيغة أفعل"[6]، وذكر البيضاوي هذا المعنى في تفسير حيث يقول: "وتأذّن بمعنى آذَن كتوعّد وأوعد، غير أنّه أبلغ لما في التّفعُّل من معنى التّكلّف

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 192/26.
[2]: ينظر: المصدر نفسه، 30/25.
[3]: المصدر نفسه، 76/30.
[4]: المصدر نفسه، 285/30.
[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 656/2. وينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص422.
[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 193/13.

والمبالغة"[1]، والزّمخشري أيضا بقوله: "ولا بدّ في تَفَعَّل من زيادة معنى ليس في أَفْعَل، كأنّه قيل: وإذ تأذّن ربّكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشّكوك وتنزاح الشّبه"[2]، أمّا أبو السّعود فقد أشار أنّ دلالة تفَعَّل هنا للتّكلّف[3].

وهذا المعنى الّذي ذكره ابن عاشور وغيره من المفسّرين لا يحصل بالفعل المجرّد «أَذن»؛ لأنّه بمعنى علم، أمّا «آذَنَ وتأَذّن» فبمعنى أعلمه، وتأذّن ليفعلَنّ؛ أي أقسم وقيل: تأذّن ليفعلَنّ كذا وكذا يراد به إيجاب الفعل[4]، فقد حملت هذه الصّيغة دلالة المبالغة في الإعلام من الله سبحانه بتنفيذ ما وعد به من الفضل والنّعم لمن شكره وأطاعه في أوامره ونواهيه.

– قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الطور: ٣٠، وفي هذه الآية ينكر الله سبحانه على كفار قريش قولهم في الرّسول ﷺ ؛ هو شاعر نتربّص به حوادث الدّهر تكفينَاه بموت أو حادثة متلفة[5].

الشّاهد في الآية قوله: «نَتَرَبَّص» مضارع تَرَبَّص، يقول ابن عاشور: "والتّربّص مبالغة في الرّبص وهو الانتظار"[6]، فـ «تربَّص بالشّيء» إذا انتظر به خيرا أو شرّا[7]، وهذا دلّ على مبالغة المشركين في انتظار موت الرّسول ﷺ من أجل توقّف تبليغ الرّسالة الّتي أرسله الله تعالى بها.

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في بعض المواضع كقوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ الأعراف: ١١٧، حيث يقول إنَّ التَّلقُّف على قراءة الجمهور –بتشديد القاف– مبالغةٌ في اللَّقفِ، وهوَ الابتلاعُ والازْدِرَاد[8]. وقوله أيضا: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ

[1]: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 215/2.
[2]: الكشّاف: الزّمخشري، 364/3.
[3]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 34/5.
[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (أ. ذ. ن).
[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 310/4. وجامع البيان: الطّبري، 592/21.
[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 61/27.
[7]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ر. ب. ص).
[8]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 49/9.

﴿ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ ﴿٢٢٢﴾ ﴾البقرة: ٢٢٢، فقَد أشَارَ ابن عاشُور قراءة الزّيادَة –تَشْديد الطّاء والهاء– في الفعلِ «يَطَّهَّرْنَ» لمجرّد المبالغة في حصُول معنى الفعل[1]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ التوبة: ١١٤، حيث ذكر أنّ التّبرؤ: تفعّل من برئ؛ إذا تنزّه عنه، وهو مبالغة في البراءة[2].

–الاتّخاذ: ويكونُ هنا "تَفَعَّل الّذِي للاتّخاذُ مطاوِع فعَّل الّذِي هوَ لجعلِ الشّيءِ ذا أصلِهِ إذا كانَ أصلُهُ اسماً لا مصدراً «فتَرَدَّى الثَّوبَ» مطاوِعُ «رَدَّيتُه الثّوبَ»"[3]، وذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في الفعل «تَوَلَّى» في موضعين اثنين الأوّل في سورة المائدة، والثّاني في سورة النّحل:

–قال تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴿٨٠﴾ ﴾ المائدة: ٨٠، وفي هذه الآيةِ إخبارٌ عنْ منافقِي أهلِ الكتابِ الّذِين كانُوا يُوالُونَ المشركِينَ[4].

ومحلُّ الشّاهدِ قولهُ: «يَتَوَلَّونَ» مضارِعُ تَوَلَّى، حيث ذَكَرَ ابنُ عَاشُور أنّ "معنى يتَوَلَّون: يتّخذُونهم أولياء[5]، وهذا المعنى ذكره في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ النحل: ١٠٠، بقوله: "ومعنى يتولّونهم: يتّخذونه وليّا لهم، وهم الملازمون للملل المؤسّسة على ما يخالف الهدي الإلهي"[6].

وإلى هذا المعنَى ذهَبَ ابن عثيمين حيثُ ذَكَرَ أنّ «يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بمعنَى يتّخذونَهم أولياءَ؛ أي يوالُونَهم بالنّصرة والمعونَةِ[7]، وهذَا المعنَى الّذِي ذُكِرَ لا يَحْصُلُ بالفعلِ المجرَّد «وَلِي»؛ لأنّه بمعنَى: دَنَا

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 367/2.
[2]: المصدر نفسه، 46/11.
[3]: شرح شافيّة ابن الحاجب: الاستراباذي، 105/1.
[4]: الكشّاف: الزّمخشري، 279/2.
[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 295/6.
[6]: المصدر نفسه، 279/14.
[7]: تفسير القرآن الكريم (سورة المائدة): ابن عثيمين، 245/2.

منهُ، أمّا التَّوليَة: بمعنَى اتَّخذَهُ وليّا[1]، فقد صوّرت لنا هذه الدّلالة حال اليهود الّذين اتّخذُوا الكفّار أولياءَ لهُم، ليكون هذا دليلا على نِفاقِهِم.

-الإزالة: وهِي ما يسَمّيها علماءُ الصَّرفِ التَّجنّب، والتَّجنّبُ يكونُ للدَّلالةِ على أنَّ الفاعلَ جانبَ أصلَ الفعلِ[2]، وعلّق عليها ابن عاشور في موضع واحد وهو:

-قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ الإسراء: ٧٩، وفي هذهِ الآيةِ أمرَ اللهُ سبحانه وتعالَى نبيَّهُ محمَّدا ﷺ بقيامِ اللَّيْلِ بعدَ الصّلاةِ المكتوبة[3].

والشّاهدُ في الآيةِ الكريمةِ قولُهُ: «فَتَهَجَّدْ»، يقول ابنُ عاشور: "التّهجّد: الصّلاة في أثناء اللّيل، وهو اسم مشتقّ من الهجود وهو النّوم، فمادة التّفعّل فيه للإزالة مثل التّحرّج والتّأثّم..."[4]، وإلى هذا المعنَى ذهَبَ أبُو حيّان وأبُو السّعود في تَفْسِيرَيْهِمَا في كونِ التَّفَعُّلِ هنا للإزالةِ والترك[5].

وهذَا المعنَى الّذِي ذكَرَهُ المفسّرُونَ لا يَحصُلُ بالفعلِ المجرَّدِ «هَجَدَ»؛ لأنَّهُ بمعنَى نَامَ باللّيل، و«تَهَجَّد» بمعنَى سَهِر، وصلّى باللّيلِ[6]، وهذه الدّلالة تحثّ على فضيلة عظيمة في الآيةِ وهوَ إزالة النّوم من أجل السَّهَر للصَّلاةِ ليْلا؛ لأنّها من أكبر مظانّ إجابة الدّعوات وقضاء الحاجات.

-تَفَعّل بمعنى فَعَل:

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في موضع واحد وهو مصدر صيغة تَفَعَّل في قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖۖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧ ﴾ النحل: ٤٧، بقوله: "والتّخوّف في اللّغة يأتي مصدر تَخَوَّف القاصر بمعنى خَاف..."[7].

---

[1]: الكليّات: الكفوي، ص(209-309).

[2]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 104/1، وشرح مختصر التّصريف العزي: التّفتازاني، ص39.

[3]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 70/3.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 185/15.

[5]: البحر المحيط: أبو حيّان، 69/6. وإرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 189/5.

[6]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (هـ. ج. د). والمصباح المنير: الفيّومي، ص634.

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 167/14.

تنبيه:

يقول ابن عاشور في تفسيره للفعل «يتسنَّه» في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ (٢٥٩) ﴾ البقرة: ٢٥٩، "ومعنى «لم يتسنَّه» لم يتغيّر، وأصله مشتقّ من السّنَة؛ لأنّ مرّ السّنين يوجب التّغيير وهو مثل تحجّر الطّين والهاء أصليّة لا هاء سكت..."[1]، ثمّ علّق على هذا الفعل بقوله: "لعلّ تَسَنّه بمعنى تغيّر من طول المدّة أصله مطاوع سنّه، ثمّ تنوسي معنى المطاوعة"[2]، وهذا المعنى الّذي ذكره ابن عاشور يشبه معنى التّحول في صيغة اسْتَفعَل.

ملاحظة:

يذكر ابن عاشور في بعض المواضع أكثر من معنى واحد للصّيغة ولا يرجّح بينها كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) ﴾ البقرة: ١٥٨ بقوله: "وتطوّع يطلق بمعنى فعل طاعة وتكلّفها، ويطلق مطاوع طوّعه أي جعله مطيعا فيدل على معنى التبرّع غالبا؛ لأن التّبرع زائد في الطاعة، ثم يذكر أنّ تطوّع لا يتعين لكونه بمعنى تبرّع بل يحتمل معنى أتى بطاعة أو تكلّف طاعة[3]، حيث ذكر هنا دلالتين هما: التّكلّف، ومطاوعة فَعَّل. وفي قوله أيضا:﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ (١٤٤) ﴾ البقرة: ١٤٤، يقول: "والتّقلّب: مطاوع قلّبه إذا حوّله وهو مثل قَلَبَه بالتّخفيف، فالمراد بتقليب الوجه الالتفات به أي تحويله عن جهته الأصلية فهو هنا تريده في السّماء، وقد أخذوا العدول إلى صيغة التّفعيل الدّلالة على معنى التّكثير في هذا التّحويل، وفيه نظر إذ قد يكون ذلك لما في هذا التّحويل من التّرغيب والشّدة فالتّفعيل لقوّة الكيفيّة"[4]، وذكر هنا مطاوعة فَعَّل، ثم أشار إلى دلالة المبالغة والتّكثير، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ (١٣١) ﴾ الأعراف: ١٣١، بقوله أنّ «يَتَطَيَّرُوا» صيغ على وزن التّفعل لما فيه من

[1]: المصدر السّابق، 37/3.

[2]: المصدر نفسه، 42/14.

[3]: المصدر نفسه، 64/2.

[4]: المصدر نفسه، 27/2.

تكلّف معرفة حظّ بدلالة حركة الطّير، أو هو مطاوعة يسمَّى بها ما يحصل من الانفعال من أثر طيران الطّير[1]، وهنا ذكر دلالتين: التّكلّف والمطاوعة.

تنبيه:

لقد ذكر ابن عاشور للفعل «تَبَرَّأَ» دلالتين مختلفتين، الأولى: دلالة التّكلّف في سورة البقرة الآية 167، والثّاني: دلالة المبالغة في سورة التّوبة الآية 114، وهذا يدلّ على تمييز ابن عاشور للمعاني الصّرفيّة لهذه الأفعال بحسب دلالتها لمقتضى السّياق القرآني.

ثالثا: معاني تَفَاعَل:

لقد ذكرَ أبُو حيّان لهذهِ الصِّيغةِ سبعَةَ معان، وابنُ عصفور ثلاثةَ معان[2]، ومِنْ هذهِ الدَّلالاتِ ما يلي:

–المشاركة: وتطّرقْنَا فِي صِيغةِ افْتَعَلَ إلى المُشَارَكةِ وعَلِمْنَا أَنَّ المُتشارِكَين يكونَانِ مُشتركَيْنِ في الرّفعِ، وفي هذه الصِّيغةِ كذلك نحو قولنا: تضاربَ زيدٌ وعمرٌ، وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذه الدّلالةُ ما يلِي:

–قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢، في هذه الآية إرشاد من الله تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجّلة أن يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشّاهد فيها[3].

والشّاهد في الآية: «تَدَايَنْتُم» يقول ابن عاشور: "والتّداين تفاعل، وأطلق هنا –مع أنّ الفعل صادر من جهة واحدة وهي جهة المسلِّف–لأنّك تقول: إدّان منه فدانه، فالمفاعلة منظور فيها إلى المخاطبين وهم مجموع الأمّة؛ لأنّ في المجموع دائنا ومدينا، فصار المجموع مشتملا على جانبين"[4]، وهذا ما أشار إليه الزّمخشري وأبو حيّان في تَدَايَنتم؛ إذا داين بعضكم بعضا، يقال: داينت الرّجل؛ إذا عاملته بدين معطيا أو آخذا[5].

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 65/9.

[2]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص172. والممتع: ابن عصفور، ص125.

[3]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 446/1.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 98/3.

[5]: الكشّاف: الزّمخشري، 511/1، والبحر المحيط: أبو حيّان، 357/1.

فالفعل المجرّد «دَانَ» بمعنى أَقْرَض، و«تَدَايَن» بمعنى أخَذَ بالدَّين وتعَامل به[1]، وهذا المعنى الّذي ذكره المفسّرون يدلّ على تشارك كلّ من الدّائن والمدين في التعامل بالدّين، فأحدهما معطٍ والآخر آخذ.

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ غافر: ٤٧، يخبر الله سبحانه في هذه الآية عن تحاجّ أهل النّار في النّار وتخاصمهم[2].

وموضع الشّاهد قوله: «يَتَحَاجّون» والتّحاجّ الاحتجاج من جانبين فأكثر؛ أي إقامة كلّ فريق حجّته وهو يقتضي وقوع خلاف بين المتحاجّين إذ الحجّة تأييد لدعوى دفع الشّك في صحّتها[3]؛ وهذا يدلّ على تشارك أهل النّار في المخاصمة؛ أي تخاصم الاتباع مع المتبوعين ممّن كانوا يتّبعونهم في الدّنيا على الضّلال ليتحمّلوا عنهم بعض العذاب.

وهناك مواضع أخرى أشار فيها ابن عاشور إلى دلالة المشاركة في صيغة «تفَاعل» كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١، حيث ذكر أنّ يتساءلون: يسأل بعضهم بعضا، وهذا المعنى ذكره في سورة المؤمنون في قوله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢، بقوله: "فالمفاعلة في «تعاونُوا» للمسلمين؛ أي فليعن بعضهم بعضا"[5]، وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِۖ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأعراف: ٣٨، فالفعل «ادّاركوا» صيغ على وزن التّفاعل وهو بمعنى أدرك بعضهم بعضا، أي تلاحقوا واجتمعوا في النّار[6] ، وفي قوله: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ

---

[1]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (د ي ن)، والمصباح المنير: الفيومي، ص205.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 105/4.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 160/24.

[4]: المصدر نفسه، 217/4. وينظر: المصدر نفسه، 126/18.

[5]: المصدر نفسه، 87/6.

[6]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 121/8.

﴿ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ﴾ المجادلة: ١، بقوله: "والتّحاور تفاعل من حار؛ إذا أجاب، فالتّحاور حصور الجواب من جانبين فاقتضت مراجعة بين شخصين"[1]، وفي قوله أيضا: ﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣ ﴾ الذاريات: ٥٣، أي أوصى بعضهم بعضا حتّى بلغت الوصيّة إلى القوم الحاضرين[2]، وقوله: ﴿ فَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ ﴾ القلم: ٢١، فالتّنادي أن ينادي بعضهم بعضا وهو مشعر بالتّحريض على العدو إلى جنّتهم مبكرين[3].

ملاحظة:

لقد علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في اسم الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ ﴾ الحجر: ٤٧، بقوله: "والتّقابل: كون الواحد قبالة غيره، وهو أدخل في التّأنّس بالرّؤية والمحادثة"[4]. وعلّق أيضا على مصدر هذه الصّيغة في قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ٢٠ ﴾ الحديد: ٢٠، بقوله: "والتّفاخر على صيغة التّفاعل؛ لأنّ شأن الفخر أن يقع بين جانبين"[5]، وفي قوله أيضا: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ٩ ﴾ التغابن: ٩ ، حيث يقول: "والتّغابن مصدر غابنه من باب المفاعلة الدّالة على حصول الفعل من جانبين أو أكثر. وحقيقة صيغة المفاعلة تدلّ على حصول الفعل الواحد من فاعلين فأكثر على وجه المشاركة في ذلك الفعل"[6]؛ هنا ابن عاشور ذكر أنّ التّغابن مصدر غَابَنه، والصّواب مصدر تَغَابن. ولعلّه خطأ مطبعي.

–المبالغة: وعلّق ابن عاشور على هذه الدّلالة فيما يلي:

---

[1]: المصدر السّابق، 9/28.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 22/27.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، 83/29.

[4]: المصدر نفسه، 56/14.

[5]: المصدر نفسه، 402/27.

[6]: المصدر نفسه، 275/28.

-قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ ﴾ القمر: ٣٦، إنذار لوط عليه السّلام قومه بطش الله وعقوبته[1].

والشّاهد قوله: «فَتَمَارَوا» يقول ابن عاشور: "والتّماري تفاعل من المراء وهو الشّك، وصيغة المفاعلة للمبالغة"[2]، وكان من المفروض أن يقول: صيغة التّفاعل للمبالغة؛ لأنّ تَمارى على وزن تَفَاعَل وليس فَاعَل.

وهذا المعنى الّذي ذكره ابن عاشور لا يحصل بالفعل «مرى»؛ لأنّه بمعنى جَحَد، أمّا «تَمَارى» فهو بمعنى الشّك في الشّيء[3]، وهذا أضفى معنى في الآية وهو مبالغة قوم لوط عليه السّلام في الشّك في العقوبة والوعيد الّذي سيلحق بهم جزاء تكذيبهم.

-قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ الملك: ١، أي: تعاظم وتعالى، وكثر خيره، وعمّ إحسانه، من عظمته أنّ بيده ملك العالم العلوي والسّفلي، فهو الّذي خلقه، ويتصرّف فيه بما شاء[4].

يقول ابن عاشور: "وفعل تَبَارَك يدلّ على المبالغة في فعل الخير... وصيغة التّفاعل إذا أسندت إلى واحد تدلّ على تكلّف فعل ما اشتقّت منه نحو: تطاول وتغابن، وترد كناية عن قوّة الفعل وشدّته مثل: تواصل..."[5]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَتَبَٰرَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الزخرف: ٨٥، حيث ذكر أنّ صيغة التّفاعل تدلّ على "قوّة حصول الفعل... لأنّ أصلها تدلّ على حصول الفعل من فاعلين مثل: تقاتل، وتمارى، فاستعملت في مجرّد تكرّر الفعل وذلك مثل: تسامى وتعالى"[6].

---

[1]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص827.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 205/27.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (م ر ى).

[4]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص875.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 9/29.

[6]: المصدر نفسه، 268/25.

فالفعل المجرّد «بَرَك» من البركة وهي النّماء والزّيادة، وقيل بَرَك البعير: إذا وقع على صدره، أمّا «تَبَارَك الله» بمعنى تنزّه وتقدّس وتعالى وتعاظم[1]، وهذا يدلّ على المبالغة في تقديس الله سبحانه وتنزيهه وتعظيمه؛ فهو الّذي بيده ملك كلّ شيء.

ملاحظة:

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في تعليقه على مصدر الفعل «تَكَاثَر» كما في قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحديد: ٢٠، بقوله: "والتّكاثُر تفاعل من الكثرة وصيغة التّفاعل هنا للمبالغة في الفعل"[2]. وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ﴾ الملك: ٣، والتّفاوت بوزن التّفاعل: شدّة الفوت، وصيغة التّفاعل ليست لحصول الفعل من جانبين، ولكنّها مفيدة للمبالغة[3].

–مطاوعةُ فَاعَل: وتأتي تَفَاعَلَ المزيدةُ بحرفينِ مطاوعَةً لِفَاعَلَ المزيدِ بحرف، وقد ذكر ابن عاشور هذه الدَّلالَةُ وعلّق عليها في موضعين وهما:

–قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ النجم: ٥٥، وفي هذه الآيةِ مخاطبةُ اللهِ تعالى لبني آدمَ عليهِ السّلام الّذينَ ارْتابُوا وشكُّوا في نِعَمِ اللهِ جلَّ وعَلَا الّتِي أنْعَم بها عليهِم[4].

محلُّ الاستدلالِ في الآيةِ قولُهُ: «تَتَمَارَى»، حيث ذَكَرَ ابن عاشور أنَّ "التَّمَارِي تَفَاعُلٌ مِنَ المِريةِ، وهو مطاوِعُ مَارَاه مثل: التّدافع مطاوع دافع"[5].

---

[1]: لسان العرب: ابن منظور، مادّة (ب ر ك). وينظر: المصباح المنير: الفيومي، ص45.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 403/27.

[3]: المصدر نفسه، 17/29.

[4]: جامع البيان: الطّبري، 92/22.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 156/27.

وهذا المعنَى المذكورُ للفعلِ المزيدِ فيهِ لا يَتَأتّى بالفعلِ المجرّدِ «مَرَى»؛ لأنّهُ بمعنَى الجَحَدِ والتَّردُّدِ في الأمر، أمّا «تَمَارى» بمعنَى الشّك[1]، فدلّتْ هذه الزّيادةُ على معنًى في الآيةِ وهو الشّكُّ والتَّكذيبُ بنِعَمِ اللهِ جلَّ وعلَا.

-وقوله تعالى: ﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾ القمر: ٢٩، وفي هذهِ الآيةِ ذِكْرٌ لِعَقرِ النّاقةِ الّتي بعثَها اللهُ تعالَى آيةً لقومِ صالحٍ عليه السّلام؛ حيثُ اتّفقَتْ ثمودُ على عقرِهَا ونَادَوْا واحداً مِنْهم لِيُنَفِّذ ما اتَّفقُوا عليهِ[2].

والشّاهدُ في الآيةِ قولِه: «فَتَعَاطَى» وذكرَ ابنُ عاشور أنَّ" تَعَاطَى مطاوِعُ عَاطَاهُ"[3]، وإلى هذا المعنَى ذَهبَ أبُو حيّان وابنُ عطيّة في تَفْسِيرَيْهِمَا[4]، أمّا أبُو السُّعود فقد ذَهبَ إلى أنَّ صِيغَةَ التَّفَاعُلِ للتَّكَلُّفِ[5].

وهذا المعنَى الّذي ذُكِرَ لا يَحصُلُ بالفعلِ المجرّدِ «عَطَا»؛ لأنَّهُ بمعنَى الأخذِ والتّناوُل، أمّا «تَعَاطَى» فهو بمعنَى تناولُ ما لا يَحِقُّ ولا يجُوزُ تناوُلُه[6]، ويظهرُ هنا أنَّ الزّيادَةَ قد أضافَتْ معنًى في الآيةِ وهوَ عدمُ جوازِ تناوُلِ عقرِ النّاقة.

-التَّكلُّف: وهذا المعنى يدلُّ على "أنّ الفاعلَ أظهرَ أنَّ أصلَهُ حاصِلٌ لهُ وهو منتَفٍ عنْهُ... وتُرِي مِنْ نفسِكَ ما ليسَ فيكَ منْهُ شيءٌ أصلا"[7]؛ أي إظهارُ الفعلِ على خِلافِهِ لا لتحصيلِه به ليَظهرَ أنّهُ عليه[8]، نحو قولِنا: تَجَاهَل؛ أي تُري الجهلَ وليسَ فيك شيءٌ مِنه فكأنّه أظهرَ الجهلَ وليس لكونِه جاهلاً. وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذه الدّلالة ما يلِي:

---

[1]: لسان العرب: ابن منظور، (مادّة: م ر ى). وينظر: المفردات: الأصفهاني، ص603.

[2]: جامع البيان: الطّبري، 143/22. وينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 143/4. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمّد الأمين بن محمّد المختار الجنكي الشّنقيطي، دار الفوائد، مكّة المكرّمة، ط:1، 1426هـ، 773/7.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 201/27.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 179/8. وينظر: المحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 218/5.

[5]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 172/8.

[6]: لسان العرب: ابن منظور، (مادّة: ع ط ا). وينظر: مقاييس اللّغة: ابن فارس، 354/4.

[7]: شرح شافية ابن الحاجب: الاستراباذي، 99/1.

[8]: أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: عصام نور الدّين، ص218.

-قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴿٣٨﴾ ﴾ التوبة: ٣٨، لقد نَزَلتْ هذِهِ الآيةُ في معاتبَةِ الّذينَ تَخلَّفُوا عن الجِهادِ في غَزوةِ تبوك[1].

والشّاهدُ قولُه: «اثَّاقَلْتُمْ» وأصلُها تَثَاقَلْتُم قلِبَت التّاءُ ثاءً وأُدْغمتْ في الثّاء الثّانية وأُتِيَ بهمزَةِ الوصلِ للتّوصُّلِ للنُّطقِ بالسّاكنِ. وقد ذكَرَ ابن عاشور أنَّ "التَّثَاقُلَ تكَلُّفُ الثِّقَلِ؛ أي إظهارُ أنّه ثقيلٌ لا يستطيعُ النّهوضَ"[2]، وهذا ما ذَهَبَ إليه عبد الخالق عُظَيمة في معنى تَثَاقَل[3].

وهذا المعْنَى لا يحْصُلُ بالفعلِ المجرّدِ «ثَقُل»؛ لأنَّه بمعنَى الحِمْلِ الثّقيل ويكونُ في الأجسامِ، أمّا «تَثَاقَل» فهو بمعْنَى "التَّقاعُسُ والتَّبَاطُؤ"[4]، ومِنْ هنا فقدْ أفَادَتِ الزِّيادَةُ معْنًى في الآيةِ وهوَ التَّباطُؤ والتَّقاعُسُ عَنِ الجِهادِ في سبيلِ اللهِ؛ فكأنّهُم قادرُونَ علَى الخروجِ ولكنَّهم تكلَّفُوا إظهارَ الثِّقلِ وهمْ ليسُوا ثقيلين. فبُطأهُم ليسَ فيهِ عجزٌ، ولكنَّهُ عَنْ تعلّق بالإقامةِ في بلادِهِم وأموالِهم كما أفادَهُ ابنُ عاشور[5].

ملاحظة:

وقد ذكر ابن عاشور جَوَاز ورود أكثر من دلالة في هذه الصّيغة كما في قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ النمل: ٦٦ ، حيث يقول: "ادّارك: تفاعل من الدّرك وهو اللّحاق... والّذي أراه في تفسيرها على هذا الاعتبار اللّغوي أنّ معنى التّدارك هو أنّ علم بعضهم لحق علم بعض آخر في أمر الآخرة... فصار المعنى تداركت علومهم بعضها بعضا... ويجوز وجه آخر وهو أن يكون «ادّارك» مبالغة في أدرك... أي حصل لهم علمهم لوقت بعثهم في اليوم الّذي يبعثون فيه..."[6]. فقد أشار إلى جواز دلالتين في الفعل "ادَّارَك" وهي المشاركة والمبالغة.

---

[1]: ينظر: تفسير القرآنِ العظيم: ابن كثير،450/2.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور،197/10.

[3]: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عُظيمة، قسم: 2، 488/4.

[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادّة (ث ق ل).

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 197/10.

[6]: المصدر نفسه، 20/20-21.

رابعا: معنى انْفَعَل:

وهذه الصِّيغَةُ لا تَأتِي إلّا لمعنًى واحد وهو المطاوعة[1]، ولا تُبْنَى إلّا مِنْ «فَعَل» المتعدِّي حتَّى يمكنَ المطاوعة والانفعال، وهذهِ الصِّيغةُ لا تَكُونُ متعدِّيةً إلى مفعول[2]، وهي تأتِي لمطاوعة «فَعَل» ولمطاوعةِ «أفْعَل» ولمطاوعةِ «فَعَّل»، وأكثَر ما جاءَتْ عليه هو مطاوَعةُ فَعَل.

–مطاوعة فَعَل: ومِنْ النّماذج الّتي علّق عليها ابن عاشور في هذهِ الدّلالةِ ما يلِي:

–قوله تعالى: ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ الأعراف: ١١٩، ذكر الله سبحانه في هذه الآية غلبة موسى عليه السّلام لفرعون وجموعه، وانصرفوا صاغرين مقهورين[3].

والشّاهد قوله: «وانْقَلَبُوا» يقول ابن عاشور: "والانقلاب مطاوع قَلب، والقلب تغيير الحال وتبدّله، والأكثر أن يكون تغييرا من الحال المعتادة إلى حال غريبة... واختيار لفظ «انقَلَبُوا» دون «رَجَعُوا» أو «صَارُوا» لمناسبته للفظ غلبوا في الصّيغة، ولما يشعر به أصل اشتقاقه من الرّجوع إلى حال أدون فكان لفظ انقلبوا أدخل في الفصاحة"[4]، وبما أنّ «قَلَب» بمعنى تحويل الشّيء عن وجهه وصرفه، و«انْقَلَب» بمعنى الانْكباب والرّجوع[5]، فهذا يدلّ على رجوع السّحرة إلى حال الاستصغَار والاحتقار بعدما كانوا يظنّون أنّهم غالبون، فتلاشى سحرهم واضمحلّ باطلهم[6].

–قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ مريم: ٩٢، وفي هذه الآيةِ دليلٌ على وحدانيةِ اللهِ تعالى، فلا يليقُ به أنْ يتَّخِذَ ولداً؛ لأنَّ جميعَ الْخلائقِ عبيدٌ عندَه[7].

محلُّ الشّاهدِ في الآية قوله: «يَنْبَغِي» مضارِع انْبَغَى، وقد ذكرَ ابنُ عاشُور أنَّ "أصل الانبغاء: مطاوع فعل بغى الّذي بمعنى الطّلب؛ أي بغاه فانبغى له، ومعنى مطاوعته التّأثّر بما طلب منه... وذكر قول سيبويه

---

[1]: دروس التَّصريف: محمّد مُحْي الدِّين عبد الحميد، ص76.

[2]: المنصف: ابن جنّي، 1/(71- 72- 75). وينظر: أدبُ الكاتب: أبو محمَّد عبدُ اللهِ بن مسلم بن قتيبة، تح: محمّد الدّالي، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت، ص471.

[3]: جامع البيان: الطّبري، 361/10.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 51/9.

[5]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ق ل ب).

[6]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص300.

[7]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 177/3.

أنّ كلّ فعل فيه علاج يأتي مطاوعته على الانفعال: كضرب، وطلب، وعلم... وكلّ ما ليس فيه علاج لا يتأتّى في مطاوعة الانفعال البتّة...[1]، وهذا المعنى؛ أي انبغى مطاوع بغَى ذكره أيضا في قوله: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ الفرقان: ١٨، وعلّقَ عليه في موضع آخَرَ في قوله تعالى:﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴿٤٠﴾ ﴾ يس: ٤٠، حيثُ يذكُرُ كذلك أنّ انْبَغَى مطاوِع بَغَى الّذي هو بمعنَى طلَب، فانْبَغَى يُفيدُ أنَّ الشّيءَ طُلِبَ فَحُصِلَ للّذي طلبَه، يقال: بَغَاه فانْبَغَى له فإثباتُ الانْبِغَاء يفيدُ التّمكّنَ مِنَ الشّيءِ فلا يعنِي ذلك وجوبَ حصولِه، ونفي الانبغاءِ يفيدُ نفي إمكانِه وحصولِه ولذلك يكنَّى به عنِ الشّيءِ المحظورِ[2]. وإلى هذا المعنى ذَهَبَ أبُو حيَّان في تفسيرِه[3].

وما ذَهَبَ إليه المفسِّرونَ لا يَحصُلُ بالفعلِ المجرَّد «بَغَى»؛ لأنَّه بمعنى: طَلَب، أمّا انْبَغَى فهو بمعنَى صَلُح[4]، ويظْهرُ هنا أنَّ الزِّيادَةَ قدْ أكسبَتْ معنًى في الآيةِ وهي نَفي إمكانِ حصولِ ذلك لأنَّه لا يَصْلُحُ للهِ جلّ وعَلَا أنْ يكونَ لهُ ولدٌ تعالى عَنْ ذلك عُلُوًّا كبيرا.

وقد ذكر هذه الدّلالة في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٠، يقول ابن عاشور: "وانْبَجَسَت مطاوع بَجَس إذا شقّ..."[5]. وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ التوبة: ٥، حيث ذكر أنّ انسلاخ الأشهر انقضاؤها وتمامها وهو مطاوع سَلَخ، وهو في الحقيقة استعارة من سلخ جلد الحيوان؛ أي أزالته[6]، وفعل الانسلاخ ذكره في موضع سابق في سورة الأنفال الآية 175 ولم يذكر دلالته

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 172/16. وينظر المصدر نفسه، 63/23. وينظر: نفسه، 262/23.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، 339/18. والمصدر نفسه، 24/23.

[3]: البحر المحيط: أبو حيّان، 207/6.

[4]: لسان العرب: ابن منظور، مادّة (ب غ ي).

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 144/9.

[6]: المصدر نفسه، 114/10.

الصّرفيّة[1]، وقوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ القمر: ١، وانشقّ مطاوع شقّه[2]، وقوله أيضا: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ ۝١١ ﴾ الجمعة: ١١، والانفضاض: مطاوع فضّه؛ إذا فرّقه[3]، وفي قوله تعالى﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ ﴾ الانفطار: ١ – ٢، فالانفطار والانتثار كلاهما مطاوع فَطَر ونثَر[4].

ملاحظة:

وقد علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في مصدر صيغة «انْفَعَل» كما في قوله تعالى: ﴿ ...وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦ ﴾ التوبة: ٤٦، بقوله: "والانبعاث مطاوع بَعَثَه إذا أرسله"[5]، وفي اسم الفاعل من انفَعَل كما في قوله تعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ۝٢٠ ﴾ القمر: ٢٠، وقوله:﴿ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ۝٦ ﴾ الواقعة: ٦؛ بقوله: "فالمنقَعِر: اسم فاعل من انقَعَر مطاوع قَعَره، والمنبثّ اسم فاعل من انْبَثّ مطاوع بثَّه"[6]، وفي قوله: ﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ ﴾ البينة: ١، فالانفكاك مطاوع فكَّه[7].

–مطاوعة أفْعَل: وعلّق ابن عاشور على هذه الدَّلالة في موضع واحد وهو:

---

[1]: المصدر السّابق، 176/9.

[2]: المصدر نفسه، 170/27. وينظر: المصدر نفسه، 126/29.

[3]: المصدر نفسه، 229/28.

[4]: المصدر نفسه، 171/30.

[5]: المصدر نفسه، 215/10. وينظر: المصدر نفسه، 373/30.

[6]: المصدر نفسه، 194/27-284.

[7]: المصدر نفسه، 472/30.

ـ قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ الكهف: ٧١، وفي هذه الآيةِ إخبارٌ عَنِ انْطِلاقِ موسَى والخضرِ عليهِما السّلام لما توافَقَا عليه[1].

ووجهُ الاستدلالِ في الآيةِ قولُه: «فَانْطَلَقَا»، حيث ذهَبَ ابنُ عاشور إلى أنَّ "الانْطِلاقَ: الذّهابُ والمشي مشتقٌّ مِنَ الإطلاق...فأصلُه مطاوِعُ أطْلَقَه"[2].

وهذا المعنَى المذكورُ في الفعلِ المزيدِ فيه لا يحصُلُ بالفعلِ المجرَّدِ «طَلُق»؛ لأنَّهُ بمعنَى التَّرك والإرسال[3]وهذا الفعلُ المجّردُ لم يُسْتَعملْ إلَّا بالزِّيادَة[4]، أمَّا «انْطلقَ» فهو بمعنَى الذّهاب، ومِنْهُ فقدْ أضافَت الزِّيادةُ معنًى في الآيةِ وهو ذَهَابُ موسَى والخِضْر عليهما السَّلام وانطلاقهما لِمَا عزَمَا عليه.

–مطاوعَة فَعَّل: وعلّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في موضع واحد وهو:

–قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾ التكوير: ٢، وفي هذه الآيةِ إخبارٌ عَنْ حالِ النُّجومِ في السَّماءِ يومَ القِيامَة، حيثُ تَتَغيّرُ وتتساقطُ مِنْ أفلاكِها[5].

وموضعُ الشّاهدِ في قولِه تعالى: «انْكَدَرَتْ»، والانْكِدارُ كما ذَكَرَهُ ابن عاشور "مطاوِعُ كَدَّرَهُ المضاعَف على غيرِ قِياس"[6]، وإلى هذا المعنى ذَهَبَ البيضاوي في تَفسيرِه[7].

وهذا المعنَى لا يَتَأتَّى بالفعلِ المجرَّدِ «كَدَر»، لأنَّه ضِدُّ الصّفاءِ والكُدْرة تكونُ في اللّونِ خاصّةً وهو ما كانَ يميلُ إلى السّوادِ والغبرة، أمّا الانْكدَارُ فهو بمعنَى التَّناثُرُ؛ وهو تغيّرٌ مِن انتثارِ الشّيءِ[8]، ويتبيَّنُ هنا

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 123/3. وينظر: روح المعاني: الألوسي، 335/15.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 374/15.

[3]: تاج العروس: الزّبيدي، 93/26.

[4]: التّكملة: أبو علي الحسن، ص528. وينظر: المقتصد في شرح التّكملة: عبد القاهر بن عبد الرّحمان الجرجاني، تح: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الدّويش، الرّياض، ط1، 1428هـ/2007م، 1095/2.

[5]: ينظر: جامع البيان: الطّبري، 132/24. وتيسير الكريم الرحمان: السّعدي، ص912.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 141/30.

[7]: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: البيضاوي، 502/3.

[8]: لسان العرب: ابن منظور، مادّة (ك د ر). وينظر: المفردات: الأصفهاني، ص551.

أنّ الزِّيادَةَ قدْ أضافتْ معنًى ألَا وهو تناثُرُ النّجومِ مِنَ السَّماءِ يومَ الْقِيامة؛ وكأنّهُ حصلَ لها انْكدارٌ منْ تكْدِيرِ الشّمسِ لها حينَ زالَ عنها انعكاسُ نورِها كما أفاده ابن عاشور[1].

وقد قامَتْ نجاة عبد العظيم الكوفِي بإحصاءِ أفعالِ هذه الصِّيغةِ فِي القرآنِ الْكرِيم فوجَدَتها خمسَة عشرَ فِعْلاً[2]، وقد زادَ عبدُ الخالق عظيمة فعلاً آخرَ وهو عبارةٌ عَنْ اسمِ فاعلٍ للفعل «انْبَثَّ»[3] في قوله تعالى:﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ الواقعة: ٦ ، فصارَتْ بهذا ستَّة عشرَ فعلاً، وقد علَّقَ ابنُ عاشور على عشرة أفعالٍ منْ بينِ ستّة عشر فعْلاً؛ ثمانيةٌ أفعالٍ لمطاوعةِ فَعَل، وفعْلَان أحدُهُما لمطاوعةِ أفْعَل والآخرُ لمطاوعةِ فعَّل.

خامسا: معنى افْعَلَّ:

وهذهِ الصِّيغةُ لا تأتِي إلّا "لغرضٍ واحدٍ وهو المبالغة"[4]؛ أي لقوّةِ اللّونِ أوِ الْعيبِ ولا تكونُ إلّا لازِمةً[5]، وهي مِنْ أقلِّ الصِّيغِ المزيدةِ وروداً في القرآنِ الكريمِ فقد ذُكِرَتْ في أربَعةِ أفعال؛ الاثنان الأوّلان فِعْلَا: ابْيَضَّ واسْوَدَّ[6]، والاثنان الآخرانِ عبارةٌ عَنْ أحدِ مشتقّاتِ الفعلِ وهو اسمُ الفاعلِ في: مُخْضَرٌّ مِنْ اخْضَرّ، ومُصْفَرٌ مِنِ اصْفَرّ، وهذه الصّيغة توجدُ في بعضِ المواضعِ نحو(سورة آل عمران: 106) و(سورة يوسف: 84) و(سورة الروم:51) و(سورة الحديد:20)[7]و(سورة الزّمر:21)، وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذهِ الصّيغة ما يلِي:

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 141/30.

[2]: أبنية الأفعال (دراسة لغويّة قرآنية): نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثّقافة، 1409هـ/1989م، ص27.

[3]: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عظيمة، ج:1، قسم2، ص393.

[4]: شرح مختصر التّصريف العزي: التّفتازاني، ص41.

[5]: علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، ص241.

[6]: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عظيمة، قسم:2، 482/4-485. وينظر: أبنية الأفعال: عبد العظيم نجاة الكوفي، ص28.

[7]: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: عبد الخالق عظيمة، قسم2، 482/4.

-قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ يوسف: ٨٤، لم يعلق ابن عاشور على دلالتها في هذا الموضع بل ذكر فقط أنّ ابيضاض العينين: ضعف البصر[1].

وقد علّق على هذه الدّلالة في أحد مشتقّات صيغة افْعَلّ وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ النحل: ٥٨، بقوله: "واسوداد الوجه: مستعمل في لون الوجه الكئيب إذ ترهقه غبرة، فشبّهت بالسّواد مبالغة"[2]. وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الحج: ٦٣، حيث يقول ابن عاشور: "والمخضرّة الّتي صار لونها الخضرة، يقال اخضرّ الشّيء كما يقال: اصفرّ التّمر... وصيغة افعَلّ ممّا يصاغ للاتّصاف بالألوان"[3]، وقد أشير إلى هذه الصّيغة في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الروم: ٥١، في قوله: «مصْفَرًّا» ولكن لم يعلّق ابن عاشور على هذه الصّيغة ولا على دلالتها[4].

ويتّضحُ منَ النّماذجِ الّتي حواهَا هذا الباب كثرةُ تعليقات ابن عاشور عليها فلا نَكادُ نمرُّ على آيةٍ إلّا ونجدُه قدْ علّقَ عليها في ثنايا تفسيرِه، وهذهِ التّعليقاتُ على الأفعالِ المزيدةِ بحرفين ودَلالاتِها كانَتْ في الكثيرِ مِنَ الأحيانِ موافقةً لما عرضناهُ منْ آراءِ مفسّرينَ آخرِينَ، وفي بعضِ الأحيانِ تخالِفُها في ذلِكَ، وفي بعضِ النّماذجِ نذْكُرُ رأيَ ابنِ عاشور فقط لأنّ التفاسيرَ الّتِي بحوزتِنا لم تتناول تلك الدّلالة في ذلك الموضع. وأكثر صيغة علّقَ فيها ابنُ عاشور على دلالاتها هي صيغَةِ افتَعل.

لقد علّق ابن عاشور في صيغة افْتَعَل على سبعة معانٍ وهي: المشاركة، والطّلب، والتّكلّف، والمبالغة، المطاوعة، وافْتَعل بمعنى فَعَل، والاستغناء عن المجرّد. أمّا في صيغة تَفَعَّل فذكر ستّة معانٍ وهي: التّكلّف، والمطاوعة، والمبالغة، والاتّخاذ، والإزالة، وتَفَعّل بمعنى فَعَل. أمّا صيغة تَفَاعَل فعلّق فيها على أربعة معانٍ

[1]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 43/13.
[2]: المصدر نفسه، 184/14.
[3]: المصدر نفسه، 319/17.
[4]: ينظر: المصدر نفسه، 125/21.

وهي: المشاركة، والمبالغة، ومطاوعة فَاعَل، والتّكلّف. أمّا انْفَعَل وافْعَلّ لهما معنى واحد لكلّ صيغة الأولى لا تأتي إلّا للمطاوعة، والثّانية تكون للمبالغة فقط.

وقد اشتركت أربع صيغ وهي: (افْتَعَل، وتفَعّل، وتَفَاعل، وافعَلّ) في معنى واحد وهو: المبالغة، أمّا دلالة التّكلّف فقد اشتركت فيها ثلاث صيغ وهي: (افتعل، وتفعّل، وتفاعل)، أمّا معنى المطاوعة والصيغة بمعنى فَعَل فقد اشتركت فيها صيغتان هما: (افتَعَل وتَفعَّل)، أمّا دلالة المشاركة فقد اشتركت فيها صيغتان هما: (افْتَعَل وتَفَاعَل)، وانفردت صيغة افْتَعَل بدلالة: الطّلب والاستغناء عن المجرد، وصيغة تَفَعَّل بدلالة: الاتّخاذ والإزالة، أمّا صيغة تفاعل فانفردت بدلالة مطاوعة فَاعَل.

المطلب الثّالث: المزيد بثلاثة أحرف.

وهو ما زِيدَ فيه ثلاثَة أحرُف على حُروفِهِ الأصليّةِ الثّلاثَة ويأتِي على أربع صيغ:

-اسْتَفْعَل: وهي أكثَر صيغِ هذا الباب اسْتِعمالاً، نحو: اسْتَخْرَج واستَسْقَى واسْتَدْرَج... ومضَارِعُها «يَسْتَفْعِل» نحو: يَسْتَخْرِجُ ويَسْتَدْرِجُ....

-افْعَالّ: نحو: احْمَارّ وابْيَاضّ واعْوَارّ... ومُضَارِعُه «يَفْعَالّ»، وهذه الصّيغة قليلة الاستعمال.

-افْعَوْعَل: نحو: اعْشَوْشَب واحْلَوْلَق... ومضَارِعُه «يَفْعَوْعِل» نحو: يَعْشَوْشِبُ...

-افْعَوَّل: نحو: اجْلَوَّذ واعْلَوَّط... ومضارِعُه «يَفْعَوِّل»، وهاتان الصِّيغتان؛ أي افْعَوعَل وافْعَوَّل تدلّان على قوّة في المعنى أكثر من الثّلاثي[1]، وهما غيرُ موجودتين في القرآنِ الكريم.

وهذه الصِّيغُ الأربعة يدخِلُها أبو حيّان في قِسْمِ غيرِ الملحق غير المماثِل للرّباعي[2].

ولم يرِد في هذا الباب إلّا صيغتان في القرآنِ الكريمِ مِنْ بينِ أربعِ صيغٍ وهما: اسْتَفْعَل وافْعَالّ.

[1]: الموجز في قواعد اللّغة: الأفغاني سعيد، دار الفكر، 1390هـ/1971م، ص39.

[2]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص178.

1-معاني اسْتَفْعَل.

واسْتَفْعَل مِنْ أشهرِ أوزانِ هذا الباب، ولها عدّةُ معانٍ فقدْ أوصلَها أبُو حيّان إلى اثني عشرَ معْنى[1]، أمّا ابن عصفور فقد ذكر لها خمسة معان، وابن جنّي ذكر لها أربعة معان[2] ومِنْ معانِي هذه الصّيغة ما يلي:

-الطّلب: وهي تدلُّ على "نسبةِ الفعلِ إلى الفاعلِ للدَّلالةِ على إرادةِ تحصيلِ الحدثِ مِنَ المفعولِ"[3]، ومِنْ الشّواهد الّتي علّق عليها ابن عاشور في هذهِ الدّلالةِ ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٥، وفي هذه الآية ذِكْر اعتذار مرتكبي المعاصي لربّهم عن جناياتهم وذنوبهم الصّادرة منهم، ومبادرتهم إلى التّوبة والاستغفار، وذكر الله، وسؤاله المغفرة لذنوبهم، والسّتر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها[4].

والشّاهد قوله: «فَاسْتَغْفَرُوا»، يقول ابن عاشور: "والاستغفار طلب المغفرة؛ أي السّتر للذّنوب... ولـمّا كان طلب الصّفح عن المؤاخذة على الذّنب لا يصدر إلّا من النّدامة، ونيّة إقلاع الذّنب، وعدم العودة إليه، كان الاستغفار في لسان الشّارع بمعنى التّوبة، إذ كيف يطلب العفو عن الذّنب من هو مستمرّ فيه ..."[5]، وهذا ما ذكره في تفسيره لقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾النساء: ١١٠، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ﴿٧٤﴾ ﴾ المائدة: ٧٤، وقوله: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴿٣﴾ ﴾ هود: ٣ حيث ذكر أنّ المراد بالاستغفار طلب المغفرة والعفو من الله عمّا مضى من الذّنوب قبل التّوبة[6].

---

[1]: البحر المحيط: أبو حيّان، 1/(140-141).

[2]: ينظر: الممتع: ابن عصفور، ص132. والمنصف: ابن جنّي، 1/77-78.

[3]: دروس التّصريف: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ص82.

[4]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص149.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 92/4.

[6]: المصدر نفسه، 196/5، وينظر: المصدر نفسه، 284/6، ونفسه، 317/11.

وقولنا: غَفَر الله ذنوبه؛ أي سترَها، أمّا اسْتَغْفَر اللهَ: طلب منه غَفْره[1]؛ فهذه الدّلالة استوقفتنا على معنى لطيف وهو استشعار مرتكبي المعاصي سعة مغفرة الله، حيث توجّهوا لطلب ستر ذنوبهم وعيوبهم من الله سبحانه وتعالى، لعلمهم ويقينهم أنّه الوحيد القادر على أن يغفر الذّنوب جميعا إنّه هو الغفور الرّحيم.

-قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنفال: ١٩، وفي هذه الآية خطاب للمشركين من أهل مكة الّذين حاربوا رسول الله ﷺ ببدر؛ حيث قال لهم الله: إن تستحكموا الله أن يوقع عذابه وبأسه على المعتدين الظّالمين مِنْ أقطع الحزبين للرّحم وأظلم الفئتين وتستنصروه عليه، فقد جاءكم حكم الله ونصره المظلوم على الظّالم، والمحقّ على المبطل؛ حيث أوقع عليكم ما طلبتم، وإن تكفّوا عن طلب ذلك فهو خير لكم[2].

ويذكر ابن عاشور أنّ الاستفتاح هنا للدّلالة على الطّلب حسب رأي المفسّرين الّذين جعلوا الخطاب في هذه الآية للمسلمين حيث يقول: "والاستفتاح على هذا التّفسير كناية عن الخروج للجهاد؛ لأنّ ذلك يستلزم طلب النّصر..."[3]، وقد ذكر أبو حيّان أنّ من حمله على خطاب المؤمنين فالمعنى: "إن تستنصروا فقد جاءكم النّصر، وإن تنتهوا عن مثل ما فعلتموه في الغنائم والأسرى قبل الإذن فهو خير لكم... وقال الأكثرون: هي خطاب لأهل مكة على سبيل التّهكم..."[4] وقد أشار ابن عاشور إلى هذه الدّلالة في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ إبراهيم: ١٥، بقوله: "الاستفتاح: طلب الفتح وهو النّصر؛ أي طلبوا النّصر على رسلهم فخابوا في ذلك"[5].

فالفعل «فَتَح» من الفتح الّذي هو نقيض الإغلاق، وقيل الفتح: النّصر، أمّا «استَفْتَح» فهو بمعنى اسْتَنْصر[6]، وما يناسب سياق الآية من حيث سبب النّزول هو رأي الجمهور في أنّ الخطاب موجّه للمشركين؛ لأنّه يلائم طلب المشركين النّصر على المؤمنين في غزوة بدر.

---

[1]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (غ ف ر).

[2]: الطّبري: جامع البيان، 89/11. وينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص317.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 300/9.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 473/4.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 209/13-210.

[6]: المصباح المنير: الفيومي، ص461. وينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ف ت ح).

-قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ النور: ٢٧، ذُكِر في هذه الآية أحد الآداب الشّرعيّة الّتي أدّب الله بها عباده المؤمنين؛ وهو الاستئذان قبل دخول بيوت غير بيوتهم، والتّسليم عليهم بعده[1].

يقول ابن عاشور: "ومعنى تَسْتَأنِسُوا؛ أي تطلبوا أن يأنس بكم صاحب البيت، وأنسه به بانتفاء الوحشة والكراهيّة. وهذا كناية لطيفة عن الاستئذان؛ أي يستأذن الدّاخل؛ أي يطلب إذنا من شأنه ألّا يكون معه استيحاش ربّ المنزل بالدّاخل"[2].

وما ذهب إليه ابن عاشور لا يحصل بالفعل المجرّد «أنَس»؛ لأنّه من الأنْس الّذي هو ضدّ الوحشة، أمّا «اسَتأنس» فهو بمعنى اسْتَأذن واستعلم[3]، فهذه الزيادة في الآية دلّت على فضيلة عظيمة وهي مشروعيّة الاستئذان، والحفاظ على حرمة البيوت؛ حيث نُهوا عن دخول بيوت غيرهم حتّى يطلبوا الإذن من أهلها ليعلموا إن كان يؤذَن لهم أم لا.

ملاحظة:

وقد ذكر ابن عاشور دلالة الطّلب في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ٨٣ ﴾ النساء: ٨٣، بقوله: "والاستنباط: حقيقته طلب النَّبَط، وهو أوّل الماء الّذي يخرج من البئر عند الحفر"[4]، وقوله: ﴿ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ ٥٧ ﴾ الأنعام: ٥٧، حيث ذكر أنّ الاستعجال: طلب التّعجيل بالشّيء[5]، ونظيره قوله: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ ﴾ النحل: ١، والاستعجال طلب تعجيل حصول الشّيء[6]، وفي قوله أيضا: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ

---

[1]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 352/3.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 197/18.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (أ ن س).

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 141/5.

[5]: المصدر نفسه، 267/7.

[6]: المصدر نفسه، 97/14.

﴿ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴿٦﴾ ﴾ التوبة: ٦، حيث ذكر أنّ الاستجارة طلب الجوار، وهو الكون بالقرب[1]. وفي قوله أيضا: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ...﴿٦٤﴾ ﴾ الإسراء: ٦٤، "والاستفزاز: طلب الفزّ وهو الخفّة والانزعاج... والسّين والتّاء فيه للجعل النّاشئ عن شدّة الطّلب والحثّ الّذي هو أصل السّين والتّاء"[2].

– **المبالغة:** ومِنْ نماذجِ ما ذكره ابن عاشور في هذهِ الدّلالة من القرآنِ الكريمِ ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ المائدة: ٨٢، وفي هذه الآية إشارة لطائفة من النّصارى وهم القسّيسون والرّهبان، حيث وُصِفُوا بالعلم والتّواضع والعبادة، وعدم التّكبّر والعتوّ عن الانقياد للحقّ، وأنّهم يدينون بالمودّة للإسلام وأهله لعلمهم أنّه دين الحقّ[3].

والشّاهد في الآية قوله: «يَسْتَكْبِرُون» مضارع اسْتَكْبر، حيث يذكر ابن عاشور أنّ السّين والتّاء في الاستكبار للمبالغة[4]، ونظيره قوله تعالى:﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يونس: ٧٥، حيث يقول: "والسّين والتّاء في «اسْتَكْبَرُوا» مبالغة في التّكبّر، والمراد أنّهم تكبّروا على تلقّي الدّعوة من موسى عليه السّلام، لأنّهم احتقروه وأحالوا أن يكون رسولا من الله وهو من قوم مستعبدين..."[5].

وهذا المعنى الّذي ذُكر لا نلتمسه في الفعل المجرّد «كَبُر»؛ الّذي هو بمعنى عَظُم، لأنّ «استكبَر» بمعنى الامتناع عن قبول الحقّ[6]، فاقتران هذه الصّيغة بالنّفي وصفت لنا وصفا لطيفا حال الرّهبان والقسّيسين؛ حيث دلّت على مبالغة هذه الطّائفة في عدم الامتناع عن قبول الحقّ إذا تبيّن لهم وعلموه.

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 118/10.

[2]: المصدر نفسه، 153/15.

[3]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص241-242. وينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 109/2-110.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 7/7-8.

[5]: المصدر نفسه، 247/11.

[6]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ك ب ر).

-قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ (١٢٨) ﴾ الأنعام: ١٢٨؛ أي يوم يحشر الله جميع الثّقلين من الجنّ والإنس، من ضلّ منهم، ومن أضلّ غيره، فيقول موبّخا للجنّ الّذين أضلوا الإنس: يا معشر الجنّ قد أكثرتم من إضلالهم وصدّهم عن سبيل الله، فاليوم حقّت عليكم لعنتي، ووجبت لكم نقمتي، وسنزيدكم في العذاب بحسب كفركم، وإضلالكم لغيركم[1].

والشّاهد قوله: «استَكْثَرتُم»، يقول ابن عاشور: "والاستكثار شدّة الإكثار، فالسّين والتّاء للمبالغة مثل: الاستلام والاستخداع والاستكبار، ويتعدّى بمن البيانيّة إلى الشّيء المتّخذ كثير يقال: استكثر من النّعم أو المال؛ أي أكثر من جمعها... ولا يتعدّى بنفسه تفرقة بين هذا المعنى وبين استكثر الّذي بمعنى عدّ الشيء كثيرا كقوله: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) ﴾ المدثر: ٦"[2]، فهنا ابن عاشور يشير أنّ استكثر المعدّى بحرف الجرّ «من» يأتي بمعنى المبالغة، أمّا «استكثر» المتعدّى بنفسه فهو يأتي بمعنى العدّ والحسبان؛ وهذا مراده من قوله: عدّ الشّيء كثيرا.

والمعنى الّذي ذهب إليه ابن عاشور لا يُؤَدّى بالفعل المجرّد «كَثُر»؛ لأنّه من الكثرة الّتي هي نقيض القلة؛ وهي نماء العدد، و «اسْتَكْثر من الشّيء»؛ إذا رغب في الكثير منه وأكثر منه أيضا[3]، وهذه الدّلالة صوّرت لنا مشهدا فظيعا ومخيفا وهو مبالغة الجنّ ورغبتهم في التّكثير من الإنس لاتّباعهم وإضلالهم عن طريق الحقّ.

وقد ذكر ابن عاشور معنى المبالغة في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ (٣٥) ﴾ الأنعام: ٣٥[4]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) ﴾ التوبة:

[1]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص273.
[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الأوّل، 67/8.
[3]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ك ث ر).
[4]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 204/7.

٧ ، حيث ذكر أنّ السّين والتّاء في الاستقامة للمبالغة مثل : استجاب واستحبّ...[1] . وقوله أيضا: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ هود: ٦١، والاستعمار: الإعمار؛ أي جعلكم عامرينها فالسّين والتّاء للمبالغة كالّتي في استبقى واستفاق[2].

تنبيه:

وقد علّق ابن عاشور على دلالة المبالغة في مصدر الفعل استفعل كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ ﴿١١﴾﴾ يونس: ١١، وعبّر عن تعجيل الله الخير لهم بلفظ «استعجالهم» الدّال على المبالغة في التّعجيل بما تفيده زيادة السّين والتّاء لغير الطّلب، نحو قولهم: استأخر، واستقدم، واستجلب، واستقام، واستبان، واستجاب، واستمتع، واستكبر، واستخفى...[3].

–اسْتَفْعَل بمعنَى أَفْعَل: وممّا علّقَ عليه ابن عاشُور في هذه الدَّلالة ما يلي:

– قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ البقرة: ١٨٦، وهذا جواب سؤال سُئل للنّبيّ ﷺ من بعض أصحابه عن قرب الله سبحانه وإجابته لدعائهم، فكان الجواب أنّ الله قريب منهم، مطّلع على أحوالهم، وسامع لدعائهم، فأمرهم بالاستجابة لأوامره، والإيمان به؛ لأنّ ذلك أنفع وسيلة لإجابة دعائهم[4].

والشّاهد قوله: «فَلْيَسْتَجِيبُوا» مضارع استجاب، يقول ابن عاشور: "واستجاب وأجاب بمعنى واحد"[5]، وهذا المعنى ذكره أيضا في قوله: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ ﴿١٩٥﴾﴾ آل عمران: ١٩٥، وفي قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 122/10.

[2]: المصدر نفسه، 108/12.

[3]: المصدر نفسه، 107/11.

[4]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص87. وينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 300/1.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 180/2، وينظر: المصدر نفسه، 202/4.

﴿ دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤، حيث يقول: "والاستجابة: الإجابة، فالسّين والتّاء فيها للتّأكيد"[1]، وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيّان في تفسيره حيث ذكر أنّ استجاب بمعنى أجاب[2].

وما ذهب إليه أبو حيّان وابن عاشور لا يحصل بالفعل «جَاب»؛ لأنّه من الجواب الّذي يقال في مقابلة السّؤال، أمّا أجاب فهو من الإجابة، فيقال: أجاب اللهُ دُعاءه إذا قَبِله، وقيل: هي التّحري للجواب والتّهيّؤ له، واستَجاب له إذا دعاه إلى شيء فأطاع[3]؛ أي إذا كنت أجيب دعوة الدّاعي فليجيبوا أوامري[4]؛ لأنّ إيمانهم بالله سبحانه وطاعته، واستجابتهم لأوامره ونواهيه سبب لإجابة دعائهم.

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٥، يخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال الّذين انهزموا يوم أحد، وأنّ ذلك تسويل الشّيطان، وتسلّطه عليهم ببعض ذنوبهم[5].

والشّاهد قوله: «اسْتَزَلَّهم» يقول ابن عاشور: "واستزلّهم بمعنى أزّلهم؛ أي جعلهم زالّين... والسّين والتّاء فيه للتأكيد مثل: استفاد واستبشر واستنشق"[6]. إلّا أنه في موضع لاحق أشار أنّ الفعل في هذه الآية للمبالغة كما في قوله:﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الزخرف: ٥٤، حيث ذكر أنّ السّين والتّاء في «اسْتَخَفّ» للمبالغة في أخفّ مثل قوله:﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾[7].

وهذه الدّلالة في الفعل «اسْتَزلّ» أشار إليها أبو حيّان حيث ذكر أوّلا دلالة الطّلب، ثم رجّح دلالة استَفعَل بمعنى أفعل بقوله: "واسْتَزلّ هنا استَفعل للطّلب، أي: طلب منهم الزّلل، ودعاهم إليه لأنّ ذلك هو مقتضى وسوسته، وتخويفه هكذا قالوه ولا يلزم من طلب الشّيء واستدعائه حصوله، فالأولى أن يكون استَفعَل هنا بمعنى أفعَل، فيكون المعنى أزلّهم الشّيطان، فيدلّ على حصول الزّلل، ويكون اسْتَزلّ وأزلّ بمعنى

---

[1]: المصدر السّابق، 312/9.

[2]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 33/2.

[3]: ينظر: المصباح المنير: الفيومي، ص113، والمفردات: الأصفهاني، ص133.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 180/2.

[5]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص153.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 139/4-140.

[7]: المصدر نفسه، 233/25.

واحد"[1]. أمّا الزّمخشري وأبو السّعود والبيضاوي فقد ذكروا أنّ استَزلّ لدلالة الطّلب، أي: طلب منهم الزّلل فأطاعوه[2].

والدّلالة الّتي ذكرها ابن عاشور وأبو حيّان تدلّ على معنى لا نجده في الفعل «زلّ»؛ لأنّه بمعنى زَلِق، والزّلَل: الخطأ، أمّا «أزلّه» بمعنى نحّاه، وأزلّه الشّيطان: حمله على الزّلل؛ أي الخطأ والذّنب، واستَزلّهم الشّيطان: استجرّهم حتّى زلّوا[3]؛ أي حمل الشّيطان الّذين انهزموا في غزوة أحد على الذّنب واستجرّهم إليه بسبب ما اكتسبوه من المعاصي، وفي هذا تنبيه بليغ على عدم التّساهل في المعصية؛ لأنّها سبيل لتسلّط الشّيطان على النّفوس.

تنبيه:

لقد ذكر ابن عاشور في موضع آخر أنّ السّين والتّاء في الفعل «استجاب» تكون للمبالغة كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴿٩﴾﴾ الأنفال: ٩[4]، وفي الفعل «استحبّ» ذكر أنّ استفعل بمعنى أفْعَل كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى ﴿٢٣﴾﴾ التوبة: ٢٣، حيث قال: "استحبّوا: أي أحبُّوه حبّا متمكّنا، فالسّين والتّاء فيه للتّأكيد، مثل ما في استقام واستبشر"[5]، ثمّ ذكر في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ النحل: ١٠٧ أنّ استحبُّوا مبالغة في أحبُّوا مثل استأخر واستكان[6]. وذكر في موضع سابق عند تعليقه على دلالة المبالغة في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

---

[1]: البحر المحيط: أبو حيّان، 98/3.

[2]: الكشّاف: الزّمخشري، 645/1. إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 103/2. أنوار التّنزيل: البيضاوي، 306/1.

[3]: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ز ل ل)، والمفردات: الأصفهاني، ص283.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 274/9.

[5]: المصدر نفسه، 151/10. وينظر: المصدر نفسه، 184/13.

[6]: المصدر نفسه، 296/14.

التوبة: ٧ ، أنّ السّين والتّاء في الفعل «استقام» للمبالغة مثل : استجاب واستحبّ[1]، وعندما علّق على الفعل استَحبّ في سورة التّوبة أشار إلى أنّ الفعل استقام بمعنى أقام.

وهذا الاختلاف في كلام ابن عاشور لا يدلّ على أنّ هناك تناقض في دلالة الفعل «استجاب واستَحبّ واستَقام»؛ لأنّ الدّلالة تكون بحسب سياق الآية القرآنيّة ونظمها، فعلى الرّغم من تكرار الفعل نفسه في بعض الآيات إلّا أنّ معناه قد يختلف عن موضعه السّابق أو اللّاحق، وقد يتّفق.

ملاحظة:

عندما يذكر ابن عاشور أنّ السّين والتّاء للتأكيد فهو يذكرها مقترنة بدلالة استفعل بمعنى أفعل كما في النماذج السابقة المذكورة، وأحيانا أخرى يذكر أنّ السّين والتّاء للتّأكيد فقط دون أن يقرنها بهذا المعنى؛ أي: استفعل بمعنى أفْعَل كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ الأنعام: ١٣٣، حيث يذكر أنّ السّين والتّاء في «الاستخلاف» للتّأكيد، وهذا المعنى ذكره أيضا في تفسيره للآية 129 من سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿١٢٩﴾﴾، وكذلك في الفعل «اسْتَخْفى» من سورة هود عند قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ ﴿٥﴾﴾[2].

–اسْتَفْعَل بمعنَى فَعُل: أي موافقة الفعل المجرّد كما ذكره أبو حيّان[3]، وقد علّق ابن عاشور على هذه الدّلالة في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ ﴿١٩٦﴾﴾ البقرة: ١٩٦، وفي هذه الآية بيان لمناسك الحجّ والعمرة، حيث أمر الله تعالى بإتمامهما بعد الشّروع فيهما، فإن منعهم مانع من إتمامهما، وأرادوا التّحلّل من إحرامهم فعليهم ما تيسّر من الهدي[4].

---

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 122/10.

[2]: ينظر: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 87/8. وينظر المصدر نفسه، 62/9، نفسه، 323/11.

[3]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 140/1-141.

[4]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 317/1. وينظر: جامع البيان: الطّبري، 347/3.

والشّاهد في الآية قوله: «اسْتَيسَر»، حيث ذكر ابن عاشور أنّ "اسْتَيسَر بمعنى يَسُر فالسّين والتّاء فيه للتّأكيد كاستَصعَب عليّ بمعنى صَعُب"[1]، وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان والزّمخشري في أن استفعل بمعنى فعُل[2].

فالفعل المجرّد «يَسُر»، بمعنى لان وسَهُل، و«اسْتَيسَر» بمعنى تسهّل؛ أي تسَهَّل له الأمر[3]، وهذه الصّيغة أشارت إلى حكم شرعي دقيق وهو جواز التّحلل من الإحرام لمن منعه مانع من إتمام المناسك بذبح ما سَهُل له من الهدي؛ وهذه الرّخصة للتّيسير والتّسهيل لهم في أمر ذبح الهدي الّذي كان معهم بعدما صدّوا عن إتمام المناسك في عام الحديبية.

ـ **اسْتَفْعَل بمعنى تَفَعَّل**: وذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في موضعين:

– الأوّل: قولُه تعالَى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦؛ أي من خَلَع كلّ ما يُعبَد من دون الله وتبرّأ منها، وآمن بالله وعبده ووحَّده فقد ثبت في أمره واستقام على الطّريق المثلى والصّراط المستقيم[4].

والشّاهد قوله: «اسْتَمْسَك»، يقول ابن عاشور: "ومعنى اسْتَمْسَك تَمَسَّك، فالسّين والتّاء للتّأكيد كقوله: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ ﴿٤٣﴾ ﴾ الزخرف: ٤٣ ... إذ لا معنى لطلب التّمسّك بالعروة الوثقى بعد الإيمان بل الإيمان التّمسّك نفسه"[5]، وأشار أبو السّعود إلى أنّ اسْتفْعَل هنا للمبالغة[6]، أمّا البيضاوي فقد ذكر أنّها للطّلب بقوله: "طلب الإمساك عن نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق"[7].

وما ذهب إليه ابن عاشور في أنّ استَمسَك بمعنى تمسّك؛ الّذي هو بمعنى "اعتصم"[8]، أشار إلى فائدة عظيمة للمؤمن في الدّنيا والآخرة؛ فالمؤمن ثابت ليقين سالم من اضطراب القلب في الدّنيا؛ لأنّه على

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 224/2.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 82/2، والكشّاف: الزّمخشري، 402/1.

[3]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ي س ر).

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 417/1، وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص111.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 29/3.

[6]: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 250/1.

[7]: أنوار التّنزيل: البيضاوي، 219/1.

[8]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (م س ك).

الحقّ والبصيرة، وهو ناج من مهاوي السّقوط في الآخرة لما وعده الله له من الفضل والثواب الجزيل، وفي هذا تشبيه بديع لهيأة المؤمن في ثباته على الإيمان واعتصامه بالدّين القويم؛ فهو كحال من تمسّك واعتصم بعروة حبل متين لا ينفصم كما أفاده ابن عاشور[1]، فالتّمسّك بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ من أعظم وسائل السّعادة في الدّنيا والفوز في الآخرة.

-الثّاني: قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ الأعراف: ٣٤، وفي هذهِ الآيةِ ذكرٌ لآجالِ خَلْقِ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى، فإذا جاءَ أجلُهُم لا يستأخرُونَ ساعةً ولا يستقدمُون[2].

والشّاهدُ في الآيةِ قولُهُ: «يَسْتَأخِرُونَ ويَسْتَقْدِمُونَ» مضارِعُ اسْتَقْدَمَ واسْتَأخَرَ، حيث يذكر ابن عاشور أنّ "يستأخرُونَ ويستقدمُون بمعنى: يتأخّرون ويتقدّمون، فالسّين والتّاء فيهما للتّأكيد مثل: استجاب"[3]، وقد ذكر في موضع آخر من سورة الحجر عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ الحجر: ٢٤، أنّ السّين والتّاء في استقدم واستأخر للتّأكيد بقوله: "والسين والتّاء في الوصفين للتأكيد مثل: استجاب، ولكن قولهم: استقدم بمعنى تقدّم على خلاف القياس لأنّ فعله رباعي، وقد تقدّم عند قوله تعالى:﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ في سورة الأعراف"[4].

وذكر البيضاوي دلالتين للصّيغة الأولى: استَفعَل بمعنى تفعَّل؛ أي: يستأخرُون ويستقدمُون بمعنَى يتأخّرُون ويتقدَّمُون، والثّانية: الطّلب؛ أي: لطلبِ التّأخُّرِ والتّقدُّم[5].

وهذا المعنَى الّذِي ذُكِرَ؛ أي اسْتَفْعَلَ بمعنَى تَفَعَّل، أضْفَى معنًى في الآيةِ وهو أنّ اللهَ تعالَى هوَ الّذِي يُقدِّمُ ويُؤخِّرُ آجالَ خَلْقِه؛ أي أنّهم لا يتجاوزونه بتأخير ولا يتعجّلونه بتقديم، وهذا تمثيل لحالة من لا

[1]: ينظر: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 3/29-30.
[2]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 2/267.
[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 8/105.
[4]: ينظر: المصدر نفسه، 14/40.
[5]: أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: البيضاوي، 1/542.

يستطيع التّخلّص من وعيد أو نحوه، بهيئة من احتبس بمكان لا يستطيع تجاوزه إلى الأمام ولا إلى الوراء كما أفاده ابن عاشور[1].

-الاستغناء عن المجرّد: وأشار ابن عاشور إلى هذه الدّلالة في موضع واحد وهي:

- قوله تعالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ ...﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١ ففي هذهِ الآيةِ توبيخ للّذِينَ سألُوا مُوسَى عليه السّلام استبدال الطّعامِ الطّيبِ النّافع بالأطعمةِ الدّنيئَة[2].

والشّاهدُ في الآيةِ قولُه: «أَتَسْتَبْدِلُونَ» مضارِعُ اسْتَبْدَلَ، يقول ابن عاشور: "والسّين والتّاء فيه لتأكيد الحدث وليس للطّلب فهو كقولهم: استجاب بمعنى أجاب، واستكبر بمعنى تكبّر... واستبدل وأبدل وبدّل وتبدّل كلّها أفعال مزيدة ولم يسمع منه فعل مجرّد وكأنّهم استغنوا بهذه المزيدة عن المجرّد[3]، أمّا ابنُ عطيّة فذهَبَ إلَى أنّهَا بمعنَى الطّلبِ[4].

وهذا المعنَى الّذِي ذكرَهُ ابنُ عاشور لا يحصُلُ بالفعلِ المجرّدِ «بَدَل»؛ لأنّ بدَل الشّيءِ: غَيْرُه؛ أي الخَلَف مِنْه، أمّا «اسْتَبْدَلَ الشّيءَ» إذا أخذَهُ مكانَه[5]، وعليه فإنَّ هذهِ الزّيادَةَ مِنْ أصلِ الوضعِ أَضْفَتْ معنًى في الآيةِ وهوَ مآل من يكفر بنعم الله؛ وهم الّذين أخذُوا الطّعامِ الدّنيءِ مكان الطّعامِ الطّيب، بسبب إعراضهم عن اختيار الله سبحانه لهم وما أنزله عليهم من المنّ والسّلوى.

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثّاني، 105/8-106.

[2]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 157/1.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 523/1.

[4]: المحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 153/1.

[5]: لسان العرب: ابن منظور، مادة (ب د ل).

تنبيه:

قرن ابن عاشور السّين والتّاء للتّأكيد في أربعة دلالات: الأولى: اسْتَفعَل بمعنى أَفْعَل، والثّانية: استفعَل بمعنى فَعُل، والثّالثة: اسْتَفعَل بمعنى تفعَّل، والرّابعة: استَفعَل بمعنى الاستغناء عن المجرّد؛ وهذا يدلّ على أنّ السين والتّاء الّتي للتأكيد تأتي لمعان كثيرة، وكلّ معنى مختلف عن الآخر.

-العدّ والحسبان:

وقد ذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في بعض المواضع منها:

-قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠، حيث قال أنّ السّين والتّاء في «استضعف» للحسبان؛ أي حسبوني ضعيفا لا ناصر لي، وهذا ما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ سبأ: ٣١، بأنّ السّين والتّاء في «استضعف» للعدّ والحسبان، وقد علّق على هذا الفعل أيضا في اسم المفعول وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ النساء: ٧٥، حيث قال أنّ «المستضعفين» الّذين يعدّهم النّاس ضعفاء، فالسّين والتّاء للحسبان[1].

تنبيه:

وقد أشار ابن عاشور إلى أنّ دلالة الحسبان مرتبطة بدلالة المبالغة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأعراف: ٣٦، حيث يقول: "والاستكبار مبالغة في التّكبّر، فالسّين والتّاء فيه للمبالغة، وهو أن يعدّ المرء نفسه كبيرا؛ أي عظيما وما هو به، فالسّين والتّاء فيه للعدّ والحسبان، وكلا الأمرين يؤذن بإفراطهم في ذلك وأنّهم عدَوا

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 122/5. وينظر: المصدر نفسه، 117/9. والمصدر نفسه، 205/22.

قدرهم"[1]؛ ويعزّز هذا الرّأي في موضع آخر وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ فصلت: ٣٨ ، حيث يقول: "والاستكبار: قوّة التّكبّر، فالسّين والتّاء للمبالغة، وأصل السّين والتّاء المستعملين للمبالغة هما السّين والتّاء للحسبان؛ أي عدّوا أنفسهم ذوي كبر شديد من فرط تكبّرهم[2]، إلّا أنه في قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٧ ، ذكر أنّ السّين والتّاء في «يُسْتَضْعَفُون» للحسبان مثل: استنجب، أو للمبالغة مثل: استجاب[3]، فهنا يشير إلى أنّ السّين والتّاء للحسبان دلالة تختلف عن دلالة المبالغة، ويقوي هذا الرّأي ما علّق عليه سابقا في الفعل «استكثر» في قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٨؛ حيث يقول: "والاستكثار شدّة الإكثار، فالسّين والتّاء للمبالغة مثل: الاستلام والاستخداع والاستكبار، ويتعدّى بمن البيانيّة إلى الشّيء المتّخذ كثير يقال: استكثر من النّعم أو المال؛ أي أكثر من جمعها... ولا يتعدّى بنفسه تفرقة بين هذا المعنى وبين استكثر الّذي بمعنى عدّ الشيء كثيرا كقوله: ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ المدثر: ٦"[4].

– **الوجدان:** ويقصد ابن عاشور بدلالة الوجدان المصادفة، ولعلّ هذه الدّلالة الّتي ذكرها ابن عاشور هي نفسها الّتي عبّر عنها ابن عصفور في الممتع، وابن جنّي في المنصف بدلالة «الإصابة» حيث يقول ابن جنّي: "ويكون استفعلت للشّيء تصيبه على هيئة ما، نحو: استعظمت؛ أي أصبته عظيما، واستكرمته؛ أي أصبته كريما"[5]. وقد علّق عليها في موضع واحد وهو:

-قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ

[1]: المصدر السّابق، القسم الثّاني، 111/8. وينظر: المصدر نفسه، 71/9.

[2]: المصدر نفسه، 301/24.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، 76/9.

[4]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 67/8.

[5]: المنصف: ابن جنّي، 77/1، وينظر: الممتع: ابن عصفور، ص132.

حِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ النحل: ٨٠، حيث يقول أنّ السّين والتّاء في «تَسْتَخِفُّونَها» للوجدان؛ أي تجدونها خفيفة الحمل حين ترحلون، إذ يسهل نقلها من مواضعها وطيّها وحملها على الرّواحل[1]، وهذا ما أشار إليه أبو حيّان وأبو السّعود في معنى «تَسْتَخِفُّونها»؛ أي: تجدونها خفيفة المحمل في الضّرب والنّقض والنّقل[2].

-مطاوعة فَعّل:

وذكر ابن عاشور هذه الدّلالة في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الحجر: ٦٧، حيث يقول: "ويستبشرون: يفرحون ويسرّون، وهو مطاوع بشَّرَه فاستبشر، قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ ﴿١١١﴾ ﴾ في سورة براءة"[3]، أمّا أبو حيّان فقد ذكر أنّ الفعل «استبشَر» في سورة التّوبة بمعنى أبشَر؛ أي: استفعَل بمعنى أفعل كاسْتَوقد وأوقد[4].

وما نلاحظه في الفعل «استَبْشَر» في سورة التّوبة أنّ ابن عاشور وأبا حيّان ذكرا دلالتين مختلفتين؛ فالأوّل ذكر دلالة المطاوعة، أمّا الآخر فذكر أنّ استفَعَل بمعنى أفعَل.

وهذه الدّلالة؛ أي مطاوعة فعَّل لم يذكرها ابن جنّي، وابن عصفور، وأبو حيّان من بين معاني استفعل[5].

تنبيه:

أغلب المواضع التّي علّق عليها ابن عاشور في دلالة صيغة استفعل كان يذكر السّين والتّاء مجتمعتين، إلّا في موضع واحد ذكر السّين فقط وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل: ٩٨، حيث يقول: "والسّين في «استعذ» للطّلب؛ أي فاطلب العوذ بالله من الشّيطان"[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 238/14.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 507/5. وينظر: إرشاد العقل السّليم: أبو السّعود، 133/5.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 66/14.

[4]: ينظر: البحر المحيط: أبو حيّان، 106/5.

[5]: ينظر: المنصف: ابن جنّي، 77/1-78. والممتع: ابن عصفور، ص132. والبحر المحيط: أبو حيّان، 140/1-141.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 275/14.

ملاحظات:

هناك مواضع ذكر فيها ابن عاشور أكثر من دلالة وقد يرجّح دلالة على الأخرى كما في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ ﴾ الجاثية: ٢٩، بقوله: "ويجوز أن تكون السّين والتّاء في «نسْتَنْسِخ» للمبالغة في الفعل مثل: استجاب، ويجوز أن تكون السّين والتّاء للطّلب والتّكليف؛ أي تكليف الملائكة نسخ أعمالهم، وعلى هذا المجمل حمل المفسّرون السّين والتّاء هنا؛ أي للطّلب..."[1]. وأحيانا يذكرها دون أن يرجّح بينها وكأنّ كلا الدلالتان تصلحان لتخريج معنى الآية القرآنيّة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ ٢٨٢ ﴾ البقرة: ٢٨٢، حيث يقول أنّ "استَشهدُوا بمعنى أشهدوا، والسّين والتّاء فيه لمجرّد التّأكيد، ولك أن تجعلهما للطّلب؛ أي اطلبوا شهادة شاهدين، فيكون تكليفا بالسّعي للإشهاد وهو التّكليف المتعلّق بصاحب الحقّ... وجعل المأمور به طلب الإشهاد لأنّه الّذي في قدرة المكلَّف، وقد فهم السّامع أنّ الغرض من طلب الإشهاد حصوله"[2]، وقوله أيضا: ﴿ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٣ ﴾ المائدة: ٣، فتكون "السّين والتّاء مزيدتين كما في قولهم: استجاب، واستراب، والمعنى: وأن تقسموا اللحم بالأزلام... ثمّ ذكر أنّ السّين والتّاء للطّلب؛ أي طلب القسم"[3]، وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦ ﴾ الأعراف: ١١٦، حيث يقول: "والاسترهاب طلب الرّهب؛ أي الخوف، وذلك أنّهم عزّزوا تخيّلات السّحر بأمور أخرى تثير خوف النّاظرين، لتزداد تمكّن التّخيّلات من قلوبهم... ولك أن تجعل السّين والتّاء للتأكيد أي: أرهبوهم رهبا شديدا، كما يقال استكبر واستجاب[4]، حيث ذكر دلالتين للفعل «اسْتَرْهَب» وهما: الطّلب، واستفعل بمعنى أفْعَل التّي عبّر عنها بالسّين والتّاء للتأكيد. وفي قوله أيضا: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ ﴾

[1]: المصدر السّابق، 370/25.

[2]: المصدر نفسه، 105/3-106.

[3]: المصدر نفسه، 96/6.

[4]: ينظر: المصدر نفسه، 48/9.

الصافات: ٣٥، حيث ذكر أنّ الاستكبار: شدّة التّكبّر فالسّين والتّاء فيه للمبالغة، ثم قال لك أن تجعلهما للطّلب؛ أي إظهار التّكبّر[1].

لقد فرّق ابن عاشور أيضا بين الدّلالة الّتي تكون لها صيغة اسْتَفعَل من خلال الحركة الإعرابيّة للاسم بعدها كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الأنعام: ٥٥، حيث يذكر معنيين للفعل «تَسْتَبين» بقوله: "والسّين والتّاء للطّلب هذا على نصب (سبيل) على أنّه مفعول للفعل (تَستَبين)، وعلى رفع (سَبيل) على الفاعليّة فالسّين والتّاء ليسا للطّلب بل للمبالغة"[2].

كما فرّق أيضا بين الصيغة عند بنائها للفاعل أو المفعول وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الروم: ٥٧، حيث ذكر ابن عاشور أنّ «يَستَعْتَب» المبني للمعلوم يكون بمعنى الطّلب، أي أنّ السّين والتّاء فيه للطّلب، أمّا «يُسْتَعْتَب» المبني للمجهول يكون بمعنى أعتب؛ أي استفعل بمعنى أفْعَل[3].

ذكر ابن عاشور لصيغة «استفعل» تسعة معان، وهذه المعاني توافق ما ذكره ابن جني في المنصف في معنيين وهما: الطّلب، واستفعل بمعنى المجرّد، وما ذكره ابن عصفور في الممتع في ثلاثة معان وهي: الطّلب، واستفعل بمعنى المجرّد، واستفعل بمعنى تفعّل، وما ذكره أبو حيّان في ستّة معاني وهي: الطّلب، والعدّ، واستفعل بمعنى أفعل، واستفعَل بمعنى تفعَّل، استفعل بمعنى المجرّد، والإغناء عن المجرّد.

وقد علّق ابن عاشور على اسم المفعول في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنعام: ٩٨، بقوله: "... وقراءة كسر القاف يكون المستقر اسم فاعل والمستودع اسم مفعول من استودعه بمعنى أودعه... والاستقرار هو القرار، فالسّين والتّاء فيه للتّأكيد مثل استجاب؛ يقال: استقرّ في المكان قرّ...والاستيداع: طلب التّرك..."[4]

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 107/23.

[2]: المصدر نفسه، 261/7.

[3]: المصدر نفسه، 133/21.

[4]: المصدر نفسه، 396/7.

معنى إفْعالّ.

وهذه الصّيغة قليلة الاستعمال وقدْ ذُكِر لها نظائرٌ في القرآنِ الكريمِ في موضِعَينِ اثنيْن: الأوّل: في سورةِ الرحمان، والثّانِي: عبارةٌ عنْ قراءةٍ قرآنيّةٍ في سورةِ آل عمران الآية 106، وهذهِ الصيغةُ لا تأتِي إلّا لدلالةٍ واحدةٍ وهي: المبالغةُ وقوّةٌ في المعنى[1]. وقد علّق ابن عاشور على هذهِ الدّلالة في الموضع الأوّل وهو:

-قوله تعالى: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ الرحمن: ٦٤ ، وفي هذه الآية وصفٌ للجّنّة، فقد ذكرَ ابن عاشور أنّها "وصفٌ مشتقٌّ مِنَ الدُّهمة، وهي لونُ السّوادِ ووصفُ الجنّتين بالسّوادِ مبالغةٌ في شدّةِ خُضْرَةِ أشجارها"[2]، ومُدْهَامّتان: "مثنى مدْهامّة مؤنّثُ مدهامّ، وهو اسمُ فاعلٍ مِنَ السّداسي ادْهَامّ، أو اسم مفعولٍ منْه"[3].

فالفعلُ المجرّدُ «دَهَم» منَ الدُّهمةِ وهي سوادُ اللّيلِ، أمّا «ادْهامّ» فهوَ شدّةُ الخضرةِ الّتِي تميلُ إلى السّوادِ مِنْ شدّة الرّي[4]، وهذا أضفَى معنًى في الآية وهو المبالغة في شدّة خضرة الجّنّة.

أمّا الموضع الثّاني وهو قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٦، الّذي تعرّضْنا إليه عند الحديثِ عنْ صيغةِ افْعَلّ لم يعلّق عليه ابن عاشور، أمّا أبُو حيّان فقد ذكر هنا قراءة لـ «تَبْيضّ وتَسْوَدّ» بـ «تَبْياضّ وتَسْوادّ» وهي قراءةٌ للحسن، والزّهري، وابنِ محيصن، وأبي الجوزاء[5]؛ وهذهِ القراءةُ الّتِي ذكرَها أبُو حيّان تدلُّ على المبالغةِ في السّوادِ والبياض.

ويظهرُ لنا مِنَ النّماذجِ المعلَّقِ عليهَا منْ قِبَلِ ابنِ عاشور والّتي كانَتْ معظمُها في صيغةِ اسْتَفْعَلَ وهي دلالَةُ الطّلبِ ثمّ المبالغة، أمّا صيغَةُ افْعالّ فهِي أقلُّ الصّيغِ الموجودة في القرآنِ الكريمِ ولمْ نعثرْ فيها علَى فعل يجسّدُها في القرآن الكريم إلّا في اسم الفاعل من هذه الصّيغة، وكذلك في القراءة القرآنية الّتي ذكرها

---

[1]: شذا العرف في فنّ الصّرف: الحملاوي، ص84.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور،272/27.

[3]: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: محمود صافي، 105/14.

[4]: المفردات: الأصفهاني، ص231. لسان العرب: ابن منظور، مادّة (د هـ م).

[5]: البحر المحيط: أبو حيّان، 25/3.

أبو حيّان وهذهِ القراءةُ لم يعلّقْ عليها ابنُ عاشور. ويمكنُ أنْ نُضيفَ أنَّ الصّيغَتَينِ اللّتينِ لم تُذْكَرا في القرآنِ الكريمِ وهي (افْعَوعَل، وافْعَوَّل) تدخل في هذا الباب وهو بابُ المزيدِ بثلاثةِ أحرف.

المبحث الثّاني: مزيد الرّباعي.

وهو ما زيد على أحرفه الأصليّة حرف أو أكثر، وهو على قسمين:

-الرّباعي المزيد بحرف: وله بناء واحد وهو: تَفْعْلَل نحو: تدحرج، ويلحق به سبعة أبنية أصلها من الثّلاثي فزيد فيه حرف للإلحاق ثمّ زيدت عليه التّاء وهي: تفْعْلَل نحو: تجَلْبب، وتمَفْعَل نحو: تَمَنْدَل، تَفَوْعَل نحو: تكَوْثَر، وتَفَعْوَل نحو: تَسَرْوَل، وتَفَيْعَل نحو: تَسَيطَر، وتَفَيْعَل نحو: تَرَهْيَأ، وتَفَعْلَى نحو: تَفَلْسَى.

-الرّباعي المزيد بحرفين: وله بناءان وهما: افْعَنْلَل نحو: احْرَنجَم، وافْعَلَّل نحو: اقْشَعرّ واطْمَأنّ، ويلحق به ثلاثة أبنية وهي: افْعَنْلَل نحو: اقْعَنْسَس، وافْعَنْلَى نحو: احْرَنْبَى، وافْتَعْلَى نحو: اسْتَلْقَى[1].

وقد علّق ابن عاشور على صيغة واحدة في هذا المبحث وهي صيغة «افْعَلَلّ» في الرّباعي المزيد بحرفين في الفعل اطْمَأنّ وهي:

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٠.

يقول ابن عاشور: "وذلك أنّ حقيقة يطمئِنّ يسكن، ومصدره الاطمئنان واسم المصدر الطّمأنينة... والأظهر أنّ اطمأنّ وزنه افْعَلَلّ وأنّه لا قلب فيه فالهمزة فيه هي لام الكلمة والميم عين الكلمة، وهذا قول أبي عمرو وهو البيّن إذ لا داعي للقلب... وذهب سيبويه إلى أنّ اطمأنّ مقلوب وأصله اطأمنَّ..."[2]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨، والاطمئنان السّكون، واستعير هنا لليقين وعدم الشّك...[3].

---

[1]: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، 119/4.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 39/3.

[3]: المصدر نفسه، 137/13.

فهنا خالف ابن عاشور سيبويه في أنّ الفعل فيه قلب مكاني، وسار على مذهب أبي عمرو بأنّ الفعل «اطمأنّ» لا قلب فيه، وذكر بناءه ولكن لم يذكر معنى هذه الصّيغة، أمّا أبو حيّان فقد ذكر أنّ «افْعَلَلّ» تأتي للمطاوعة[1].

[1]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، 181.

الفصل الرّابع: الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله.

المبحث الأوّل: مفهوم الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله تسمياته أقسامه وصياغته.

المطلب الأوّل: مفهومه وتسمياته.

المطلب الثّاني: أقسامه.

المطلب الثّالث: صياغته.

المبحث الثّاني: نائب الفاعل أقسامه وما ينوب عنه.

المطلب الأوّل: مفهومه.

المطلب الثّاني: أقسامه.

المطلب الثّالث: ما ينوب عن الفاعل.

المبحث الثّالث: أغراض نائب الفاعل.

المطلب الأوّل: الأغراض الّتي ذكرها البلاغيون.

المطلب الثّاني: أغراض أخرى.

المطلب الثّالث: معاني خاصّة تتحدّد بالسّياق.

تعدّ دراسة المبني للفاعل والمبني لما لم يسمّ فاعله من صميم البحوث الصّرفيّة، حيث تتغيّر حركات الفعل الأصليّة إلى حركات فرعيّة بحسب ما تقتضيه البنية الصّرفية، وينقسم الفعل باعتبار إسناده إلى الفاعل أو إلى نائبه إلى قسمين:

الأوّل: المبني للفاعل: ويسمّى المبنيّ للمعلوم؛ وهو الفعل على هيئة (فَعل) المسند إلى فاعله نحو: كَتَبَ، ونَصَر وغيرها، وهذا القسم يشمل ما درسناه من أقسام الأفعال في الفصول الّتي سبق البحث فيها وهي: الفعل المجرد، والمزيد، والفعل من حيث الزّمن، لذا لا حاجة لتناوله في هذا الفصل؛ لأنّه يدخل في جميع الأقسام السّابقة. أمّا الثّاني: وهو المبني لما لم يسمّ فاعله، ويسمّى أيضا المبنيّ للمفعول، أو المبنيّ للمجهول؛ وهو الفعل على هيئة (فُعِل)[1]، وهذا القسم هو الّذي سترتكز عليه الدّراسة في هذا الفصل.

المبحث الأوّل: الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله، تسمياته، أقسامه، وصياغته:

المطلب الأوّل: مفهومه وتسمياته:

الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله في العربيّة هو ما حذف فاعله وجُعل المفعول به نائبا عنه أو غيره؛ إذا لم يوجد المفعول في سياق الكلام. فنقول: نُصِر الحقّ، ويُجْلَسُ لِطَلَبِ العِلْم، وأصلهما: نَصَر اللهُ الحقَّ، ويَجْلِسُ محمّدٌ لِطَلَب العِلم. فحذف الفاعل: وهو لفظ الجلالة في الجملة الأولى، و(محمّد) في الجملة الثّانيّة، وأُقِيم المفعول به: وهو (الحقّ) في الأولى، والجار والمجرور (لِطلب العلم) في الثّانية مقام الفاعل، وكلاهما يسمّيان: نائب فاعل؛ فالفعل المبني لما لم يسمّ فاعله لا يُكتفى فيه بحذف الفاعل وحسب، بل يجب أن ينوب عنه المفعول به أو غيره.

والفعل المبني لما لم يسمّ فاعله تحدث فيه تغيّرات صوتيّة على بنية الفعل الأصليّة؛ وهي الفعل المبني للفاعل، وذلك عن طريق تغيُّر حركات الفعل؛ فالفعل «ضَرَب» مفتوح الفاء والعين عند تحويله للمبنيّ لما لم يسمّ فاعله تضمّ فاؤه وتكسر عينه فنقول: ضُرِب[2]؛ فصيغة (فُعِل) هي صيغة فرعيّة بالنّسبة للصّيغ الثّلاثة

[1]: ينظر: مختصر الصّرف: عبد الهادي الفضيلي، دار القلم، بيروت/لبنان، ص97. ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفي السّيّد الأمير، رسالة دكتوراه، جامعة الاسكندريّة، كلّيّة الآداب، قسم اللّغة وآدابها واللّغات الشّرقيّة وآدابها، 2001م، ص10.

[2]: نفسه.

المجرّدة (فَعَل، وفَعِل، وفَعُل)؛ وهذا ما أشارت إليه خديجة الحديثي في أنّ الفعل المبني للمفعول فرع من الفعل المبني للمعلوم عند سيبويه[1].

يقول ابن جنّي في المنصف: "وأمّا الأفعال الثّلاثيّة الّتي لا زيادة فيها فعلى ضربين: فعْل مبنيّ للفاعل، وفعْل مبنيّ للمفعول، فالمبنيّ للفاعل على ثلاثة أضرب: «فَعَل وفَعِل وفَعُل» ... وأمّا الفعل المبنيّ للمفعول فعلى مثال واحد وهو: «فُعِل» نحو: «ضُرِب وقُتِل»"[2]، وبهذا يكون عدد الأبنية أربعة: ثلاثة للفاعل وواحد للمفعول[3]، وأمّا الأفعال الرّباعيّة الّتي لا زيادة فيها فعلى ضربين: فعل مبنيّ للفاعل ويكون على مثال واحد وهو: «فَعْلَل»، والفعل المبني للمفعول لا يكون إلّا على مثال واحد وهو: «فُعْلِل»[4]؛ فيتّضح من هذا الكلام أنّ ابن جنّي جعل الأفعال الثلاثيّة والرّباعيّة المجرّدة قسمين، وجعل الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله نوعا منهما، ولم يفرِده بقسم خاص به.

– التّسميات الّتي تطلق على الفعل الّذي حُذِف فاعله:

لقد استخدم العلماء عدّة مصطلحات للدّلالة على صيغة هذا البناء وهي:

أ–المبني لما لم يسمّ فاعله:

لقد ذهب أغلب العلماء إلى تسميته بهذا الاسم؛ لأنّ فاعله لم يذكر، ومن هؤلاء العلماء:

الخليل بن أحمد حيث ذكر أنّ الرّفع بما لم يذكر فاعله كقولك: ضُرِب زيدٌ، وكُسِي عمرٌو[5].

وقال **الفرّاء** (: "وقد قرأ عاصم–فيما أعلم– (نُجِّي) بنون واحدة ونصب (المؤمنين) كأنّه احتمل اللّحن ولا نعلم لها جهة إلّا تلك؛ لأنّ ما لم يسمّ فاعله إذا خلا باسم رفعه..."[6].

---

[1]: ينظر: أبنية الصّرف: الحديثي، ص340. وما لم يسمّ فاعله في القرآن: كريمة مصطفى، ص10. والصّيغ الثّلاثيّة مجرّدة ومزيدة اشتقاقا ودلالة: ناصر حسين علي، المطبعة التّعاونيّة، دمشق، 1409هـ/1989م، ص119.

[2]: المنصف: ابن جنّي، 20/1-23.

[3]: شرح التّصريف: الثمامني، ص192.

[4]: المنصف: ابن جنّي، 28/1.

[5]: الجمل في النّحو: الفراهيدي الخليل بن أحمد، تح: فخر الدّين قباوة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ص117-118.

[6]: معاني القرآن: الفراء، 210/2.

و**ابن قتيبة** بقوله: "باب ما جاء على لفظ ما لم يسمّ فاعله"[1].

ويقول **أبو إسحاق الزّجاج** أنّ «شفاعة» في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ البقرة: ٤٨ "مرفوع لأنّه اسم ما لم يسمّ فاعله، والاسم إذا لم يسمّ من فعَل به رفع..."[2].

وقال **ابن مالك**: "النّائب هو ما يسند إليه فعل ما لم يسمّ فاعله، وكيفيّة صوغه لما لم يسمّ فاعله أن يضمّ أوّله مطلقا"[3].

وقال **الزّجاجي**: "وقالوا ضُرِب زَيدٌ، فدلّوا بتغيير أوّل الفعل ورفع (زيد) على أنّ الفعل ما لم يسمّ فاعله وأنّ المفعول قد ناب منابه"[4].

أمّا **ابن خالويه** فقد ذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ هود: ١٠٨ أنّ الحجّة لمن قرأ بضمّ السّين في «سُعِدُوا»: هو أنّه بنى الفعل لما لم يسمّ فاعله[5].

وأمّا **ابن زنجلة** فقد ذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾ ﴾ النساء: ١٠ أنّ من قرأ بضمّ الياء في «سَيُصْلَون» فمعناه أنّه يُفعَل بهم، على ما لم يسمّ فاعله[6]. وذهب ابن الحاجب إلى تسميته بـ «فعل ما لم يسمّ فاعله»، والرّضي الاستراباذي بـ «فعل المفعول الّذي لم يسمّ فاعله» يقول الرّضي: "وقولهم: فعل ما لم يسمّ فاعله، أي فعل المفعول الّذي لم يسمّ فاعله؛ أضيف الفعل إلى المفعول لأنّه صيغ له"[7].

---

[1]: أدب الكاتب: ابن قتيبة، ص401.

[2]: معاني القرآن وإعرابه: الزّجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السّري، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، 129/1. ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

[3]: شرح التّسهيل: ابن مالك، 130/2.

[4]: الإيضاح في علل النّحو: أبو القاسم الزّجاجي، ص69. ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

[5]: الحجّة في القراءات السّبع: ابن خالويه، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشّروق، بيروت، ط3، 1399هـ/1979م، ص190. ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

[6]: حجّة القراءات: ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرّحمان بن محمّد، تح: سعيد الأفغاني، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط5، 1418هـ/1997م، ص191. ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

[7]: شرح الرّضي على الكافية: الاستراباذي، 215/1. ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

وذكر **الزّمخشري** في باب «ومن أصناف الفعل المبني للمفعول»: هو ما استغنى عن فاعله، فأقيم المفعول مقامه، وأسند إليه معدولا عن صيغة «فَعَل» إلى«فُعِل» ويسمّى «فعلَ ما لم يسمّ فاعله»[1]. وشرح ابن يعيش هذا الكلام بقوله: "... ويقال له فعل ما لم يسمّ فاعله... والتّقدير: فعل المفعول الّذي لم يسمّ فاعله... فكلّ فعل بُنِي لما لم يسمّ فاعله، فلا بد فيه من عملِ ثلاثة أشياء..."[2].

ب- المبني للمفعول:

وذهب بعضهم الآخر إلى تسميته بالفعل المبني للمفعول ومن هؤلاء العلماء ما يلي:

سيبويه حيث يقول: "«هذا باب المفعول الّذي تعدّاه فعله إلى مفعول» وذلك قولك: كُسِي عبدُ الله ثوبًا، وأُعْطِي عبدُ اللهِ المالَ. رفعت عبدَ الله ههنا كما رفعته في ضُرِب حين قلت: ضُرِب عبدُ الله، وشغلت به كُسِي وأُعطِي كما شغلت به ضُرِب. وانتصب الثّوب والمال لأنّهما مفعولان تعدّى إليهما فعل مفعول هو بمنزلة الفاعل"[3]. ويقول أيضا: "واعلم أنّ المفعول الّذي لم يتعدّ إليه فعل فاعل في التّعدّي والاقتصار بمنزلته إذا تعدّى إليه فعل الفاعل... ألا ترى أنّك تقول ضَرَبتُ زيدًا فلا تجاوز هذا المفعول، وتقول ضُرِب زيدٌ فلا يتعدّاه فعله، لأنّ المعنى واحد"[4].

ابن السّرّاج بقوله: "وهو المفعول الّذي لم يسمّ من فَعَل به، إذا كان الاسم مبنيّا على فعل بني للمفعول ولم يذكر من فَعل به فهو رفع وذلك قولك: ضُرِب بكرٌ، وأُخرِج خالدٌ وأُستُخرِجت الدّراهم، فبني الفعل للمفعول...فعلى هذا فقس متى نقلت «فَعل» الّذي هو للفاعل مبنيّ إلى «فُعِل» الّذي هو مبني للمفعول فانقص من المفعولات"[5].

وابن جنّي في المنصف: "اعلم أنّه قد يجوز أن تبني فَعل للمفعول"[6].

---

[1]: شرح المفصّل: ابن يعيش، 306/4.

[2]: المصدر نفسه، 306/4.

[3]: الكتاب: سيبويه، 41/1-42. ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

[4]: الكتاب: سيبويه، 42/1. وينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

[5]: الأصول في النّحو: ابن السّراج، 76/1-77. وينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

[6]: المنصف: ابن جنّي، 211/1. وينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

ويقول **ابن عصفور** في باب ما لم يسمّ فاعله: "يحتاج في هذا الباب إلى معرفة خمسة أشياء: الأفعال الّتي يجوز بناؤها للمفعول، وكيفيّة بنائها له، والسّبب الّذي لأجله يحذف الفاعل، والمفعولات الّتي تقام مقام الفاعل..."[1].

وقال **أبو حيّان**: "ذهب جمهور البصريين سيبويه وغيره إلى أنّ صيغة الفعل المبني للمفعول مغيّرة من فعل الفاعل"[2].

وقال **السّمين الحلبي** في تفسيره للآية 37 من سورة النّحل: "والباقون «لا يُهدَى» بضمّ الياء وفتح الدّال مبنيّا للمفعول، و«مَنْ» قائم مقام فاعله"[3].

وهذا ما ذهب إليه **السّيوطي** في أنّه فعل مبنِي للمفعول[4].

ويقول أحمد الحملاوي (ت1351هـ): "ينقسم الفعل إلى مبني للفاعل، ويسمّى معلوما، وهو ما ذكر معه فاعله... وإلى مبنيّ للمفعول، ويسمّى مجهولا، وهو ما حذف فاعله وأنيب عنه غيره"[5].

ج- المبني للمجهول:

إنّ الفعل المبني للمجهول هو المصطلح الأكثر شيوعا واستعمالا عند أغلب اللغويين المحدثين، يقول عوض القوزي: "ولمّا أخذت المصطلحات النّحويّة شكلها المستقرّ، نظر النّحاة إلى أقسام الفعل فإذا فيها المعلوم المعروف وهو ما ذكر فاعله وبنِي له، فسمَّوه مسمّى فاعله، وفيها ما لم يذكر فاعله فبُنِي للمفعول فسمَّوه غير مسمّى فاعله وهُدُوا بعد ذلك إلى الاختصار والثّبات على اصطلاح «المجهول»"[6].

ويضيف بعض العلماء تفصيلات أخرى كالتّالي:

كان الكوفيّون يستعملون مصطلح ما لم يسمّ فاعله، والبصريّون يستعملون مصطلح الفعل المبني للمفعول، أمّا مصطلح المبني للمجهول فلم يأت إلّا في مرحلة متأخّرة[7]. وهناك من ذكر مصطلح الفعل

---

[1]: المقرب: ابن عصفور، 79/1. وينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

[2]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1340.

[3]: الدّر المصون: السّمين الحلبي، 218/7.

[4]: همع الهوامع: السّيوطي، 524/1-525. وينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص6-8.

[5]: شذا العرف في فنّ الصّرف: الحملاوي، ص90.

[6]: المصطلح النّحوي نشأته وتطوّره حتّى أواخر القرن الثّالث الهجري: عوض القوزي، شركة الطّباعة العربيّة السّعوديّة، الرياض/المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1401هـ/1981م، ص144.

[7]: المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم: شرف الدين الراجحي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999م، ص 21 .

المبني للمجهول أثناء إعرابه للنماذج الّتي كان يعرضها في المقدّمة التّمهيديّة لكتابه، وفي ترتيبه للأفعال الّتي تندرج في هذا الباب وفق الترتيب الألفبائي وهو: الصّديقي (ت1057هـ) في كتابه «إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل»، حيث يقول: "سُرِق البيتُ: سُرِق: فعل ماض مجهول مبني على فتح الظّاهر في آخره. البيتُ: نائب فاعل مرفوع..."[1] وقوله في باب حرف الهمزة: "أُبْشِر: الرّجل بالموحّدة والشّين المعجمة والرّاء مبني للمجهول فهو مُبْشَر"[2].

والّذي يظهر لنا اتّفاق العلماء على تسميته بمصطلح المبني لما لم يسمّ فاعله، أمّا مصطلح المبني للمفعول فهو غير دقيق؛ لأنّ التّركيب لا يبنى للمفعول وحده بل قد ينوب عن الفاعل غير المفعول كالجار والمجرور والظّرف والمصدر وغير ذلك، أمّا مصطلح المبني للمجهول فهو غير دقيق أيضا من ناحيتين: الأولى: لأنّنا لم نجد أحدا من العلماء القدامى الّذين وقفنا على آثارهم ذكر هذا المصطلح إلّا في مرحلة متأخّرة، وأوّل من أشار إليه –على حدّ علمنا– هو الصّدّيقي من علماء القرن الحادي عشر وقد أشرنا لقوله سابقا، والحملاوي من علماء القرن الرّابع عشر عندما ذكر المبني للمفعول، إلّا أنّنا وجدنا في كتاب ابن جنيّ أشار أنّه أشار لهذا المصطلح في مبحث سُمِّي بـ: «بناء فعل للمجهول»، إلّا أنّه أثناء تفسيره لم يذكر المبني للمجهول بل المبني للمفعول[3]، والثّانية: أنّ حذف الفاعل ليس من الضّروريّ أن يكون للجهل به، بل يحذف لأغراض كثيرة أهمّها العلم بالفاعل كما سيأتي التّفصيل فيها لاحقا إن شاء الله. وعليه فإنّ مصطلح المبني لما لم يسمّ فاعله هو المصطلح الأدق؛ لأنّه يؤكّد على حذف الفاعل دون أن يشير إلى البديل الّذي يحلّ محلّ الفاعل[4].

المطلب الثّاني: أقسام الفعل بالنّسبة لبنائه لما لم يسمّ فاعله:

قسّم النّحويون الأفعال بالنّسبة لبنائها لما لم يسمّ فاعله من عدمه إلى أقسام ويمكن تصنيفها على النّحو الآتي:

أ– قسم لا خلاف في جواز بنائه للمفعول، وهو الفعل المتصرّف التّام مثل: ضرب، كسر، اعترف واستعان وغيرها.

---

[1]: اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل: محمّد علي بن علّان الصّدّيقي، تعليق: ابراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1421هـ/2001م، ص22.

[2]: المرجع نفسه، ص31.

[3]: ينظر: المنصف: ابن جنّي، 211/1.

[4]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص9.

ب- قسم لا يجوز بناؤه للمفعول باتفّاق النّحاة، وهي الأفعال الجامدة مثل: نعم، بئس، حبّذا، ولا حبّذا، وعسى، وليس، وتبارك، وأفعال التّعجّب، ومنها الأفعال الخاصّة بالطّباع مثل: شجُع الجنديّ، وكرُم العربيّ، والأفعال الدّالة على الألوان والعيوب الخلقيّة مثل: احمرّ، واعورّ.

ج- قسم فيه خلاف بين النّحويين وهو كان وأخواتها المتصرّفة فرأى الفرّاء أنّها تبنى للمفعول مثل: الفعل المتعدّي، فيقول في: كان زيد قائما، كِين قائم. ورُدّ عليه بأنّ ذلك يؤدي إلى بقاء الخبر دون مخبر عنه في اللّفظ والتّقدير، وهذا فساد[1].

وقد أجاز الكسائي قيام الجملة الّتي تقع خبرا لكان مقام الفاعل مثل قولك: كِين يُقام. ورفض ذلك جمهور البصريين؛ أي أنّ منع بناء كان النّاقصة للمفعول هو مذهب البصريين، وإجازة ذلك تنسب للكوفيين.

وذهب ابن عصفور أنّه يجوز بناؤها للمفعول بشرط أن تكون قد عملت في ظرف أو مجرور فيحذف اسمها كما يحذف الفاعل ويحذف الخبر، إذ لا يتصوّر بقاء الخبر دون مخبر عنه، ويقام الظّرف أو الجار والمجرور مقام المحذوف.

وسيبويه لم يتعرّض لمسألة بناء كان للمجهول، وكلّ ما أراد أن يبيّنه بقوله: (كائِن ومَكُون كضارِب ومضْرُوب) أن يوضّح تصريف كان؛ حيث ذكر ابن طاهر وابن خروف أنّ «مَكُون» من كان النّاقصة لا يتكلّم به، وإنّما قصد سيبويه أنّها فعل متصرّف ويُستعمَل منه ما لا يُستَعمَل من الأفعال إلّا إنْ منع مانع.

أمّا ابن السّراج، وأبو علي الفارسي، وابن مالك فقد ذهبوا إلى أنّه لا يجوز أن تبنى كان وأخواتها للمفعول[2].

ومن خلال هذه التّفصيلات الّتي ذكرها العلماء، يكون موضوع بحثنا هنا يقتصر على القسم الأوّل فقط وهو الفعل المتصرّف التّام.

المطلب الثّالث: صياغته.

للحصول على فعل مبني لما لم يسمّ فاعله من صيغة الماضي أو المضارع نجري بعض التّغييرات على المبني للفاعل، وهذه التّغييرات تكون على النّحو الآتي :

---

[1]: ينظر: المبني للمجهول: شرف الدين الراجحي، ص9-10.

[2]: ينظر: نفسه. وارتشاف الضرب: أبو حيّان، ص1325-1327. والمقرب: ابن عصفور، 79/1. والأصول في النّحو: ابن السّراج، 81/1. وينظر: شرح التّسهيل: ابن مالك، 129/2.

أوّلا– الفعل الماضي المبني لما لم يسمّ فاعله: ويصاغ من الفعل الماضي فعلا مبنيّا لما لم يسمّ فاعله في الحالات التّاليّة:

– إذا كان الفعل ثلاثيّا صحيح العين، خاليا من التّضعيف يضمّ أوّله ويكسر ما قبل آخره نحو: ضَرَب: ضُرب، وخَرَج: خُرِج، وعَلِم: عُلِم، وسَأَل: سُئِل، وَقَف: وُقِف، رَمَى: رُمِي، وشَقِي: شُقِي، وسَمَا: سُمِي؛ والأصل: سُمِو، فقلبت الواو ياء لتناسب كسر ما قبلها، (وكلّها على وزن: فُعِل). قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴿١٧٨﴾ ﴾ البقرة: ١٧٨[1]. فيدخل في هذه القاعدة الفعل الصحيح ويشمل: السّالم والمهموز، والمثال؛ وهو معتلّ الفاء، والنّاقص؛ الّذي يكون معتلّ اللّام، ويدخل فيه أيضا اللّفيف المقرون والمفروق نحو: هَوَى: هُوِي، ووَفَى: وُفِي.

يقول ابن مالك في هذا الموضع:

"فَأَوَّلَ الْفِعْلِ اضْمُمَنْ، والمتّصِلُ بِالآخِرِ اكْسِرْ في مُضِيٍّ كَوُصِلْ"[2].

تنبيه:

ويجوز في الفعل المثال عند بنائه لما لم يسمّ فاعله قلب واوه همزة أو إبقاؤها مضمومة نحو: وَجَد: وُجِد وأُجِد[3].

– إذا كان الفعل ثلاثيّا مضعّفا (أي عينه ولامه من جنس واحد) فالأكثر ضمّ فائه مثل: عَدّ: عُدّ، ومَدّ: مُدّ، وصَبّ: صُبّ. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ﴿٦٥﴾ ﴾ يوسف: ٦٥. ويجوز في هذا الموضع ثلاثة أوجه:

---

[1]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص26–27. وشرح الرّضي على الكافيّة: رضي الدّين الاستراباذي، 215/1–216. وشرح ملحة الإعراب: الحريري، ص90. والنحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم : محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1417هـ/ 1996م، ص 600.

[2]: ألفية ابن مالك في النّحو والصّرف: ابن مالك محمّد بن عبد الله الأندلسي، دار الإمام مالك، 1430هـ/2009م، ص42. وينظر: شرح ابن عقيل على الألفيّة: ابن عقيل، 50/2.

[3]: ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: الحديثي خديجة، ص432. والمنصف: ابن جنيّ، 211/1.

الأوّل: ضمّ الفاء كما ذكرناه سابقا وهو الأكثر، والثّاني: كسر الفاء نحو قولنا في صُبّ: صِبَّ، والآخر: الإشمام: وهو نطق فاء الفعل بين ضمّ وكسر[1].

ملاحظة:

وإذا خيف اللّبس في وجه من الثّلاثة وجب تركه إلى غيره؛ كالفعل (عُدّ، ورُدّ) وأشباههما، فإنّ فعل الأمر منهما يكون مضموم الأوّل، فيلتبس بالمبني لما لم يسمّ فاعله إذا كانت حركة فائه الضّمّة، وفي هذه الحال يجب العدول إلى الكسر أو الإشمام؛ لأنّهما لا يدخلان أوّل هذه الأفعال إذا كان للأمر[2].

– إذا كان الفعل ثلاثيّا مجرّدا معتلّ العين؛ أي أجوفا، فيجوز في فائه ثلاثة أوجه:

الأوّل: إخلاص الكسر –وهو الأكثر لاطّراده وشيوعه– ويكون بقلب حرف العلّة ياء ساكنة لتناسب كسر ما قبلها نحو: بَاع وقَال فنقول: بِيع وقِيل وأصلها قُوِل وبُيِع، وبما أنّ الكسرة لا تتناسب مع الواو لثقلها نقلت حركة العين إلى ما قبلها؛ أي نُقِلت كسرة الواو إلى القاف الّتي هي فاء الفعل، ثمّ قلبت الواو ياء في المعتلّ بالواو لتناسب كسر ما قبلها، أمّا المعتلّ بالياء فنقلت حركة العين فقط إلى ما قبلها ولم يحدث فيه قلب، والوزن الصّرفي للفعل المبني لما لم يسمّ فاعله هو (فُعِل). قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الملك: ٢٧. والثّاني: إخلاص الضّمّ –وهو قليل– ويكون بضمّ فاء الفعل وقلب حرف العلّة واوا لتناسب ما قبلها نحو قول رؤبة:

لَيتَ وَهَلْ يَنْفَعُ شَيئًا لَيتُ لَيتَ شَبَابًا بُوعَ فاشْتَرَيْتُ[3].

---

[1]: ينظر: شرح الرّضي على الكافيّة، 215/1-216. وشرح ملحة الإعراب: الحريري ،ص90. وإيجاز التّعريف: ابن مالك، ص29. وما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص26-27. والنحو التعليمي: محمود سليمان ياقوت، ص602.

[2]: المرجع نفسه، ص29.

[3]: ينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 215/1-216. وشرح ملحمة الإعراب: الحريري ص90. والكنّاش: الأيّوبي، 31/2-33. وإيجاز التّعريف: ابن مالك، ص29. والنحو التعليمي: محمود سليمان ياقوت، ص 601. ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص27-28. ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1341-1342.

والثّالث: الإشمام وهو بنطق فاء الفعل بين ضمّ وكسر كما ذكرناه آنفا وهي لغة فصيحة، وقد قرئ في السّبعة قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود: ٤٤، بالإشمام في: «قِيل» و«غِيض»[1].

وقد جمعها ابن مالك في قوله:

"واكْسِرْ أَو اشْمِمْ فَا ثُلَاثِيٍّ أُعِلّْ عَيْنًا، وَضَمٌّ كـ «بُوعَ» فاحْتُمِلْ"[2].

تنبيه:

ويخرج عن هذه القاعدة بعض الأفعال نحو(سَاد) و(بَاع) وأشباههما؛ إذا أسندت لضمير متكلّم أو مخاطب من غير أن يبنى لما لم يسمّ فاعله قلنا عند الضمّ: (سُدْت)، ولو بنينا الفعل لما لم يسمّ فاعله قلنا: (سُدْت) أيضا، فيقع اللّبس هنا بين البناء للفاعل والبناء لما لم يسمّ فاعله، وفرارا من هذا اللّبس يجب علينا البعد عن ضمّ الحرف الأوّل في هذه الصّورة، واستعمال الكسر أو الإشمام، أمّا إذا كان أجوفا يائيّا فله حالتان أيضا: الضمّ والإشمام لئلّا يحدث اللّبس، فلا نقول: (بِعْت) عند بنائه لما لم يسمّ فاعله، بل نقول: (بُعْت)[3].

وهناك أفعال يظهر من خلال كتابتها أنّها معتلّة العين نحو: عَوِر، وصَيِد، إلّا أنّها صحيحة العين؛ لأنّ وسطها حرف صحيح وليس حرف علّة، فيكون حكمها حكم صحيح العين؛ أي يضمّ أوّله ويكسر ما قبل آخره فنقول: عُوِر، وصُيِد[4].

– إذا كان الفعل رباعيّا غير مزيد يضمّ أوّله ويكسر ما قبل آخره نحو: دَحْرَج: دُحْرِج (على وزن: فُعْلِل)، قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾ الزلزلة: ١.

---

[1]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص28. وشرح قطر النّدى: ابن هشام، ص192. شرح ابن عقيل على الألفيّة: ابن عقيل، 53/2.

[2]: شرح ابن عقيل على الألفيّة: ابن عقيل، 51/2.

[3]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص29. وشرح ابن عقيل على الألفية: ابن عقيل، 53/2.

[4]: ينظر: المبني للمجهول: شرف الدّين الرّاجحي، ص12.

ويتبعه كذلك ما ألحق بالرّباعي المجرّد نحو: جَلْبَب: جُلْبِب، وجَهْوَر: جُهْوِر، وبَيْطَر: بُوطِر[1]؛ حيث قلبت ياؤه واوا لتناسب ضمّ ما قبلها، ووزنها على التّوالي: (فُعْلِل، فُعْوِل، فُوعِل)، وغيرها من الملحقات بالرّباعي المجرّد.

– إذا كان الفعل الثّلاثي مزيدا بالهمزة نحو: (أَفْعَل) فيعامل معاملة الفعل الماضي الرّباعي، بضمّ أوّله وكسر ما قبل آخره نحو: أَكْرَم: أُكْرِم، على وزن: (أُفْعِل). قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ البقرة: ٤.

– إذا كان الفعل الثّلاثي مزيدا بالألف في غير أوّله كصيغة (فَاعَل)، فيضمّ أوّلها ويكسر ما قبل آخرها نحو: كَاتَب: كُوتِب، وقَاتَل: قُوتِل، حيث قلبت الألف واوا لتناسب الضّمّة الّتي قبلها. ووزنه الصّرفي: (فُوعِل).

– إذا كان الفعل الثّلاثي مزيدا بالتّضعيف نحو: (فَعَّل)، يضمّ أوّله ويكسر ما قبل آخره كقولنا: كَلَّم: كُلِّم، سَلَّم: سُلِّم، ووزنه (فُعِّل).

– إذا كان الفعل مبدوءً بهمزة وصل، وهو صحيح العين غير مضعّف، تضمّ الهمزة والحرف الثّالث، ويكسر ما قبل الآخر نحو: اكْتَسَب: أُكْتُسِب (على وزن: أُفْتُعِل)، كقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ البقرة: ١٦٦، وانْطَلَقَ: أُنْطُلِق (على وزن: أُنْفُعِل)، واسْتَخْرَج: أُسْتُخْرِج (على وزن: أُسْتُفْعِل) [2].

ويتبعه في ذلك الرّباعي المزيد فيه بحرفين وهو: احْرَنْجَم: أُحْرُنْجِم (على وزن: أُفْعُنْلِل). والملحق بالرّباعيّ المزيد فيه بحرفين نحو: اقْعَنْسَس: أُقْعُنْسِس، واحْرَنْبَى: أُحْرُنْبِي، واسْتَلْقَى: أُسْتُلْقِي.

– إذا كان الفعل مضعّفا غير ثلاثي في أوّله همزة وصل زائدة ويكون:

أ– على وزن صيغة (افْتَعل) و(انْفَعَل) نحو: اِنْصَبّ، واِشْتَدّ فيجوز في حرفه الثّالث ثلاثة أوجه: الأوّل: ضمّه نطقا وكتابة، والثّاني: الكسر نطقا وكتابة، والآخر: الإشمام نطقا، وفي الحالات الثّلاث تتحرّك همزة الوصل بمثل حركة الحرف الثّالث نحو: أُنْصُبّ واِنْصِبّ، وأُشْتُدّ واِشْتِدّ.

---

[1]: ينظر: وما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص27–28. وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1344.

[2]: ينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 1/215–216. وشرح ملحمة الإعراب: الحريري ص90. وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1346. وما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص27–28.

ب- على وزن صيغة (اسْتَفْعَل) و(افْعَللّ) فإنّ بناؤه لما لم يسمّ فاعله يكون بضمّ أوّله وثالثه وكسر رابعه؛ أي ما قبل حرف التّضعيف نحو: اسْتَقَرّ: أُسْتُقِرّ، واسْتَعَدّ: أُسْتُعِدّ، واقْشَعَرّ: وأُقْشُعِرّ(على وزن: أُفْعُلِلّ)[1].

- إذا كان الفعل معتلّ العين ووزنه الصّرفي (افْتَعَل) أو (انْفَعَل) نحو: اخْتَار، وانْقَاد... فإنّ النّحاة يجرون على الحرف الّذي يسبق العين ما يجرونه على فاء (بَاع) من ضمّ أو كسر أو إشمام؛ فيجوز في التّاء والقاف الأوجه الثّلاثة السّابقة، فنقول في الضّم: اخْتُور، وأُنْقُود، وفي الكسر: اخْتِير، وأُنْقِيد، وتحرّك الهمزة بمثل حركة التّاء والقاف[2].

-إذا كان الفعل مبدوءً بتاء مزيدة في أوّله وجب ضمّ الحرفين: الأوّل والثّاني؛ أي ضمّ التّاء مع الحرف الثّاني الّذي يليه، وكسر ما قبل الآخر فنقول في: تَدَحْرَج: تُدُحْرِج (على وزن: تُفُعْلِل)، وتَعَلَّم: تُعُلِّم (على وزن تُفُعِّل)، وفي تَجَاهَل: تُجُوهِل، بقلب الألف واوا لتناسب ضمّ ما قبلها، ويكون على وزن (تُفُوعِل)[3].

ويتبعه في ذلك ما ألحق بالرّباعيّ المزيد فيه بحرف واحد نحو: تَشَيْطَن: تُشُوطِن[4]؛ حيث قلبت ياؤه واوا لتناسب ضمّ ما قبلها، وتَجَلْبَب: تُجُلْبِب، وتَمَنْدَل: تُمُنْدِل (وكلّها على وزن: تُفُوعِل، تُفُعْلِل، وتُمُفْعِل على التّوالي).

ثانيا- الفعل المضارع المبني لما لم يسمّ فاعله: ويصاغ في الحالات التّاليّة:

- إذا كان الفعل ثلاثيّا صحيح العين، يضمّ أوّله؛ أي حرف المضارعة، ويُفتَح ما قبل آخره نحو: يَكتُب: يُكتَب، ويَعلَم: يُعْلَم، ويَرْمِي: يُرْمَى، وقد يكون ما قبل الآخر مفتوحا فيبقى على فتحه ويزاد عليه

---

[1]: ينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 1/215-216. وشرح ملحمة الإعراب: الحريري ص90. والنحو التعليمي: محمود سليمان ياقوت، ص600-602. وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1346. ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص27-28.

[2]: نفسه، وينظر: شرح ابن عقيل على الألفيّة: ابن عقيل، 2/53-54.

[3]: ينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 1/215-216. والنحو التعليمي: محمود سليمان ياقوت، ص600-602. ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص27-28.

[4]: ينظر: وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1344.

ضمّ الأوّل نحو: يَلْعَب: يُلْعَب، ويَذْهَب: يُذْهَب (وكلّها على وزن: يُفْعَل)، قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ يس: ٥٤[1].

– إذا كان الفعل ثلاثيّا معتلّ العين؛ أي أجوفا، يضمّ أوّله ويفتح ما قبل آخره، وتقلب عينه ألفا سواء كانت واوا أو ياء، فيكون فتح الحرف الّذي قبل آخر الفعل مقدّرا لعلّة صرفيّة، فنقول في يقُول: يُقَال، وبِيعُ: يُبَاع، ويَصُوم: يُصام، يَرْتَاح: يُرْتَاح، ويَسْتَرِيح: يُسْتَرَاح؛ لأنّ أصلها: يُقْوَل ويُبْيَع، ويُصوَم، ويُرْتَوَح، ويُسْتَرَوَح، فنقلت حركة عين الفعل إلى ماقبلها وقلب حرف العلة ألفا ليناسب انفتاح ما قبله، والوزن الصّرفي يكون حسب الأصل.

– إذا كان الفعل مضاعفا:

أ– ثلاثيّا نحو: يَصُبّ، ويَمُدّ، يضمّ أوّله ويفتح الحرف الثّاني؛ أي ما قبل التّضعيف فنقول: يُصَبّ، ويُمَدّ.

ب– على وزن (افْتَعَل) و(انْفَعَل) نحو: يَشْتَدّ، ويَنْصَبّ، فيضمّ أوّله ويفتح الحرف الثّالث؛ أي ما قبل التّضعيف فنقول: يُشْتَدّ، ويُنْصَبّ.

ج– على وزن (اسْتَفْعَل) نحو: ويسِتَمِدّ، فإنّ بناءه لما لم يسمّ فاعله يكون بضمّ أوّله وفتح ما قبل حرف التّضعيف؛ أي الحرف الرّابع نحو: ويُسْتَمَدّ.

–إذا كان الفعل المضارع رباعيّا أو ثلاثيّا مزيدا، فبناؤه لما لم يسمّ فاعله يكون بضمّ أوّله وفتح ما قبل الآخر نحو: يَكْتَسِب: يُكْتَسَب (يُفْتَعَل)، يَنْفَطِر: يُنْفَطَر (يُنْفَعَل)، ويَستَعْمِل: يُسْتَعْمَل (يُسْتَفْعَل)، ويَحرَنْجِم: يُحْرَنْجَم (يُفْعَنْلَل) ويَقْعَنْسِس: يُقْعَنْسَس (يُفْعَنْلَل)، وقد يكون الأوّل مضموما فيبقى على ضمّه ويزاد عليه فتح ما قبل الآخر نحو: يُدَحْرِج: يُدَحْرَج (يُفَعْلَل)، ويكْرِم: يُكْرَم (يُفْعَل)، يُكَلِّم: يُكَلَّم (يُفَعَّل) قال تعالى:﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٨٦، يُجَاهِد: يُجَاهَد (يُفَاعَل)، ويُجَلْبِب: يُجَلْبَب (يُفَعْلَل) ويُبَيْطِر: يُبَيْطَر (يُفَيْعَل)، وقد يكون ما قبل الآخر مفتوحا فيبقى على فتحه

[1]: ينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 215/1–216. وشرح ملحمة الإعراب: الحريري، ص90. والكنّاش: الأيّوبي، 31/2–33. وإيجاز التّعريف: ابن مالك، ص29. وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1344. والنحو التعليمي: محمود سليمان ياقوت، ص 600–602. ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص27–28. والمبني للمجهول: شرف الرّاجحي: ص15.

ويزاد عليه ضمّ أوّله نحو: يَتَحرَّج: يُتَحَرَّج، ويَتَجَاهَل: يُتَجَاهَل، يَتَشَيطَن: يُتَشَيطَن[1]، يَتَدَحْرَج: يُتَدَحْرَج (يُتَفَعْلَل).

ملاحظة:

-لقد ورد عن العلماء ذِكْر بعض الأفعال الّتي تأتي غالبا للبناء لما لم يسمّ فاعله؛ أي تكون ملازمة لهذا البناء نحو: زُهِي، وعُنِي، وزُكِم، وحُمّ، وضُمّ، وسُلّ، جُنّ، وشُلّ، وفُلِج، وأُغْمِي، وغُمّ، وأُهِلّ، وغيرها وقد ذكر سيبويه في باب «ما جاء فُعِل منه على غير فَعَلتَه» أنّ هذه الأفعال نحو: جُنّ، وسُلّ، وزُكِم وغيرها قد جاءت على: جَنَنْتُه، وسَلَلْتُه وإن لم تستعمل في الكلام[2]؛ أي استغني في هذه الأفعال المبنية لما لم يسمّ فاعله عن بنائها للفاعل؛ لأنّ العرب لم تستعملها إلّا بهذا البناء.

وهناك أفعال ورد لها مبني للفاعل، ولكن استعمالها للمفعول أكثر من المعلوم نحو: بُهِت، وأُهدِر، سُقِط، ونُكِس، نُكِب[3] وغيرها.

-لا يبنى الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله إلّا من الفعل المتعدّي بنَفسه ليصحّ إسناده إلى المفعول به نحو: قُرِأَ القُرْآنُ، ودُرِس الفِقْهُ، ويؤخذ من اللّازم مع المصدر نحو: سُهِر سهرٌ طويل، والظّرف نحو: صِيم رَمضانُ، والجار والمجرور نحو: يُرْفَق بالضّعيفِ[4] كما سيأتي التّفصيل فيها لاحقا في مبحث نائب الفاعل.

---

[1]: ينظر: شرح الرّضي على الكافيّة: الاستراباذي، 215/1-216. وشرح ملحة الإعراب: الحريري ص90. ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1344. والنّحو التّعليمي: محمود سليمان ياقوت، ص600-602. ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص27-28. والمبني للمجهول: شرف الرّاجحي، ص15.

[2]: ينظر: المرجع نفسه، ص16. والكتاب: سيبويه، 67/4. وأبنية الصّرف: الحديثي، ص430. والنّحو التّعليمي: سليمان ياقوت، ص609-610. أدب الكاتب: ابن قتيبة، ص401-403. وشذا العرف: الحملاوي، ص92.

[3]: ينظر: المبني للمجهول: شرف الرّاجحي، ص16. والنّحو التّعليمي: سليمان ياقوت، ص609-610. أدب الكاتب: ابن قتيبة، ص401-403. وشذا العرف: الحملاوي، ص92.

[4]: جامع الدّروس العربيّة: الغلاييني، 50/1-51. وينظر: مختصر الصّرف: الفضيلي، ص97.

المبحث الثّاني: نائب الفاعل، أقسامه، وما ينوب عن الفاعل.

المطلب الأوّل: مفهوم نائب الفاعل :

يعدّ ابن مالك أوّل من استخدم مصطلح نائب الفاعل[1]، والّذي يعدّه البعض أولى من مصطلح (مفعول ما لم يسمّ فاعله)* ويعلّل ابن هشام ذلك بقوله: "الثّاني من المرفوعات: نائب الفاعل، وهو الّذي يعبّرون عنه بمفعول ما لم يسمّ فاعله، والعبارة الأولَى أَوْلَى لوجهين: أحدهما أنّ النّائب عن الفاعل يكون مفعولاً، وغيره كما سيأتي، والثّاني: أنّ المنصوب في قولك: أُعْطِي زيدٌ دينارا، يصدُقُ عليه أنّه مفعول للفعل الّذي لم يسمّ فاعله، وليس مقصودا لهم"[2]؛ أي أنّ نائب الفاعل – الّذي كان مفعولا به– أقيم مقام الفاعل في إسناد الفعل إليه؛ وليس هو الفاعل المقصود حقيقة.

وهناك علماء آخرون جاءوا بعد ابن مالك وابن هشام أطلقوا عليه اسم «نائب الفاعل» وهم: الصّديقي في كتابه اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل[3].

ونائب الفاعل اسم مرفوع تقدّمه فعل مبني لما لم يسمّ فاعله، حيث يحذف الفاعل ويُقام المفعول به مقامه، فإن لم يوجد فينوب عنه ما اختصّ وتصرّف من ظرف أو جار ومجرور أو مصدر، فيُعطى ما كان للفاعل من لزوم الرّفع، ووجوب التّأخر عن فاعله، وعدم جواز حذفه[4].

ويمكن أن نعرّفه أيضا بأنّه "المسند إليه بعد الفعل المجهول أو شبهه نحو: يُكرَم المجتهدُ، والمحمودُ خلقُه ممدوح. فالمجتهد أسند إلى الفعل المجهول وهو (يُكرم)، و(خلقه) أسند إلى شبه الفعل المجهول وهو (المحمود)، فكلاهما نائب فاعل لما أسند إليه.

---

[1]: شرح التّسهيل: ابن مالك، 2/124-130. وينظر: شرح ابن عقيل على الألفيّة: ابن عقيل، 2/50. ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص9.

*: وهكذا سمّاه أبو حيّان أيضا في باب: "المفعول الّذي لم يسمّ فاعله"، ينظر: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1058-1325. وسمّاه ابن الأنباري وأبو البقاء العكبري وغيرهم "باب ما لم يسمّ فاعله" ينظر: أسرار العربيّة: أبو البركات عبد الرّحمان بن محمّد بن أبي سعيد الأنباري، تح: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ص95. واللّباب في علل البناء والإعراب: العكبري أبو البقاء محبّ الدّين عبد الله بن الحسين، تح: محمّد عثمان، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م، ص118.

[2]: شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام جمال الدّين أبو محمّد عبد الله بن يوسف، تصحيح: محمّد أبو فضل عاشور، دار إحياء التّراث العربي، بيروت/لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، ص89. وينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفى، ص9.

[3]: اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل: الصّدّيقي، ص22.

[4]: ينظر: شرح ابن عقيل عى ألفية ابن مالك: ابن عقيل، 2/50. وشرح قطر النّدى: ابن هشام الأنصاري، ص188.

والمراد بشبه الفعل المجهول: اسم المفعول، والاسم المنسوب إليه، فاسم المفعول كما مُثّل، والاسم المنسوب إليه نحو: صَاحِب رجلا نبويّا خلقُه. فـ (خلقُه) نائب فاعل لنبويّ مرفوع به، لأنّ الاسم المنسوب في تأويل اسم المفعول والتقدير: صاحب رجلا منسوبا خلقه إلى الأنبياء. ونائب الفاعل قائم مقام الفاعل بعد حذفه ونائب عنه"[1].

حكمه: يُراعى مع نائب الفاعل أحكام الفاعل لأنّه قائم مقامه، فله حكمه، إذ يجب رفعه، وأن يكون بعد المسند، وأن يُذكر في الكلام ، وأن يُؤنّث فعله إن كان هو مؤنّثا، وأن يكون فعله مفردا إن كان هو مثنى أو جمعا[2].

المطلب الثّاني: أقسامه:

ينقسم نائب الفاعل كالفاعل إلى ثلاثة أقسام وهي:

أ- أن يكون اسما صريحا: ويأتي نائب الفاعل اسما ظاهرا مع الفعل المبني للمفعول في موضعين:

الأوّل: إذا كان نائب الفاعل ظاهرا ولم يتقدّم عليه شبه الجملة؛ أي الجار والمجرور نحو قوله تعالى: ﴿ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۚ ﴿١٠٨﴾ ﴾ البقرة: ١٠٨. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ ﴿٧٣﴾ ﴾ الحج: ٧٣، وقوله: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ ق: ٣١؛ ففي المواضع الثلاثة نائب الفاعل اسم ظاهر وهو: (موسى) في الأوّل، و(مَثَلٌ) في الثّاني، و(الجنّة) في الثّالث.

الثّاني: إذا تقدّمه جار ومجرور نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ البقرة: ٤٨، حيث تقدّم الجار والمجرور(منها) في الموضعين على نائب الفاعل الظاهر وهو: (شفاعة) و(عدل)[3].

ب- أن يكون مصدرا: يأتي نائب الفاعل مصدرا ظاهرا: كما في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ ﴾ الحاقة: ١٣، أو مقدّرا؛ أي مؤوّلا نحو: يُحْمَدُ أنْ تَجْتَهِدُوا، والتّقدير: يُحمَدُ

[1]: جامع الدروس العربية: الغلاييني، 246/2.

[2] : المرجع نفسه، 246/2. وينظر: شرح قطر النّدى: ابن هشام، ص190.

[3]: جامع الدّروس العربيّة: الغلاييني، 253/2. والفعل المبني للمجهول: شرف الدين الراجحي، ص43 -66.

اجتِهادُكم. فقد أتى المصدر اسما ظاهرا في قوله: (نفخة)، ومؤوّلا في قولنا: (أنْ تجتهدُوا) وكلاهما نائب فاعل.

ج- أن يكون ضميرا: يأتي نائب الفاعل ضميرا متّصلا: كقوله تعالى :﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ ﴿٢٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٥. أو ضميرا مستترا يعود إلى المفعول به في التّقدير: كقوله تعالى:﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٤ .

حيث أتى الفعل (أُعِدَّتْ) بالبناء للمفعول والّذي ناب عن الفاعل هو ضمير الغائب المستتر (هي) العائد على (النّار)، والتّقدير: أعَدَّ اللهُ النَّار للكافرين[1].

وقد ذكر الرّاجحي قسما آخر من أقسام نائب الفاعل وهو شبه جملة؛ أي الجار والمجرور كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ البقرة: ٤. حيث أتى(أنْزِل) هنا بالبناء لما لم يسمّ فاعله، وحلّ شبه الجملة وهو الجار والمجرور (إليك) و(من قبلك) محل النّائب عن الفاعل[2].

المطلب الثّالث: ما ينوب عن الفاعل :

لمّا يُبنى الفعل لما لم يسمّ فاعله، يُحذف الفاعل وينوب عنه أربعة أشياء اتّفق عليها العلماء وهي:

أ- المفعول به:

يحذف الفاعل ويُقام المفعول به مقامه ، فيعطى ما كان للفاعل من لزوم الرّفع، ووجوب التّأخير عن رافعه، وذلك إذا كان موجودا في الكلام كقوله تعالى:﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١، وقوله أيضا:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود: ٤٤، حيث ناب المفعول به عن الفاعل المحذوف في هذه المواضع المذكورة، والأصل: ضربَ اللهُ عليهم الذلّةَ والمسكنة، وغاضَ اللهُ الماءَ، وقضَى اللهُ

[1]: ينظر: المرجع السّابق، ص87 -181. وجامع الدّروس العربيّة: الغلاييني، 253/2.

[2]: وينظر: الفعل المبني للمجهول: شرف الدين الراجحي، ص149-150.

الأمرَ، فالذلّة، والماء، والأمر،كلّ منها مفعول به مذكور في الكلام أصلا، ولـمّا حُذف الفاعل وبُني الفعل لما لم يسمّ فاعله ناب المفعول عن الفاعل وارتفع ارتفاعه[1].

إذا كان الفعل المبني للفاعل يتعدّى إلى مفعول واحد نحو: طَلَب محمّدٌ العلمَ، فبناؤه لما لم يسمّ فاعله يكون بحذف فاعله وإقامة المفعول محلّه فنقول: طُلِب العلمُ، وأمّا إن كان يتعدّى إلى مفعولين أو ثلاثة نحو: رَأيتُ الخيرَ منتَشِرًا، وأعْلَمتُ عمرًا الحقَّ ظاهرًا، فنقوم بحذف الفاعل وإقامة المفعول الأوّل محلّه[2] فنقول: رُئِي الخيرُ منتشِرًا، وأُعْلِم عمرٌو الحقَّ ظاهرًا.

أمّا إذا خلت الجملة من المفعول به في الكلام، فإنّ نائب الفاعل يصلح لأن يكون محوّلا عن (الظّرف) أو (المصدر) أو (الجار والمجرور)، وشرط كلّ واحد منها أن يكون قابلا للنّيابة[3].

ب- المصدر:

وينوب عن الفاعل المصدر واسمه بشرطين؛ أنْ يكون متصرّفا، ومختصّا نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ ﴾ الحاقة: ١٣. والمراد بالتّصرّف أن يفارق النّصب على المصدريّة، ويتنقّل بين حركات الإعراب المختلفة؛ فتارة يكون مرفوعا، وأخرى يكون منصوبا، أو مجرورا، والمتصرّف من المصادر ما يقع مسندا إليه كإكرام، واحتفال، وإعطاء، وفتح، ونصر، وغيرها، وغير المتصرّف منها ما لا يصحّ أن يقع مسندا إليه، لأنّه لا يكون إلّا منصوبا على المصدريّة؛ أي: على المفعولية المطلقة نحو: معاذ الله، وسبحان الله. فلا ينوب مثل هذا عن الفاعل لأنّه لا يجوز الرفع فيسند إليه؛ لأنّها لم يشتهر استعمالها عن العرب إلّا منصوبة، والمراد باختصاصه أن يكون مفيدا غير مبهم ويختصّ بالوصف نحو: وُقِف وقوفٌ طويل، أو بيان العدد نحو: قُرِئ عشرُون مرّة، ونُظِر في الأمر نظرتان، أو بيان النّوع نحو: سِير سَيرُ الصّالحين[4].

ج- الظّرف: بنوعيه –الزّمان والمكان- يصلح للنّيابة عن الفاعل إذا كان مفيدا أيضا كالمصدر الّذي ذكرناه سابقا، وهذه الفائدة تتحقّق بشرطين؛ أن يكون متصرّفا كامل التّصرّف، وأن يكون مختصّا؛ فبقولنا:

---

[1]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم، كريمة مصطفى، ص123-124. وشرح التّسهيل: ابن مالك، 126/2. وارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1326-1327. والفعل المبني للمجهول: شرف الدين الراجحي، ص26-27.

[2]: ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، 310/4-311.

[3]: ينظر: الفعل المبني للمجهول: شرف الدين الراجحي، ص44.

[4]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص124-125. وشرح ابن عقيل على الألفيّة: ابن عقيل، 54/2.وهمع الهوامع: السّيوطي، 522/1. وجامع الدّروس العربيّة: الغلاييني، 250/2-251.

متصرّفا تصرّفا كاملا أخرجنا غير المتصرّف نحو: قطّ، وعوض. والمتصرّف من الظّروف ما يصح وقوعه مسندا إليه كاليوم، واللّيلة، والشّهر، والدّهر، والأمام، والمجلس وغيرها... ، نحو: مُشِي يومٌ كامل، وصِيم رمضانُ. وغير المتصرّف منها ما لا يقع مسندا إليه فلا يكون إلا ظرفا: كحيث وعوض وقطّ، والآن، ومع، وإذا[1].

والظرف المتصرّف لا ينوب عن الفاعل إلّا إذا كان مع تصرّفه مختصّا والمراد باختصاصه أن يكون مفيدا غير مبهم، كأن يكون الظّرف مختصّا بالوصف نحو: جُلس مجلس مفيد، أو مضافا نحو :سُهِرت ليلةُ القدر، أو علما؛ أي معرّفا نحو: صِيم رمضان. فلا ينوب عن الفاعل نحو: زمان، وقت، مكان، ونحوها من الظّروف المبهمة غير المختصّة فلا يُقال: وُقِف زمان، ولا أُنتُظِر وقت، ولا جُلِس مكان. فإذا اختصّت بقيد يقيّدها جازت نيابتها نحو : وُقِف زمان طويل ، وأُنتُظِر وقت قصير، وجُلِس مكان رحب[2].

د- الجار والمجرور:

الجار مع مجروره ينوب عن الفاعل؛ فإن كان حرفا زائدا نحو: ما صُودِر منْ شيءٍ، فلا خلاف في أنّ النّائب هو المجرور وحده، وأنّه مجرور لفظا مرفوع محلّا، نحو قوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ الحديد: ١٣، فالباء: يطْلَق عليها حرف جرّ زائد*، وسور: اسم مجرور لفظا مرفوع محلّا على أنّه نائب فاعل. أمّا حرف الجرّ الأصلي مع مجروره فكلاهما يكونان في محل رفع نائب فاعل نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴿١٤٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٩، وقوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ يس: ٥١، فكلّ من قوله: (في أيديهم) و(في الصّور): جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل. ولكن يشترط لإنابة الجار والمجرور أن يكون الإسناد إليهما مفيدا؛ وتتحقّق الفائدة بثلاثة أمور: الأوّل: أن يكون حرف الجرّ متصرّفا؛ أي ألّا يلتزِم طريقة واحدة لا يخرج عنها إلى غيرها؛ كأنْ يلتزم جرّ الأسماء الظّاهرة فقط نحو: مُذْ، ومنْذ، وحتّى...

---

[1]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله، كريمة مصطفى، ص128. جامع الدّروس العربيّة: الغلاييني، 2/249-250. وينظر: شرح شذور الذّهب: ابن هشام، ص90-91.

[2]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله، كريمة مصطفى، ص128-129. جامع الدّروس العربيّة: الغلاييني، 2/250.

*: والأصح أن نقول عنها حرف صلة وتوكيد تأدّبا مع الله تعالى؛ لأنّ القرآن ليس فيه شيء زائد فكلّ حرف فيه يحمل فائدة، أمّا الزائد فهو الّذي لا توجد فيه فائدة، أمّا إذا أردنا بالزّائد فهو الّذي لو حذف لاستقام الكلام بدونه، ولكن وجوده أفصح وأبلغ نحو قوله تعالى: (وما ربُّك بِظَلّام للعَبِيد) فالباء هنا نقول زائدة في الإعراب، وزائدة المعنى بوجودها؛ أي فيه فائدة زائدة وهي تأكيد نفي أن يكون الله ظالما للعبيد.

فهي لا تجرّ إلّا الأسماء الظّاهرة الدّالة على الزّمان، أو جرّ النّكرات فقط نحو: رُبّ، أو يلتزِم جرّ نوع آخر معيّن من الأسماء؛ كحروف القسم؛ لأنّها لا تجرّ إلّا مقسما به، وكحروف الجرّ الّتي للاستثناء وهي: خَلا، وعدا، وحاشا، فإنّها لا تجرّ إلّا المستثنى. فهذه الحروف مع مجروراتها لا يصحّ وقوعها نائب فاعل. والثّاني: أن يكون مجروره مختصّا؛ أي أن يكتسب الجارمع مجروره معنى زائدا فوق معناهما الخاصّ بهما، ويأتي ذلك من من لفظ آخر يتّصل بهما؛ كالوصف، أو المضاف إليه، أو غيرهما، ممّا يكسبهما معنى جديدا؛ فتحصل الفائدة المطلوبة من الإسناد فلا يصحّ: أُخِذ منْ حقل، لعدم وجود الفائدة، أمّا إذا قلنا: أُخِذ من حقل ناضج، فيصحّ لوجود الفائدة. والثّالث: ألّا يكون حرف الجر دالّا على التّعليل نحو: الباء، واللّام، ومِنْ، فلا يُقال: (وُقِف لك، ولا لِأجلك)؛ لهذا امتنعت نيابة المفعول لأجله، إلّا إذا جعلت نائب الفاعل ضمير الوقوف المفهوم من وُقف، فيكون التّقدير: وُقِف الوقوفُ الّذي تعهّده لك أو من أجلك[1].

تنبيه:

وهناك من ذكر أنّ من بين ما يقوم مقام الفاعل الجملة[2]، ويُرَدّ عليه بأنّ الفاعل لا يكون جملة، وكذلك ما وقع موقعه[3]؛ أي نائب الفاعل؛ لأنّه يعطى ما كان للفاعل من أحكام.

ملاحظة:

-لقد أضاف ابن هشام شرطا آخر حتّى يصحّ نيابة المصدر، والظّرف، والجار والمجرور عن الفاعل وهو: أن لا يكون المفعول به موجودا؛ فلا تقول: «ضُرِب اليومُ زيدًا»؛ لأنّه لا يجوز إنابتها عن الفاعل والمفعول به موجود في سياق الكلام؛ وهذا مذهب البصريين خلافا للأخفش والكوفيين الّذين يجيزون إقامة غيره وهو موجود، سواء تقدّم أو تأخّر، واستدلّوا على ذلك بقراءة أبي جعفر في الفعل المبني للفاعل «لِيَجْزِي» بالبناء لما لم يسمّ فاعله «لِيُجْزَى» في قوله: ﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ الجاثية: ١٤. يقول ابن مالك:

وَلَا يَنُوبُ بَعْضُ هَذِي، إنْ وُجِدْ فِي اللّفْظِ مَفعُولٌ بِهِ، وَقَدْ يَرِدْ[4].

---

[1]: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص130-131. وينظر: جامع الدّروس العربيّة: الغلاييني، 249/2. وارتشاف الضّرب، أبو حيّان، ص1336.

[2]: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص137.

[3]: ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، 310/4.

[4]: شرح قطر النّدى: ابن هشام، ص190. وشرح ابن عقيل على الألفيّة: ابن عقيل، 54/2-55.

-وهناك أشياء لا يجوز بناؤها لما لم يسمّ فاعله كالحال، والتّمييز، والمفعول له، والمفعول معه؛ لأنّها لا تقوم مقام الفاعل

-متى حذف الفاعل، وناب عنه نائبه، فلا يجوز أن يُذكر في الكلام ما يدلّ عليه فلا يُقال: عُوقِب الكسول من المعلّم بل يقال: عُوقِب الكسول، وذلك لأنّ الفاعل إنّما يُحذف لغرض، فذكر ما يدلّ عليه مناف لذلك. فإن أردت الدّلالة على الفاعل أتيت بالفعل معلوما، فقلت: عَاقَب المعلّمُ الكسولَ؛ إلّا أن تقول (عُوقِب الكسولَ المعلمُ) فيكون المعلّم فاعلا لفعل محذوف تقديره: (عاقَب)، فكأنّه لمّا قيل (عوقب الكسول) سأل سائل: من عاقبه؟ فقلت: المعلّم؛ أي عاقبه المعلّم. ويكون ذلك على حدّ قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ النور: ٣٦ – ٣٧، في قراءة من قرأ «يُسَبَّح» مجهولا، فيكون (رجال) فاعلا لفعل محذوف، والتّقدير، يُسبِّحُه رجالٌ[1].

[1]: جامع الدّروس العربيّة: الغلاييني، 252/2.

المبحث الثّالث: أغراض بناء الفعل لما لم يسمّ فاعله؛ أي أغراض حذف الفاعل:

يقوم نظام البناء لما لم يسمّ فاعله في البلاغة العربية على أساس حذف الفاعل بغية أغراض بلاغية، والحذف في القرآن الكريم له أغراضه ودلالاته، فهو يؤدي المعنى في مقام الحذف أفضل من الذكر، لذلك خصّص له العلماء بابا في البلاغة سمي بـ : (إيجاز الحذف) وتحدث عنه إمام البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني كثيرا في كتابه دلائل الإعجاز، فيكمن تعريفه بـ: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به الذّكر أفصح من الذّكر، والصّمت من الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1]

فأغراض حذف الفاعل منها ما هو لفظي، ومنها ما هو معنوي، وقد جمعها أبو حيّان في قوله:

وحَذْفُهُ لِلْخَوْفِ والإِبـهَام والْوَزْنِ والتَّحْقِير والإِعْظَامِ.

والعِلْمِ والجَهْلِ والاخْتِصَارِ والسَّجْع والوِفَاقِ والإِيثَـارِ.

فأمّا الأسباب الرّاجعة إلى اللّفظ فأهمّها ثلاثة أسباب:

الأوّل: قصد المتكلّم إلى الإيجاز في العبارة؛ أي الاختصار نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ ﴿١٢٦﴾ ﴾ النحل: ١٢٦. والثّاني: المحافظة على السّجع في الكلام المنثور؛ وهذا مقصود أبي حيّان من قوله: والسّجع، نحو قولهم: من طَابت سَرِيرتُه، حُمِدت سيرَتُه، إذ لو قيل: حَمَد النّاسُ سِيرَتَه لاختلف إعراب الفاصلتين. الثّالث: المحافظة على وزن الشّعر في الكلام المنظوم.

وأمّا الأسباب المعنويّة فكثيرة، وأهمها سبعة أسباب[2]:

الأوّل: أن يكون الفاعل معلوما للمخاطب كقولك: زُلْزِلَت الأرْضُ، وحُشِر الخلق، فلا حاجة لذكره لأنّه معروف مثل قوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ النساء: ٢٨. الثّاني: أنْ يكون الفاعل مجهولا للمتكلّم، والمفعول معلوما، كقولك: ضُرِب زَيد، وشُتِم عمرو. الثّالث: رغبة المتكلّم في الإبهام على السّامع نحو: رُكِب الحصان، إذا عرفت الراكب غير أنك لم ترد إظهاره لإخفائه على السّامع. الرّابع:

[1]: دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص 112.

[2]: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، ص1325. أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ابن هشام أبو محمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، 135/2.

تعظيم الفاعل؛ أي أن يكون الفاعل عظيما؛ أي شريفا، نحو قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الذاريات: ١٠، وقوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ﴿٧١﴾ ﴾ الزمر: ٧١. الخامس: تحقير الفاعل؛ أي أن يكون الفاعل حقيرا، كقولك: شُتِم الأمير، فلا تذكر شاتمه لحقارته. السّادس: خوف المتكلّم على الفاعل إذا كان يتوقّع أنْ يناله أحد بمكروه. السّابع: خوف المتكلّم من الفاعل إذا كان جبّارا ينال النّاس بأذاه[1].

وغرض الوفاق الّذي أشار إليه أبو حيّان ذكره ابن عصفور من بين أسباب حذف الفاعل ألا وهو: توافق القوافي، أمّا غرض الإيثار فقد ذكر ابن عصفور أن حذف الفاعل يكون إيثارا لغرض السّامع[2]؛ فغرض الوفاق يدخل في الأغراض اللّفظيّة، أمّا الإيثار فقد يدخل ضمن الأغراض المعنويّة.

وهناك غرض معنوي آخر كأن يحذف الفاعل لأنّه لا يتعلق بذكره فائدة نحو قوله تعالى:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ ﴿٨٦﴾ ﴾ النساء: ٨٦، فذِكْر الّذي لا يحيّي لا فائدة منه وإنّما الغرض وجوب ردّ التحية لكل من يحيّي[3].

ورد الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم لأغراض ودلالات معينة، وأردنا أن نسلّط الضوء على بعض التّحاليل للفعل المبني لما لم يسمّ فاعله في القرآن من خلال تفسير التّحرير والتّنوير، ومن جملة الأغراض الّتي علّق عليها ابن عاشور منها ما ذكره علماء النّحو والبلاغة كما تطرّقنا إليه فيما مضى، ومنها ما هو متناثر ومبثوث في كتب التّفسير ووجّهت بحسب ما يناسب معنى الآية، ومنها ما حدّده ابن عاشور من خلال السّياق العام الّذي ذكرت فيه الصّيغة.

المطلب الأوّل: الأغراض الّتي ذكرها النّحويّون والبلاغيّون: لقد ذكر ابن عاشور الكثير من الأغراض الّتي وافق فيها علماء النّحو والصّرف والبلاغة وهي:

1- العلم بالفاعل:

[1]: ينظر: المصدر السّابق، 135/2-136. والمقرّب: ابن عصفور، 80/1. والبديع في علم العربيّة: ابن الأثير، 115/1. والمبني للمجهول: الزّاجحي شرف الدّين، ص23-24. وجامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، 246/2-247.

[2]: ينظر: ارتشاف الضّرب: أبو حيّان، 135/2-136. والمقرّب: ابن عصفور، 80/1.

[3]: ينظر: أوضح المسالك: ابن هشام، 137/2. وجامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني، ص 246.

في هذا الغرض يحذف الفاعل ويسند إلى نائبه؛ لأنّ الفاعل معلوم للمخاطب بالقرينة العقليّة، فلا يحتاج أن يذكر في الكلام[1]، ومن النّماذج الّتي ذكرها ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

– قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ ﴿١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٤، وبني فعل «أُمِرتُ» للمفعول، لأنّ فاعل هذا الأمر معلوم بما تكرّر من إسناد الوحي إلى الله سبحانه[2]. ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يونس:٧٢، وبني فعل «أُمِرت» للمجهول للعلم به، إذ المعلوم من سياق الكلام أنّ الّذي أمرَه هو الله تعالى[3].

حيث جاء نائب الفاعل هنا ضميرا متّصلا، وما ناب عن الفاعل هو المفعول به. وبني الفعل«أُمِرتُ» لما لم يسمّ فاعله ليدلّ على أنّ المأمور به شيء عظيم وهو تحقيق توحيد الرّبوبيّة. والثّبات على الإخلاص.

–قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأنعام: ٥٦، ففي هذه الآية أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يجاهرهم بالتّبري من عبادتهم غير الله[4]. وبني «نُهيت» على صيغة المجهول للاستغناء عن ذكر الفاعل لظهور المراد؛ أي نهاني الله[5]. وجاء الفعل بصيغة المبني للفاعل ليشير أنّ المنهيّ عنه أمر عظيم وهو عدم اتّخاذ الأنداد لله سبحانه وتعالى لأنّ هذا يخلّ بتوحيد الألوهيّة.

قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الأعراف: ٢، أي: كتاب جليل أنزل إليك يا محمّد من ربّك، وقد حوى كلّ ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم، فبلّغه لهم، لتنذر به الكافرين وتقيم الحجّة عليهم، وتُذكّر به المؤمنين فهم الّذين ينتفعون بالذّكرى[6].

يقول ابن عاشور: "وصيغ فعل «أُنْزل» بصيغة النّائب عن الفاعل اختصارا، للعلم بفاعل الإنزال؛ لأنّ الّذي ينزّل الكتب على الرّسل هو الله تعالى"[7]، فنائب الفاعل هنا ضمير مستتر يعود على القرآن.

---

[1]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفي، ص164.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 159/7.

[3]: المصدر نفسه، 241/11.

[4]: البحر المحيط: أبو حيّان، 145/4. والمحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 298/2.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 262/7.

[6]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص283. وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 254/2.

[7]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، القسم الثاني، 12/8.

وقد جيء بصيغة المبني لما لم يسمّ فاعله ليتحدّد لنا السياق العام لمعنى الآية وهو: الحثّ على الإيمان بالقرآن الكريم المنزّل على محمّد ﷺ؛ لأنّه أنزل إليه لينذر به الكافرين، ويذكّر به المؤمنين، ويبلّغهم مقاصده فيتّبعوه، ويكون لهم رادعا عن الخروج عن أوامره وحُكْمه.

- قوله: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود: ٤٤، وبناء فعل «قِيل» للمفعول هنا اختصارا لظهور فاعل القول؛ لأنّ مثله لا يصدر إلّا من الله. والقول هنا أمر التّكوين... وبني فعل (غِيضَ الماءُ) للنّائب لمثل ما بُني فعل (قِيل) باعتبار سبب الغيض... وقضاء الأمر: إتمامه. وبناء الفعل للنّائب للعلم بأنّ فاعله ليس غير الله تعالى"[1]. ويقول الزّمخشري: "ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدّلالة على الجلال والكبرياء، وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلّا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكوّن قاهر، وأنّ فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله"[2]، وهذا ما أشار إليه ابن عطيّة في قوله: "بناء الفعل للمفعول أبلغ في التّعظيم والجبروت، وكذلك بناء الأفعال بعد ذلك في سائر الآية"[3]. فقول الزّمخشري وابن عطيّة يشير إلى غرض تعظيم الفاعل.

وكلا المعنيين يدّلان على السّياق العام للفعل المبني لما لم يسمّ فاعله في الآية؛ وهو الدّلالة على عظمة الله سبحانه وقدرته وجبروته.

وقد علّق ابن عاشور على هذا الغرض في مواضع أخرى كقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ ﴿١٦٩﴾ ﴾ الأعراف:١٦٩، "وبناء فعل «يُغْفَر» على صيغة المجهول لأنّ الفاعل معروف، وهو الله سبحانه، إذ لا يصدر هذا الفعل إلّا عنه، وللدّلالة على أنّهم يقولون ذلك على وجه العموم لا في خصوص الذّنب الّذي أنكر عليهم... ونائب الفاعل محذوف لعلمه في السّياق، والتّقدير: سيغفر لنا ذلك أو ذنوبنا..."[4]. وقوله أيضا: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾ ﴾ الصافات: ٨، حيث أُسند الفعل

[1]: المصدر السّابق، 12/78-79.

[2]: الكشّاف: الزّمخشري، 3/203.

[3]: المحرّر الوجيز: ابن عطيّة، 3/175.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 9/161.

«يُقْذَفُون» للمجهول للعلم بالفاعل وهم الملائكة الموكّلون بالحفظ[1]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ غافر: ١٠، حيث بُني الفعل «تُدْعَون» للمجهول للعلم بالفاعل لظهور أنّ الدّاعي هو الرّسول ﷺ أو الرّسل عليهم السّلام[2]. وقوله أيضا: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ القصص: ٨٢، حيث قرأ الجمهور فعل «خُسِف» للمجهول للعلم بالفاعل[3]. وفي قوله: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ الغاشية: ١٧ – ٢٠، حيث ذكر أنّ الأفعال الأربعة في الآيات وهي: «خُلِقت، ورُفِعت، ونُصِبت، وسُطِحت» بنيت للمجهول للعلم بفاعل ذلك[4].

ولم يصرّح ابن عاشور في بعض المواضع تصريحا واضحا بدلالة العلم بالفاعل بل أشار إليها بطريقة غير مباشرة كما في قوله: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ طه: ٧٠، بقوله: "والإلقاء الطّرح على الأرض. وأسند الفعل إلى المجهول لأنّهم لا ملقِي لهم إلّا أنفسهم، فكأنّه قيل: فألْقُوا أنْفُسَهم سجّدا"[5]. وفي قوله: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٥، بقوله: "وفعل «نُكِسُوا» مبني للمجهول؛ أي نكسهم ناكس. ولمّا لم يكن لذلك النّكس فاعل إلّا أنفسهم، بني الفعل للمجهول فصار بمعنى: انتكسوا على رؤوسهم"[6].

كما كان يعلّق على القراءات القرآنيّة الّتي يقرأ فيها الفعل بالمبني لما لم يسمّ فاعله وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ آل عمران: ١٨١، حيث يذكر ابن عاشور

---

[1]: المصدر السّابق،23/92-93.

[2]: المصدر نفسه، 24/96.

[3]: المصدر نفسه، 20/188.

[4]: المصدر نفسه، 30/306.

[5]: المصدر نفسه، 16/261.

[6]: المصدر نفسه، 17/103.

هنا قراءة حمزة في الفعل «سَنَكتُب» بياء الغائب مضمومة وفتح المثنّاة الفوقيّة –سَيُكتَب– مبنيا للنّائب، ورفع اللّام من «قَتلُهم» على أنّه نائب فاعل، لأنّ فاعل الكتابة معلوم وهو الله تعالى[1].

وفي قوله: ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ طه: ٩٧، "وقرأ الجمهور «نُخْلَفَه» بفتح اللام مبنيّا للمجهول للعلم بفاعله وهو الله تعالى..."[2]. وفي قوله أيضا: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ طه: ١٠٢، "وقرأ الجمهور «يُنْفَخ» بياء الغيبة مبنيّا للمجهول؛ أي ينفخ نافخ، وهو الملك الموكّل بذلك"[3].

وقوله: ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الجن: ٢٨، حيث ذكر ابن عاشور قراءة رويس عن يعقوب في الفعل «ليُعلَم» مبنيا للمفعول على أنّ (أنْ قدْ أبْلَغُوا) نائب عن الفاعل، والفاعل محذوف للعلم به؛ أي ليعلم الله أنْ قد أبلغوا[4].

لقد كان يعبّر ابن عاشور في الكثير من المواضع عن غرض العلم بالفاعل بظهور الفاعل كما في الشواهد التّاليّة:

–قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ آل عمران: ٨٣، وينكر الله تعالى على من أراد دينا سوى دين الله الّذي أنزل به كتبه، وأرسل به رسله وهو عبادة الله وحده لا شريك له، لأنّ الخلق كلّهم منقادون له[5].

حيث يذكر أنّ الفعل أسنِد للمجهول لظهور فاعله؛ أي يرجعكم الله بعد الموت[6]. وهذا يدلّ على قدرة الله سبحانه في إرجاع الخلائق كلّها إليه في الدّنيا والآخرة ليحكم بينهم ويجازيهم بحكمه الدّائر بين الفضل والعدل[7]، كما فيه "تهديد عظيم لمن اتّبع وابتغى غير دين الله"[8].

---

[1]: المصدر السّابق، 184/4.
[2]: المصدر نفسه، 298/16.
[3]: المصدر نفسه، 304/16.
[4]: المصدر نفسه، 251/29.
[5]: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 499/1.
[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 301/3.
[7]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص137.
[8]: البحر المحيط: أبو حيّان، 539/2.

وفي قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنعام: ٩١، وفي هذه الآية تشنيع على الّذين نَفَوا رسالة محمّد ﷺ، وزَعموا أنّ الله ما أنزل على بشر من شيء، حيث أظهر فساد قولهم هذا بأنّه أنزل التّوراة من قبل على موسى عليه السّلام، وعلّمكم -أيّها المسلمون- بالكتاب الّذي أنزله على نبيّه محمّدﷺ ما لم تعلموه[1].

يقول ابن عاشور: "ووجه بناء فعل «عُلِّمتم» للمجهول ظهور الفاعل..."[2].

فبناء الفعل لما لم يسمّ فاعله لإظهار المنّة؛ أي هناك من علّمهم ولم يتعلّموا ذلك بأنفسهم؛ لأنّ القرآن الّذي أنزله الله سبحانه على الرّسول ﷺ تعلّموا منه أخبار من سبقهم، وأنباء من بعدهم، والأحداث الّتي تحصل يوم القيامة وغيرها. ولو بني الفعل للفاعل لما حصل هذا المعنى، ولأدّى ذلك إلى فساد السّياق الّذي نزلت فيه الآية.

وهناك مواضع أخرى ذكر فيها ابن عاشور غرض ظهور الفاعل بدل العلم به كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٨، بقوله: "وبني فعل «حُرّمت» للمجهول لظهور الفاعل؛ أي حرّم الله ظهورها بقرينه قوله: (افْتِرَاءً عليْه)"[3]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٠، "وبُنِي فعل الإلقاء إلى المجهول لظهور الفاعل، وهو أنفسهم، والتّقدير: وألقوا أنفسهم على الأرض"[4]. وفي قوله أيضا: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ التوبة: ١٦، "والتّرك: افتقاد الشّيء وتعهّده، أي:

---

[1]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص264. وجامع البيان: الطّبري، 6/399-400.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 7/366.

[3]: المصدر نفسه، القسم الاوّل، 8/107.

[4]: المصدر نفسه، 9/52.

يترككم الله، فحذف فاعل التّرك لظهوره"[1]. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ النحل: ٢٠، وأُسنِد الفعل «يُخْلَقُون» إلى النّائب لظهور الفاعل في المقام؛ أي وهم مخلوقون لله تعالى[2]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ النحل: ٤١، وإسناد فعل «ظُلِمُوا» إلى المجهول لظهور الفاعل من السّياق وهو المشركون[3]. وفي قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يس: ٤٥، حيث ذكر أنّ بناء "فعل «قِيل» للمجهول لظهور أنّ القائل هو الرّسول ﷺ في تبليغه عن الله تعالى، أي قِيل لهم في القرآن"[4].

2- الإيجاز والاختصار:

هو التّعبير عن المقصود بلفظ أقلّ من المتعارف وافٍ بالمراد، وإلّا كان إخلالا[5]، وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذا المعنى ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ البقرة: ٥٩، وتبديل القول تبديل جميع ما قاله الله لهم وما حدّثهم النّاس عن حال القرية، وللإشارة إلى جميع هذا بُني فعل «قِيلَ» إلى المجهول إيجازا[6]. وفي هذا ذمّ لليهود الّذين بدّلوا قوله سبحانه وحرّفوا نصوصه الشّرعيّة، لأنّ في ذلك استهانة بأمر الله عزّ وجل واستهزاء به[7].

-قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ ﴾ البقرة: ٢١٢، يخبر الله تعالى في هذه الآية عن تزيينه

---

[1]: المصدر السّابق، 138/10.

[2]: المصدر نفسه، 126/14.

[3]: المصدر نفسه، 157/14.

[4]: المصدر نفسه، 30/23.

[5]: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص194.

[6]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 516/1.

[7]: ينظر: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص53.

الحياة الدّنيا للكافرين الّذين رضوا بها واطمأنّوا إليها، وصارت أهواؤهم وأعمالهم كلّها لها؛ لأنّهم كفروا به وبآياته ورسله ولم ينقادوا لشرعه[1].

ويقول ابن عاشور في الفعل «زُيِّن» المبني لما لم يسمّ فاعله بأنّ "تزيين الحياة لهم، إمّا أنّ ما خُلِق زينا في الدّنيا قد تمكّن من نفوسهم واشتدّ توغّلهم في استحسانه... وإمّا ترويج تزيينها في نفوسهم بدعوة شيطانيّة تحسّن ما ليس بالحسن... والمزيّن على المعنى الأوّل هو الله تعالى إلّا أنّهم أفرطوا في الإقبال على هذه الزّينة، والمزيّن على المعنى الثّاني هو الشّيطان ودعاته. وحذف فاعل التّزيين، لأنّ المزيّن لهم أمور كثيرة: منها خلق بعض الأشياء حسنة بديعة كمحاسن الذّوات والمناظر، ومنها إلقاء حسن بعض الأشياء في نفوسهم وهي غير حسنة كقتل النّفس، ومنها إعراضهم عمّن يدعوهم إلى الإقبال على الأمور النّافعة... إلى غير ذلك من أمور يصلح كلّ منها أن يعدَّ فاعلا للتّزيين حقيقة أو عرفا، فلأجل ذلك طوى ذكر الفاعل تجنّبا للإطالة، ويجوز أن يكون حذف الفاعل لدقّته، إذ المزيّن لهم الدّنيا أمر خفيّ فيحتاج في تفصيله إلى شرح في أخلاقهم..."[2].

-قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٤. وفي هذه الآية أمر من الله تعالى للنّساء بمشروعيّة العدّة لمن تُوفّي عنها زوجها، وتحديد لمدّتها[3].

يقول ابن عاشور: "ويُتَوفَّون مبني للمجهول، وهو من الأفعال الّتي التزمت العرب فيها البناء للمجهول: مثل عُنِي واُضطُرّ، وذلك في كلّ فعل قد عُرِف فاعله ما هو، أو لم يعرفوا له فاعلا معيّنا. وهو من توفَّاه الله، أو توفَّاه الموت، فاستعمال التّوفي منه مجاز، تنزيلا لعمر الحيّ منزلة حقّ الموت... فقالوا: توفّي فلان كما يقال: توفّي الحقّ... وجاء الإسلام فقال الله تعالى: (اللهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ)، وقال: (حتَّى يتَوَفَّاهنّ المَوتُ)... فظهر الفاعل المجهول عندهم في مقام التّعليم أو الموعظة، وأبقى الفعل مبنيا للمجهول فيما عدا ذلك: إيجازا وتبعا للاستعمال"[4].

---

[1]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 340/1. وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص95.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 294/2-295.

[3]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 384/1.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 441/2.

والملاحظ أنّ ابن عاشور عندما يطلق الاختصار، أو طيّ ذكر الفاعل تجنّبا للإطالة في تفسيره فإنّه يقصد به الإيجاز.

3-عموم الفاعل: وذكر ابن عاشور هذا الغرض في موضعين هما:

-قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٣.

يقول ابن عاشور: "وبني فعل «تُكَلَّف» للنّائب: ليحذف الفاعل، فيفيد حذفه عموم الفاعلين، كما يفيد وقوع نفس، وهو نكرة في سياق النّفي، عموم المفعول الأوّل لفعل تكلَّف: وهو الأنفس المكلّفة، وكما يفيد حذف المستثنى في قوله: ﴿إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾، عموم المفعول الثّاني لفعل تكلّف، وهو الأحكام المكلّف بها؛ أي لا يكلِّف أحدٌ نفسا إلّا وسعها، وذلك تشريع من الله للأمّة بأن ليس لأحد أن يكلِّف أحدا إلّا بما يستطيعه... والآية تدلّ على عدم وقوع التّكليف بما لا يطاق، في شريعة الإسلام"[1]. أما أبو حيّان فقد ذكر أنّ حذف الفاعل للعلم به وهو الله تعالى[2].

وكلا الرأيان يحملان وجهة نظر وفائدة عظيمة تستفاد من الآية؛ لأنّ التّكليف هو إلزام بشيء فيه مشقّة على الآخر، ورأي ابن عاشور يدلّ على أنّ الله سبحانه الّذي خلق كلّ شيء وأبدعه لا يكلّف العباد فوق طاقتهم، فالعباد كذلك لم يُشَرّع لأحد منهم أنّ يكلّف أحدا بما لا يطيقه؛ أي أنّ الفاعل هو الله ثمّ كلّف العباد به أيضا، وهذا من تمام عدل الله سبحانه؛ لأنّه ينهى عن الظّلم، وينفيه حتّى عن نفسه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يونس: ٤٤، وقال: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ فصلت: ٤٦. أمّا رأي أبي حيّان في توجيه الغرض من حذف الفاعل يبيّن لنا رحمة الله سبحانه بعباده؛ فهو لا يكلّفهم ما لا يطيقونه سواء كان ذلك في أمور دينهم أو دنياهم.

-وقوله تعالى: ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ النحل: ٣٧، وقد ذُكر في هذه الآية عناد قريش وحرص رسول الله ﷺ على إيمانهم[3].

---

[1]: المصدر السّابق، 433/2.

[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 225/2.

[3]: الكشّاف: الزّمخشري، 436/3.

وقرأ نافع وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب وغيرهم «لا يُهدَى» -بضمّ الياء وفتح الدّال- مبنيّا للنّائب. وحذف الفاعل للتّعميم، أي لا يهديه هادٍ[1]؛ وإلى هذا المعنى أشار الزّمخشري في هذه القراءة بقوله: "أي: لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله"[2].

4- الجهل بالفاعل:

وهو أحد الأغراض لحذف الفاعل، وهو واضح في بعض مواضع إسناد الفعل لنائب الفاعل؛ حيث يحذف الفاعل للجهل به نحو: سُرِق المتاعُ، وقُتِل الرّجلُ، إذا لم يعرف السّارق، والقاتل[3]. وممّا علّق عليه ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

-قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴿١٢٨﴾ ﴾ النساء: ١٢٨.

يقول ابن عاشور:"ولكونه من أفعال الجبلّة بني فعله للمجهول على طريقة العرب في بناء كلّ فعل غير معلوم الفاعل للمجهول، كقولهم: شُغِف بفلانة، واضطُرّ إلى كذا"[4]. أمّا ابن عثيمين فقد أشار إلى أنّ الفاعل هو الله تعالى بقوله أنّ السّبب في قوله: «أُحضِرت» مع أنّها أحضرها الله؛ لأنّ الله تعالى إذا أضاف إلى نفسه الشّيء المذموم يأتي بصيغة المبني للمفعول، كما في قوله: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾ ﴾ الجن: ١٠، قال: «أُرِيد» تأدّبا مع الله عزّ وجلّ، فلمّا كان الشّح أمرا مذموما فالأنفس نائب فاعل، قائم مقام المفعول الأوّل[5].

-وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣، هذا مثل ضربه الله تعالى لقُبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها[6].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 152/14.

[2]: الكشّاف: الزّمخشري، 436/3.

[3]: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص198.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 217/5.

[5]: تفسير القرآن العظيم (سورة النّساء): ابن عثيمين، 286/2.

[6]: تيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص546.

وذكر ابن عاشور أنّ الفعل «ضُرِب» بني للمجهول لأنّه لم يذكر له فاعل بعكس ما في المواضع الأخرى الّتي صُرّح فيها بفاعل «ضرب»[1]. أمّا أبو حيّان فقد أشار إلى دلالة العلم بالفاعل بقوله: "و «ضُرِب» مبني للمفعول، والظّاهر أنّ ضارب المثل هو الله تعالى ضرب مثلا لما يعبد من دونه... وقِيل: ضارب المثل هم الكفّار جعلوا مثلا لله تعالى أصنامهم وأوثانهم..."[2].

وفي بناء الفعل لما لم يسمّ فاعله زيادة في مراعاة الأسماع؛ لأنّ ضرب المثل طريقة تربويّة عظيمة للعباد ليعتبروا بقوله سبحانه، فكلّ من يدعونهم من دونه عاجزين عن خلق أدنى شيء، والعاجز لا يستحقّ العبادة.

- قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤، حيث ذكر أنّ فاعل التّزيين حُذِف لخفائه عن إدراك عموم المخاطبين؛ لأنّ ما يدلّ على الغرائز والسّجايا لما جُهِل فاعله في متعارف العموم، كان الشّأن إسناد أفعاله للمجهول كقولهم: عُنِي بكذا واضْطُرّ إلى كذا... ولمّا رجع التّزيين إلى انفعال في الجبلّة، كان فاعله على الحقيقة هو خالق هذه الجبلات، فالمزيّن هو الله بخلقة لا بدعوته[3].

وهناك مواضع أخرى ذكر فيها ابن عاشور هذا الغرض كما في الفعل «صُرِف» في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأعراف: ٤٧، بقوله: "وإسناده إلى المجهول هنا جار على المتعارف في أمثاله من الأفعال الّتي لا يتطلّب لها فاعل"[4].

وقوله أيضا: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴿٧٨﴾ ﴾ هود: ٧٨، حيث يقول: "و«يُهْرَعُون» بضمّ الياء وفتح الرّاء على صيغة المبني للمفعول فسّروه بالمشي الشّبيه بمشي المدفوع، وهو بين الخبب والجمز، فهو لا يكون إلّا مبنيا للمفعول... ولذلك أجمع أهل اللّغة أنّه من الأفعال الّتي التزموا فيها صيغة المفعول؛ لأنّها في الأصل مسندة إلى فاعل غير معلوم"[5]. وفي قوله: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 338/17.
[2]: البحر المحيط: أبو حيّان، 359/6.
[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 180/3.
[4]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 144/8.
[5]: المصدر نفسه، 126/12.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ الأحزاب: ١١، بقوله: "ويقال: زُلْزِل فلان، مبنيّا للمجهول تبعا لقولهم: زُلزِلت الأرض، إذ لا يعرف فاعل هذا الفعل عرفا. وهذا هو غالب استعماله..."[1].

5- التّعظيم:

قد يفرض المقام الكلامي على المتكلّم ألّا يذكر الفاعل في سياق لفظي أو مقامي معيّن صونا له وتشريفا[2]. وقد ذكر ابن عاشور هذا الغرض في موضع واحد وهو:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ سبأ: ٢٣، بقوله أنّ فعل «فُزّع» في قراءة الجمهور بني للمجهول لتعظيم ذلك التّفزيع بأنّه صادر من جانب عظيم، ففيه جانب الإذن فيه، وجانب المبلّغ له وهو الملك[3].

6- عدم تعلّق غرض بذكر الفاعل: وهذا الغرض يتداخل مع بعض الأغراض الأخرى، فمنهم من ربطه بالإبهام كما فعل السّيوطي بقوله: "أو قصد إبهامه بأن لا يتعلّق مراد المتكلّم بتعيينه نحو: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ البقرة: ١٩٦، ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم﴾ النساء: ٨٦ ..."[4]. وابن جنّي في المحتسب عندما علّق على قراءة ابن مسعود في قوله: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴿١٧٧﴾﴾ الصافات: ١٧٧، ببناء الفعل «نُزِل» لما لم يسمّ فاعله؛ أي: (فإذا نُزِل بِسَاحَتِهِم) فمعناه: فَإذا نَزَل عذابُنا بساحَتِهم، فأبهم الفاعل واعتمد ذكر المكان المنزول فيه. وإسناد الفعل إلى المفعول نحو: ضُرِب زيدٌ، لم يكن لجهل المتكلّم بالفاعل من هو البتّة، لكن قد يسند إلى المفعول ويطرح ذكر الفاعل، لأنّ الغرض إنّما هو الإعلام بوقوع الضّرب بزيد، ولا غرض له في إبانة الفاعل من هو[5].

---

[1]: المصدر السّابق، 283/21.

[2]: ينظر: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص178.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 190/22.

[4]: همع الهوامع: السّيوطي، 518/1. وينظر: الفعل المبني للمجهول في اللّغة العربيّة (أهميّته. مصطلحاته. أغراضه): عبد الفتّاح محمّد، مجلة جامعة دمشق، مجلد:22، العدد(1-2)، 2006م، ص54.

[5]: المحتسب: ابن جنّي، 229/2. وينظر: الفعل المبني للمجهول: عبد الفتّاح محمّد، ص54-55.

فما ذكره ابن جنّي والسّيوطي يشير إلى أنّ الغرضين يصبّان في المعنى نفسه، وهو تعلّقهما بمراد المتكلّم، حيث يصرف عنايته عن الفاعل إلى المفعول.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ هود: ٤٤، فبني الفعل «قِيل» إلى المجهول لعدم الحاجة إلى معرفة قائله[1].

7- الإخبار عن المفعول:

ويكون غرض المتكلّم أحيانا الإخبار عن المفعول لاغير، فيترك الفاعل إيجازا للاستغناء عنه[2]. وممّا أشار إليه ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ العنكبوت: ٣٣ ، يقول ابن عاشور: "وبناء فعل «سِيء» للمجهول لأنّ المقصود حصول المفعول دون فعله"[3].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ غافر: ٣٧، بقوله: "وبني فعل «زُيّن» إلى المجهول لأنّ المقصود معرفة مفعول التّزيين لا معرفة فاعله، أي حصل له تزيين سوء عمله في نفسه فحسب الباطل حقّا والضّلال اهتداء"[4]، وفي بناء الفعل لما لم يسمّ فاعله تنبيه على أنّ سوء العمل في حقّ الله سبحانه يستوجب العقاب الشّديد.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ الحاقة: ١٣ – ١٤، حيث ذكر ابن عاشور أنّ الأفعال «نُفِخ، وحُمِلَت، ودُكَّتا» بنيت للمجهول؛ لأنّ الغرض متعلّق ببيان المفعول لا الفاعل[5].

---

[1]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 80/12.

[2]: ينظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، 307/4. وما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص174.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 245/20.

[4]: المصدر نفسه، 147/24.

[5]: المصدر نفسه، 125/29.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ النبأ: ١٨، حيث يقول: "وبني «يُنْفَخ» إلى النّائب لعدم تعلّق الغرض بمعرفة النّافخ، وإنّما الغرض معرفة هذا الحادث العظيم وصورة حصوله"[1]. أي معرفة النّفخ في الصّور؛ لأنّ (في الصّور) هو النّائب عن الفاعل. وفي بناء الفعل تنبيه على هذا الأمر العظيم، وما يجري من أحداث في يوم القيامة.

وفي قوله: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ النازعات: ٣٦، "وبني فعل «بُرِّزَت» للمجهول لعدم الغرض ببيان مبرزها، إذ الموعظة في الإعلام بوقوع إبرازها يومئذ"[2]؛ أي بوقوع إبراز الجحيم وهو المفعول به في الأصل، والتّقدير: بَرّزَ الله الجّحِيمَ. وبناء الفعل لما لم يسمّ فاعله لغرض التّرهيب من عذاب جهنّم.

8- الإبهام:

قد لا يتعلّق مراد المتكلّم بتعيين المحذوف؛ أي الفاعل؛ لأنّ تعيينه غير مفيد، فيتعمّد الحذف حتّى لا ينصرف انتباه السّامع إلى أمور لا يقصدها المتكلّم، فضلا عمّا فيه من إيجاز للعبارة وإطلاق لمعناها دون تقييدها بالمحذوفات[3]. وممّا أشار له ابن عاشور في هذا الغرض ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ الشورى: ٤٥، بقوله: "وبني فعل «يُعْرَضُون» للمجهول لأنّ المقصود حصول الفعل لا تعيين فاعله، والّذين يعرضون الكافرين على النّار هم الملائكة كما دلّت عليه آيات أخرى"[4]؛ فالفاعل معلوم ولكنّ المتكلّم لم يكن مراده تعيين الفاعل؛ لأنّه أراد إبهامه عن المخاطب.

-وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٠، يقول ابن عاشور: "فقوله : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ يدلّ على جملة مطويّة إيجازا، وتقديرها: واستهزأوا بك ولقد استهزأ أمم برسل من قبلك، لأنّ قوله: ﴿ مِّن

---

[1]: المصدر السّابق، 31/30.

[2]: المصدر نفسه، 91/30.

[3]: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص193. وينظر: شرح التّسهيل: ابن مالك، 125/2.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 126/25.

﴿ قَبۡلِكَ ﴾ يؤذِن بأنّه قد استهزِئ به هو أيضا، وإلّا لم تكن فائدة في وصف الرّسل بأنّهم من قبله لأنّ ذلك معلوم. وحذف فاعل الاستهزاء فبُنِي الفعل إلى المجهول لأنّ المقصود هنا هو ترتّب أثر الاستهزاء لا تعيين المستهزئين"[1]؛ أي أنّ المتكلّم لم يقصد تعيين الفاعل، وناب عنه الجار والمجرور وهو «برسل».

وقوله تعالى: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠ ﴾ هود: ٦٠، يقول ابن عاشور: "وبُني فعل «اتْبِعُوا» للمجهول إذ لا غرض في بيان الفاعل، ولم يسند الفعل إلى اللّعنة مع استيفائه ذلك على وجه المجاز ليدلّ على أنّ اتّباعها لهم كان بأمر فاعل للإشعار بأنّها تبعتهم عقابا من الله لا مجرّد مصادفة"[2].

- وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ ١١٠ ﴾ هود: ١١٠، حيث يقول: "وبني فعل «اخْتُلِف» للمجهول إذ لا غرض إلّا في ذكر الفعل لا في فاعله"[3].

- وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ ﴾ طه: ١١، بقوله: "بنِي فعل النّداء للمجهول زيادة في التّشويق إلى استطلاع القصّة، فإبهام المنادِي يشوّق سامع الآية إلى معرفته، فإذا فاجأه (إنّي أنا ربُّك) علم أنّ المنادي هو الله تعالى فتمكّن في النّفس كمال التّمكّن؛ ولأنّه أدخل في تصوير تلك الحالة بأنّ موسى ناداه مناد غير معلوم له، فحكي نداؤه بالفعل المبني للمجهول"[4].

فعندما ذكر دلالة الإبهام في هذه الآية، أشار إلى الآية الموالية لها والّتي يعلم منها الفاعل، وهذا من كمال تماسك آي القرآن ببعضها البعض.

حيث بني الفعل لما لم يسمّ فاعله في الأغراض الثّلاثة السّابقة وهي: عدم تعلّق غرض بذكر الفاعل، والإخبار عن المفعول، والإبهام من أجل لفت النّظر إلى الشّيء بصرف النّظر عن القائل. وهذه الأغراض الثّلاثة يمكن أن تُجمَع كلّها في غرض واحد؛ لأنّ معانيها تدور في الحقل نفسه؛ وهو مراد المتكلّم سواء كان ذلك في الفعل أو المفعول، أمّا الفاعل لا يهم معرفته.

---

[1]: المصدر السّابق، 147/7.

[2]: المصدر نفسه، 106/12.

[3]: المصدر نفسه، 170/12.

[4]: المصدر نفسه، 195/16.

المطلب الثّاني: أغراض أخرى:

1- الدّعاء:

وقد يستفاد من الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله معنى الدّعاء حيث أشار ابن عاشور إلى هذا الغرض في أربعة مواضع وهي:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴿٦٤﴾ ﴾ المائدة: ٦٤، عند تفسيره لجملة (غُلَّت أيْدِيهِم) بقوله: "... فقابل الله قولهم بالدّعاء عليهم. وذلك ذمّ على طريقة العرب... وأخذ لهم من الغلّ المجازي مقابلة الغلّ الحقيقي في الدّعاء على طريقة العرب في انتزاع من لفظ سببه أو نحوه"[1]. وفي قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الذاريات: ١٠، يقول ابن عاشور: "دعاء بالهلاك على أصحاب ذلك القول المختلف؛ لأنّ المقصود بقتلهم أنّ الله يهلكهم، ولذلك يكثر أن يقال: قاتله الله..."[2]. أمّا ابن يعيش فقد ذكره في غرض تعظيم الفاعل[3].

وقوله: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ﴾ المدثر: ١٩، بقوله: "وقُتِل: دعاء عليه بأن يقتله قاتل، أي دعاء عليه بتعجيل موته؛ لأنّ حياته حياة سيّئة، وهذا الدّعاء مستعمل في التّعجيب من مالهوالثّراء له كقوله: (قاتلهم الله) وقولهم: عدمتك، وثكلته أمّه..."[4]. وقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ عبس: ١٧، بقوله: "وفعل «قتل فلانا» أصله دعاء عليه بالقتل، والمفسّرون الأوّلون جعلوا ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ أنّه لعن، رواه الضّحاك عن ابن عبّاس وقاله مجاهد وقتادة وأبو مالك... وبناء «قُتِل» للمجهول متفرّع على استعماله في الدّعاء، إذ لا غرض في قاتل يقتله"[5].

2- مناسبة السّياق:

---

[1]: المصدر السّابق، 250/6.

[2]: المصدر نفسه، 343/26.

[3]: شرح المفصّل: ابن يعيش، 307/4.

[4]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 308/29.

[5]: المصدر نفسه، 120/30.

وهو غرض من أغراض حذف الفاعل؛ إذ يبنى الفعل لما لم يسمّ فاعله ليناسب ما قبله[1]، وممّا علّق عليه ابن عاشور بهذا الصّدد هو قوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ هود: ٤٨، "وكان مقتضى الظّاهر أن يقول: قال يا نوح اهبِط، ولكنّه عُدِل عنه إلى بناء الفعل للنّائب ليجيء على وتيرة حكاية أجزاء القصّة المتقدّمة في قوله: (وقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي)... فحصل بذلك البناء قضاء حقّ الإشارة إلى أجزاء القصّة..."[2].

3- الإجراء على المثل: حيث أشار ابن عاشور إلى أنّ الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله يأتي لغرض الإجراء على المثل في موضعين هما:

-قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنعام: ٥٨، يقول ابن عاشور: "وبني «قُضِي الأمرُ» للمجهول لظهور أنّ قاضيه هو من بيده ما يستعجلون به. وتركيب «قُضِي الأمرُ» شاع فجرى مجرى المثل، وحذف الفاعل ليصلُحَ التّمثّل به في كلّ مقام، ومنه قوله: ﴿ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ ﴾... ولذلك إذا جاء في غير طريقة المثل يصرّح بفاعله كقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ ﴾"[3].

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٩، يخبر الله تعالى بندم بني إسرائيل على فعلهم وهو عبادتهم للعجل، وتضرّعهم لله تعالى ليغفر لهم[4].

يقول ابن عاشور: "و(سُقِط في أَيدِيهِم) مبني للمجهول، كلمة أجراها القرآن مجرى المثل... ولمّا كان ذكر فاعل السّقوط المجهول لا يزيد على كونه مشتقّا من فعله، ساغ أن يبنى فعله للمجهول فمعنى (سُقِط في يدِه) سقط ساقط في يده فأبطل حركة يده... "[5]، وفي بناء الفعل فائدة عظيمة في المعنى العام

---

[1]: ما لم يسمّ فاعله: كريمة مصطفى، ص186.

[2]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 88/12.

[3]: المصدر نفسه، 269/7.

[4]: ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 312/2. وتيسير الكريم الرّحمان: السّعدي، ص303.

[5]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 111/9-112.

للآية وهو أنّ العبد إذا أخطأ وأذنب في حقّ ربّه عليه يندم ويعترف بجرمه، ويلتجئ إلى ربّه لطلب المغفرة منه وحده.

4- الدّلالة على الوجوب والالتزام:

لقد جاء سياق الفعل «كُتِب» في تبيين حكم القصاص كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ ﴿١٧٨﴾ ﴾ البقرة: ١٧٨، يقول ابن عاشور: "أعيد الخطاب بيا أيّها الّذين آمنوا، لأنّ هذا صنف من التّشريع لأحكام ذات بال في صلاح المجتمع الإسلامي، وابتدئ بأحكام القصاص، لأنّ أعظم شيء من اختلال الأحوال اختلال حفظ نفوس الأمّة... فمعنى: كُتِب عليكم أنّه حقّ لازم للأمّة لا محيد عن الأخذ به فضمير عليكم لمجموع الأمّة على الجملة لمن توجه له حقّ القصاص..."[1]، ونظيره قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ البقرة: ١٨٠، بقوله: "والقول في «كُتِب» تقدّم في الآية السّابقة وهو ظاهر في الوجوب قريب من النّص فيه"[2]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣، حيث ذكر أنّ القول في معنى(كُتِب عليكم) ودلالته على الوجوب تقدّم آنفا[3].

وفي قوله أيضا: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة: ٢١٦، يقول ابن عاشور: "ولفظ (كُتِب عليكم) من صيغ الوجوب وقد تقدّم في آية الوصيّة... أي كُتِب عليكم قتال عدوّ الدّين... فالآية وردت في هذه السّورة مع جملة التّشريعات والنّظم الّتي حوتها كقوله: كُتِب عليكم الصّيام، وكُتِب عليكم القصاص، وكُتِب عليكم إذا حضر أحدكم الموت. فعلى المختار يكون قوله: (كُتِب عليكم

[1]: المصدر السّابق، 2/134-135.

[2]: المصدر نفسه، 2/146.

[3]: المصدر نفسه، 2/154.

القتالُ) خبرا عن حكم سبق لزيادة تقريره... أو إعادة لإنشاء وجوب القتال زيادة في تأكيده، أو إنشاء أنفا لوجوب القتال..."[1]. إلّا أنّ السّيوطي ذكر أنّه لغرض العلم بالفاعل[2].

المطلب الثّالث: معاني خاصّة تتحدّد بالسّياق العام:

للفعل المبني لما لم يسمّ فاعله معان تتحدّد بالسّياق، ولقد انتبه ابن عاشور لهذا الأمر وحدّد السّياق العام الّذي يستفاد من بناء هذه الصّيغة في الآيات القرآنيّة من خلال المقام الّذي وردت فيه ومن هذه المعاني ما يلي:

1- الإيمان بالكتب السّماويّة:

- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ البقرة: ٤، حيث يشير إلى أنّ سياق الفعل «أُنزِل» يدلّ على معنى الإيمان بقوله: "...والمراد بما أنزل إلى النّبي ﷺ المقدار الّذي تحقّق نزوله من القرآن قبل نزول هذه الآية، فإنّ الثّناء على المهتدين إنّما يكون بأنّهم حصل منهم إيمان بما نزل لا توقّع إيمانهم بما سينزل، لأنّ ذلك لا يحتاج للذّكر إذ من المعلوم أنّ الّذي يؤمن بما أُنزِل يستمرّ إيمانه بكلّ ما ينزل على الرّسول، لأنّ العناد وعدم الاطمئنان إنّما يكون في أوّل الأمر..."[3]

2- إظهار عظمة الله سبحانه وقدرته:

وذلك في قوله: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود: ٤٤، حيث يقول: "وبني فعل «غِيض الماءُ» للنّائب لمثل ما بني فعل «قِيل» باعتبار سبب الغيض، أو لأنّه لا فاعل له حقيقة؛ لأنّ حصوله مسبّب عن حصول سبب الغيض: نضوبه في الأرض. والمراد: الماء الّذي نشأ بالطّوفان... فلم يصرّح بمن غاض الماء، ولا بمن قضى الأمر وسوّى السّفينة... سلوكا في كلّ واحد من ذلك سبيل الكناية أنّ تلك الأمور العظام لا تتأتّى إلّا من ذي قدرة لا يكتنه قهّار ولا يغالب، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلّت

[1]: المصدر السّابق، 319/2.

[2]: السّيوطي: همع الهوامع، 518/1.

[3]: التّحرير والتّنوير: ابن عاشور، 238/1.

عظمته..."[1]. حيث أشار إلى أنّ هذه الأفعال ببنائها لما لم يسمّ فاعله فيها دليل على قدرة الله سبحانه وعظمته؛ لأنّ مثل هذه الأمور لا يقدر عليها إلّا الله عزّ وجل.

- قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾ الحج: ٧٦، "وبني فعل «تُرْجَع» إلى النّائب لظهور من هو فاعل الإرجاع، فإنّه لا يليق إلّا بالله تعالى، فهو يمهل النّاس في الدّنيا وهو يُرجع الأمور إليه يوم القيامة"[2].

3- التّرهيب من عذاب النّار:

- قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٤، يقول ابن عاشور: "وقوله ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ استئناف لم يعطف لقصد التّنبيه على أنّه مقصود بالخبريّة لأنّه لو عطف لأوهم العطف أنّه صفة ثانية أو صلة أخرى، وجعله خبرا أهول وأفخم وأدخل للرّوع في قلوب المخاطبين وهو تعريض بأنّها أعدّت لهم ابتداء لأنّ المحاورة معهم"[3].

4- التّذكير بنعم الله سبحانه:

وقد علّق ابن عاشور على الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله في اسم المفعول في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ سبأ: ٣٤، حيث ذكر عند تعليقه على اسم المفعول «مترَفُوها» أنّه مبني للمفعول بتقدير أنّ الله أترفهم، وفي بنائه للمفعول تعريض بالتّذكير بنعمة الله عليهم لعلّهم يشكرونها ويقلعون على الإشراك به[4].

5-التّرغيب في الجهاد وذكر ثوابه وجزائه:

وممّا ذكره ابن عاشور في هذا السّياق ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ

---

[1]: المصدر السّابق، 12/79-81.

[2]: المصدر نفسه، 17/345.

[3]: المصدر نفسه، 1/345.

[4]: المصدر نفسه، 22/212.

﴿وَٱلْقُرْءَانِۚ ﴿١١١﴾﴾ التوبة: ١١١، حيث يقول ابن عاشور: "... وقرأ الجمهور «يَقْتُلُون» بصيغة المبني للفاعل وما بعده بصيغة المبني للمفعول. وقرأ حمزة والكسائي بالعكس. وفي قراءة الجمهور اهتمام بجهادهم بقتل العدوّ، وفي القراءة الأخرى اهتمام بسبب الشّهادة الّتي هي أدخل في استحقاق الجنّة"[1].

- وقوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ محمد: ٤، حيث ذكر ابن عاشور قراءة أبي عمرو وحفص عن عاصم في قوله «قُتِلُوا» بالبناء للنائب، وعلى هذه القراءة يكون مضمون الآية جزاء الشّهداء فدايتهم وإصلاح بالهم كائنان في الآخرة، فبعد أنْ أمر الله سبحانه المؤمنين بقتال المشركين أعقب الأمر بوعد الجزاء على الجهاد في سبيل الله[2]، وهذا لترغيب المسلمين في ثواب الجهاد[3].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ البقرة: ١٥٤، بقوله: "عطف النّهي على الأمر قبله لمناسبة التّعريض للغزو ممّا يتوقّع معه القتل في سبيل الله، فلمّا أمروا بالصّبر ينقلب شكرا عندما يرى الشّهيد كرامته بعد الشّهادة..."[4].

6-الإيمان باليوم الآخر والبعث والحشر:

- قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ البقرة: ٢٨، وقوله: (ثمَّ إلَيهِ تُرْجَعُون) أي يكون رجوعكم إليه، شبّه الحضور للحساب برجوع السّائر إلى منزله باعتبار أنّ الله خلق الخلق فكأنّهم صدروا من حضرته، فإذا أحياهم بعد الموت فكأنّهم أرجعهم إليه، وهذا إثبات للحشر والجزاء. حيث قرأ الجمهور «تُرْجَعون» بضمّ التاء وفتح الجيم، على اعتبار أنّ الله أرجعهم وإن كانوا كارهين، لأنّهم أنكروا البعث[5].

7- تقرير كمال الله تعالى:

---

[1]: المصدر السّابق، 39/11.

[2]: المصدر نفسه، 83/26-84.

[3]: المصدر نفسه، 72/26.

[4]: المصدر نفسه، 53/2.

[5]: المصدر نفسه، 377/1.

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ...﴿١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٤، يقول ابن عاشور: "وأمّا قوله (لا يُطعَم) بضمّ الياء وفتح العين فتكميل دالّ على الغنى المطلق كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾"[1].

8- الحثّ على الإنفاق في سبيل الله:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠، يقول ابن عاشور: "... وتدلّ التّوفيّة على أنّه يشمل الأجر في الدّنيا مع أجر الآخرة... وتعدية التّوفية إلى الإنفاق بطريق بناء الفعل للنّائب، إنّما الّذي يوفّى هو الجزاء على الإنفاق في سبيل الله؛ للإشارة إلى أن الموفّى هو الثّواب. والتّوفية تكون على قدر الإنفاق وأنّها مثله، كما يقال: وفّاه دينَه، وإنّما وفّاه مماثلا لدينه"[2].

9-تبيين الحلال والحرام:

قوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ... ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ ﴿٢٤﴾ ﴾ النساء: ٢٣ – ٢٤.

يقول ابن عاشور: وقرأ الجمهور: (وأحَلَّ لكُم) بالبناء للفاعل... وأسند التّحليل إلى الله تعالى إظهارا للمنّة، ولذلك خالف طريقة إسناد التّحريم إلى المجهول في قوله: (حُرِّمت عَليكُم أُمَّهَاتُكُم) لأنّ التّحريم مشقّة فليس المقام فيه مقام منّة، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر: «وأُحِلّ» على البناء للنّائب على طريقة (حُرِّمت عَليكُم أُمَّهَاتُكُم)[3].

10- وعيد الله للمشركين:

- قوله تعالى:﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٤، بقوله: "وبناء «تُوعَدُون» للمجهول يصحّ أن يكون الفعل المضارع وَعد يَعد، أو مضارع أوعَد يُوعد، والمتبادر

[1]: المصدر السّابق، 158/7.
[2]: المصدر نفسه، 58/10.
[3]: المصدر نفسه، 7/5.

الأوّل. ومن بديع الفصاحة اختيار بنائه للمجهول، ليصلح لفظه لحال المؤمنين والمشركين، ولو بني للمعلوم لتعيّن فيه أحد الأمرين: بأن يقال: إنّ ما نعدكم، أو إنّ ما نوعدكم، وهذا من بديع التّوجيه المقصود منه أنْ يأخُذ من كلّ فريق من السّامعين ما يليق بحاله، ومعلوم أنّ وعيد المشركين يستلزم وعدا للمؤمنين، والمقصود الأهم هو وعيد المشركين"[1].

فبعد أن رجّح ابن عاشور صيغة الفعل الّتي بني لها الفعل، ذكر أنّ سياق الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله موجّه لكلا الفريقين المؤمنين والمشركين؛ وذلك بحسب ما يليق بحال كلّ فريق؛ والأهم هو وعيد المشركين بما أعدّه الله لهم من العذاب يوم القيامة.

11- الإيماء إلى المنافقين:

-قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴿١٤٠﴾ ﴾ النساء: ١٤٠، يقول ابن عاشور: "وإسناد الفعلين «يُكْفَر» و«يُسْتَهْزَأ» إلى المجهول ليتأتّى بحذف الفاعل صلاحية إسناد الفعلين إلى الكافرين والمنافقين. وفيه إيماء إلى أنّ المنافقين يركنون إلى المشركين واليهود لأنّهم يكفرون بآيات الله ويستهزؤون، فتنثلج لذلك صدور المنافقين..."[2].

12- إبطال عبادة غير الله: أي إبطال الشّرك بالله سبحانه وتبليغ ذلك للعباد والنّهي والتّحذير من عبادة غيره لتفرّده بالإلهيّة وحده عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ غافر: ٦٦، حيث يشير ابن عاشور إلى سياق الفعل «نُهْيتُ» وما حمله من معنى بقوله: "فانتقل إلى تقرير دليل الوحدانيّة بخبر الوحي الإلهي بإبطال عبادة غير الله على لسان رسوله ﷺ ليعمل بذلك في نفسه ويبلّغ ذلك إليهم فيعلموا أنّ الله حكم فيهم، وأنّهم لا عذر لهم في الغفلة... وأنّ هذا الرّسول ﷺ إنّما يدعوهم إلى ما يريده لنفسه فهو ممحّض لهم النّصيحة، وهاديهم إلى الحجّة لتتظاهر الأدلّة النّظريّة بأدلّة الأمر الإلهي بحيث يقوى إبطال مذهبهم في الشّرك... وكلّ ذلك يحوم حول إثبات تفرّد الله تعالى بالإلهيّة والرّبوبيّة... فكان قوله: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن

[1]: المصدر السّابق، القسم الأوّل، 88/8.

[2]: المصدر نفسه، 235/5.

﴿ دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي ﴾ إبطالا لعبادة غير الله بالقول الدّال على التّحذير والتّخويف بعد أن أبطل ذلك بدلالة الحجّة على المقصود... والمقصود من إسناد المنهيّة إلى الرّسول ﷺ التّعريض بنهي المشركين... وإلّا فلا فائدة لهم في الإخبار بأنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام منهي عن أن يعبد الّذين يدعونه من دون الله، يعني: فإذا كنت أنا منهيّا عن ذلك فتأمّلوا في شأنكم... وبني الفعل للنّائب لظهور أنّ النّاهي هو الله تعالى بقرينة مقام التّبليغ والرّسالة[1].

13- التّشويق:

-قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ طه: ١١، بقوله: "بِني فعل النّداء للمجهول زيادة في التّشويق إلى استطلاع القصّة، فإبهام المنادِي يشوّق سامع الآية إلى معرفته، فإذا فاجأه (إنّي أنا ربُّك) علم أنّ المنادي هو الله تعالى فتمكّن في النّفس كمال التّمكّن. ولأنّه أدخل في تصوير تلك الحالة بأنّ موسى ناداه مناد غير معلوم له، فحكي نداؤه بالفعل المبني للمجهول"[2].

14- الاعتبار والاتّعاظ:

- قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يونس: ١٢، بقوله: "وأسنِد فعل التّزيين للمجهول؛ لأنّ المسلمين يعلمون أنّ المزيّن للمسرفين خواطرهم الشّيطانيّة، فقد أُسنِد فعل التّزيين إلى الشّيطان غير مرّة، أو لأنّ معرفة المزيّن لهم غير مهمّة هاهنا وإنّما المهمّ الاعتبار والاتّعاظ باستحسانهم أعمالهم الذّميمة استحسانا شنيطا"[3].

15- الذّم والتّحذير:

- قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ ﴾ البقرة: ٢١٢، حيث يشير ابن عاشور إلى أنّه "حذف فاعل التّزيين، لأنّ المزيّن لهم أمور كثيرة: منها خلق بعض الأشياء حسنه بديعة... ومنها إعراضهم عمّن يدعوهم إلى الإقبال على الأمور النّافعة... إلى غير ذلك من أمور يصلح كلّ منها أن يعدَّ فاعلا للتّزيين حقيقة أو عرفا، فلأجل ذلك طوى ذكر الفاعل تجنّبا للإطالة، ويجوز أن يكون حذف الفاعل لدقّته...

---

[1]: المصدر السّابق، 195/24-196. والمصدر نفسه، 261/7.

[2]: المصدر نفسه، 195/16.

[3]: المصدر نفسه، 112/11.

وخصّ التّزيين بهم، إذ المراد من قوله: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ذمّهم والتّحذير من خلقهم، ولهذا لزم حمل التّزيين على تزيين يعدّ ذمّا، ولهذا لزم حمل التّزيين على تزيين يعدّ ذمّا، فلزم أن يكون المراد منه تزيينا مشوبا بما يجعل تلك الزّينة مذمّة"[1].

-وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦﴾البقرة: ٢٤٦، حيث ذكر ابن عاشور أنّها جملة معترضة، وهي محلّ العبرة والموعظة لتحذير المسلمين من حال هؤلاء أن يتولّوا عن القتال بعد أن أخرجهم المشركون من ديارهم وأبنائهم[2]

16- التّحقير والتّهديد:

- قوله تعالى:﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ عبس: ١٧، بقوله: "والدّعاء بالسّوء من الله تعالى مستعمل في التّحقير والتّهديد لظهور أنّ حقيقة الدّعاء لا تناسب الإلهيّة لأنّ الله هو الّذي يتوجّه إليه النّاس بالدّعاء. وبناء «قُتِل» للمجهول متفرّع على استعماله في الدّعاء، إذ لا غرض في قاتل يقتله"[3].

وهذا المعنى يشير إلى أحد أغراض السّورة كما ذكره ابن عاشور وهي وصف شدّة الكفر من صناديد قريش ومكابرتهم الدّعوة الّتي شغلت النّبي ﷺ [4]. وهذا السّبب أدّى إلى الدّعاء عليهم بالقتل.

17- التّعجيب:

قوله تعالى: ﴿ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩﴾ المدثر: ١٩، بقوله: "وقُتِل: دعاء عليه بأن يقتله قاتل، أي دعاء عليه بتعجيل موته؛ لأنّ حياته حياة سيّئة، وهذا الدّعاء مستعمل في التّعجيب من ماله والثّراء له كقوله: (قاتلهم الله) وقولهم: عدمتك، وثكلته أمّه..."[5].

18- إنذار الكفّار:

[1]: المصدر السّابق، 2/294-295.

[2]: المصدر نفسه، 2/487.

[3]: المصدر نفسه، 30/120.

[4]: المصدر نفسه، 30/102.

[5]: المصدر نفسه، 29/308.

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنفال: ٣٦، يقول ابن عاشور: "وقوله (ثُمَّ يُغْلَبُون) ارتقاء في الإنذار بخيبتهم وخذلانهم، فأنّهم بعد أن لم يحصلوا من إنفاقهم على طائل توعّدوا بأنّهم سيغلبهم المسلمون بعد أن غلبوهم أيضا يوم بدر، وهو إنذار لهم بغلب فتح مكّة وانقطاع دابر أمرهم، وهذا كالإنذار في قوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ وإسناد الفعل إلى المجهول لكون فاعل الفعل معلوما بالسّياق..." [1]. حيث بني الفعل لما لم يسمّ فاعله لإنذار الكافرين على ما يصيبهم من الغلبة والحسرة والعذاب بسبب إنفاقهم الأموال للصّد عن سبيل الله، ولو بني الفعل للفاعل لتُوهِّم أنّ الكفّار هم الغالبون.

19- النّدم:

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٩، "... ولمّا كان ذكر فاعل السّقوط المجهول لا يزيد على كونه مشتقّا من فعله، ساغ أن يبنى فعله للمجهول فمعنى (سُقِط في يدِه) سقط ساقط في يده فأبطل حركة يده... وقد استعمل في الآية في معنى النّدم وتبيين الخطأ لهم فهو تمثيل لحالهم بحال من سقط في يده حين العمل. فالمعنى أنّهم تبيّن لهم خطأهم وسوء معاملتهم ربّهم ونبيّهم. فالنّدامة هي معنى التّركيب كلّه"[2].

20- تشريع التّكليف على الأمّة بقدر الاستطاعة: ويكون بعدم تكليف النّفس بما لا تطيقه ؛ وهذا من تمام رحمة الله تعالى بعباده.

-قوله تعالى: ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٣، يقول ابن عاشور: "وبني فعل تُكَلَّف للنّائب: ليحذف الفاعل، فيفيد حذفه عموم الفاعلين... عموم المفعول الأوّل لفعل تكلّف هو الأنفس المتكلّفة... وعموم المفعول الثّاني لفعل تكلّف وهو الأحكام المكلّف بها؛ أي لا يكلّف أحدٌ

[1]: المصدر السّابق، 341/9.

[2]: المصدر نفسه، 112/9.

نفسا إلّا وسعها... وذلك تشريع الله للأمّة بأن ليس لأحد أن يكلّف أحدا إلّا بما يستطيعه... والآية تدلّ على عدم وقوع التّكليف بما لا يطاق"[1].

21–التّنبيه:

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾ محمد: ١٤، بقوله: "بني الفعل «زُيّن» للمجهول ليشمل المزينين لهم من أئمّة كفرهم، وما سوّلته لهم أيضا عقولهم الآفنة من أفعالهم السّيئة... وفي هذا البناء إلى المجهول تنبيها لهم أيضا ليرجعوا إلى أنفسهم فيتأمّلوا فيمن زيّن لهم سوء أعمالهم"[2].

22– أحكام التّوثّق للوصيّة:

قال تعالى: ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ المائدة: ١٠٧، يقول ابن عاشور: "استُؤنف هذه الآي استئنافا ابتدائيّا لشرع أحكام التّوثّق للوصيّة... وقرأ الجمهور «اسْتُحِقّ» بالبناء للمجهول، فالفاعل المحذوف في قوله (اُسْتُحِقّ علَيهِم) هو مستحقّ ما، وهو الّذي انتفع بالشّهادة واليمين الباطلة، فنال من تركة الموصي ما لم يجعله له الموصي، وغلب وارث الموصي له بذلك، فالّذين استحقّ عليهم هو أولياء الموصي الّذين لهم ماله بوجه من وجوه الإرث فحرموا بعضه"[3].

23– النّظر إلى أهل النّار:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأعراف: ٤٧، بقوله: "وإسناده إلى المجهول هنا جار على المتعارف في أمثاله من الأفعال الّتي لا يتطلّب لها فاعل، وقد يكون لهذا الإسناد هنا فائدة زائدة وهي الإشارة إلى أنّهم لا ينظرون إلى أهل النّار إلّا نظرا شبيها بفعل من يحمله على الفعل حامل، وذلك أنّ النّفس وإن كانت تكره المناظر السّيّئة فإنّ حبّ الاطّلاع يحملها على أن توجّه النّظر إليها آونة لتحصيل ما هو مجهول لديها"[4].

---

[1]: المصدر السّابق، 433/2.

[2]: المصدر نفسه، 94/26.

[3]: المصدر نفسه، 90/7.

[4]: المصدر نفسه، القسم الثّاني، 144/8.

ملاحظات:

علّق ابن عاشور على الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله في الكثير من المواضع دون الإشارة إلى غرضه ودلالته كما في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الأنعام: ١٢٢ ، بقوله: "وحذف فاعل التّزيين فيبنى الفعل للمجهول: لأنّ المقصود وقوع التّزيين لا معرفة من أوقعه، والمزيّن شياطينهم أو أولياؤهم...ولأنّ الشّياطين من الإنس هم المباشرون للتّزيين، وشياطين الإنس هم المسؤولون المزيّنون..."[1]، فهنا أشار بطريقة غير مباشرة لدلالة ظهور الفاعل عندما ذكر أنّ المزيّن لهم هم شياطينهم أو أولياؤهم.

-وقد ذكر ابن عاشور معنيين لصيغة المبني لما لم يسمّ فاعله كما في قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ التوبة: ٨٧، بقوله: " وأسند الطّبع إلى المجهول إمّا للعلم بفاعله وهو الله، وإمّا للإشارة إلى أنّهم خلقوا كذلك وجُبِلوا عليه وفرع على الطّبع انعدام علمهم بالأمور الّتي يختصّ بعلمها أهل الإفهام..."[2]. وفي قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ الأنبياء: ٤٣، حيث يقول في تعليقه على الفعل «يُصْحَبُون»: "... فيجوز أن يكون الفاعل الّذي ناب عنه من أسنِد إليه الفعل المبني للنّائب مراد به الله تعالى، أي لا يصحبهم الله، أي لا يؤيّدهم... ويجوز أن يكون الفاعل محذوف لقصد العموم؛ أي لا يصحبهم صاحب..."[3]. حيث ذكر دلالة العلم بالفاعل، ثمّ دلالة العموم.

كما جمع بين دلالتين للفعل المبني لما لم يسمّ فاعله؛ وهي دلالة العموم والاختصار كما في قوله تعالى: ﴿قُل مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ المؤمنون: ٨٨، بقوله: "وبني فعل «يُجَار» للمجهول لقصد انتفاء الفعل عن كلّ فاعل فيفيد العموم مع الاختصار"[4]

---

[1]: المصدر السّابق، القسم الأوّل، 46/8.

[2]: المصدر نفسه، 289/10-290.

[3]: المصدر نفسه، 75/17-76.

[4]: المصدر نفسه، 112/18.

لقد علّق ابن عاشور على دلالة المبني للمجهول في قوله: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴿١٦١﴾ ﴾ الأعراف: ١٦١، حيث ذكر دلالة الفعل «قِيل» وهي العلم بالفاعل قبل عرض الآية الّتي يوجد فيها الفعل[1].

وفي كلّ المواضع الّتي علّق عليها ابن عاشور كان يذكر مصطلح نائب الفاعل أو المبني للمجهول، إلّا في بعض المواضع فقد ذكر مصطلح المبني للمفعول كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ التوبة: ١٠٩، حيث ذكر قراءة نافع وابن عامر للفعل «أسَّس» بالبناء للمفعول[2]. وفي سورة الأنعام الآية 14، وهود الآية: 44، والفرقان الآية: 18، وسبأ الآية 34، والجنّ الآية 28.

وقد كان ابن عاشور في بعض المواضع الّتي علّق فيها على الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله يشير إلى تصريفه واشتقاقه كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الزخرف: ٧٠، بقوله: "«تُحْبَرُون» مبني للمجهول، مضارع حبر بالبناء للمجهول، وفعله حَبرَه؛ إذا سرّه، ومصدره الحَبْر بفتح فسكون، والاسم الحُبور والحبرة، وتقدّم في قوله تعالى:﴿ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾سورة الرّوم"[3].

ويشير ابن عاشور إلى المبني للفاعل في الكثير من المواضع في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران: ٨، حيث يقول: "تحقيق للدّعوة على سبيل التّلطّف؛ إذ أسنَدوا الهدى إلى الله تعالى"[4].

كما كان يشير ابن عاشور إلى تحوّل الفعل من المبني للفاعل إلى المبني لما لم يسمّ فاعله والعكس وذلك في القراءات القرآنيّة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ

[1]: المصدر السّابق، 144/9.

[2]: المصدر نفسه، 35/11.

[3]: المصدر نفسه، 254/25. وينظر: المصدر نفسه، 64/21.

[4]: المصدر نفسه، 170/3.

﴿ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ آل عمران: ١٦١، حيث يقول ابن عاشور: "وقرأ جمهور العشرة يُغَلّ-بضمّ التّحتيّة وفتح الغين- وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح التّحتيّة وضمّ الغين... والمعنى على قراءة الجمهور نهي جيش النّبيّ ﷺ عن أنْ يَغْلُو؛ لأنّ الغلول في غنائم النّبيّ ﷺ غلول للنّبيّ، إذ قسمة الغنائم إليه، وأمّا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم فمعنى أنّ النّبيّ ﷺ لا يَغُلّ أنّه لا يقع في الغلول في جيشه فإسناد الغلول إلى النّبي..."[1]، فالقراءة الأولى جاءت بالبناء للمفعول، والثانية جاءت على البناء للفاعل. وقوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٨، حيث أشار بطريقة غير مباشرة للمبني للفاعل والمبني لما لم يسمّ فاعله عند حديثه عن النّهي في الفعل بقوله: وقرأ الجمهور «ولا يَحسَبَنّ» -بياء الغيبة- وفاعل الفعل «الّذين كفروا» وقرأ حمزة وحده بتاء الخطاب. فالخطاب أمر للرّسول ﷺ وهو نهي عن حسبان لم يقع... وعلى قراءة الياء التّحتيّة فالنّهي مقصود به بلوغه إليهم ليعلموا سوء عاقبتهم، ويمرّ عيشهم بهذا الوعيد، لأنّ المسلمين لا يحسبون ذلك من قبل[2] . وفي قوله: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ الحج: ٣٩، حيث ذكر قراءة نافع، وأبو عمرو، وعاصم في الفعل «أُذِن» بالبناء للنّائب، وقرأ الباقون بالبناء للفاعل، وفي «يُقَاتِلون» قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر بالبناء للمجهول، وقرأ الباقون بالبناء للفاعل[3]. وفي قوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥، حيث قرأ الجمهور «اسْتَخْلَف» بالبناء للفاعل، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالبناء للنّائب[4]. وفي قوله أيضا: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا

[1]: المصدر السّابق، 155/4.

[2]: المصدر نفسه، 175/4.

[3]: المصدر نفسه، 272/17.

[4]: المصدر نفسه، 286/18.

﴿ بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ الفرقان: ١٨، حيث قرأ الجمهور الفعل «نتّخِذ» بالبناء للفاعل، وقرأ أبو جعفر «نُتَّخَذ» بالبناء للمفعول[1].

كما جمع ابن عاشور في تعليقاته بين المبني للفاعل والمبني لما لم يسمّ فاعله كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢، بقوله: لأنّ يُضَارَّ يحتمل البناء للمعلوم وللمجهول[2].

وقد ذكر ابن عاشور في بعض المواضع قراءة المبني للمجهول فقط دون الإشارة لمعناها بنحو ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٧، حيث ذكر قراءة عامر في «زَيَّن» ببنائه للنّائب، أي: «زُيِّن» بضمّ الزّاي وكسر الياء[3]. وفي قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ الكهف: ٣١، حيث أُسنِد الفعل «يُحلَّون» إلى المجهول، لأنّهم يجدون أنفسهم محلّين بتكوين الله تعالى[4].

تنبيه:

لقد ذكر ابن عاشور أثناء تعليقه على فعل «يُنْزَفُون» في قوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الصافات: ٤٧، بأنّه إذا كان مجرّدا نحو قولنا: نُزِف الشّارب بالبناء للمجهول، فإنّه لا يبنى للمعلوم[5].

---

[1]: المصدر السّابق، 339/18.

[2]: المصدر نفسه، 117/3.

[3]: المصدر نفسه، القسم الأوّل، 102/8.

[4]: المصدر نفسه، 312/15.

[5]: المصدر نفسه، 114/23.

خاتمه

وفي الختام لا يسعني إلّا أن أذكر فضل هذا العالم الفذّ، فقد نثر في كتابه تفسير التّحرير والتّنوير الفوائد والدّرر، وسطّر القواعد في شتّى فنون العلوم من علوم اللّغة، والقرآن، كأنّه يمسك بزمام كلّ علم، وما وصلنا إليه من نتائج فما هو إلّا نزر قليل من كثير ممّا حواه ذلك التّفسير الكبير فللّه درّه من عالم نحرير، ومفسر كبير.

ولقد تلمّسنا في هذه الدّراسة دلالات كثيرة من خلال مجموعة من الشّواهد القرآنيّة الّتي علّق عليها ابن عاشور وقام بتحليلها، وذكرنا أوجه التّوافق والاختلاف بينه وبين غيره من المفسّرين في دلالة الصّيغة، وقمنا بتوجيهها بحسب ما يناسب السّياق الّذي عُرضت فيه.

ومن خلال استقرائنا للآيات السّابقة وتفسيرها عند ابن عاشور خلصنا للنّتائج التّاليّة:

– كان منهج ابن عاشور في التّفسير منهجا خاصّا، فلم يكن يعتمد على القرآن والسّنّة وأقوال السّلف، واللّغة في تفسيره فقط، بل كان يعتمد كذلك في أقواله على مصادر علماء الفلسفة والكلام وغيرهم في بعض المسائل الّتي يتعرّض لها، كما كان لكتب السّفر والإصحاح أثر كبير في نقل الأحداث المتعلّقة بالقصص القرآني، وقد بيّنا ذلك مفصّلا في ترجمته.

–يظهر من خلال تفسير ابن عاشور أنّه على اطّلاع بمختلف العلوم اللّغويّة، وعلوم القرآن، والفقه وأصوله، وعلم الكلام، والفلسفة وغيرها.

– أظهرت الدّراسة مدى اهتمام ابن عاشور بذكر معاني الأبنية الصّرفيّة للأفعال، وبيان أثرها الدّلالي كلون من ألوان الإعجاز البياني في القرآن الكريم، فقد شكّل تفسير التّحرير والتّنوير حقلا خصبا لمعاني الصّيغ الصّرفيّة وتوظيفها الدّلالي في السّياق.

– إنّ القرآن الكريم غنّي بمختلف صيغ الأفعال، وهذا الغنى أدّى إلى تنوّع معاني الفعل تنوّعا متميّزا، لا سيما من خلال كتب التّفسير؛ لأنّها تربط ربطا دقيقا بين المفردة القرآنيّة وسياقها المناسب لها، وتوجّهها بناء على ذلك؛ وهذا أظهر علاقة قويّة بين البنية الصّرفية للأفعال والنّظم القرآني.

– معرفة أبنية الأفعال ودلالاتها له دور كبير في تحديد الكثير من الأحكام الفقهيّة والعقائديّة في القرآن الكريم.

– بيّنت الدّراسة مدى تأثير السّياق في فهم دلالات وأغراض الأبنية الصّرفيّة للأفعال؛ لأنّ هذه الدّلالات منفردة يكتنفها الغموض والسّياق هو الّذي يحدّد معناها بدقّة.

-تتعلّق معاني أبنية الأفعال بسياق الآيات وتركيب بعضها ببعض؛ حيث تكثر المعاني والدّلالات لصيغ الأفعال في الآيات القرآنيّة، وذلك حسب السّياق والتّركيب الّذي وضعت فيه، وهذا يدلّ على دقّة المفردة القرآنيّة وما ينبثق عنها من معانٍ يساعد على فهم تفسيرها، والتّعمّق في التّفكير في مدلولها، ليترسخ في الأذهان المقصود الصّحيح للآية. حيث تكون بعض المعاني تدلّ على عظمة الله سبحانه، وأخرى على عظم خلقه، وأخرى تدلّ الإيمان به وغيرها.

- إفادة ابن عاشور من علم الصّرف في معرفة دلالات أبنية الأفعال، حيث ينهج في تفسيره إلى شرح معنى الآية، والتّفصيل في أبنيتها الفعليّة، وما أفاده هذا البناء من معنى دون غيره.

- لم يتعامل ابن عاشور مع البنية اللّغوية بمعزل عن السّياق، بل كان يستحضر المعاني وفق السّياق الّذي عرِضت فيه الآيات، مع مراعاة لأسباب النّزول في بعض المواضع كما فعل في الآية 93 من سورة المائدة، وما ذكر من أحكام فقهيّة في مواضع أخرى.

- التّجدّد في الماضي يراد به الحصول والوقوع، وفي المضارع يراد به الاستمرار.

- لم يقتصر تفسير ابن عاشور في تعليقاته على أغراض ومعاني أبنية الأفعال فقط، بل تعدّاه إلى مصادرها ومشتقّاتها.

- وجدنا في الكثير من المواضع أنَّ ابن عاشور في تفسيره لبعض الآيات، يلمّح إلى الغرض الّذي يخرج إليه فعل الأمر في الآية من غير أن يشير إشارة واضحة إليه؛ لأنّ سياق الآية واضح، فعندما يفسّر ابن عاشور آية تتضمن صيغة (افْعَل) ويكون المقتضى البلاغي المصاحب لها واضحا لا يصرح بخروج الفعل إلى غرضه المعنوي وإنّما يباشر تفسيره ضمنا مع معنى الآية كما فعل في الآية 28 من سورة نوح عليه السّلام.

- خالف ابن عاشور غيره فيما يتعلّق بدخول «لو» الشّرطيّة على الفعل المضارع، حيث ذكر أنّها تخلّصه للحال وذلك في سورة البقرة الآية 165، وسورة التّكاثر الآية 5، في الفعلين «يرى» و«تعلمون». وخالفهم كذلك في الفعل بعد «ربّما» حيث ذكر أنّه للاستقبال وهذا مخالف لما ذكره العلماء في أنّ الفعل المضارع بعد ربّما يصرف للمضيّ.

– أشار ابن عاشور إلى دلالة الفعل الماضي بعد «لمّا» على الحال وذلك أثناء تعليقه على الفعل «جاء» في سوره هود الآية 58، و«اعْتزَل» في سورة مريم الآية 49، إلّا أنّ علماء العربيّة كالمرادي ذكروا أنّ الفعل بعدها إمّا للدّلالة على المضيّ أو الاستقبال.

– علّق ابن عاشور في الفعل الرّباعي المجرّد على دلالتين فقط وهما: التّكثير والمبالغة، والنّحت، كما أشار إلى الملحق بالرّباعي المجرّد في موضع واحد وهو: سورة الطّور:37.

– ذكر ابن عاشور في دلالة التّسوية أنّ غالب أحوال صيغة «افْعَل» إذا جاءت معها «أو» تكون للتّسوية وذلك عندما فسّر الفعل «أنفقوا» في سورة التّوبة الآية 53، لكنّه علّق على موضع آخر في سورة فصّلت الآية 11 في الفعل «ائتيا» وذكر أنّ دلالة الأمر للتّكوين.

– لقد كان ابن عاشور من أكثر المفسّرين توفيقاً في تخريج الأمر إلى مقصده المعنوي وتبين دلالاته من خلال السّياق الّذي ذكرت فيه الآية. إلّا في بعض المواضع فقد كان يذكر معنى مخالفا لما ذكره المفسّرون للصّيغة كما فعل في الآية 30 من سورة إبراهيم، حيث ذكر أنّ الغرض من الأمر التّبليغ، وغيره من المفسّرين اتّفقوا على دلالة التّهديد والوعيد، وهو الأرجح والمناسب لسياق الآية.

– عبّر ابن عاشور عن دلالة التّجريد في الفعل الثّلاثي المجرّد مفتوح العين بالإزالة.

– في كثير من الأحيان كان يوظّف ابن عاشور السّياق ليستدلّ على المعنى الوظفي للأفعال المجرّدة والمزيدة، كما فعل في تفسيره للآية 3 من سورة آل عمران، والآية 2 من سورة الأنفال.

– اهتمام ابن عاشور وعنايته بالعلاقات بين الأبنية الصّرفيّة للأفعال كمجيء بنائين أو أكثر بمعنى واحد نحو اشتراك بعض الصّيغ في المعنى الوظيفي كالمشاركة في صيغة فاعل وافتَعَل وتَفَاعل، ومجيئهما بمعنيين مختلفين، ومجيء أحدهما مطاوعا للآخر وغير ذلك.

– يطلق على الهمزة في دلالة الحينونة في صيغة أفْعَل همزة الاستحقاق والتّهيئة.

– كان ابن عاشور يعلّق على دلالات الصّيغ عندما ترد في القراءات القرآنيّة كما فعل مع دلالة صيغة «فَاعَل» عند ذكره للفعل «عقدت» في سورة النّساء الآية 33، وفي الفعل «أمرنا» في سورة الإسراء الآية 16، وصيغة «افْتعَل» في الفعل «يتناجون» في سورة المجادلة الآية 8 وغيرها من المواضع.

– قرن ابن عاشور عند توجيهه لصيغة «اسْتَفعَل» في الآيات القرآنيّة معنى التّأكيد بدلالة استَفعَل بمعنى (أفعَل، وفعُل، وتفَعَّل، الاستغناء عن المجرّد).

– كان ابن عاشور عند تعليقه على الأفعال المزيدة يذكر دلالتها في مواضع متعدّدة من آي القرآن الكريم، ويعيد ذكرها في مواضع أخرى، وفي بعضها الآخر كان يكتفي بذكر الدّلالة مرّة واحدة ولا يعيدها

في باقي النّظائر بل يشير إلى أنّه سبق الحديث عنها في موضع متقدّم كما فعل في تفسيره للفعل «تمتّع» في الآية 55 من سورة النّحل حيث ذكر أنّه سبق التّعليق عليه في سورة براءة، وأحيانا أخرى يكتفي بالتّعليق على الموضع المتقدّم دون أن يعلّق أو يشير إلى الموضع المتأخر الّذي ذكر بعده.

– لقد كان ابن عاشور في بعض المواضع يعلّق على دلالة الفعل في موضع متأخّر عن الموضع الّذي سبقه، كما فعل مع الفعل «أقْسَمُوا» حيث علّق عليه في الآية 53 من سورة النّور، ولم يعلّق على دلالته في سورة الأنعام الآية 109.

– لقد كان ابن عاشور يذكر أكثر من دلالة لصيغة الفعل في الموضع نفسه، وكان يرجّح أحيانا دلالة على دلالة أخرى، وأحيانا أخرى لا يرجّح بينها وكأنّ كلتا الدّلالتين تصلحان في ذلك الموضع.

– فرّق ابن عاشور بين معاني الصّيغ المزيدة عند توجيهه سواء أكان ذلك من الجانب الإعرابي للكلمة الّتي تأتي بعدها كما فعل في تفسيره لدلالة صيغة استفْعَل في الآية 55 من سورة الأنعام وذلك حسب إعراب كلمة (سبيل) في الآية، أم من الجانب البنائي كما فعل في تفسيره للآية 57 من سورة الرّوم حيث وجّه دلالة الصّيغة بحسب البناء للفاعل والبناء لما لم يسمّ فاعله.

– لم يستقرّ ابن عاشور على مصطلح معيّن للفعل المبني لما لم يسمّ فاعله، فتارة يعبّر عنه بالمبني للمجهول، وتارة بالمبني للنّائب، وتارة أخرى بالمبني للمفعول.

– ذكر ابن عاشور بعض الأغراض الّتي يحذف لها فاعل الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله لم يذكرها البلاغيون الّذين بحثنا عندهم في هذه الدّلالات كغرض الدّعاء ومناسبة السّياق والدّلالة على الوجوب والالتزام وغيرها.

–يناقش ابن عاشور الكثير من صيغ المبني لما لم يسمّ فاعله دون أن يذكر غرضه.

– كان ابن عاشور في الكثير من المواضع يشير إلى تماسك آي القرآن بعضها ببعض، وذلك عندما يربط معنى الآية الّتي هو بصدد تفسيرها بالآية السّابقة أو اللّاحقة لها.

– رصد البحث أغراضا ومعاني أخرى انفرد بها مفسّرنا عن غيره من المفسّرين في بعض الآيات الّتي كان يعلّق عليها، ففي الفعل الماضي ذكر دلالته على الأمر وهذا المعنى لم نجده عند أحد غيره من علماء الصّرف والبلاغة الّذين تطرّقنا لهم، وذلك في تفسيره للفعل «عجِبْت» في سورة الصّافات الآية 12، وفي الفعل المجرّد ذكر أنّ فَعَل تأتي بمعنى افْتعَل في موضعين: الأوّل في سورة الأنعام:158، والثّاني في

سورة يونس:35، وبمعنى فعّل في سورة يس: 14، وفَعَل مطاوع انْفَعل في سورة القصص:81، أمّا فَعِل فهي تأتي مطاوعة لفَعّل بنحو ما علّق عليه في الآية 10 من سورة الأنعام.

-من أكثر المفسّرين الّذين توافق معهم ابن عاشور في تخريجاته لمعاني صيغ الأفعال هو أبو حيّان لا سيما فيما يتعلّق بصيغة الأمر والفعل المجرّد والمزيد.

- لقد كان ابن عاشور يبحث في معاني فعل الأمر والزّيادة وغيرها للوصول إلى معنى المعنى للآيات القرآنية، وذلك عندما كان يجمع بين معنيين وغرضين للصّيغة في الآية الواحدة.

ونوصي في ختام هذا البحث إلى أهميّة دراسة الظّواهر الصّرفيّة في القرآن الكريم من خلال كتب التّفسير، وبيان أثرها المعنوي والدّلالي كلون من ألوان الإعجاز البياني القرآني، وباب هذا البحث فيما نراه -والله اعلم- لا يزال غضّا طريّا لتقصّي دلالات وأغراض هذه الأبنية مع كثرتها في تفاسير أخرى غير تفسير ابن عاشور؛ كتفسير البحر المحيط لأبي حيّان، وإرشاد العقل السّليم لأبي السّعود، وروح المعاني للألوسي وغيرها. كما أنّه يمكن تناوله عند مفسّرنا ابن عاشور ولكن فيما يتعلّق بأبنية الأسماء. وجعل مثل هذه العلوم في الجانب التّطبيقي، وإنزالها إلى المتوسّط والثّانوي، قصد رفع الرّصيد اللّغوي للطّلاب في هذه المراحل.

إنّ هذه الدّراسة هي ثمرة تحصيلنا، وما أفضى إليه اجتهادنا وحبّنا لكتاب الله عزّ وجل، من أجل سبر أغوار معانيه، ومعرفة دقائق ألفاظه، ونسأله سبحانه أنْ نكون قد وفّقنا في هذا العمل اليسير، ويجعله عملا نافعا يصبّ في خدمة القرآن الكريم واللّغة العربيّة. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. أبنية الأفعال (دراسة لغويّة قرآنية): نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثّقافة، 1409هـ/1989م.
2. أبنيةُ الصّرف في كتاب سيبويه (معجم ودراسة): الحديثي خديجة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
3. أبنية الفعل دلالاتها وعلاقتها: الشّمسان أبو أوس إبراهيم، دار المدني، ط1، 1407هـ/1987م.
4. أبنية الفعل في شافيّة ابن الحاجب (دراسة لسانيّة لغويّة): عصام نور الدّين، دار الفكر اللّبناني، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.
5. اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل: الصّديقي محمّد علي بن علّان، تعليق: ابراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1421هـ/2001م.
6. آثار ابن باديس: عمّار طالبي، الشّركة الجزائريّة، الجزائر، ط1، 1417هـ/1997م.
7. آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م.
8. أدبُ الكاتب: أبو محمَّد عبدُ اللهِ بن مسلم بن قتيبة، تح: محمّد الدّالي، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت.
9. أربع رسائل في شرح مثلّث قطرب (المورث لمَشْكل المثّلث): عبد العزيز بن عبد الواحد المكناسي اللّمطي، تح: هشام بن محمّد حيجَر الحسني، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، المغرب، ط:1، 1431هـ/2010م.
10. الأربعون النّوويّة في الأحاديث الصّحيحة النّبويّة: النّووي أبو زكريا يحيى بن شرف، دار الإمام مالك، 1436هـ/2015م.
11. ارتشاف الضّرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي، تح: رجب عثمان محمّد، مراجعة: رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418هـ/1998م.
12. إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السّعود محمّد بن محمّد العمادي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت/لبنان.
13. أسرار العربيّة: أبو البركات عبد الرّحمان بن محمّد بن أبي سعيد الأنباري، تح: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت.
14. أسلوب إذ في ضوء الدّراسات القرآنيّة والنّحويّة: عبد العال سالم مكرم، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

15. الأشباه والنّظائر في النّحو: السّيوطي جلال الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان.
16. الأصول في النّحو: ابن السّراج أبو بكر محمّد بن سهل النّحوي البغدادي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط3، 1417هـ/1996م.
17. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمّد الأمين بن محمّد المختار الجنكي الشّنقيطي، دار الفوائد، مكّة المكرّمة، ط:1، 1426هـ.
18. الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقيّة في التّوظيف البلاغي لصيغة الكلمة): هنداوي عبد الحميد أحمد يوسف، المكتبة العصريّة، بيروت/لبنان، 1429هـ/2008م.
19. إعراب القراءات السّبع وعللها: ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد الهمذاني النّحوي الشّافعي، تح: عبد الرّحمان بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ/1992م.
20. الأعلام: الزّركلي خير الدّين، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م.
21. الأفعال: السّرقسطي أبو عثمان سعيد بن محمّد المعافري، تح: حسين محمّد محمّد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، 1395هـ/1975م.
22. ألفية ابن مالك في النّحو والصّرف: ابن مالك محمّد بن عبد الله الأندلسي، دار الإمام مالك، 1430هـ/2009م.
23. أليس الصّبح بقريب: ابن عاشور محمّد الطّاهر، دار سحنون/تونس، دار السّلام/القاهرة، ط:1، 1427هـ/2006م.
24. الإنباء بشرح متن البناء في علم التّصريف: أبو زياد محمّد بن سعيد البحيري.
25. أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: البيضاوي القاضي ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشّيرازي، تح: محمّد صبحي بن حسن حلّاق ومحمود محمّد الأطرش، دار الرّشيد، دمشق، بيروت، مؤسّسة الإيمان، بيروت/لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.
26. أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ابن هشام أبو محمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت.
27. إيجاز التّعريف بعلم التّصريف: ابن مالك، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكيّة، مكّة المكرّمة/السّعوديّة، مؤسّسة الرّيان، بيروت/لبنان، ط1، 1425هـ/2004م.
28. الإيضاح في علل النّحو: الزّجاجي أبو القاسم، تح: مازن المبارك، دار النّفائس، بيروت، ط3، 1399هـ/1979م.

29. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني جلال الدّين أبو عبد الله محمّد بن قاضي القضاة سعد الدّين أبو محمّد عبد الرّحمان، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، (د.ت).

30. بحر العلوم: السّمرقندي أبو اللّيث نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم، تح: علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1413هـ/1993م.

31. البحر المحيط: أبو حيّان محمّد بن يوسف الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد عوض، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1413هـ/1993م.

32. البديع في علم العربيّة: ابن الأثير المبارك بن محمّد الشّيباني الجزري أبو السّعادات مجد الدّين، تح: صالح حسين العايد، جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1421هـ.

33. البرهان في علوم القرآن: الزّركشي بدر الدّين محمّد بن عبد الله، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ط3، 1404هـ/1984م.

34. البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها: الميداني عبد الرّحمان حسن حبنّكة، دار القلم/دمشق، الدّار الشّاميّة/بيروت، ط1، 1416هـ/1996م.

35. بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيرًا بإيجازا: الشّيخلي بهجت عبد الواحد، مكتبة دنديس، المملكة الأردنيّة الهاشميّة/عمان، ط1، 1422هـ/2001م.

36. تاج العروس من جواهر القاموس: الزّبيدي السّيد محمّد مرتضى الحسيني، تح: مصطفى حجازي، مراجعة: عبد السّتار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1397هـ/1977م.

37. تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة أبو محمّد عبد الله بن مسلم، شرح: السّيد أحمد صقر، المكتبة العلميّة، القاهرة، 1393هـ/1973م.

38. التحرير والتّنوير: محمّد الطّاهر ابن عاشور، دار سحنون للنّشر والتّوزيع، تونس، (د.ت).

39. التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل: أبو حيّان الأندلسي، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق.

40. تراجم المؤلفين التونسيين: محمّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1404هـ/1984م.

41. تصحيح الفصيح وشرحه: ابن درستُويه، تح: محمّد بدوي المختون ورمضان عبد التّواب، القاهرة، 1419هـ/1998م.

42. التّصريف الملوكي: ابن جنّي أبو الفتح عثمان، شركة التّمدّن الصّناعية، مصر، ط1.

43. التّطبيق الصّرفي: عبده الرّاجحي، دار الميسرة، عمان، الأردن، ط:1، 1428هـ/2008م.

44. تعريف الدّارسين بمناهج المفسِّرين: صلاح عبد الفتّاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط3، 1429هـ/2008م.

45. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل الدّمشقي، تح: طه عبد الرّؤوف سعد، دار الاعتصام، القاهرة، 2008م.

46. تفسير القرآن الكريم: محمّد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1423هـ.

47. –التّقريب لتفسير التّحرير والتّنوير: محمّد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة.

48. التّكملة: الفارسي أبو العلي الحسن بن أحمد بن عبد الغّفار النّحوي، تح: كاظم بحْر المُرجان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1419هـ/1999م.

49. تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنان: السّعدي عبد الرّحمان بن ناصر، تح: عبد الرّحمان بن معلاّ اللّويحق، تقديم: عبد الله بن عزيز بن عقيل ومحمد بن صالح العثيمين، مؤسّسة الرّسالة، بيروت/لبنان، ط1، 1423هـ/2002م.

50. جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطّبري أبو جعفر محمّد بن جرير، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي وآخرون، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ/2001م.

51. جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، مراجعة: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصريّة، صيدا/بيروت، ط28، 1414هـ/1993م.

52. الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمَّنه من السّنّة وآي الفرقان: القرطبي أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركي وآخرون، مؤسّسة الرّسالة، بيروت/لبنان، ط1، 1427هـ/2006م.

53. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: محمود صافي، دار الرّشيد، دمشق/القاهرة، مؤسّسة الإيمان، بيروت/لبنان، ط:2، 1416هـ/1995م.

54. جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغيّة جماليّة نقديّة): حسين جمعة، منشورات اتّحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005م.

55. جمع الجوامع في أصول الفقه: السّبكي تاج الدّين عبد الوهّاب بن علي، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط2، 1424هـ/2003م.

56. الجمل في النّحو: الفراهيدي الخليل بن أحمد، تح: فخر الدّين قباوة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

57. الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي الحسين بن قاسم، تح: فخر الدّين قباوة ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1413هـ/1992م.

58. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: الهاشمي أحمد السّيد، تقديم: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا/بيروت.

59. حجّة القراءات: ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرّحمان بن محمّد، تح: سعيد الأفغاني، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط5، 1418هـ/1997م.

60. الحجّة في القراءات السّبع: ابن خالويه، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشّروق، بيروت، ط3، 1399هـ/1979م.

61. الحجّة في علل القراءات السّبع: الفارسي أبو علي الحسن بن عبد الغفار النّحوي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1428هـ/2007م.

62. الحقول الدّلاليّة الصّرفيّة للأفعال العربيّة: سليمان فيّاض، دار المرّيخ، الريّاض/المملكة العربيّة السّعوديّة، 1410هـ/1990م.

63. الخصائص: ابن جنّي أبو الفتح عثمان، تح: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، ط2، 1371هـ/1952م.

64. الخلاف التّصريفي وأثره الدّلالي في القرآن الكريم: فريد بن عبد العزيز الزّايل السّليم، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السّعودية، ط1، 1427هـ.

65. الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: السّمين الحلبي أحمد بن يوسف: تح: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق.

66. دراسات في البلاغة العربيّة من بلاغة القرآن المعاني البيان البديع: علوان محمّد شعبان وعلوان نعمان شعبان، دار العربيّة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1998م.

67. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمّد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة، 1392هـ/1972م.

68. دروس التّصريف: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1416هـ/1995م.

69. الدّلالة الإيحائيّة في الصّيغة الإفراديّة: صفيّة مطهري، اتّحاد كتّاب العرب، دمشق، 2003م.
70. دلالة السّياق بين التّراث وعلم اللّغة الحديث (دراسة تحليليّة للوظائف الصّوتيّة والبنيويّة والتّركيبيّة في ضوء نظريّة السّياق): عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي.
71. دلائل الإعجاز: الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمّد، تح: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1424هـ/2004م.
72. دليل السّالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم، 1416هـ.
73. الرّسالة: الشّافعي محمّد بن إدريس، تح: أحمد محمّد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1357هـ/1938م.
74. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني: الألوسي شهاب الدّين السّيد محمود البغدادي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت/لبنان.
75. سرّ الإعجاز في تنوّع الصّيغ المشتقّة من أصل لغوي واحد في القرآن: عودة الله منيع القيسي، دار البشير/الأردن، مؤسّسة الرّسالة/ بيروت، ط1، 1416هـ/1996م.
76. سلّم اللّسان في الصّرف والنّحو والبيان: جرجي شاهين عطيّة، دار ريحان، بيروت، ط4.
77. شذا العرف في فنّ الصّرف: الحملاوي أحمد بن محمّد بن أحمد، تقديم: محمّد بن عبد المعطي، دار الكيان، الرّياض.
78. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل بهاء الدّين عبد الله العقيلي الهمذاني المصري، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الطّلائع، القاهرة، 2009م.
79. شرح التّسهيل: ابن مالك جمال الدّين محمّد بن عبد الله بن عبد الله الطّائي الجيّاني الأندلسي، تح: عبد الرّحمان السّيد ومحمّد بدوي المختون، هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، 1410هـ/1990م.
80. شرح التّصريف العزّي: السّيّد الشّريف الجرجاني، تح: محمّد الرّفراف، تقديم: عادل عبد المنعم أبو العبّاس، دار الطّلائع، القاهرة.
81. شرح التّصريف: الثّمامينى عمر بن ثابت، تح: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرّشد، الرّياض، ط1، 1419هـ/1999م.
82. شرح الرّضي على الكافيّة: رضي الدّين الاستراباذي، تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1996م.

83. شرح المفصّل للزّمخشري: ابن يعيش موفّق الدّين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.

84. شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدّين محمّد بن الحسن الاستراباذي، تح: محمّد نور الحسن ومحمّد الزّفزاف ومحمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان.

85. شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام جمال الدّين أبو محمّد عبد الله بن يوسف، تصحيح: محمّد أبو فضل عاشور، دار إحياء التّراث العربي، بيروت/لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.

86. شرح قطر النّدى وبل الصّدى: ابن هشام أبو محمّد عبد الله جمال الدّين الأنصاري، تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الطّلائع، القاهرة، 2009م.

87. شرح مختصر التّصريف العزّي في فنّ الصّرف: التّفتازاني مسعود بن عمر سعد الدّين، تح: عبد العال سالم مكرَم، المكتبة الأزهريّة للتّراث، ط8، 1417هـ/1997م.

88. شرح ملحة الإعراب: الحريري أبو محمّد القاسم بن علي البصري، تح: فائز فارس، دار الأمل للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط1، 1412هـ/1991م.

89. شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر بن عاشور: محمّد الحبيب بن خوجة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ/2004م.

90. الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريّا، تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1418هـ/1997م.

91. الصّرف التّعليمي والتّطبيق في القرآن الكريم: محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الإسلاميّة، الكويت، ط1، 1420هـ/1999م.

92. الصّفوة الصّفيّة بشرح الدّرّة الألفيّة: النّيلي تقي الدّين إبراهيم بن الحسن، تح: محسن بن سالم العميري، مركز إحياء التّراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، ط1، 1420هـ.

93. الصّيغ الثّلاثيّة مجرّدة ومزيدة اشتقاقا ودلالة: ناصر حسين علي، المطبعة التّعاونيّة، دمشق، 1409هـ/1989م.

94. الصّيغ الصّرفيّة في العربيّة في ضوء علم اللّغة المعاصرة: رمضان عبد الله رمضان، بستان المعرفة، ط1، 2006م.

95. الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني، مطبعة المقتطف، مصر، 1222هـ/1914م.

96. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: السّبكي بهاء الدّين، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتة العصريّة، صيدا/بيروت، ط1، 1423هـ/2003م.

97. علم الصّرف الصّوتي: عبد القادر عبد الجليل، 1998م.

98. علم الصّيغة: الكاكارودي عنايت أحمد، تر: ولي خان المظفّر، مكتبة البشرى، باكستان، ط2، 1432هـ/2011م.

99. علم اللّغة: وافي علي عبد الواحد، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط9، 2004م.

100. عنقود الزّواهر في الصّرف: القوشجي علاء الدّين علي بن محمّد، تح: أحمد عفيفي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م.

101. عون المعبود في شرح نظم المقصود في الصّرف: أبو عبد الرّحمان إبراهيم بن محمّد الفقيه القادميّ السّريحيّ اليمنيّ، دار عمر بن الخطّاب/مصر، مكتبة الإمام الوادعيّ/اليمن، ط1، 1428هـ/2007م.

102. عون المعين بشرح اللّاميّة مع زيادات بحرق وابن زين: أحمد بن محمّد الأمين بن أحمد المختار الجنكي، دار الفكر العربي، بيروت/لبنان، ط1، 2001م.

103. العين: الفراهيدي أبو عبد الرّحمان الخليل بن أحمد، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي.

104. فتاوى الشّيخ الإمام محمّد الطاهر بن عاشور: ابن عاشور، تح: محمّد إبراهيم بوزغيبة، مركز جمعية الماجد، دبي، ط1، 1425هـ/2004م.

105. فتح الإقفال وحلّ الإشكال بشرح لاميّة الأفعال: جمال الدّين محمّد بن عمر المعروف ببَحرَق، تح: مصطفى النّحاس، 1413هـ/1992م.

106. الفصول الخمسون: ابن معطي زين الدّين أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي الزواوي المغربي، تح: محمود محمّد الطّناحي، القاهرة، 1396هـ/1976م.

107. الكافية والشّافية: ابن الحاجب جمال الدّين عثمان بن عمر بن أبي بكر، تح: صالح عبد العظيم الشّاعر، مكتبة الآداب، القاهرة.

108. كتاب الأزهية في علم الحروف: الهروي علي بن محمّد النّحوي، تح: عبد المعين الملّوحي، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ط2، 1413هـ/1993م.

109. كتاب الفصول في العربيّة: ابن الدّهان أبو محمّد سعيد بن المبارك النّحوي، تح: فائز فارس، دار الأمل/الأردن، مؤسّسة الرّسالة/بيروت، ط1، 1409هـ/1988م.

110. الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي/القاهرة، دار الرّفاعي/الرّياض، ط2، 1402هـ/1982م.

111. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: الزّمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط1، 1418هـ/1998م.

112. الكليّات(معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية): الكفوي أبو البقاء أيّوب بن موسى الحُسَيْني، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط:1، 1419هـ/1998م.

113. الكّناش في فنّي النّحو والصّرف: الأيّوبي عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن الأفضل علي الشّهير بصاحب حماة، تح: رياض بن حسن الخوّام، المكتبة العصريّة/بيروت، 1425هـ/2004م.

114. لباب التّأويل في معاني التّنزيل: الخازن علاء الدّين علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي، تح: عبد السّلام محمّد علي شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1425هـ/2004م.

115. اللّباب في علل البناء والإعراب: العكبري أبو البقاء محبّ الدّين عبد الله بن الحسين، تح: محمّد عثمان، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م.

116. اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل أبو حفص عمر بن علي الدّمشقي الحنبلي، نح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت/ لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.

117. لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

118. اللّغة العربية معناها ومبناها: تمام حسّان، دار الثّقافة، المغرب، 1994م.

119. المبدع في التّصريف: أبو حيّان الأندلسي، تح: عبد الحميد السّيّد طلب، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 1402هـ/1982م.

120. المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن العظيم: الرّاجحي شرف الدّين، دار المعرفة الجامعيّة، جامعة الاسكندرية، 1999م.

121. المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر: ابن الأثير ضياء الدّين، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، القاهرة، ط2.

122. مجموعة الرّسائل الكبرى: ابن تيمية تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام الحراني الدّمشقي، دار إحياء التّراث، بيروت، لبنان.

123. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جنّي أبو الفتح عثمان، تح: علي النّجدي ناصيف وآخرون، دار سزكين للطّباعة والنّشر، ط2، 1406هـ/1986م.

124. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطيّة أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب الأندلسي، تح: عبد السّلام عبد الشّافي نحمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.

125. مختصر الصّرف: الفضيلي عبد الهادي، دار القلم، بيروت/لبنان.

126. مدخل إلى علم اللّغة: حجازي محمود فهمي، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّزيع، القاهرة.

127. المزهر في علوم اللّغة وأنواعها: السّيوطي عبد الرّحمن جلال الدّين، مكتبة أنوار التّراث، القاهرة.

128. المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير للرّافعي: الفيّومي أحمد بن محمّد بن علي المُقري، تح: عبد العظيم الشّناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1397هـ/1977م.

129. المصطلح النّحوي نشأته وتطوّره حتّى أواخر القرن الثّالث الهجري: عوض القوزي، شركة الطّباعة العربيّة السّعوديّة، الرياض/المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1401هـ/1981م.

130. معالم التّنزيل: البغوي أبو محمّد الحسين بن مسعود، تح: محمّد عبد الله النّمر وآخرون، دار طيبة، الرّياض، 1409هـ.

131. معاني القرآن وإعرابه: الزّجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السّري، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

132. معاني القرآن: الفرّاء أبو زكريّا يحيى بن زياد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ/1983م.

133. معترك الأقران في إعجاز القرآن: السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر، تح: علي محمّد البجاوي، دار الفكر العربي.

134. معجم المفسِّرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر: عادل نُوَيْهض، مؤسسة نويْهض الثّقافية، ط:3، 1409هـ/1977م.

135. المعجم المفصّل في علم الصّرف: راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م.

136. المعجم المفصّل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني: عكّاوي إنعام فوّال، مراجعة: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط2، 1417هـ/1996م.

137. مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام أبو محمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1436هـ/2015م.

138. المغني في تصريف الأفعال: محمّد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1420هـ/1999م.

139. مفتاح العلوم: السّكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي، تح: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرّسالة/بغداد، ط1، 1402هـ/1982م.

140. المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمّد، تح: مركز الدّراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.

141. المفسِّرون بين التّأويل والإثبات في آيات الصّفات: محمّد بن عبد الرّحمان المغْرَاوي، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط:1، 1420هـ/2000م.

142. المفصّل في علم العربية: الزّمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، دار الجيل، بيروت، لبنان.

143. المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية: الشّاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، تح: محمّد إبراهيم البنا، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلميّة وإحياء التّراث الإسلامي، مكّة المكرّمة، ط1، 1428هـ/2007م.

144. مقاصد الشّريعة الإسلامية: محمّد الطّاهر بن عاشور، تح: محمّد الطّاهر الميساوي، دار النّفائس، الأردن، ط2، 1421هـ/2001م.

145. مقاييس اللّغة: ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريّا، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

146. المقتصد في شرح التّكملة: الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرّحمان، تح: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الدّويش، الرِّياض، ط1، 1428هـ/2007م.

147. المُقْتَضَب: المبرّد أبو العبّاس محمّد بن يزيد، تح: محمّد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1415هـ/1994م.

148. الممتع الكبير في التّصريف: ابن عصفور علي بن مؤمن الإشبيلي، تح: فخر الدّين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت/لبنان، ط1، 1996م.

149. من أعلام الزّيتونة (شيخ الجامع الأعظم محمّد الطّاهر بن عاشور حياته وآثاره): بلقاسم غالي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط:1، 1417هـ/1996م.

150. مناهل الرّجال ومراضع الأطفال بلبان معاني لاميّة الأفعال: الأثيوبي محمّد أمين بن عبد الله الهرري، دار عمر بن الخطّاب/القاهرة، مكتبة الوادعي/اليمن، ط1، 1428هـ/2007م.

151. المنتخب في غريب كلام العرب: كراع النّمل أبو الحسن علي بن الهُنَائي، تح: محمّد بن أحمد العُمَري، مركز إحياء التّراث الإسلامي، مكّة المكرّمة، ط1، 1409هـ/1989م.

152. المنصف في شرح كتاب التّصريف للمازني: ابن جنّي أبو الفتح عثمان، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التّراث القديم، ط1، 1373هـ/1954م.

153. منهج الإمام الطّاهر بن عاشور في التّفسير: نبيل أحمد صقر، الدّار المصرية للنّشر والتّوزيع، ط1، 1422هـ/2001م.

154. المهذّب في علم التّصريف: صلاح مهدي الفرطوسي وهاشم طه شلاش، مطابع بيروت الحديثة، ط1، 1432هـ/2011م.

155. الموجز في قواعد اللّغة: الأفغاني سعيد، دار الفكر، 1390هـ/1971م.

156. الموسوعة الميسّرة في تراجم أئمّة التفسير والإقراء والنحو واللّغة: إياد عبد اللّطيف القيسي وبشير بن جواد القيسي ومصطفى بن قحطان الحبيب وعماد بن محمّد البغدادي، ط:1، 1424هـ/2003م.

157. النّحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم : محمود سليمان ياقوت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1417هـ/ 1996م.

158. النّشر في القراءات العشر: ابن الجزري الحافظ أبو الخير محمّد بن محمّد الدّمشقي، تصحيح ومراجع: علي محمّد الضّبّاع، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان.

159. النّظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح: ابن عاشور، دار سحنون/تونس، ودار السّلام/القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م.

160. نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور: البقاعي برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

161. النّكت الحسان في شرح غاية الإحسان: أبو حيّان النّحوي الأندلسي الغرناطي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

162. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر، تح: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ط1، 1418هـ/1998م.

163. وشاح الحرّة بإبراز اللّاميّة وتوشيحها من أصداف الطّرّة في علم التّصريف: محمّد محفوظ بن الشّيخ المسّومِي الموريتاني الشّنقيطي، تح: محمّد محمود ولد محمّد الأمين، ط1، 1424هـ/2003م.

الرسائل الجامعيّة:

1. الأبنية الصّرفيّة ودلالاتها في سورة الكهف: شيخاوي حميد، رسالة ماجستر، كلّية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة أبو بكر بلقائد، تلمسان، 2013/2012م.

2. الأبنية الصّرفية في السّور المدنية (دراسة لغويّة دلالية): عائشة محمّد سليمان قشوع، رسالة ماجستر، إشراف: أحمد حسن حامد، جامعة النَّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2004م.

3. أثر الدّلالات اللّغويّة في التّفسير عند ابن عاشور في كتابه التّحرير والتّنوير: مشرف بن أحمد جمعان الزّهراوي، رسالة دكتوراه، إشراف: أمين محمّد عطيّة باشه، قسم الكتاب والسّنّة، جامعة أمّ القرى، 1426هـ/1427هـ.

4. أثر السّياق في دلالة الصّيغة الصّرفيّة في القرآن الكريم: مروة عبّاس حسن علي، رسالة ماجستر، كلّية التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة ديالي، 1434هـ/2013م.

5. الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التّحرير والتّنوير: محمّد بن سعد بن عبد الله القرني، رسالة ماجستير، كليّة الدّعوة وأصول الدّين قسم الكتاب والسّنّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1427هـ.

6. البنية الصّرفيّة ودلالاتها في القرآن الكريم سورة إبراهيم أنموذجا-دراسة لسانيّة وظيفيّة-: صالحي زينة، رسالة ماجستر، كليّة اللّغة والأدب العربي والفنون، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة باتنة1، 1438/1437هـ، 2018/2016م.

7. تأثير السّياق على الأزمنة الفعليّة (دراسة تحليليّة في سورة القيامة): محمّد إقبال خير الدّين الخلود، درجة سرجانا، كليّة العلوم الإنسانيّة والثّقافة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، الجامعة الإسلاميّة الحكوميّة، مالانج، 2008/2007م.

8. تفسير ابن عاشور التّحرير والتّنوير (دراسة منهجية نقدية): جمال محمود أحمد أبو حسّان، رسالة ماجستر، إشراف: فضل حسن عباس، الجامعة الأردنيّة، 1411هـ/1991م.

9. دلالة الفعل في القرآن الكريم (سورتا البقرة والأعراف أنموذجا): الأمين بوخاري، رسالة ماجستر، جامعة فرحات عبّاس، سطيف، كلّيّة الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2012/2011م.

10. السّياق القرآني وأثره في التّفسير(دراسة نظريّة تطبيقيّة من خلال تفسير ابن كثير): المطيري عبد الرّحمان عبد الله سرور جرمان، رسالة ماجستر، جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1429هـ/2008م.

11. الطّاهر ابن عاشور وجهوده البلاغيّة في ضوء تفسيره التّحرير والتّنوير "المعاني والبديع": الشوبكي رانية جهاد إسماعيل، رسالة ماجستر، كلّيّة الآداب، قسم اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، 1430هـ/2009م.

12. قواعد التّرجيح المتعلِّقة بالنّص عند ابن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير (دراسة تأصيلية تطبيقية): عبير بنت عبد الله النّعيم، رسالة دكتوراه، قسم الثّقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، 1429هـ/1430هـ.

13. ما لم يسمّ فاعله في القرآن الكريم: كريمة مصطفي السّيّد الأمير، رسالة دكتوراه، جامعة الاسكندريّة، كلّيّة الآداب، قسم اللّغة وآدابها واللّغات الشّرقيّة وآدابها، 2001م.

14. معاني زيادات الأفعال في القرآن الكريم (دراسة وصفيّة إحصائيّة): سكينة محمّد عبد الكريم السّوالقة، رسالة ماجستر، جامعة مؤتة، الأردن، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، 2008م.

15. معاني صيغ القرآن الصّرفيّة وتوظيفها في تفسير ابن عاشور إلى نهاية سورة (آل عمران): ريم بنت خالد العتيبي، رسالة ماجستر، كليّة اللّغة العربيّة، قسم النّحو والصّرف، جامعة الإمام محمّد بن سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1430هـ/1431هـ.

مقالات:

1. الفعل المبني للمجهول في اللّغة العربيّة (أهميّته. مصطلحاته. أغراضه): عبد الفتّاح محمّد، مجلة جامعة دمشق، مجلد:22، العدد(1-2)، 2006م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصّفحة
الشكر والإهداء	
مقدّمة	[أ-ح]
الفصل التّمهيدي.	07
المبحث الأوّل: ترجمة محمّد الطّاهر بن عاشور.	08
المطلب الأوّل: اسمه مولده نشأته وظائفه	08
المطلب الثّاني: شيوخه وتلامذته ومذهبه الفقهي والعقدي.	10
المطلب الثّالث: مكانته العلميّة، آثاره ووفاته.	14
المبحث الثّاني: التّعريف بتفسير التّحرير والتّنوير	18
المطلب الأوّل: مقدّمة تفسير ابن عاشور	18
المطلب الثّاني: بداية تأليف الكتاب نهايته وطبعاته.	19
المطلب الثّالث: مصادره في التّفسير.	19
المطلب الرّابع: منهج الإمام الطّاهر بن عاشورفي تفسير التّحرير والتّنوير.	23
المبحث الثّالث: مصطلحات عامّة حول البحث.	30
الفصل الأوّل: أبنية الأفعال من حيث الزّمن.	41
المبحث الأوّل: الفعل الماضي.	46
المطلب الأوّل: دلالة الفعل الماضي على المضيّ	47
المطلب الثّاني: دلالة الفعل الماضي على الحال.	58
المطلب الثّالث: دلالة الفعل الماضي على الاستقبال.	63
المبحث الثّاني: الفعل المضارع.	77
المطلب الأوّل: دلالة الفعل المضارع على المضيّ.	77
المطلب الثّاني: دلالة الفعل المضارع على الحال.	89

المطلب الثّالث: دلالة الفعل المضارع على الاستقبال.	92
المبحث الثّالث: فعل الأمر.	106
المطلب الأوّل: مفهوم فعل الأمر بناؤه وصياغته.	106
المطلب الثّاني: معاني صيغة فعل الأمر.	109
الفصل الثّاني: أبنية الأفعال من حيث التّجرّد.	153
المبحث الأوّل: الأفعال الثّلاثيّة المجرّدة.	154
المطلب الأوّل: صيغة فَعَل.	155
المطلب الثّاني: صيغة فَعِل.	196
المطلب الثّالث:صيغة فَعُل	202
المبحث الثّاني: الأفعال الرّباعيّة المجرّدة.	207
المطلب الأوّل: مفهوم الرّباعي الفعل المجرّد.	207
المطلب الثّاني: معاني صيغة فعْلَل.	208
الفصل الثّالث: أبنية الأفعال من حيث الزّيادة.	213
المبحث الأوّل: مزيد الثّلاثي.	220
المطلب الأوّل: المزيد بحرف.	221
المطلب الثّاني: المزيد بحرفين.	275
المطلب الثّالث: المزيد بثلاثة أحرف.	316
المبحث الثّاني: مزيد الرّباعي.	334
الفصل الرّابع: الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله.	336

المبحث الأوّل: مفهوم الفعل المبني لما لم يسمّ فاعله.	337
المطلب الأوّل: مفهومه وتسمياته.	337
المطلب الثّاني: أقسام الفعل بالنّسبة لبنائه لما لم يسمّ فاعله.	342
المطلب الثّالث: صياغته	343
المبحث الثّاني: نائب الفاعل أقسامه وما ينوب عنه.	351
المطلب الأوّل: مفهوم نائب الفاعل.	351
المطلب الثّاني: أقسامه.	352
المطلب الثّالث: ما ينوب عن الفاعل.	353
المبحث الثّالث: أغراض نائب الفاعل.	358
المطلب الأوّل: الأغراض الّتي ذكرها النّحويون والبلاغيون.	359
المطلب الثّاني: أغراض أخرى.	374
المطلب الثّالث: معاني خاصّة تتحدّد بالسّياق.	377
خاتمة.	390
قائمة المصادر والمراجع.	396
فهرس المحتويات.	411